

لقد قام الطالب بتصحيح الأخطاء التي طلبتها اللجنة

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القري بامت الملكة  
كلية التربية والدراسات العليا  
الدراسات العليا  
فرع الكتاب والسنة

دكتور  
سعيد الوطى الحفني البزوي

د. محمود علي صمايه

طالب عماد البرسر

# النصر والتميز في الكتاب والسنة

رسالة مقدمة لنيل درجة «المابجستير»

إعداد الطالب  
طالب عماد البرسر

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور  
سعيد الوطى الحفني البزوي



العام الدراسي ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ

الله أكبر  
لا إله إلا الله  
محمد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم

إنف رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه  
 إلا قال في غده ، لو غير هذا لكان أحسن .  
 ولو زيد كذا لكان يستحسن . ولو قدم هذا  
 لكان أفضل . ولو ترك هذا لكان أجمل  
 وهذا من أعظم الحبر . وهو دليل على استيلاء  
 النفس على جملة البشر .

« العاد الأصفياتي »

# الفكر

إلى القادة والمفكرين والعلماء .  
إلى العاملين في عقل الدعوة الإسلامية .  
إلى المجاهدين الصادقين الذين يقاتلون لنصرة هذا الدين .  
إلى الشباب المؤمن الذي يترك روجه لله سبحانه .

إيمانك

سورة التوبة

## شكر وتقدير

الحمد لله الذى انعم علىّ نعمًا لاتعد ولا تحصى ، واولها نعمة الاسلام ، ثم نعمة  
مجاورة بيت الله الحرام . وله الحمد والمنة أن وفقنى لأن اكون من طلاب العلم  
الشرعي . واسأله سبحانه أن يزيدني من فضله ، وأن يجعلني من العاملين باحكام  
شرعه ، وان يوفقني لان اكون من دعائه وجنده ، انه سميع مجيب .

ثم اتقدم بجزيل الشكر لجامعة ام القرى التى اتاحت لنا الفرصة بالدراسة  
فى احضانها ، واستقدمت لنا العلماء الصالحين ، ووفرت لنا ما نحتاجه فى دراستنا .  
واتوجه بالشكر والتقدير الى القائمين على كلية الشريعة والدراسات  
الاسلامية ، واخص منهم بالذكر سعادة عميد الكلية ووكيله - حفظهما الله - الذين  
سهروا من اجل راحة الطلاب .

وأتقدم بخالص شكرى وتقديرى لفضيلة شيخنا الاستاذ الدكتور /

مسعد عبد السمعطي الحفنى النبراوى على ما احاطنى به من رعاية واهتمام ، فقد  
اعارني سمعه ، وفتح لى قلبه ، ولم يأل فى عونى وارشادى وتوجيهى جهدا . وقد كان  
لتوجيهاته العلمية النافعة الاثر الكبير فى انجاز هذه الرسالة .

كما ازجى شكرى وتقديرى الى كل من قدم لى مساعدة سواء كان ذلك  
فى اعارتي مرجعا ، او تنبيهى اليه ، ولكل من اسدى لى نصحا . وللجميع منى  
الدعاء الصالح ، والله الموفق . . . . .

المؤمنين

## مقدمة

الحمد لله وحده ، الذى نصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده ، والصلاة والسلام على الرسول الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم امام المتقين وقائد المجاهدين وعلى آله الكرام الطاهرين ، وعلى صحابته الذين نهجوا نهجه وساروا على دربه فنصرهم الله ومكنهم ، وعلى من تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد ، .

يقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : ( إِنَّ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ) . ( ١ ) ويقول سبحانه : ( وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* الَّذِينَ أَنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) . ( ٢ )

لقد بزغ فجر الاسلام يوم أن بعث الله سبحانه نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة ، وبدأ ظلام الجاهلية يتبدد أمام هذا النور حتى تلاشى .

واشرقت شمس الاسلام حتى أنارت الدنيا بنور الهداية والعدل والصلاح . واستيقظت أمتنا يوم بزوغ ذاك الفجر ، ثم ترعرعت مع شروق شمسه فسادت البشرية وساستها الى دروب الخير والفلاح . وكان لهذا الدين الفضل على ما يبلغه المسلمون من القوة والنصر والتمكين ، اذ نصرنا الله فنصرهم وايدهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين .

( ١ ) محمد ( ٧ ) .

( ٢ ) الحج ( ٤٠ ، ٤١ ) .



واليوم تلبد سماء المسلمين بعض الغيوم التي تحجب شمس الاسلام ونوره عن البشرية ، وذلك لأن المسلمين انحرفوا عن دين الله فخسروا وخسر العالم بخسارتهم كذلك نور الهداية والسعادة .

ويظن بعض المسلمين - لرويتهم تلك الغيوم وهي تلوح في الافق - أن شمس الاسلام <sup>أرشكتة على الغيب</sup> ولكن هيهات ، هيهات ، فانها غيوم سرعان ماتنقشع ، وستزول باذن الله قريبا . ولكن بعد أن يعود المسلمون الى دينهم ويصحوا مسارهم الذي انحرفوا <sup>به</sup> عن جادة الصواب .

ولنكن على يقين من نصر الله ، لانه سبحانه وعد عباده المؤمنين بالنصر والتمكين ما اقاموا شريعته ونصروا دينه - ، ووعد سبحانه أن يظهر دينه فقال جل جلاله ( هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) . ( ١ )

وقال سبحانه : ( هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ) . ( ٢ )

وبشر الرسول صلى الله عليه وسلم الامة الاسلامية بالنصر والتمكين .

أخرج الامام أحمد - واللفظ له - والحاكم عن ابى بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ( بشر هذه الامة بالسنة والنصر والتمكين . . الحديث ) . ( ٣ )

وبشر ايضا بان الله سبحانه سيمكن لهذه الامة حتى يبلغ ملكها الدنيا

من مشرقها الى مغربها .

( ١ ) التوبة ( ٣٣ ) ، الصف ( ٩ ) .

( ٢ ) الفتح ( ٢٨ ) .

( ٣ ) اخرجه الامام احمد في المسند ( ١٣٤ / ٥ ) . والحاكم في المستدرک كتاب

الرقائق ( ٣١١ / ٤ ) وصححه . قال الهيثمي في مجمع الزوائد

( ٢٢٠ / ١٠ ) : رواه احمد وابنه من طرق ورجال احمد رجال الصحيح .

قلت : اسناد الامام احمد فيه الربيع بن انس ، اخرج له الاربعة ، قال فيه النسائي

لابأس به . التهذيب ( ٢٢٩ / ٣ ) . وقال ابو حاتم : صدوق . الجرح والتعديل

( ٤٥٤ / ٣ ) وقال ابن حجر : صدوق له اوهام . التقريب ( ٢٤٣ / ١ ) وبقيّة

رجاله ثقات . لذا فان اسناده حسن . وروى عبد الله الامام احمد الحديث في المسند

( ١٣٤ / ٥ ) من طريق ايوب باسناد حسن ايضا . لذا فان الحديث حسن لذاته

صحيح لغيره .

أخرج الامام مسلم - واللفظ له - وابوداود والترمذى وابن ماجسة  
والامام أحمد عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
(١) ان الله زوى لى الارض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وان امتى سيبلغ ملكها  
مازوى لى منها . . الحديث ) .

واذا كانت الامة الاسلامية اليوم تعيش مرحلة جراح وهموم ومشاق فان  
هذه فى الحقيقة هموم ومشاق المخاض الذى يسبق الميلاد ، ثم يعقبه ميلاد مبارك ،  
ميلاد النصر والفتح المبين .

وفى هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ هذه الامة ينبغى أن تتحفظ  
طاقات المخلصين من ابنائها، وينبغى أن تبرز دواعي الاستجابة للتحدى  
الذى تواجهه هذه الامة ، وينبغى أن تتضافر العقول والقلوب  
والسواعد لى تتخطى وتتجاوز هذه المحنة ، ثم تنطلق صوب القمة  
لتبنى مجدا تليدا لهذه الامة ونصرا عزيزا يعز فيه الحسنى  
وأهلها ويذل الباطل وحزبها .

- 
- (١) اخرج الامام مسلم فى الفتن / باب هلاك هذه الامة بعضهم ببعض (٤ / ٢٢١٥) .
  - وابوداود فى الفتن والملاحم / باب ذكر الفتن ودلائلها (٤ / ٨٧ ، ٩٨) .
  - والترمذى فى الفتن / باب ما جاء فى سؤال النبى ثلاثا فى امتها  
(٤ / ٤٧٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح .
  - وابن ماجسة فى الفتن / باب ما يكون من الفتن (٢ / ١٣٠٤) .
  - والامام احمد فى المسند (٥ / ٢٧٨ ، ٢٨٤) .

سبب اختياري هذا الموضوع:

ومن، نعمة الله على أن وفقني لان اختار موضوعا يشكل جهدا متواضعا  
 أساهم به في القاء الضوء على أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة كى  
 نبصر الطريق الذى ينقلنا من الذل الى العزة والكرامة ومن الهزيمة الى النصر  
 والريادة ، وعنوان هذا الموضوع : أسباب النصر والهزيمة فى الكتاب والسنة .  
 ويمكن تلخيص الأسباب التى دعتنى الى اختيار هذا الموضوع

فيما يلي :-

- ( ١ ) المساهمة فى القاء الضوء على القضية الكبرى التى تشغل ابناء الامة  
 الاسلامية، والتى تتمثل فى القدرة على مواجهة التحديات العالمية  
 المعادية ، واحراز النصر عليها ليعود للمسلمين مجدهم .  
 وتأصيل موقف الاسلام ومنهج الكفيل بتخطى المحنة وتجاوز العقبة  
 حتى تعود الامة خیرامة اخرجت للناس .
- ( ٢ ) المساهمة فى اقتلاع واجتثاث اليأس ، الذى سرى أو كاد يسرى فى  
 قلوب ابناء هذه الامة من عودة المسلمين الى سابق مجدهم وحصول  
 النصر والظفر لهم على اعدائهم ، واعادة الثقة اليهم فى وعد الله لهم  
 بالنصر والتمكين .
- ( ٣ ) الرد على من يريد أن يخلع ثوب الاسلام مدعيا أن الاسلام هو الذى  
 أدى بالمسلمين الى ما هم عليه من ضعف ، ولاعلامه أن ما عليه المسلمون  
 اليوم من ضعف انما هو بسبب بعدهم عن الاسلام ، وأن لاسبيل الى  
 القوة والنصر الا بالاسلام .

( ٤ ) تحديد ميزان النصر والهزيمة بالنسبة للامة الاسلامية  
من خلال الكتاب والسنة ليتسنى بذلك معرفة جوانب الخلل والضعف  
التي تعانيها الامة الاسلامية ليتم اصلاحها وتصحيح خطر الانحراف  
الذي ادى بنا الى الوقوع فى الهزيمة وللاستزادة من اسباب  
القوة والنصر التي بينتها نصوص الكتاب والسنة .

( ٥ ) الاجابة على من يتساءلون عن سبب وقوع الهزيمة بالمسلمين او تأخر  
النصر عنهم ، ليعرفوا الاسباب التي ادت بهم الى أن يؤولوا الى هذه  
الحال أوتلك .

( ٦ ) الرد على من يطلبون النصر من الشرق او الغرب متناسين الاسلام  
وجاهلين او متجاهلين أن النصر من عند الله يمنحه لمن يشاء ويمنع  
عمن يشاء .

( ٧ ) ابراز قيمة ما يملكه المسلمون من الاسباب الشرعية التي تساهم فى ترجيح  
كفتهم على عدوهم ، وتساهم فى نزول نصر الله وتأبيده لهم .

### عملي فى الرسالة :

لقد حاولت جمع واستيعاب الآيات والاحاديث التي تعالج موضوع النصر  
والهزيمة مع بيان اقوال المفسرين والعلماء فيها لازالة الابهام او للكشف عن أحد  
المعاني التي يتضمنها النص .

واستشهدت بهذه النصوص في مواضع كثيرة حسب ما يتطلبه الموضوع، وقد اجزئها اذا احتاج الامر، لذا فان بعض النصوص تعرضت لها بالشرح والتفصيل في موضع ولم اتعرض لها كذلك في موضع آخر، او تناولتها في موضع من الجانب الذي له صلة بهذا الموضوع، وتناولتها في الموضوع الآخر من الجانب الذي له صلة بالموضوع الجديد .

وعزوت الآيات الى مواضعها من كتاب الله واما الاحاديث فقد حرصت على تخريجها من كتب السنة مع الحكم على اسنادها ونهجت في عزوى لها تسجيل اسم المصنف والكتاب والباب والجزء والصفحة ليسهل بذلك الكشف عن الحديث في اى طبعة كانت . ونصوص السيرة والتاريخ وغيرها عزوتها الى المواضع التي اخذتها منها ، ودونت اسم الكتاب او المصنف ومؤلفه ، وطبعته ، ودار الطباعة او النشر في اول موضع يأتى فيه ، ثم اغفلته في المرات اللاحقة الا اذا اعتمدت على طبعة ثانية في موضع آخر فاسجلها بنفس الطريقة السابقة .

وحرصت على اخذ المعلومات من المصادر الاساسية ما امكن ، ومن كتب السنة خاصة - بعد كتاب الله - وحاولت ان اعتمد على نصوص يحتج بها لتوثيق المعلومات ليتسنى بذلك اعادة الثقة الى النفوس في نصر الله وفي الاسباب المشروعة لحصول النصر والظفر .

واستفدت مما كتب حديثا وله صلة بموضوع الجهاد والنصر، من اى مصدر يفيد .

واعددت للرسالة ثلاثة فهارس.

الفهرس الاول للموضوعات : سجلت فيه مباحث الرسالة وفصولها وابوابها

حسب ترتيبها فى الرسالة ، واشرت الى رقم الصفحة .

الفهرس الثاني : للاحاديث : رتبت فيه الاحاديث والآثار الواردة فى

الرسالة حسب ترتيب حروف الهجاء ، مع الاشارة الى ارقام الصفحات التى

وردت فيها ، وذكرت الراوى ايضا مقابل كل حديث ، وصاحب الأثر كذلك ليسهل

الكشف عن الاحاديث والآثار .

الفهرس الثالث : للمصادر والمراجع : رتبت فيه المصادر والمراجع حسب

ترتيب حروف الهجاء ، وذكرت اسم المصدر او المرجع ، ومؤلفه ، ودار الطباعة

او النشر ، وطبعته .

عرض موجز لمباحث الرسالة :

قسمت الرسالة الى ثلاثة ابواب؛ الاول منها تمهيدى ، والآخرا رئيسا ن .

أما الباب الاول فهو بعنوان الجهاد والنصر فى الكتاب والسنة - وينقسم الى فصلين

الاول بعنوان الجهاد فى الكتاب والسنة وفيه أربعة مباحث هى : فضل الجهاد ، وحكمه

وبواعثه ، والجهاد طريق النصر . وأفردت هذا الفصل

للجهاد خاصة لانه هو الطريق الوحيد الذى ينقذ الامة من الهزيمة ويكسبها

العزة والقوة والنصر ، ولا يمكن للمسلمين بدونه أن يعيشوا فى عزة وكرامة ، بل

وليس للمسلمين نجاة من الذل والهزيمة الا بالجهاد الذى ماتركه قوم الا ذلوا . لذا

كان لزاما أن أبين هذه الفريضة ليتبين قيمتها واثرها باعتبارها طريق النصر والنجاة .

والفصل الثانى بعنوان النصر والهزيمة فى الكتاب والسنة ، وفيه ستة مباحث هى

معنى النصر والهزيمة فى

الكتاب والسنة ، والغاية من النصر فى الاسلام بوجوده النصر الربانى للمؤمنين

ووعده الله للمؤمنين بالنصر ، والحكمة فيما يقع من هزيمة المؤمن بسبب ذنوبهم ،

وسنة الله فى النصر والهزيمة .

وهذه المباحث لازمة من اجل التمهيد لموضوع اسباب النصر والهزيمة.

والباب الثاني : الاسباب المعنوية للنصر والهزيمة فى الكتاب والسنة ،  
كما هو واضح من العنوان ، خاص بالاسباب المعنوية للنصر والهزيمة ، وجمعت  
فيه اثنى عشر سببا يدخل فى جعلتها الاسباب الشرعية .

والباب الثالث : الاسباب المادية للنصر والهزيمة فى الكتاب والسنة ،  
خاص بالاسباب المادية ، وجمعت فيه سبعة اسباب .

وحاولت عند عرضى لهذه الاسباب ان اتناولها فى البداية بالتقرير  
والتأكيد من الجانب النظرى معتمدا فى ذلك على الكتاب والسنة ، ثم اتبع ذلك  
باستعراض بعض الشواهد العملية من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة  
صحابته الكرام لأؤكد على كل سبب من اسباب النصر والهزيمة من خلال الجانب  
التطبيقى المتمثل فى جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وانتصاراته الرائعة .  
وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم هى التطبيق العملى لتعاليم الكتاب والسنة ،  
وهى سيرة حافلة بدروس النصر . بالاضافة الى غيرها من العبر .

الباب الأول «تمهيد»

الجهاد والنصر في الكتاب والسنة



## تمهيد

النصر على الاعداء امنية غالية وعزيزة ، وقضية كبرى تراود كل مسلم يهتم بأمور المسلمين . ولكن هل الامانى وحدها تكفى الامة مئونة النصر؟ وهل الكلام والخطب الرنانة هم الطريق المسلمين الى النصر ؟

لو كان الامر كذلك لكنا فى حال غير هذا الحال ، اما ونحن فيما نحن <sup>فيه</sup> من بلاء الهزيمة فلنبحث عن الطريق الصادق الذى يصل بنا الى ما نبغى من النصر والظفر .

ولقد بينت لنا شريعتنا طريق النصر ، وصدقه تاريخ امتنا العريق بما حواه من امجاد وانتصارات لم يسجلها التاريخ لامة منذ زمن بعيد غير امتنا الاسلاميــــــــــــــــة .

فما هو هذا الطريق ؟ انه الجهاد . . . ، من سلكه حاز النصر كما دلت على ذلك شريعتنا واثبت صدقه تاريخ امتنا . وقد فصلت الحديث عنه لا دراك منزلته واهميته فى هذا الدين ، لتؤكد من سلامة هذا الطريق حتى نسير فيه من بدايته واثقى الخطى مطمئنين الى نصر الله .

# الفصل الأول

## الجهاد في الكتاب والسنة

وقيه تمهيد وأربعة مباحث :

الأول : فضل الجهاد والشهادة .

الثاني : حكم الجهاد .

الثالث : بواعث الجهاد .

الرابع : الجهاد طريق النصر .

## المبحث الأول

=====

فضل الجهاد والشهادة في الكتاب والسنةالمطلب الأول : فضل الجهاد في القرآن .

وعدا لله سبحانه وتعالى المجاهدين بالثواب العظيم - ترغيباً للمؤمنين في الجهاد - في آيات كثيرة منها قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ) . ( ١ )

يدعوننا الله تبارك وتعالى في هذه الآيات وما أعظمها من دعوة تصدر عن رب العزة والجلال - الى عقد صفقة رابحة معه سبحانه .

وصدر الخطاب بالنداء لتنبية المؤمنين الى هذه التجارة، وللتنويه بأهميتها حتى لا يفرطوا فيها ولا يفوتهم ربحها ، وخاطبهم الله سبحانه بوصف الايمان ( يا أيها الذين آمنوا ) لاعلامهم بأن هذا العقد خاص بالمؤمنين ، وانه من مستلزمات الايمان . ووجه اليهم الخطاب بصيغة الاستفهام ( هل ) تشويقاً لهم واشعاراً بأهمية مضمون الخطاب . وعبر بلفظ ( ادلكم ) ليفيد أنه سبحانه هو الذي سيتولى بنفسه ارشاد المؤمنين الى تلك التجارة ، ولا شك أن الانسان اذا وثق في صدق مرشده وامانته أنس به واطمأن اليه فما بالناس والمرشد هو رب السماوات والارض الذي له الاولى والاخرة ، والذي أحاط بكل شيء علماً ، ان ذلك ولا شك يحمل المؤمنين على الحرص على هذه التجارة والاستمساك بها اذا كانوا مؤمنين حقاً .

وعبر القرآن بلفظ ( تجارة ) ليوحى بالربح العظيم الذي يناله المؤمن بالجهاد ، وليؤكد على ضمان الصفقة . قال الشوكاني رحمه الله : ( جعل العمل المذكور بمنزلة التجارة لانهم يربحون فيه كما يربحون فيها ، وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار ) . ( ٢ )

( ١ ) الصف ( ١٠ - ١٣ ) .

( ٢ ) تفسير فتح القدير للشوكاني ( ٢٢٢ / ٥ ) . الناشر محفوظ العلي . بيروت

وأجمل الله سبحانه وتعالى ربح هذه التجارة بقوله: (تنجيكم من عذاب اليم) وهذا فضل عظيم وفوز كبير. يقول تبارك وتعالى: (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) (١).

وبعد ان اجمل القرآن ذكر التجارة ، فصلها ببيان السلعة والثمن ، أما الثمن فهو الايمان والجهاد فى سبيل الله ، واما السلعة فهي مغفرة الذنوب ودخول جنات تجرى من تحتها الأنهار، وفى ذلك من سرور قلب المؤمن وقرّة عينه مالا يحاط به . واغراء للمؤمنين كى يحرصوا على هذه التجارة وعذهم الله سبحانه مساكن طيبة، ومزيدا فى اغرائهم بين أن تلك المساكن فى جنات عدن ، تلك الجنات التى شرف الله من وصل اليها بدوام الخلود فيها مما استحق أن يسميه الله بالفوز، ولا يكتفى بكونه فوزا بل يصفه بالعظيم ، مشيرا الى هذا الفوز باسم الاشارة للبعد لبيان انه نعيم لا يتناهى .

وزيادة فى اغرائهم كذلك بين الله سبحانه أن من جملة ارباح هذه التجارة ربحا دنيويا عاجلا يتمناه المسلمون ويحبونه كل الحب، الا وهو النصر على الاعداء والفتح القريب ( واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريبويشر المؤمنين ) والمراد بالفتح القريب : فتح مكة ، وقيل فتح فارس والروم . (٢)

كل هذا الاغراء وما ذكر من الثواب الاجل والربح العاجل انما هو للحث على الجهاد بمايدل على عظيم فضله وعلو منزلته عند الله تبارك وتعالى . واكد القرآن على فضل الجهاد ، وفوز من يتعاطى هذه التجارة فى سبيل الله حيث يقول تبارك وتعالى: ( ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ) . (٣)

(١) آل عمران : ١٨٥ .

(٢) تفسير النسفى (٤/٢٥٣) دار الكتاب العربى ، بيروت .

(٣) التوبة : (١١١) .

بينت الآية الكريمة أن ثمن دخول الجنة هو الجهاد بالمال والنفس ، ووعده  
الله سبحانه أن يمنح السلعة لمن قدم الثمن ، وجعل سبحانه هذا الوعد عهداً  
على نفسه-تأكيداً للأمر-لترغيب المؤمنين في هذه التجارة .

وعدد ابن القيم-رحمه الله-ما اشتملت عليه هذه الآية من وجوه لتأكيد تمام  
الصفقة وضمان الربح حيث قال : ( فجعل الله سبحانه هاهنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين  
وأموالهم ، وأكده بأنواع من التوكيدات :-

أولاً : أخبأهم بصيغة الخبر المؤكد باداءة (ان) .

ثانياً : الأخبأ بذلك بصيغة الماضي الذي وقع وثبت واستقر .

ثالثاً : إضافة هذا العقد الى نفسه سبحانه ، وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع .

رابعاً : أنه أخبأ بأنه وعد بتسليم هذا الثمن ، وعداً لا يخلفه ولا يتركه .

خامساً : أنه أتى بصيغة (على) التي للجواب اعلاماً لعباده بأن ذلك حق

عليه أحق هو على نفسه .

سادساً : أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه .

سابعاً : أنه أخبأ عن محل هذا الوعد ، وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء

وهي التوراة والانجيل والقرآن .

ثامناً : اعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار ، وأنه لا أحد أوفى بعهده منه

سبحانه .

تاسعاً : أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ، ويبشروا به

بعضهم بعضاً ، بشارة من قد تم له العقد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه

خيار ، ولا يعرض له ما يفسخه .

عاشراً : أنه أخبأهم أخبأراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم

«والبيع هاهنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن ، وهو الجنة» (١) .

وللاستاذ سيد قطب رحمه الله تعليق لطيف يقول فيه: ( . . حقيقة هذه البيعة وهذه

المبايعة كما سماها الله كرمها منه وفضلاً وسماحة ان الله سبحانه قد استخلص لنفسه

انفس المؤمنين وأموالهم ، فلم يعد لهم منها شيء . . لم يعد لهم ان يستمتعوا منها

( ١ ) نقلاً عن موارد الظمان لدروس الزمان/عبد العزيز السلطان ( ٣ / ٤٩٠ ) الطبعة

الثالثة مطبعة المدينة بالرياض .

بقية لا ينفقونها في سبيله . . . انها صفقة مشتراة لشاربيها أن يتصرف بها كما يشاء . . .  
 وليس للبائع فيها من شيء سوى أن يمضى في الطريق المرسوم . . . والتمن هو الجنة . . .  
 والطريق هو الجهاد والقتل والقتال . . . والنهاية هي النصر والاستشهاد ، من  
 ارتضى الثمن ووفى فهو المؤمن . . . فالمؤمنون هم الذين اشترى الله منهم فباعوا . . . ،  
 ومن رحمة الله ان جعل للصفقة ثمنا ، والا فهو واهب الانفس والاموال . . . ولكنه ككرم  
 هذا الانسان فجعله مريدا ، وكرمه فجعل له ان يعقد العقود ويمضيها - حتى مع  
 الله - . . . ( ١ ) .

ورفع الحق تبارك وتعالى درجة المجاهدين ، وجعلها من اعظم الدرجات  
 وذلك لرفعة فضل الجهاد . يقول سبحانه وتعالى : ( الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا  
 في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم  
 برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدون فيها ابدا ان الله عنده  
 اجر عظيم . ) ( ٢ ) .

سجل القرآن في هذه الآيات ثواب المجاهدين ، ودرجتهم العالية الرفيعة ،  
 ووصف هذه الدرجة بأنها أعظم الدرجات عنده ، فاعلى انواع الثواب ثواب المجاهدين ،  
 ولا يدركهم الا من قضى دهره صائما لا يظطر ، وليله قائما لا يرقد . وازاد العندية  
 لله سبحانه ليؤكد على حصول المجاهدين على هذه الدرجة الرفيعة ، وليفيد بأنها  
 ليست من نوع الدرجات التي لدى البشر ، كما انها ليست في يد احد منهم . ولا شك  
 ان ميزان الله ليس كميزان الخلق ، و عدل الله لا يصل اليه احد من الخلق ، فلا خوف  
 اذا ولا وجل من فقد الثواب فهو في حفظ من لا تضع عنده الودائع ولا تنتهي كنوزه  
 وخزائنه . ولم تكن الآيات بذكر درجة المجاهدين بل وصفتهم بانهم هم الفائزون ( واولئك  
 هم الفائزون ) ، وكان احدا غيرهم ليس من الفائزين ، وذلك اكراما للمجاهدين وتقديرا  
 لهم على جهادهم ، وهو اغراء للمؤمنين كي يحرصوا على الجهاد ليكونوا من الفائزين .  
 وبشرت الآيات المجاهدين بالنعيم المقيم ، والرحمة والرضوان ، ( يبشرهم ربهم

برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . ) .

واسند الله سبحانه الى نفسه تبشيرهم عطا عليهم وحبا لهم . كما أن البشارة تكون لا مر سار فاذا سمعها صاحبها يحب أن يطمئن لصحة هذه البشارة فيسأل عمّن جاءت، فيجد انها من الله سبحانه ، فينقطع عن نفسه كل شك او ريب، ويبلغ به اليقين ذروته، حتى ليندفع المجاهد - عندها - بروحه الى المعركة حرصا منه على احراز ما بشره الله به من الرحمة والرضى ، ودخول الجنات ، و الفوز بالنعيم المقيم . وجاءت هذه الامور الثلاثة بصيغة النكرة لفائدة بينها الشوكانى بقوله: ( والتكثير فى الرحمة والرضوان والجنات للتعظيم والمعنى انها فوق وصف الواصفين ، وتصور المتصورين ) . ( ١ )

ووصف الله سبحانه هذا النعيم الذى بشروا به بالديمومة و الاستمرار ( و جنات لهم فيها نعيم مقيم ) زيادة فى اغرائهم، ولا دخل مزيد من الغبطة والسرور الى نفوسهم . وعقب للتأكيد على ذلك بقوله: ( خالدین فيها ابدًا ) . والاوصاف (مقيم) و (خالدین) و ( ابدًا ) احدها يكفى لبيان المعنى المشار اليه ، ولكن جاءت الثلاثة زيادة فى التأكيد من جهة ، ولا يبرز معنى اضافى خاص بكل منها .

فالالفاظ الثلاثة يتميز كل واحد منها بلون خاص يساعد فى ابراز وتأكيده المعنى المذكور، فلفظ ( مقيم ) جاء صفة للنعيم الذى اعده الله جزاء للمجاهدين ، ولفظ ( خالدین ) وصف لبيان حياة المجاهدين فى تلك الجنات وذلك النعيم ، ولفظ ( ابدًا ) جاء خاصا بالزمن ذاته ، ولعل هذا سر من اسرار التكرار القرآنى الذى يأتى ليؤدى معنى يبرز المعنى الاساسى ولكن من زاوية اخرى .

وعقب سبحانه بقوله ( ان الله عنده اجر عظيم ) تأكيدا لما سبق ذكره من الثواب، وتعليل ذلك لكونه اعطاهم هذه الاجور العظيمة، أى اعطاهم الله سبحانه هذه الاجور العظيمة لكون الاجر الذى عنده عظيما يهب مسنه ما يشاء ، وهو ذو الفضل العظيم .

( ١ ) تفسير فتح القدير للامام الشوكانى ( ٢ / ٣٤٥ ) .

فضل الجهاد فى السنة .

السنة النبوية المطهرة حافلة بالاحاديث الصحيحة التى تبين فضل الجهاد ومرتبته ،  
وثواب المجاهد وجزاؤه . ولا اعتبارات البحث سأقتصر على بعض هذه الاحاديث ، محاولا  
القاء الضوء عليها بالدراسة والتحليل لابرار أهمية الجهاد الذى يمثل الطريق  
السليم لتحقيق النصر على الاعداء .

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - والنسائي وابن ماجه عن ابى هريرة رضى  
الله عنه قال : ( ١ ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تضمن الله لمن خرج فى سبيله ،  
لا يخرج الا جهادا فى سبيلى ، وايمانا بى وتصديقا برسلى ، فهو على ضامن ان ادخله  
الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا مانالا من اجر او غنيمة ، والذى نفس  
محمد بيده ما من كلم ( ٢ ) يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم ، لونه  
لون دم وريحه مسك ، والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف  
سرية ( ٣ ) تغزو فى سبيل الله ابداء ، ولكن لا اجد سعة فاحملتهم ولا يجدون سعة  
ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده لوددت انى اغزو فى سبيل الله  
فاقتل ، ثم اغزو فاقتل ، ثم اغزو فاقتل .

يبشر الرسول عليه الصلاة والسلام المجاهدين بالجنة يدل عليه قوله :  
( تضمن الله لمن خرج فى سبيله . . . الى قوله - ان ادخله الجنة ) ، وتأكيذا للبشارة  
عبر بلفظ ( تضمن ) ، وفى روايات اخرى عبر بلفظ ( تكفل ) و ( توكل ) وكلها بمعنى تحقيق  
الوعد من الله سبحانه للمجاهدين بدخول الجنة ، والزم نفسه سبحانه بتنفيذ الوعد

( ١ ) اخرجه البخارى فى الجهاد ، باب قول النبى : ( احلت لكم الغنائم . . . ) ( ١٩٢ / ٢ )  
ط . دار المعرفة - بيروت . ومسلم فى الامارة ، باب فضل الجهاد ( ١٤٩٥ / ٣ )  
ط . دار الفكر - بيروت . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ) .  
والنسائي فى الجهاد ، باب ماتكفل الله عزوجل لمن يجاهد فى سبيله ( ١٧٠٦ / ٦ )  
دار الفكر - بيروت - الطبعة الاولى ( ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م ) .  
وابن ماجه فى الجهاد ، باب فضل الجهاد ( ٩٢٠ / ٢ ) دار الفكر - بيروت  
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

( ٢ ) الكلم : الجرح ، انظر منال الطالبى شرح طوال الغرائب لابن الاثير . تحقيق د / محمود  
الطناحى ( ٥٣٢٤٥١٩ ) طبعة مركز البحث العلمى بجامعة قدام القرى / مطبعة المدنى .  
( ٣ ) السرية : تطلق على الطائفة من الجيش . انظر منال الطالب لابن الاثير ص ٥٧ .



- مع انه لا يلزم في حقه شيء - لتطمين المجاهدين بحصول ما وعدهم به . قال العيني رحمه الله : ( وعبر صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى بتفضله بالثواب بلفظ الضمان ونحوه بما جرت به العادة بين الناس بما تطمئن به النفوس وتركن اليه القلوب ) .<sup>(١)</sup>

وكرر لفظ الضمان بقوله ( فهو على ضامن ) لتأكيد الوعد المذكور . وقوله ( لا يخرج الا جهادا في سبيلي ، وايماننا بي ، وتصديقا برسلي ) شرط لحصول المجاهد على ما ذكر من الثواب ودخول الجنات . فالإخلاص شرط قبول الاعمال ومنها الجهاد . ولترغيب المؤمنين في الجهاد بين المصطفى عليه الصلاة والسلام ان المجاهد لا تخلو حاله من احد امرين ، كلاهما خير : الشهادة او الرجوع بسلامة ( فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا مانال من اجر او غنيمة ) .

فبالشهادة يدخل المجاهد الجنة حال استشهاده او دخولا اوليا مع السابقين والمقربين بلا حساب ، واذا رجع سالما فانه يرجع باجر وغنيمة ، او بالاجر فقط اذا لم يغنموا في المعركة .

واختلف العلماء في معنى قوله عليه السلام ( مع اجر او غنيمة ) ، فذهب بعضهم الى أن ( أو ) على بابها وليست بمعنى الواو ، والمعنى يرجع باجر لمن لم يغنم ، أو غنيمة ولا أجر . وجمهور العلماء على أن ( أو ) هاهنا بمعنى الواو والجامعة على مذهب الكوفيين . ويؤيد رأي الجمهور وقوعها بالواو في رواية ابي داود ، وعند مسلم من طريق يحيى بن يحيى ، وعند النسائي من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ، وعند ابن ماجه من طريق عطية عن ابي سعيد الخدري ، والتقدير : أو يرجعه بأجر وغنيمة .<sup>(٢)</sup>

وذهب الى هذا الرأي جماعة من العلماء منهم : ابن بطال ، وابن التين ، والقرطبي ، وبه جزم ابن عبد البر ، ورجحه التوريشتي شارح المصابيح ، والكرمانى ، والعيني<sup>(٣)</sup> والنووي .

وأخير الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث بان المجاهد المجروح يأتي يوم القيامة بجرحه وهو ينزف دما براءة المسك ليكون ذلك وسام شرف له امام الاشهاد ،

( ١ ) عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعلامة بدر الدين العيني ( ١٤ / ٨٤ ) طبعة دار احياء التراث العربى . بيروت .

( ٢ ) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ( ٢١ / ١٣ ) دار احياء التراث العربى . بيروت الطبعة الثانية ( ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ) . وانظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعيني ( ١٤ / ٨٤ ) .

ملاحظة : راجعت الحديث فى المراجع المذكورة فلم أجده بهذا اللفظ ، ووجدته عند ابن ماجه باللفظ المذكور فاثبتته ، وهو زيادة على ما ذكر النووى والعيني .

( ٣ ) انظر عمدة القارى للعيني ( ١٤ / ٨٤ ) . وصحيح مسلم بشرح النووى ( ٢١ / ١٣ ) .

، وشهادة حال ينطق بها جرحه ايماءً بفضله ودرجته المميزة عند الله بوفى ذلك

اغراء للمؤمنين على جهاد الاعداء .

واقسم الرسول عليه الصلاة وافضل السلام بانه لا يحب ان يتخلف عن سرية تقاتل

فى سبيل الله ( والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله ابدا . ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى ) وبين كذلك انه لا يترك الخروج فى بعض السرايا حيا فى القعود ولكن رافة بامته حيث ان الصحابة حريصون على الخروج للجهاد مع رسول الله ولا يجد الوسيلة التى يحملهم عليها ، كما لا يجدون هم الوسيلة التى يركبونها ، ويكرهون ان يتخلفوا عن رسول الله ، فلا يخرج رحمة بهم .

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم باظهار رغبته فى الخروج خلف كل سرية لولا المشقة على امته ، بل تمنى - وهو اشرف الخلق - تمنى على ربه ان يغزو فى سبيله فيقتل ، ثم يحييه الله ليغزو ويستشهد كذلك . وكرر ذلك ثلاثا ، وقد مه بالقسم ليرغب المؤمنون فى الجهاد ، وليشير به الى فضل المجاهد وعلو منزلته عند الله .

واخبر عليه الصلاة والسلام بأن الجهاد افضل الطاعات واعظم القربات ، وذلك لما فيه من صيانة للامن فى الدين والنفس والمال والعرض والارض . اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - ومالك والنسائى عن ابي هريرة رضى الله عنه <sup>(١)</sup> قال : ( قيل للنبي عليه الصلاة والسلام ما يعدل الجهاد فى سبيل الله عزوجل . قال لا تستطيعونه . قال : فاعادوا عليه مرتين

( ١ ) اخرجه البخارى فى الجهاد . باب فضل الجهاد والسير ( ١٣٥ / ٢ ) .

واخرجه مسلم فى كتاب الامارة / باب فضل الشهادة فى سبيل الله ( ١٤٩٨ / ٣ ) .  
ومالك فى الموطأ . كتاب الجهاد . باب الترغيب فى الجهاد ( ٢٩٤ ) دار النفايس  
بيروت - الطبعة السابعة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .  
والنسائى فى كتاب الجهاد . باب ما يعدل الجهاد فى سبيل الله عزوجل ( ١٩ / ٦ ) .



او ثلاثا كل ذلك يقول : لاتستطيعونه . وقال فى الثالثة : مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله تعالى ) .

صلى الله عليه وسلم  
سأل بعض الصحابة - فى هذا الحديث - رسول الله عن عمل يعدل الجهاد اذا لم يجاهدوا ، وكرروا السوءال مرارا رجاء أن يظفروا بطاعة وقربة الى الله تعالى تعدل الجهاد ، وفى كل مرة يقول لهم الرسول عليه الصلاة والسلام ( لاتستطيعونه ) ، وكشف لهم سر ذلك حيث ان المجاهد فى سبيل الله لا يساويه طائع مهما اجتهد فى طاعته ، اذ لا يساويه فى عمل الخير الذى هو فيه الا صائم ليله ونهاره لا يفطر ، وقائم ليله ونهاره يصلى ويتلو كتاب الله عن ظهر قلبه لا يفتر ، وذلك غير ممكن لان طبيعته الانسان لاتقوى على هذا الحال لما يعتريها من الوهن والضعف والحاجة الى الطعام والشراب . وقد اراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا المثل ان يبين للسائلين ان الجهاد هو افضل الاعمال وان المجاهد لا يلحقه الا من اتصف بصفته .

واكد الرسول عليه الصلاة والسلام على فضل الجهاد على سائر العبادات مشيراً اليها بذكر الصلاة التى هى عماد الدين وام العبادات .

اخرج الترمذى واحمد والحاكم - واللفظ له - عن ابى هريرة رضى الله عنه ( ١ ) ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مر بشعب فيه عيينه من ماء عذب فاعجبه طيبه وحسنه فقال : لو اعتزلت الناس واقمت فى هذا الشعب . ثم قال : لا افعل حتى استأمر رسول الله ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لاتفعل فان مقام احدكم فى سبيل الله افضل من صلاته فى اهله ستين عاما ، الاتحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ، اغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فواق ( ٢ ) ناقة وجبت له الجنة . وفى رواية الترمذى ( سبعين عاما ) .

( ١ ) اخرجه الحاكم فى المستدرک ، وصححه ( ٦٨ / ٢ ) مطابع النصر الحديثة . واخرجه الامام احمد فى المسند ( ٤٤٦ / ٢ ) المكتب الاسلامى . بيروت ط . الثانية ٩٨ هـ - ٧٨ م والترمذى فى ابواب الجهاد ، باب فى الغدو والرواح ( ١٨١ / ٤ ) وحسنه ، ط . دار احياء التراث العربى . وحسن الالبانى اسناده كذلك فى مشكاة المصابيح ( ١١٢٦ / ٢ ) ط . المكتب الاسلامى قلت : واسناد الحديث حسن لأجل هشام بن سعد فهو صدوق . انظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى ( ٣١٨ / ٢ ) تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثانية ٩٥ هـ - ٧٥ م . وتهذيب التهذيب لابن حجر ( ٣٩ / ١١ ) دار الفكر العربى . وميزان الاعتدال للذهبي ( ٢٩٨ / ٤ ) تحقيق على البجاوى - دار المعرفة - بيروت .

( ٢ ) فواق ناقة : بفتح الفاء وضمها اى قدر الحلبتين من الناقة . انظر النهاية فى غريب الحديث والاثار ( ٤٧٩ / ٣ ) للامام مجد الدين ابى السعادات المبارك بن الجزرى المكتب الاسلامى .

لقد رغب هذا الصحابي في الاعتزال في مكان بعيد عن الناس، يقف نفسه للصلاة والعبادة، وليبتعد عن المعاصي وشرور الناس بسبب المخالطة. ولكنه لم ينفذ فكرته حتى يسأل النبي عليه الصلاة والسلام، وهذه عادة الصحابة رضوان الله عليهم. وجاء الجواب واضحا وصريحا وقويا حيث قال ( لا تفعل ) وهذا نهى صريح، ثم ارشده عليه الصلاة والسلام الى الطريق الاصب، والى افضل الطاعات الا وهو الجهاد حيث قال له ( فان مقام احدكم في سبيل الله . . . ) وبين له الثواب العظيم الذي يناله المجاهد، حيث ان الوقفة الواحدة في سبيل الله - وذلك على تقدير محذوف - افضل من مقامه في بيته صلى ستين او سبعين عاما، فكيف بمن عاش حياته مجاهدا في سبيل الله . والعدد هنا ليس المراد منه التحديد بل التكثير، ( ١ )  
وفي هذا من الترغيب بما يحفز المؤمن للجهاد والثبات في وجه الاعداء .

وزيادة في الترغيب دلهم على ان ذلك سبب في تكفير السيئات ودخولهم الجنات التي يحبونها ويتشوقون اليها ( الاتحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ) ثم حثهم عليه الصلاة والسلام على الجهاد بقوله ( اغزوا في سبيل الله ) وكرر ذكر ثواب المجاهدين بما يدل على كرم الله وعطاءه الوافر حيث ان الجهاد لو بمقدار زمن ما بين الحلبتين من الناقة يكفل لصاحبه دخول الجنة .

ومضى المصطفى عليه الصلاة والسلام في حث الصحابة ( رضوان الله عليهم ) ومن ورائهم الامة الاسلامية على الجهاد والترغيب فيه من خلال ذكر الثواب العظيم الذي اعد ه الله سبحانه للمجاهدين . ويصور هذا الثواب بصور عديدة اغراء للمؤمنين وتحفيزا لهم حتى ان من يسمع هذا الثواب بقلب واع فانه لا يتوانى لحظة عن الجهاد، وهذا ما كان عليه جيل الصحابة رضوان الله عليهم . وها هو الرسول عليه الصلاة والسلام يبين فضل الجهاد في صورة يتضح فيها الاغراء باروع معانيه .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - عن سالم ابي النضر مولى عمر بن عبيد الله -

وكان كاتباً له - كتب اليه عبد الله بن ابي اوفى فقرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

( ١ ) انظر تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى للامام محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم

المباركفوري ( ٢٩١ / ٥ ) ط . دار الفكر ، الطبعة الثالثة ١٩٩٠ هـ - ١٩٩١ م .

( ٢ ) اخرجه البخارى في كتاب الجهاد . باب كان النبي اذا لم يقاتل اول النهار . . .

( ١٦٤ / ٢ ) .

واخرجه مسلم في كتاب الجهاد . باب كراهية تمنى لقاء العدو ( ١٣٦٢ / ٣ ) .

فى بعض ايامه التى لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام فى الناس  
قال : ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا  
واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال : اللهم منزل الكتاب، ومجرى السحاب ،  
وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم . )

اخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن حال المجاهدين<sup>فى</sup> اثناء جهاده للعدو ، اذ تكون  
الجنة بين يديه ، دانية منه الى حد ان ظل سيفه كشجرة تضرب اغصانها فى الجنة . واعلام  
الرسول بهذا يمثل اعلانا لكل من اراد الجنة بان الطريق اليها يلزمه ان يحمل سلاحه  
من سيف او رمح او بندقية . . فان الجنة حينها تكون قريبة منه ، او يكون هو قريبا منها ،  
بل ويعيش فى ظلها حالة رفعه سلاحه فى وجه عدوه . هكذا فهم الصحابة دينهم  
ووعوا خطاب رسولهم واستجابوا لندائهم .

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - والترمذى عن ابى بكر بن عبد الله بن قيس عن ابيه  
( ١ )  
قال : ( سمعت ابى وهو بحضرة العدو ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ابواب  
الجنة تحت ظلال السيوف . فقام رجل رث الهيئة فقال : يا ابا موسى آنت سمعت رسول الله  
يقول هذا ؟ قال : نعم ، قال : فرجع الى اصحابه فقال : اقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن

سيفه فلقاها ، ثم مشى بسيفه الى العدو ، فضرب به حتى قتل ) .  
صلى الله عليه وسلم  
لقد سمع هذا الصحابى كلمة رسول الله بقلب واع وصدر منشرح ، فعملت عملها  
اذ انطلق فور سماعه للحديث الى المعركة رغبة فيما عند الله وزهدا فيما عند الناس ،  
وكسر جفن سيفه لكى يختم بهذا العمل سجل حياته ويفوز بالجنة .

( ١ ) اخرجه مسلم فى كتاب الامارة . باب ثبوت الجنة للشهيد ( ٣ / ١٥١١ ) .  
واخرجه الترمذى فى فضائل الجهاد . باب ما جاء فى اى الاعمال افضل ( ٤ / ١٨٥ ) .  
( ٢ ) جفن سيفه : بفتح الجيم واسكان الفاء هو غمده . انظر غريب الحديث لابن الاثير

لقد اصبحنا الدنيا في نظر هذا الصحابي لاتساوى شيئا ان لم يجاهد فيها .  
 وهاهو المصطفى عليه الصلاة والسلام يبين لنا حقيقة الدنيا وقيمة ماتمثلة بالنسبة  
 الى الآخرة .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى عن انس بن مالك ( رضى الله عنه ) قول النبي  
 صلى الله عليه وسلم (١) لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها .  
 ان الدنيا لو جمعت بحذافيرها لاتعدل ثواب مشية واحدة في الجهاد . هذا  
 هو الميزان الحقيقي ، ميزان السماء ، والقيمة الحقيقية للدنيا ، والمنزلة الرفيعة التي يمثلها  
 الجهاد ، فهل بقى في نفس المؤمن من حب الدنيا بعد كل هذا ، وهل لعاقل ان يترك  
 الجهاد بعد كل هذا الثواب ، وهل لأمة ان تتنكب عن طريق الجهاد ، اذاً تكون الخسارة  
 في الدنيا بالذل والهوان والهزيمة ، وفي الآخرة بالعقاب من الله تعالى .  
 من خلال هذا الفضل العظيم الذي وعد الله به المجاهدين على جهادهم  
 ندرك قيمة الجهاد في هذا الدين ، وندرك كيف يعدد الاسلام المسلمين للنصر وكيف  
 يزرع اسباب النصر في نفوس أبناء الأمة الاسلامية .

إن الله سبحانه وتعالى لم يفرض الجهاد الا لمصلحة شرعية دنيوية واخروية ،  
 فليس الجهاد مأمورا به في ذاته وانما شرع لحكمة وغاية يهدف الى تحقيقها ، تتمثل  
 في اعلاء كلمة الله في الارض . ويلزم من هذا الاقرار بان الجهاد هو الوسيلة التي  
 يتحقق بها النصر على الاعداء ، واعلاء كلمة الله . ومن يريد النصر فليس له من سبيل سوى  
 الجهاد . . . . .

( ١ ) اخرجه البخارى في كتاب الجهاد : باب الغدوة والروحة في سبيل الله ( ١٣٦ / ٢ ) .

ومسلم في كتاب الامارة . باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله ( ١٤٩٩ / ٣ ) .

فضل الشهادة في الكتاب والسنة .

ذكر الحق تبارك وتعالى الشهداء في كتابه العزيز تكريماً لهم ، ورفعاً من شأنهم لبذلهم ارواحهم رخيصة في سبيله . يقول سبحانه وتعالى : ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون<sup>بنعمة</sup> من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين ) . ( ١ )

قوله تعالى ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً ) نهى من الله سبحانه وتعالى عن مجرد الحسبان وهو الظن -فضلاً عن الاعتقاد - بان الذين يقتلون في سبيل الله اموات . واضرب عن هذا الظن الخاطيء ، وارشد الى الاعتقاد السليم الذي يقرر الحياة للشهداء بقوله ( بل احياء عند ربهم يرزقون ) . وازداد العندية هنا الى ضميرهم تكريماً لهم وتشريفاً ، نقل الشوكاني عن سيوييه قوله في نوع العندية في الآية ( هذه عندية الكرامة لاعندية القرب . ) ( ٢ ) .

واشار الحق تبارك وتعالى هنا الى نفسه بصفة الربوبية التي تدل على تربيته لهم ورعايته وتكفله بكل ما فيه انعامهم .

ولدفع ما قد يتوهمه البعض باعتبار الظاهر -سواء في كون الشهداء احياء ، أو في نوع حياتهم- فان الله سبحانه اثبت لهم الحياة ، وفصل بما يدل على انها حياة حقيقية ، اذ صرح بانهم يرزقون وذلك من نعيم الجنة ، وبانهم يفرحون ويستبشرون كذلك ، وهذه كلها مظاهر تدل على حيا تهم الحقيقية وليس هذا فحسب بل ويهتمون بشأن اخوانهم الآخرين الذين لم يلحقوا بهم فيطمئنونهم بان لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحياة التي يجب ان يرغب فيها ، فضلاً عن ان تخاف او تحذر ، ويستبشرون بكل ذلك ، ويستبشرون كذلك بنعمة الله وفضله . ونكر النعمة والفضل حتى تذهب النفس فيهما كل مذهب ، مما يزيد المؤمن رغبة فيهما ، وتلهفا للحصول عليهما . ولا شك ان هذه الاوصاف تعد من مظاهر الحياة الكريمة التي من الله بها على الشهداء ، وفي هذا كله تقدير لهم واى تقدير ... وترغيب للذين لم يلحقوا بهم للسير في طريقهم واى ترغيب . . .

( ١ ) سورة آل عمران ( ١٦٩ - ١٧١ ) .

( ٢ ) تفسير فتح القدير للامام الشوكاني ( ٣٩٩ / ١ ) .

هذا وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام حقيقة الحياة التي صرحت بها الآيات السابقة ، وذلك فيما أخرجه الامام مسلم عن مسروق رضى الله عنه قال : <sup>(١)</sup> (سألنا عبد الله \* عن هذه الآية ( ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ) قال : اما انا قد سألنا عن ذلك ، فقال عليه الصلاة والسلام : ارواحهم فى جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل ، فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتبهون شيئا ؟ قالوا : اى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا : يارب نريد ان ترد ارواحنا فى اجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة اخرى ، فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا ) .

وفى سبب نزول الآية اخرج ابوداود - واللفظ له - واحمد والحاكم والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : <sup>(٢)</sup> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى جوف طير خضر ، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا انا احياء فى الجنة نرزق لثلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا <sup>(٣)</sup> عن الحرب ، فقال الله سبحانه انا ابليغهم عنكم قال فانزل الله عزوجل ( ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا - الى آخر الآية - ) .

( ١ ) أخرجه مسلم فى كتاب الامارة . باب ان ارواح الشهداء فى الجنة ( ١٥٠٢ / ٣ ) واللفظ له . وابن ماجه فى كتاب الجهاد . باب فضل الشهادة فى سبيل الله ( ٩٣٦ / ٢ ) .

( \* ) عبد الله بن مسعود . انظر شرح النووى على صحيح مسلم ( ٣١ / ١٣ ) .  
 ( ٢ ) أخرجه الحاكم فى المستدرک ، وصححه ( ٨٨ / ٢ ) . واحمد فى المسند ( ٢٦٥ / ١ ) ( ٣٣٦ ) ، وصححه الاستاذ احمد شاكر . انظر المسند بتحقيقه ( ١٢٤٤ / ٤ ) ط . دار المعرفة بمصر ٥٧٥ / ٥٦٦ م . وأخرجه ابوداود فى الجهاد باب فى فضل الشهادة ( ١٥ / ٣ ) ط . دار احياء التراث العربى ، بيروت . وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ( ٣٠٤ / ٣ ) تحقيق د / عبد المعطى قلعجى ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت . الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م . قلت : الحديث حسن لأجل محمد بن اسحاق فانه صدوق . ولا يضر تدليس مادام قد صرح بالسماع فى رواية الامام احمد .

( ٣ ) لا ينكلوا : بضم الكاف اى لا يجبنوا . انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير



واخرج الترمذى - واللفظ له - وابن ماجه فى سبب نزول الآية كذلك عن جابر بن عبد الله  
قول النبى صلى الله عليه وسلم له (١) الا اخبرك ما قال الله لابيک ؟ قال : بلى . قال :  
ما كلم الله احدا الا من وراء حجاب ، وكلم اباک کفاحا ، فقال يا عبد الله تمنّ علي اعطک  
قال : يارب احينى فاقتل فيک ثانية . قال : انه سبق منى انهم اليها لا يرجعون ،  
قال : يارب فابلغ من ورائى ، فانزل الله تعالى ( ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل  
الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ) .

مما سبق تبين لنا فضل الشهداء ، وحياة النعيم التى من الله بها عليهم من طيب  
مأكل ومشرب ومقيل ، وهاهى ارواحهم فى جوف طيور خضر تحلق فى ارجاء الجنة ،  
وهاهم يتمنون على الله ان يحييهم مرة اخرى ليستشهدوا فى سبيله ثانية وذلك لعظيم  
مارأوا من ثواب الشهادة .

وتأكيدا على حياة الشهداء ، وانها حياة حقيقية فى الجنة ، نهى الله سبحانه  
عباده المؤمنين ان يصفوا من يقتلون فى سبيل الله بانهم اموات ، ولم يكتف الحق سبحانه  
بذلك بل اكد حياتهم الحقيقية فى الجنة وان لم نشعر بها .

يقول سبحانه وتعالى ( ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن

( ٢ )

لا تشعرزون ) لقد خص الله عزوجل الشهداء بوصفهم " احياء " تكريما لهم وتشريفا ،  
والحكمة فى ذلك ان من يذهب الى المعركة يظن بانه اذا قتل مات وانتهت حياته ،  
ومن رآه من المسلمين وقد انتقل من بين ظهرانيهم ظن به مثل ذلك باعتبار ظاهر  
مارأى ، فاقضى الامر تسفيه هذا الظن وتقرير الحياة للشهداء على الحقيقة جزاء لهم  
من جنس عملهم ، وتخليدا لهم على فعلهم ، وترغيبا لغيرهم من المسلمين فى السير  
على اثرهم كى يعيشوا الحياة الحقيقية الخالدة .

( ١ ) اخرجه الترمذى فى كتاب التفسير . سورة آل عمران ( ٢٣٠ / ٥ ) . وحسنه .  
واخرجه ابن ماجه باسناد حسن كذلك فى الجهاد . باب فضل الشهادة  
( ٢ / ٩٣٦ ) . قال المنذرى : رواه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه باسناد حسن .  
انظر الترغيب والترهيب للمنذرى ( ٣ / ١٣٨ ) . طبعة دار الفكر .  
( ٢ ) سورة البقرة آية ( ١٥٤ ) .

وصدر الخطاب فى الآيه بالنهى ( ولا تقولوا ) مبالغة فى تأكيد حياة الشهداء ونفيا مؤكدا لدعوى موتهم . ونهى الله سبحانه عن مجرد القول بموتهم فضلا عن الاعتقاد به . واكد على حياتهم الحقيقية بقوله ( بل احياء ) مصدرا هذه الجملة ( بل ) الاضرابية الدالة على خطأ ما قبلها وصواب ما بعدها .

ولان الناس يحكمون على من يقتل فى المعركة بالموت باعتبار العادة المحسوسة والظاهر الملموس ، لذا فقد ختمت الآية بقوله ( ولكن لاتشعرون ) اشارة الى أن حياة الشهداء لاتدرك بالحواس ، بل ولا بالمشاعر ، وان كانت حقيقة ثابتة فى نفس الوقت . واتفق جمهور العلماء<sup>(١)</sup> على أن الشهداء احياء فى الحقيقة ، اذ تكون ارواحهم فى اجواف طيور<sup>خضر</sup> ، يأكلون ويتنعمون فى الجنة قال بعضهم : ترد اليهم ارواحهم فى قبورهم فينعمون كما يحي الكفار فى القبور فيعذبون ، وقال مجاهد : يرزقون من ثمر الجنة وليس فيها . والصحيح ان ارواحهم فى جوف طير خضر يتنعمون فى الجنة كما جاء فى حديث مسروق الذى تقدم ذكره .

لقد كرم الله الشهداء بان منع الارض ان تأكل اجسادهم ، وميز ارواحهم عن سائر ارواح المؤمنين بدخولها الجنة واستقرارها فيها تسرح حيث شاءت وتأكل من رزق الله ماشاءت قبل ان تقوم الساعة . وللكرم العظيم الذى من الله به على الشهداء ، ولسمو المنزلة التى خصهم الله بها فانهم يتمنون من دون سائر المؤمنين ان يحييهم الله مرات ومرات ليجاهدوا فى سبيله ويفوزوا بالشهادة فى كل مرة . اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن انس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (٢) ما من احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وان له ما على الارض من شىء غير الشهيد فانه يتمنى ان يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى منها الكرامة . الشهداء يتمنون كما اخبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، والتمنى من ارقى درجات الرغبة والحب ، يتمنون بان يقتلوا فى سبيل الله مرات وهم قد حازوا الشهادة من قبل وذلك لما رأوا من كرم الله وعطائه . فمابالنا ونحن لم نصل درجاتهم بعد ، ولم نغز بالشهادة مثلهم ، يجب ان نكون اشد حرصا واكثر رغبة لاننا فى حاجة الى كرم الله وفضله وهم قد حازوه .

ولكى يطمئن المجاهدون وتستقر نفوسهم على طريق الشهادة ، ولكى يتقدم المحجمون فينسبون الخوف الذى يحول بينهم وبين الجهاد ، فان الرسول عليه الصلاة والسلام ذكره

(١) انظر الجامع لاحكام القرآن / لابي عبد الله محمد بن احمد القرطبي (٤/٢٦٩) الطبعة الثالثة / دار الكتب المصرية . وانظر فتح القدير للشوكانى (١/١٥٩ ، ٣٩٩) .  
(٢) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب الحوار العين (٢/١٣٦) . ومسلم فى الامارة باب فضل الشهادة (٣/١٤٩٨) .

من الخصال تصف بعضا من الكرامة التي من الله بها على الشهداء ترغيبا

لهم وتحفيزا .

اخرج الامام احمد وابن ماجة والترمذى - واللفظ له - عن المقدم بن معد يكرب

رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (١) للشهيد عند الله ست خصال :

يغفر له في اول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع

الاكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة فيها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين

وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من اقاربه .

ان هذا الثواب العظيم ليدل على رب كريم ، يهب الثواب بسخاء

لا يقدره احد ، ولا يلم به احد ، بل لا يستطيع ان يصفه احد الا بالفاظ مقاربة تقرب المعنى

وان كانت لاتمثل الحقيقة ، فليس في الجنة مما في الدنيا الا الاسماء ، ومن رحمة الله

ان جاءت هذه الاسماء لتقرب اليها المعنى فقط والا فصف لي بربك تاج الوقار الذي جعل

للسهيد الياقوتة الواحدة فيه خير من الدنيا وما فيها ، ولا شك ان عقولنا قاصرة عن ذلك

لان ما في الجنة اكبر من كل ذلك .

وثواب مثل هذا يستحق منا أن نبذل انفسنا واموالنا وارواحنا - حتى وان كان

لكل منا الف روح - نبذلها رخيصة في سبيل الله لنستحق ثواب الله ونحوز رضاه .

(١) - اخرجه الترمذى في كتاب فضائل الجهاد . باب ما جاء في ثواب الشهيد . وقال :

هذا حديث حسن صحيح . غريب (١٨٧/٤) ، واخرجه ابن ماجة في الجهاد ، باب

فضل الشهادة (٩٣٥/٢) ، واسناده حسن لان فيه هشام بن عمار وهو صدوق ،

واسماعيل بن عياش وهو صدوق في روايته عن اهل بلده ، مخلط في غيرهم بوقد

روى عن بحير بن سعيد وهو ثقة شامي من بلد اسماعيل . انظر تقريب التهذيب

لابن حجر العسقلاني (٢/٣٢٠، ٧٣/١٠٩٣) .

واخرجه الامام احمد في المسند (١٣١/٤) واسناده حسن لان فيه اسماعيل بن عياش

يروى عن بحير كذلك ، وبقيته رجاله ثقات . قلت ، الحديث حسن لذاته ، صحيح

لغيره . ولعل هذا مراد الترمذى بقوله ( هذا حديث حسن صحيح ) "ولعل هذا

مراد الالبانى بتصحيحه في مشكاة المصابيح (١١٢٧/٢) والا فالحديث حسن لذاته

عند كل منهم .

ولننظر الى الدرجة السامية الرفيعة التي خص الله بها الشهداء ، والتي لا يدنو منها الا من بلغ درجة النبوة . اخرج الدارمي - واللفظ له - والامام احمد والبيهقي عن عتبة بن عبد الله السلمي قال : <sup>(١)</sup> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (القتلى ثلاثة : مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، اذا لقي العدو قاتل حتى قتل ، قال النبي فيه : فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله <sup>(٢)</sup> تحت عرشه ، لا يفضلُه النبيون الا بدرجة النبوة . ومؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، اذا لقي العدو قاتل حتى يقتل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه مصمصة محتذ نوبه وخطاياها ، <sup>(٣)</sup> ان السيف محاء للخطايا ، وادخل من اي ابواب الجنة شاء . ومنافق جاهد بنفسه وماله فاذا لقي العدو قاتل حتى يقتل فذاك في النار ، ان السيف لا يمحو النفاق . ) .

بهذا الثواب العظيم يرغبنا الرسول عليه الصلاة والسلام في الجهاد ، ويحبب الينا الشهادة ، لكي ننصر دين الله ، ونعلى شريعته ، ونرفع لواءه ، وندافع عن بلاد المسلمين واعراضهم واموالهم ، ولكي نتبوأ مكاننا في صدارة الامم ، ولكي نقوم بواجبنا الريادي في قيادة البشرية الى الايمان والهداية والسعادة .

وبهذه التعبئة يعد الاسلام ابناؤه للواجب المقدس ، ويجعل منهم جيلا للجهاد والنصر ، وانها لتعبئة جديدة بأن تحقق العزة والقوة والنصر .

- ( ١ ) اخرجه الدارمي في الجهاد / باب في صفة القتل في سبيل الله ( ١٢٦ / ٢ ) الناشر / حديث اكادمي . باكستان ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م . تحقيق عبد الله هاشم قلت : اسناده صحيح . وصححه الالباني في مشكاة المصابيح ( ١١٣٣ / ٢ ) واخرجه الامام احمد في المسند ( ١٨٥ / ٤ ) وحسن المنذرى اسناده في الترغيب والترهيب ( ١٤١ / ٣ ) . واخرجه البيهقي في السنن الكبرى في السير ، باب فضل الشهادة ( ١٦٤ / ٩ ) ط . دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد . الهند . الطبعة الاولى .
- ( ٢ ) الممتحن : هو المصفي المذهب . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٣٠٤ / ٤ ) .
- ( ٣ ) فيه مصمصة : اي مطهرة من دنس الخطايا ، يقال مصمص اناءه اذا جعل فيه الماء ، وحركه ليتنظف . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٣٣٧ / ٤ ) .

## المبحث الثاني

## حکم الجهاد

المطلب الأول : حکم الجهاد في الأصل .

حکم الجهاد في الأصل فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين . يدل على هذا قوله تعالى : ( لا يستوى القاعدون من المؤمنین غیر أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجةً وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً ) . ( ١ ) ووجه الدلالة في الآية : أن الله سبحانه وتعالى وعد المجاهد والقاعد من غير ضرر بالحسنى ، ولكنه رفع من درجة المجاهد ولم يذكر القاعد بالإلثم ، فلو كان الجهاد فرض عين لذكر القاعد بالإلثم لعوده عنه ، ولما وعد المجاهد بالحسنى . ( ٢ )

ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ( وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ) . ( ٣ )

في هذه الآية الكريمة أمر سبحانه وتعالى المؤمنین أن لا ينفروا جميعاً إلى القتال ، بل طائفة منهم تخرج للقتال ، وأخرى تتفقه في علوم الدين . وهذا يدل على أن الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، ولو كان فرض عين لأمر الجميع بالخروج له ، ولما أجاز لغير المعذور أن يتخلف عنه . كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يبعث سرايا والبعوث للقتال ،

( ١ ) النساء ( ٩٥ ) .

( ٢ ) احكام القرآن لابی بكر احمد بن على الجصاص ( ١١٦ / ٣ ) دار الكتاب العربي / بيروت . وتفسير القرآن العظيم لابی الفداء اسماعيل بن كثير ( ١ / ٥٤١ ) موضح النووى على صحيح مسلم ( ٤٣ / ١٣ ) .

( ٣ ) التوبة ( ١٢٢ ) .

ويبقى - أحياناً - هو وكثير من صحابته فى المدينة ، ولو كان فرض عين للزم كل مسلم بعينه الخروج للقتال ، ولما تخلف منهم أحد .

وأجمع العلماء على أن الجهاد فرض كفاية . نقل القرطبى عن ابن عطية قوله فى ذلك : ( والذى استمر عليه الإجماع أن الجهاد على كل أمة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية ، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقيين ، إلا أن ينزل العدو وبساحة الإسلام فهو حينئذ فرض عين ) . ( ١ )

وقال ابن رشد : ( فالجهاد الآن فرض على الكفاية يحمله من قام به بإجماع أهل العلم فإذا هو جر العدو وحميت أطراف المسلمين ، وسدت شغورهم سقط فرض الجهاد عن سائر المسلمين ، وكان لهم نافلة وقربة مرغياً فيها إلا أن تكون ضرورة مثل أن ينزل العدو ببلد من بلاد المسلمين ، فيجب على الجميع إغاثتهم وطاعة الإمام فى النفير إليهم ) . ( ٢ )

والجهاد فى هذه الحالة يكون لحماية نشر الدعوة الإسلامية ، ولكن يصبح الجهاد فرض عين فى أحوال أخرى .

( ١ ) الجامع لأحكام القرآن لإبى عبدالله محمد بن أحمد القرطبى ( ٣ / ٣٨ ) .

( ٢ ) كتاب المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية

( ١ / ٢٦٣ ) والمعروف بـ ( مقدمات ابن رشد ) - مؤلفه محمد بن أحمد بن رشد

مطبعة دار السعادة . مصر - دار صادر - بيروت .

• الحالات التي يصير الجهاد فيها فرض عيـن .

يوضح الجهاد فرض عين في حالات هي :-

الأولى : عند التقاء الجيشين :

يصير الجهاد فرض عين على كل من حضر إذا ما لقي جيش المسلمين بجيش الكفار، ولا يجوز لهم الإنصراف من أرض المعركة .

يدل على هذا قوله سبحانه وتعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار \* ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ) .<sup>(١)</sup>

نهى الله سبحانه عن التولي يوم الزحف ووصفه بما يشين تقبيحاً لهذا الفعل، وتوعد فاعله بالغضب والعذاب في الآخرة، مما يدل على وجوب الجهاد على من حضر، وحرمة الفرار من المعركة .

وأمر الله سبحانه المجاهدين بالثبات عند لقاء العدو بقوله : ( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ) .<sup>(٢)</sup> والأمر في الآية للوجوب حيث لا صارف يصرفه عن ذلك ، ومن ثم فإنه لا يجوز لمن حضر القتال أن ينصرف عنه إلا تحرفا لقتال أو تحيزا إلى فئة عندما يجد نفسه سيهلك إذا لم يعتصم بفئة

أخرى . قال الإمام ابن قدامة المقدسي : ( إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان

<sup>(٣)</sup> حرم على من حضر الإنصراف وتعين عليه المقام ) .

الثانية : إذا عين الإمام مسلماً أو فئة بعينها :-

ويجب الجهاد وجوباً عينياً على من استنفره الإمام للجهاد لقوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثأقتلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، فماتع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليلاً \* إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير ) .<sup>(٤)</sup>

(١) الانفال (١٥، ١٦) .

(٢) الانفال (٤٥) .

(٣) المغنى بالشرح الكبير للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي (١٠/٣٦٥) دار الكتاب

العربي - بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

(٤) التوبة (٣٨، ٣٩) .

قال القرطبي عندهذه الآية: ( وقد قيل : إنَّ المراد بهذه الآية وجوب النفير عند الحاجة وظهور الكفرة واشتداد شوكتهم ) - وأضاف القرطبي معلقاً على هذا بقوله - وظاهر الآية يدل على أن ذلك على وجه الاستدعاء ، فعلى هذا لا يتجه الحمل على وقت ظهور المشركين ، فإنَّ وجوب ذلك لا يختص بالاستدعاء لأنه متعيّن . وإذا ثبت ذلك فالاستدعاء والإستنفار يبعد أن يكون موجباً شيئاً لم يجب من قبل ، إلا أنَّ الإمام إذا عين قوماً وندبهم إلى الجهاد لم يكن<sup>لهم</sup> أن يتناقلوا عن التعيين ، ويصير بتعيينه فرضاً على من عينه لا لمكان الجهاد ولكن لطاعة الإمام . ( ١ )

وطاعة الامام - فى المعروف - واجبة على الرعية لقوله تعالى: ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . . . ) ( ٢ ) والجهاد من أفضل المعروف ، ومن أعظم مصالح الامة ، فالطاعة فيه تجب من باب أولى .

ويدل على وجوب خروج من استنفره الامام إلى القتال ما أخرجه الشيخان - واللفظ

لمسلم - عن ابن عباس قال : ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ( فتح مكة ) :  
بعد الفتح

لا هجرة أولكن جهاد وثية ، وإذا استنفرتم فأنفروا . . الحديث ) . ( ٣ )

والشاهد فى الحديث قوله: ( وإذا استنفرتم فأنفروا ) وهذا أمر صريح للمسلمين

بطاعة الامام إذا طلب منهم أو من بعضهم الخروج للجهاد . قال النووى فى شرحه :  
( ٤ )

( معناه إذا دعاكم السلطان إلى غزو فاذهبوا ) .

وقال الامام محمد بن عبد الله بن على الخرشى مقررأً وجوب الجهاد على من عينه

الامام : ( إنَّ الامام اذا عين طائفة تخرج لقتال العدو فإنه يتعين عليها ذلك ، ولا يسعها

أن تخالف سواء كانت هذه الطائفة التى عينها الامام ممن تلى العدو أم لا ، كانت ممن

تخاطب بفرض الجهاد أم لا كالعبد ونحوه ، كان هناك مانع من منع أحد الأبوين أو ربّ الدّين

أم لا ) . ( ٥ )

( ١ ) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ( ١٤٢ / ٨ )

( ٢ ) النساء ( ٥٩ ) .

( ٣ ) أخرجه البخارى فى كتاب الحج ، باب لا ينفرد صيد الحرم ( ٣١٥ / ١ ) .

ومسلم فى كتاب الحج / باب تحريم مكة ، وتحريم صيدها وخلاها وشجرها ولقبتها

( ٢ / ٩٨٦ ) .

( ٤ ) شرح النووى على صحيح مسلم ( ١٢٣ / ٩ ) . وانظر شرح العيني على صحيح البخارى

( ١٠ / ١٩١ ) .

( ٥ ) الخرشى على مختصر سيدى خليل مع حاشية الشيخ على بن أحمد الصعدي العدوى

( ٣ / ١١١ ) طبعة دار الفكر - بيروت .



الثالثة: إذا اعتدى العدو على بلد مسلم أو أسر مسلماً .

يصير الجهاد كذلك فرض عين إذا مادهم العدو وبلداً من بلاد المسلمين لقوله تعالى: ( انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ) (١) . أمر الله سبحانه المسلمين بالخروج للجهاد شبيهاً وشباناً، أغنياء وفقراء، رجالاً وركباناً . . . ، وهذا التشديد في الأمر بالجهاد أولى ما ينطبق على حالة ما إذا غزى بلد للمسلمين ، إذ يلزم خروج النساء والرجال، والشباب والشيوخ ، والعبيد والاحرار، الاغنياء والفقراء حتى يتمكنوا من دفع العدو، ويكونون مخاطبين بهذه الآية في هذه الحالة بصفة خاصة من باب أولى .

قال القرطبي عن هذه الآية : ( وقد تكون حالة يجب فيها نفي الكل ، وذلك إذا تعيّن الجهاد بغلبة العدو على قطر من الاقطار، أو بحلولة بالعتق، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً ، شباناً وشيوخاً ، كل على قدر طاقته ، من كان له أب بغير إذنه ومن لأب له ، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج ، من مقاتل أو مكتر) . (٢)

وإذا كان بعض العلماء قال بأن الآية منسوخة بقوله تعالى في أهل الاعذار: ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج . . . (الآيات) (٣) إلا أنني أميل إلى ما قرره ابن العربي من عدم نسخها إذ قال: (والصحيح أنها غير منسوخة بوقد تكون حالة يجب فيها نفي الكل إذا تعيّن الجهاد على الأعيان بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلولة بالعتق، فيجب على كافة الخلق الجهاد والخروج إليه، فان قصروا عصوا) . (٤)

(١) التوبة (٤١) .

(٢) أحكام القرآن - القرطبي - (١٥١/٨) بتصرف يسير جداً .

(٣) التوبة (٩١، ٩٢) .

(٤) أحكام القرآن - ابوبكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي - (٩٥٤، ٩٥٥)

تحقيق على محمد البجاوي - طبعة البابي الحلبي ، وانظر موافقة القرطبي له

في ذلك في الجامع لأحكام القرآن (١٥٠/٨، ١٥١) .

واتفق الفقهاء على وجوب الجهاد وجوباً عينياً في هذه الحالة : قال النووي

في روضة الطالبين، (الضرب الثاني : الجهاد الذي هو فرض عين ، فإذا وطى الكفار بلدة للمسلمين أو أطلوا عليها ونزلوا بابها قاصدين ، ولم يدخلوا ، صار الجهاد فرض عين ) .<sup>(١)</sup>  
وقال الكمال بن الهمام في شرح فتح القدير: (إذا لم يكن النفي عاماً فإن كان) بأن هجموا على بلدة من بلاد المسلمين ( فيصير من فروض الاعيان ) سواء كان المستنفر عدلاً أو فاسقاً فيجب على جميع أهل تلك البلدة النفر ، وكذا من يقرب منهم إن لم يكن بأهلها كفاية ، وكذا من يقرب ممن يقرب إن لم يكن بمن يقرب كفاية أو تكاسلوا أو عصوا ، وهكذا إلى أن يجب على جميع أهل الإسلام شرقاً وغرباً ) .<sup>(٢)</sup>

وقال ابن قدامة: ( . . ومعناه أن النفي بعم جميع الناس ، فمن كان من أهل القتال حين الحاجة إلى نفيهم لمجيء العدو وإليهم ، ولا يجوز لأحد التخلف إلا من يحتاج إلى تخلفه لحفظ المكان والأهل والمال ومن يمنعه الأمير من الخروج ، أو من لا قدرة له على الخروج أو القتال ) .<sup>(٣)</sup>

وذهب العلماء إلى أن الجهاد يكون فرض عين على جميع المسلمين إذا أسر العدو أحداً منهم . قال القاضي ابوبكر بن العربي: ( إذا كان النفي عاماً لغلبة العدو وعلى الحوزة ، أو استيلائه على الأسارى كان النفي عاماً ، ووجب الخروج خفافاً وثقالاً ، وركباناً ورجالاً ، عبيداً وأحراراً ، من كان له أب من غير إذنه ومن لأب له ، حتى يظهر دين الله ، وتحمى البيضة ، وتحفظ الحوزة ، ويخزي العدو ، ويستنقذ الأسرى . ولا خلاف في هذا ) .<sup>(٤)</sup>

ونقل صاحب المنهاج الخلاف عند الشافعية في وجوب الجهاد على التعيين لكف

الأسير المسلم من العدو ، وصحح الرأي القائل بأنه على التعيين فقال: ( ولو أسروا مسلماً فالأصح وجوب النهوض إليهم ) ، وهذا ما صححه النووي ، وذهب إليه الحنفية .<sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

- 
- (١) روضة الطالبين للإمام النووي ( ٢١٤ / ١٠ ) طبعة المكتب الاسلامي .  
(٢) شرح فتح القدير - الكمال بن الهمام ( ١٩١ / ٥ ) دار احياء التراث العربي .  
(٣) المغنبي بالشرح الكبير لابن قدامة المقدسي ( ٣٨٩ / ١٠ ) .  
(٤) أحكام القرآن / ابن العربي ( ٩٥٥ / ٢ ) .  
(٥) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، تأليف شمس الدين الرملي ( ٥٩ / ٨ ) ط .  
البابى الحلبي - الاخير ٨٦ / هـ ٦٧ م  
(٦) انظر روضة الطالبين للنووي . ( ٢١٦ / ١٠ ) .  
(٧) انظر شرح فتح القدير لابن الهمام ( ١٩١ / ٥ ) .

هذا وإن العالم اليوم يعجّ بالصراعات والحروب الطاحنة، القوى فيها يأكل الضعيف، ويمتص موارده وخاماته، مهادعا إلى وجود تحالفات وتكتلات دولية لتتمكن من صد العدوان، إذ لم يعد لدولة القدرة على أن تقف بمفردها في وجه تلك التحالفات والقوى.

والإسلام عظيم في تشريعاته كما هو عظيم في عقائده وعباداته، إذ ربط بين قلوب المؤمنين برباط العقيدة وأصرة الأخوة والمحبة، وجعلهم أمة واحدة على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وألسنتهم. يقول سبحانه: ( إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ) (١) ، وقال سبحانه: ( إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ) (٢)

(٣) وحرّم الله سبحانه التفرق والتنازع حيث قال : ( ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ) .

وقال سبحانه وتعالى : ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ) (٤) . من هذا يتبين أن الإسلام جعل المسلمين أمة واحدة، تربطهم عقيدة واحدة، يلزمهم بها أن يقف المسلم بجانب أخيه المسلم في خندق واحد لدفع كيد المعتدين، وحماية بلاد المسلمين، ونصرة هذا الدين .

وتشريع الإسلام للجهاد، وفرضه على المسلمين، يدل بصراحة على أن فيه النصر والغلبة، والقوة والعزة والمنعة، ومارغب الإسلام في الجهاد هذا الترغيب، ولا فصل في أحكامه وشدّد<sup>عليه</sup> هذا التفصيل والتشديد إلا لما فيه من أسباب نصر المسلمين، وأسباب نجاتهم من الذل والهزيمة امام المعتدين . . . . .

(١) الأنبياء (٩٢) .

(٢) الحجرات (١٠) .

(٣) الانفال (٤٦) .

(٤) آل عمران (١٠٥) .

### المعدورون من الجهاد

لا يجب الجهاد في حق أصناف من الناس لأعذار تحول بينهم وبين تأدية واجب الجهاد .  
يقول سبحانه وتعالى: ( ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعلى الذين لا يجدون  
ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم \* ولا على  
الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع  
حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ) .<sup>(١)</sup> بين الله عزوجل أن الجهاد ساقط في حق الضعيف  
كالرجل الهرم أو الطفل الصغير أو الأعمى ، والأعرج ، أو من كان به مرض يمنعه من الجهاد ،  
أو من عجز عن توفير عدة الجهاد من النفقة والمركب .

ومما يدل على استثناء أهل الأعذار من الجهاد قول الله تعالى: ( لا يستوى القاعدون  
من المؤمنين غير أولى الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله  
المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله  
المجاهدين على القاعدین أجرين عظيمًا ) .<sup>(٢)</sup> أخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن أبي  
اسحاق أنه سمع البراء يقول في هذه الآية ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون  
في سبيل الله ) فأمر رسول الله زيداً فجاء بكتف يكتبها فشكا إليه ابن أم مكتوم ضرارته  
فنزلت : ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ) .

وبدل كذلك على استثناء أهل الأعذار من الجهاد ما أخرجه الامام مسلم - واللفظ له -  
وابن ماجه ، عن جابر قال : ( كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال: إنَّ بالمدينة  
لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم المرض ) .<sup>(٤)</sup>

(١) التوبة (٩١، ٩٢) .

(٢) النساء (٩٥) .

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد / باب قول الله تعالى: ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين

غير أولى الضرر ) . ( ١٤٢ / ٢ ) . وأخرجه مسلم في كتاب الامارة بسقوط فرض

الجهاد عن المعدورين ( ١٥٠٨ / ٣ ) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الامارة ، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض ( ١٥١ / ٣ ) .

وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد ، باب من حبسه العذر عن الجهاد ( ٩٢٣ / ٢ ) .

ويسقط الجهاد كذلك عن العبد . يقول ابن رشد : ( والدليل على صحة اشتراط الحرية في ذلك ، هو أن الجهاد من الفرائض المتوجهة الى الأبدان المتعينة في الأموال فإذا سقط فرض الجهاد عن لامل له لقوله عزوجل : ( ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ) . فهو ساقط عن العبد إذ لامل له يقدر على إنفاقه . . . ، ومنافعه أيضاً مستحقة لسيدته ) .  
( ١ )

---

( ١ ) المقدمات لابن رشد ( ٢ / ٢٦٨ ) .

وتعدُّ المرأةُ من أهل الأعدار الذين لا يجب عليهم الجهاد ، يدل على هذا ما أخرجه البخارى - واللفظ له - وأحمد عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : (١) استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد فقال : جهادكن الحج ) .

نقل ابن حجر عن ابن بطال قوله فى هذا الحديث : ( دلّ حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء ، ولكن ليس فى قوله ( جهادكن الحج ) انه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد ، وانما لم يكن عليهن واجباً لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال ، فلذلك كان الحج أفضل لهن من الجهاد ) . (٢)

وما ذكره ابن بطال من أن الجهاد <sup>جائز</sup> للنساء وليس بواجب ، لا يعنى جواز القتال لهن ، وانما يعنى جواز خروجهن مع المجاهدين لاعانتهم فى بعض شئون الغزو كما سأبينه قريباً ، فجهادهن الجائز مخصوص بأعمال تناسب طبيعتهن ، وليس القتال لغير ضرورة .

لذلك فقد استدرك ابن المنير على البخارى ( رحمهما الله ) تبويبه لحديث أنس - وسيأتى ذكره قريباً - الذى أخبر فيه أن عائشة وأم سليم كانتا تنقلان قرب الماء وتسقيان القوم فى إحدى الغزوات - استدرك عليه تبويبه له بقوله : ( باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ) . قال ابن المنير : ( بوب على قتالهن وليس هو فى الحديث ) ، وحمل تبويب البخارى بقوله ( فإما أن يريد ( إغانتهن للغزاة غزو ) ، وإما أن يريد أنهن ما ثبتن لسقى الجرحى ونحو ذلك إلا وهن بصدد أن يدافعن عن أنفسهن وهو الغالب ) . (٣)

( ١ ) أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد / باب جهاد النساء ( ١٤٩ / ٢ ) وأحمد فى المسند ( ٦٧ / ٦ ، ١٢٠ ، ١٦٦ ) .

( ٢ ) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى ( ٧٦ / ٦ ) - ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي - نشر وتوزيع دار الافتاء بالسعودية .

( ٣ ) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ( ٧٨ / ٦ ) .

ووافق ابن حجر في استدراكه ، وأنكر ثبوت ما يدل على التصريح لهن بالقتال حيث قال: ( ولم أر في شيء من ذلك التصريح بأنهن قاتلن ) ، وحمل تبويب البخاري فقال : ( ويحتمل أن يكون غرض البخاري بالترجمة أن يبين أنهن لا يقاتلن وإن خرجن في الغزو ، فالتقدير بقوله ( وقتالهن مع الرجال ) أي هل هو سائغ ؟ ، أو إذا خرجن مع الرجال في الغزو يقتصرن على ما ذكر في حديث أنس من السقيا ونحو ذلك ) . ( ١ )

ومما يدل على أن القتال غير مفروض على النساء ، وغير جائز في حقهن الا لضرورة ما أخرجه الامام أحمد وابن ماجه واللفظ له - عن عائشة رضي الله عنها قالت : ( قلت لرسول الله ، على النساء جهاد ؟ قال : نعم . عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة ) .

قوله ( لا قتال فيه ) صريح في نفي وجوب القتال على النساء ، اذ مع اثباته لجهاد النساء نفى عنه صفة القتال ، وهو ما يعنى أن القتال ليس واجبا على النساء ، فقيّد بهذا الوصف نوع الجهاد الواجب في حقهن ثم صرح بأنه الحج والعمرة . ( ٣ )  
ويشهد لهذا ما أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه حيث قال :  
( قالت أم سلمة : يا رسول الله أخرج معك إلى الغزو ؟ فقال : يا أم سلمة إنه لم يكتب على النساء جهاد . فقالت : أداوى الجرحى ، و أعالج العين ، وأسقى الماء . قال : فنعم إذاً . ) .

---

( ١ ) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ( ٦ / ٧٨ ) .  
( ٢ ) أخرجه الامام أحمد في المسند ( ٦ / ١٦٥ ) . وابن ماجه في المناسك / باب الحج جهاد النساء ( ٢ / ٩٦٨ ) . واسناد الحديث حسن لأجل ( محمد بن فضيل ) فهو صدوق . انظر التقريب لابن حجر ( ٢ / ٢٠٠ ) .  
( ٣ ) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ( ١ / ١١٧ ) طبعة دار الفكر - الطبعة الثانية ( ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٥ / ٣٢٤ ) : رواه الطبراني عن شيخه جعفر بن سليمان بن حاجب الانطاكي ولم أعرفه ، وبقيّة رجاله ثقات . قلت : بحثت عن شيخ الطبراني فلم أجد له ترجمة ولم أجد فيه قولاً للعلماء ، لذا فانه مجهول ، والحديث ضعيف .

قوله ( لم يكتب على النساء جهاد ) معناه لم يفرض عليهن قتال ، وهو بهذا يجيب على طلبها بالخروج الى الغزو، أى أن القتال غير مفروض على النساء فلا تخرج معهم لهذا الغرض. ولكن بعد أن بينت أم سلمة أن الغاية من خروجها هي مداواة الجرحى . . وليس القتال أجابها بقوله: ( فنعم اذاً ) .

جواب الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أجاب به أم سلمة أولاً يفيد عدم جواز خروج النساء للقتال وأنه غير مفروض عليهن . وجوابه الثانى لها يبين جواز خروجهن مع المجاهدين من أجل القيام على خدمتهم . والحديث وان كان ضعيف الاسناد إلا انه لا يتعارض فى معناه مع الاحاديث الصحيحة بل يتفق معها .  
كما أن الاسلام أمر المرأة بالستر والقرار فى البيوت، والقتال نقيض ذلك ولا يمكن أن يوجب الاسلام الشئ ونقيضه .

قال ابن رشد : ( والدليل على صحة اشتراط الذكورة فى ذلك أن الجهاد لا يتأتى للمرأة إلا بضد ما أمرت به من الستر والقرار فى بيتها. قال تعالى: (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنین یدنین علیهن من جلا بیبهن ذلك أدنى أن يعرضن فلا یؤذین وكان الله غفورا رحیما ) ( ١ ) . ( ٢ )  
ومما یؤید وجهة نظر ابن رشد فيما ذهب اليه قوله تعالى : ( وقرن فى بیوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلیة الأولى ) ( ٣ ) .

كما أن النساء عورة فلا یؤید من ظفر العدو وبهن فیستحلون ما حرّم الله منهن .  
والحكمة فى عدم وجوب الجهاد على النساء جلیّة وواضحة، إذ أن الله سبحانه خلق المرأة على صورة تتناسب مع واجبها ووظيفتها فى الحياة الذى يتمركز فى القيام بواجبات البيت والأسرة ، لذا فإن المرأة تكون ضعيفة جسميا ونفسيا ، فلا تستطيع أن ترى مناظر الدماء والجرحى والقتلى ، ولا تملك من قوة القلب ما یمكنها من الوقوف فى وجه العدو ووصالته بالسلاح ، ولا تقوى كذلك على تحمل الشدائد التى هی سمة المعارك والحروب .

( ١ ) الاحزاب ( ٥٩ ) .

( ٢ ) مقدمات ابن رشد ( ٢ / ٢٦٧ ، ٢٦٨ ) .

( ٣ ) الاحزاب ( ٣٣ ) .



قال الامام علاء الدين الكاسانى فى بدائع الصنائع : ( ولا جهاد على الصبى والمرأة  
لأن بنيتها لاتحتمل الحرب عادة ) (١)

جواز خروج النساء مع المجاهدين ، ومساهمتهم فى بعض المهام أثناء القتال :

ولكن يجوز خروج النساء مع المجاهدين بحيث تكون فى مأمن من العدو ، ويجوز لها  
أن تمارس بعض الأعمال والمهام <sup>فى</sup> أثناء القتال بما يتفق مع طبيعتها وقد راتها ، مثل السقاية  
واعداد الطعام ومداواة الجرحى ونقل الموتى . والدارمى واحمد (٢)  
دليل ذلك ما أخرجه الامام مسلم - واللفظه - وابن ماجه عن أم عطية الانصارية قالت :  
( غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، أخلفهم فى رحالهم فأصنع لهم  
الطعام ، وأداوى الجرحى ، وأقوم على المرضى ) . فقد خرجت أم عطية مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، ولم يمنعها من ذلك مما يفيد جوازه ، واقتصر عمل ام عطية على السقاية  
واعداد الطعام ، ومداواة الجرحى .

والأحاديث كثيرة تلك التى تحدد مقدار مشاركة المرأة فى الجهاد . منها حديث  
الربيع بنت معوذ قالت : (كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نسقى ونداوى الجرحى ونرد القتلى  
إلى المدينة) .

- 
- (١) انظر بدائع الصنائع (٧/٩٨) للامام علاء الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى .  
دار الكتاب العربى / بيروت / الطبعة الثانية / ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .  
(٢) أخرجه مسلم فى الجهاد والسير / باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم  
(٣/١٤٤٧) . وابن ماجه فى الجهاد / باب العبيد والنساء يشهدون مع  
المسلمين (٢/٩٥٢) . والدارمى فى الجهاد / باب فى النساء يغزون مع  
الرجال (٢/١٣٠) تحقيق / عبد الله هاشم / الناشر احاديث اكادemy - باكستان .  
والامام احمد فى المسند (٥/٨٤) .  
(٣) أخرجه البخارى فى الجهاد / باب مداواة النساء الجرحى فى الغزو (٢/١٥٠) وباب  
رد النساء الجرحى والقتلى (٢/١٥٢) واللفظه . وأخرجه الامام احمد فى  
المسند (٦/٣٥٨) .

ومنها ما رواه أنس قال: (١) لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم وإنيهما لمشمرتان، أرى خدام سوقهما (٢) تنقزان القرب - وقال غيره تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم .

ومنها ما رواه أنس أيضا قال: (٤) (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأُم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويذاوين الجرحى) .

ويستحب للمرأة إذا خرجت أن تتخذ لها سلاحا تدافع به عن نفسها إذا اقتضت الضرورة؛ نستفيد هذا من حديث أنس رضي الله عنه (٥) أن أم سليم رضي الله عنها اتخذت يوم حنين خنجراً، فكان معها فراها أبو طلحة فقال يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر . فقال لها رسول الله : ما هذا الخنجر ؟ قالت : اتخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه . فجعل رسول الله يضحك . قالت يا رسول الله : اقتل من بعدنا من الطلقاء، انهزموا بك . فقال رسول الله : يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن .

من كل هذا يتضح لنا الحدود التي حددها الشارع للمرأة إذا خرجت للجهاد

- 
- (١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد/باب غزو النساء وقاتلهن مع الرجال (١٥٠/٢)، وفي كتاب فضائل الصحابة، مناقب أبي طلحة (٣١٤/٢) واللفظ له، ومسلم في الجهاد والسير/باب غزوة النساء مع الرجال (١٤٤٣/٣) .
- (٢) خَدَم سوقهما : الخدم بفتح الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة جمع خدمة، يعني الخلخال، سمي موضعها من الساق خدمة، وجمعها خدام بالكسر . انظر غريب الحديث لابن الأثير (١٥/٢)، وعمدة القارى للعيني (١٣١/١٤) .
- (٣) تنقزان القرب: أي تحملانها، وتنفقان بها وثبا . انظر غريب الحديث لابن الأثير (١٠٦/٥) .
- (٤) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير/باب غزوة النساء مع الرجال (١٤٤٢/٣) .
- (٥) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير/باب غزوة النساء مع الرجال (١٤٤٣/٣) واللفظ له . وأخرجه الترمذي في السير/باب ما جاء في خروج النساء في الحرب (١٣٩/٤) . وأبو داود في الجهاد د / باب في النساء يغزون (١٨/٣) .

مراعاة لطبيعتها . وقد راتها، فليس لأحد بعد هذا كله أن يخرج ليطالب بمشاركة المرأة في الحروب كالرجل تماما ، ويكلفها بما لم يكلفها به الشارع، وبمالات استطيعه أصلاً . ويمكن للمرأة أن تشارك اليوم في أعمال كثيرة تساعد في إدارة الحروب، وتعزيز الجهود الحربى لدى المسلمين ، وذلك من خلال مشاركتها في أعمال الطباعة والتسجيل والاعلام، والاتصالات، والتصنت، والتشويش . . فضلا عن أعمال التمريض، ونقل الجرحى والموتى، وغيرها من الأعمال التى ليس فيها مشقة، وتتناسب مع قدراتها الجسمية والنفسية . بعيدة عن الاختلاط بالرجال . هذا كله فى حالة ما إذا كان القتال خارج الدولة الاسلامية ، لتأمين نشر الدعوة . ولكن إذا دهم العدو بلدة للمسلمين ، فإنّ الجهاد يكون واجباً على جميع أهل تلك البلدة، ومنهم النساء ، إذ يكون الجهاد فى تلك الحالة دفاعاً بحتاً عن النفس فضلاً عن الأرض والمال والمقدسات . وكل مسلم ذكراً كان أو أنثى مطالب بالدفاع عن نفسه ، ورد كيد عدوه عنه ، ولأن المرأة يمكنها أن تباشر الجهاد من على سطح بيتها ، أو من أى مكان فيه ، كما أنها عند الإضطرار يسهل عليها التحصن بالبيوت وما شابهها . . .

\*\*\*\*\*

المبحث الثالث  
 =====  
بواعث الجهاد

تمهيد :

ان الواقع البشرى على مدار التاريخ ، قائم على الصراع بين الحق والباطل الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، والحق والباطل قائمان منذ أن خلق الله الخلق ، والحق ممثل فى دعوة الانبياء عليهم السلام واتباعه حزب الله ، والباطل ممثل فى الطاغوت واتباعه حزب الشيطان ، فالصراع قائم بين الحق والباطل ، بين الايمان والكفر ، بين الخير والشر ، بين العدل والظلم ، والنصر فى النهاية للحق والايمان . يقول تعالى ( بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ) ( ١ ) .

ومادام الناس فى الدنيا ، فالصراع قائم فيها ، لأن النفوس لها نوازع وأهواء ومطامع ، وكل واحد من الناس يحب أن يحقق نوازه وأهواءه ومطامعه ، كما أن كل فرقة تسعى لتحقيق مطامعها ونزواتها .

وبنظرة عابرة فى التاريخ البشرى ، نرى واقعا من الصراع الدائم والحروب الطاحنة بين قبيلة واخرى ، وبين دولة واخرى ، وبنظرة عابرة كذلك فى واقعنا المعاصر ، نرى أنه لا تكاد قارة من القارات تخلو من الحروب والصراعات بل لا تكاد دولة من الدول تخلو من ذلك ، وان خلت دولة ما فانها تحمل بين جنباتها اسباب الصراع التى قد تنفجر بين وقت وآخر ، حتى ان العالم اليوم انقسم الى معسكرين ( ٢ ) : المعسكر الشرقى ويتزعمه الاتحاد السوفيتى والمعسكر الغربى وتتزعمه أمريكا ،

( ١ ) سورة الانبياء آية ( ١٨ ) .

( ٢ ) لاشك ان الاسلام هو المنقذ للبشرية وسيتسلم المسلمون زمام القيادة فى العالم كما كان اسلافهم رضوان الله عليهم ، وذلك بتحكيم الاسلام فى كل شئوننا ، وسلوك طريق الجهاد لاعلاء كلمة الله .

والشرق والغرب يكاد يعلن افلاسه من القيم والمبادئ ، مما يفقد هم قيمة مدنيتهم فى حين يتقدم الاسلام ، والصحة الاسلامية دليل ذلك ، مما يوءهـل المسلمين الصادقين لاستلام زمام القيادة البشرية ، مع الانتفاع بالمدنية التى عند الشرق والغرب .

وكل معسكر يتحفظ للآخر ويعد من القنابل ما يكفي لزالة البشرية مرات ومرات ،  
 ( ففي عام ١٩٨٢م - على سبيل المثال - تم انفاق ٦٥٠ مليار دولار في الاغراض  
 العسكرية ، وذلك يكفي لتحميل كل رأس من رؤوس سكان الكرة الأرضية اربع أطنان  
 من المتفجرات ذات النمط التقليدي ) . ( ١ )

هذا وقد أشار ابن خلدون في مقدمته الى أن الحروب لم تزل واقعة فـى  
 الخليقة منذ براها الله ، وقسم هذه الحروب الى أقسام أربعة من حيث اسبابها  
 ودوافعها ، وهى : ( ٢ )

القسم الأول : حروب سببها الغيرة والمنافسة .

القسم الثانى : حروب سببها عدوانى هدفها غلبة الآخرين .

القسم الثالث : الجهاد غضبا لله ودينه .

القسم الرابع : حروب الدول مع الخارجيين عليها والمانعين لطاعتها .

ويقول الدكتور جوستاف لوبون فى بيان حتمية الصراع بين البشر وكونه سنة وقانونا  
 ثابتا : ( ما فتئت الحرب تشغل بال الشعوب والامم على رغم تقدم الحضارة ومباحث  
 الفلاسفة ، وانا لنشك فى أن مبتكرات العلم تجعلها فى المستقبل أقل منها فى الماضى ،  
 وانما الأمر الذى لا ريب فيه هو أن هذه المبتكرات جعلتها أكثر سفكا للدماء ، والحادثة  
 اذا تكرر ظهورها بانتظام مستمر تكون بنت ضرورات مهيمنة ) . ( ٣ )

---

( ١ ) رجاء جارودى / مستقبل الاسلام فى الغرب ص ١٢ ، بتصرف يسير جدا ، ترجمة  
 د . رفيق المصرى دار العلم للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .  
 ( ٢ ) ابن خلدون / المقدمة ص ٢٧٠ - ٢٧١ . دار احياء التراث العربى - الطبعة الرابعة .  
 ( ٣ ) احمد نوفل - الحرب النفسية ١ / ٢٧٧ . دار الفرقان - الاردن - الطبعة الاولى  
 ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . نقلنا عن روح السياسة لمؤلفه جوستاف لوبون ، ترجمة  
 عادل زعيتر ٥٥ / ٥٧٠ .

والقرآن الكريم اخبرنا بهذه الحقيقة ، حتى نكون على علم بسنة من سنن الله  
 فى الكون والخلق وذلك فى قوله تعالى : ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض  
 لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ) . ( ١ )

وقوله تعالى : ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات  
 ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا \* ولينصرون الله من ينصره ان الله لقوى عزيز \*  
 الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة واتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن  
 المنكر . والله عاقبة الأمور ) . ( ٢ )

من هاتين الآيتين الكريمتين يتضح لنا ما يأتى :

اولا : التدافع بين الناس ، سواء بين قبيلة وأخرى ، أو دولة وأخرى ، أو بين جماعتين ،  
 هو سنة الله تبارك وتعالى . والتدافع هو دفع كل من الطرفين للآخر بما يدفع به  
 الخصم خصمه من سلاح وغيره .

ثانيا : الحكمة من هذا التدافع ، ازالة الفساد من الارض ، ونصرة دين الله بتحقيق

عبوديته ونصرة شريعته فى الارض . ويلاحظ أن آية سورة البقرة أشارت الى أن

الحكمة من التدافع ازالة الفساد من الارض ، وآية سورة الحج اشارت الى أن

الحكمة هى تحقيق العبادة لله فى الارض ، وهذا يتبين أن عدم

الخضوع بالعبودية لله فى الارض هو افساد فيها ، ومن ثم فان أى جماعة ،

او فئة ينبغى أن يدفعها الى جهادها دافع تحقيق العبودية لله تعالى

فى الأرض . . . . .

( ١ ) سورة البقرة ( ٢٥١ ) .

( ٢ ) سورة الحج ( ٤٠ ، ٤١ ) .

ثالثا : سنة التدافع قاعدة الجهاد الاسلامى ، اذ ذكر الحق تبارك وتعالى آية سورة البقرة فى سياق تبرير جهاد طالوت لجالوت ، كما أن آية سورة الحج ، جاءت لبيان السبب غير المباشر ، الذى من أجله أذن الله للمسلمين بالجهاد ، فالسبب غير المباشر للاذن بالجهاد ، هو أن القتال والتدافع بين الناس سنة قائمة ، والسبب المباشر لهم بالاذن بالقتال ، هو دفع الظلم عن المسلمين الذين يقتلون ويخرجون من ديارهم بغير حق ، وفى هذا اشارة الى أنه لا بد للحق من قوة تحميه ، وأن الطريق للدفاع عن النفس والاطمان هو الجهاد ، كما أن فيه من جهة أخرى بيانا لباعث من بواعث الجهاد كما سيأتى .

مع سبق تبين لنا أن التدافع والقتال هو سنة الهية ، وبناء عليه ، فقد شرع الجهاد لى يتحقق من خلاله عبادة الله فى الارض بكل ما يعنيه لفظ العبادة من الخضوع لله ، سواء فى العقيدة ، والشعائر التعبدية ، او الشرائع القانونية - ولازلة الفساد بكل صورته وأشكاله .

وبعبارة اخرى شرع الجهاد لى تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وبهذا فان الاسلام حدّد المقصد الذى شرع من اجله الجهاد ، يقول سبحانه وتعالى : ( الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل

الطاغوت ، فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ) . ( ١ )

والجهاد لا يكون فى سبيل الله الا اذا ابتغى به وجه الله ، وقصد منه

اعلاء كلمة الله فى الأرض .

( ١ ) سورة النساء ( ٧٦ ) .

يقول الاستاذ سيد قطب: ان الاسلام لا يعرف قتالا الا في هذا السبيل ،  
لا يعرف القتال للغنيمة ، ولا يعرف القتال للسيطرة ، ولا يعرف القتال للمجد الشخصي  
أو القومي ، انه لا يقاتل للاستيلاء على الأرض ، ولا الاستيلاء على السكان ، لا يقاتل  
ليجد الخامات للصناعات والاسواق للمنتجات ، أو لروءوس الاموال ، يستثمرها في  
المستعمرات . . . انه لا يقاتل لمجد شخص . . . ولا لمجد بيت . . . ولا لمجد طبقة . . .  
ولا لمجد دولة . . . ولا لمجد أمة . . . ولا لمجد جنس . . . انه يقاتل في سبيل الله  
لاعلاء كلمة الله في الارض ولتمكين منهج الله في تصريف الحياة ولتتمتع البشرية  
بخيرات هذا المنهج ( ١ ) .

والاسلام عندما حدد المقصد الذي شرع من أجله الجهاد ، أراد بذلك حماية  
البشرية من افساد المفسدين ، ومن ظلم الظالمين ، ومن اطماع الطامعين ومما يسعى  
اليه كثير من الجبابرة المتسلطين ، اذ لو أمسكوا بزمام الناس لأذلوهم ، واستعبدوهم ،  
وهاهو فرعون استذل بني اسرائيل وقتل ابناهم واستحيى نساءهم ، يقول الله سبحانه  
وتعالى: ( واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناكم ويستحيون  
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ) . ( ٢ )

وكذلك أراد لهم الاسلام أن يتفيتوا ظلاله ويسعدوا به .

وإذا كان هذا هو الباعث للجهاد ، فانه عين الغاية المرجوة من النصر ، فالجهاد انتصار ،  
لشريعة الله في الارض ، وانتصار للهداية والعدل والحق بين الناس ، والنصر المرجو  
هو انتصار الايمان على الكفر ، وانتصار العدل على الظلم ، والحق على الباطل والخير

( ١ ) أحمد فائز/طريق الدعوة في ظلال القرآن ١ / ٢٠٣ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

( ٢ ) البقرة ( ٤٩ ) .



على الشر لتنعيم البشرية بالايمان والعدل والحق والخير .

وللجهاد الاسلامى بواعث كلها تدخل فى دائرة المقصد الاساسى ، ومدار

هذه البواعث ، اما دفع ظلم عن المسلمين أو تحقيق هداية للآخرين ، أو حماية

الدولة الاسلامية من الفتن الداخلية وسنورها بالتفصيل :

الباعث الأول : حماية الدولة الاسلامية من الفتن الداخلية .

شرع الجهاد لحماية الدولة الاسلامية مما قد يطرأ عليها من فتن داخلية

تضعف كيانها وتهدها بخطر الانقسا م ، والاطار الداخلية هى :

اولا : المرتد ين : عندما يتعصب المرتدون لردتهم وكفرهم ، ويعلنون الحرب

على الدولة الاسلامية فان واجب الامام حينئذ أن ينتدب من جند المسلمين

من يقاتلهم حتى يعودوا الى الاسلام أو يقضى عليهم ، لأن بقاءهم خطر

عظيم يهدد الدولة الاسلامية ، ويفل من قوتها ، ويشجع الكافرين الذين لم

يدخلوا فى الاسلام على التجروء عليها ، لأن كفر من كفر بعد اسلامه عامل

من عوامل تشجيع من لم يدخل فى الاسلام أصلا ، كما أنه يصرف من لم يدخل

فى الاسلام عن التفكير فيه ، معتقدا أنه لو كان خيرا ما تركه بعض من دخل

فيه لمذا تختلف معاملة المرتدين عن سائر الكافرين ، فليس للمرتدين الا أن

يرجعوا الى دين الاسلام ، أو أن يضربوا بحد السيف ، بينما نرى الاسلام

يدعو اليهود والنصارى والمجوس الى الدخول فى الاسلام ، فان هم أبوا ذلك

دعاهم الى الخضوع لسلطانه ، مع بقاءهم على دينهم اذا أدوا الجزية فان

هم أبوا الثانية فعل بهم مايفعل بالمرتدين من ضربهم بحد السيف .

واستدل العلماء على قتل المرتد بما أخرجه البخارى وغيره عن ابن عباس  
رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ١ ) ( من بدل دينه فاقتلوه ) .

وبما أخرجه الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : ( ٢ ) ( لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله

وانى رسول الله الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس، والشيب الزانى، والمارق من

الدين التارك الجماعة ) .

وينقسم المرتدون الى قسمين : قسم كفر بالدين كله ، وقسم جحد بعض

أركانه ككفر مانغى الزكاة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بحجة أنهم كانوا

يوءدونها لأجل دعائه خاصة، وهى لا تلزمهم بعد وفاته .

ولا فرق فى الحكم بين من ارتد عن الدين كله او عن بعضه ، ولذا فقد قاتل

الصديق رضى الله عنه الصنفين ، وانتدب لهم الجيوش، ولما وجد عمر فى نفسه

من مقاتلة من قال لا اله الا الله وجحد الزكاة بين له الصديق أن الزكاة حق المال ،

فمن امتنع من أداؤها كان مرتدا عن ركن من أركان الاسلام ، يقاتل عليه ، كما يقاتل

على ترك الصلاة جحودا ، فان هذا الحكم مستقر فى القلوب لا يُعارى فيه أحد من الناس

( ١ ) أخرجه البخارى فى كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم - باب حكم

المرتد ١٩٦/٤ واللفظ له ، وأخرجه الترمذى فى الحدود - باب ما جاء

فى المرتد ٥٩/٤ والنسائى فى كتاب تحريم الدم - باب الحكم فى المرتد

١٠٤/٧ ، وابن ماجه فى كتاب الحدود - باب المرتد عن دينه ٨٤٨/٢ ،

والامام احمد فى المسند ( ٣٢٢/٧ - ٣٢٣ ) .

( ٢ ) صحيح البخارى - كتاب الديات - باب قول الله تعالى ( ان النفس بالنفس . . الآية )

١٨٨/٤ واللفظ له ، ومسلم فى كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم ( ٣ / ١٣٠٢ )

والترمذى فى كتاب الحدود - باب ما جاء من شرب الخمر فاجلدوه ، ومن عاد

الرابعة فاقتلوه ٤٩/٤ ، وكتاب الديات - باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم الا

باحدى ثلاث ١٩/٤ والنسائى فى كتاب القسامة ، باب ذكر ما يحل به دم مسلم

٩٠/٧ ، وابن ماجه فى كتاب الحدود - باب لا يحل دم امرئ مسلم الا فى

ثلاث . . . ٨٤٧/٢ ، والدارمى فى كتاب الحدود باب ما يحل به دم مسلم ( ٢ / ٩٣ ) .

فجحد الزكاة والامتناع عن ادائها مثله فى الحكـم .

أخرج الشيخان وغيرهما-واللفظ للبخارى - عن ابى هريرة قال : (١) لما توفى النبى

صلى الله عليه وسلم واستخلف ابوبكر وكفر من كفر من الاعراب قال عمر : ياأبا بكر

كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا

لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله .

قال أبوبكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ،

والله لومنعونى عقلا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم

على منعها . قال عمر : فوالله ما هو الا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبى بكر

للقتال ، فعرفت أنه الحق ) .

مما سبق يتبين أن من واجب الخليفة تسيير الجيوش لمقاتلة المرتدين اذا

امتنعوا وتعصبوا ولم يتوبوا ، أسوة بالخليفة الاول ابى بكر الصديق رضى الله عنه ،

وحفاظا على المجتمع المسلم ، وهذا واحد من المقاصد التى شرع من اجلها الجهاد .

ثانيا : البيغاة : ان من حق الخليفة على المسلمين الطاعة فى غير معصية . يقول

الله سبحانه : ( يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ) (٢)

أخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - وابوداود والترمذى وابن ماجه واحمد

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (على المرء المسلم

السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) .

(١) البخارى - كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم - باب قتل من ابى قبول

الفرائض وما نسبوا الى الرده ١٩٦/٤ ، ومسلم كتاب الايمان - باب الامريقتال

الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ويؤتوا الزكاة (١/٥١ - ٥٢) ،

وابوداود كتاب الزكاة - باب وجوبها ٩٣/٢ ، والترمذى كتاب الايمان - باب ماجاء

أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله (٥/٣) ، والنسائى كتاب تحريم

الدم - الباب الاول (٧/٧٧) .

(٢) النساء ٥٩ .

(٣) اخرجه البخارى فى الجهاد ، باب السمع والطاعة للامام (٢/١٦٣) ، ومسلم فى كتاب

الامارة ، باب وجوب طاعة الامراء فى غير معصية (٣/٤٦٩) ، وابوداود فى

الجهاد - باب فى الطاعة (٣/٤٠ - ٤١) ، والترمذى فى الجهاد - باب ماجاء

لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (٤/٢٠٩) ، وابن ماجه فى الجهاد - باب

لا طاعة فى معصية الله (٢/٩٥٦) ، واحمد فى المسند (٢/١٧) .

وحذر رسول الله عليه الصلاة والسلام من ترك طاعة الامام . فقد أخرج الامام

مسلم عن نافع ، قال : جاء<sup>(١)</sup> عبد الله بن عمر الى عبد الله بن مطيع حين كان من امر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية ، فقال : اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة ، فقال : انى لم آتاك لأجلس ، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لاجحة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ) .

من ذلك يتضح وجوب طاعة الامام العادل فى غير معصية ، وعدم جواز

الخروج عليه سواء كان الخارج فردا أم جماعة بتأويل أم بدون تأويل .<sup>(٢)</sup>

ومن الخارجيين على الامام البغاة ( وهم القوم الذين يخرجون على الامام بتأويل

سائق ولهم منعة وشوكة ) .<sup>(٣)</sup>

وقد اشترط الفقهاء شروطا ، ينبغى توفرها فى الخارجيين على الامام حتى

ينطبق عليهم وصف البغاة " وهى :

الأول :- أن يكون الخروج من طائفة قوية لها منعة وشوكة بحيث تحتاج الى رجال ومال وسلاح وقتال لردّها الى طاعة<sup>أولي</sup> الأمر .

فان لم يكن ردهم يحتاج الى ذلك بأن يكونوا افرادا قلائل لا يملكون من السلاح والعتاد

( ١ ) صحيح مسلم : كتاب الامارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣ / ١٤٧٨ .

( ٢ ) الخارجون على الامام اربعة أصناف : الاول : الخارجون عن طاعة الامام بغير تأويل وهم قطاع الطريق . الثانى : الخارجون عن طاعة الامام بتأويل الا انهم نفر يسير لا منعة لهم ، وهو " لا " حكمهم حكم قطاع الطريق وليس حكم البغاة ، الثالث : الخوارج الذين يكفرون بالذنب ويكفرون عليا وعثمان وطلحة والزبير وكثيرا من الصحابة ويستحلون دماء المسلمين واموالهم ، وحكمهم عند جمهور الفقهاء وجمهور اهل الحديث حكم البغاة ، ويرى مالك استتابتهم فان تابوا والا قتلوا على افسادهم لا على كفرهم ، وذهبت طائفة من اهل الحديث الى انهم مرتدون . الرابع : البغاة : قوم من اهل الحق يخرجون من قبضة الامام بتأويل سائق وفيهم منعة يحتاج فى كفرهم الى جيش . انظر ذلك فى المقنع لابن قدامة - المؤسسه السعيدية ٤ / ١٤٧ - ١٤٩ . والفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيرى / دار احياء التراث العربى ٥ / ٤١٨ .

( ٣ ) ابن قدامة القدسي ، المقنع ، ٤ / ١٤٦ .

الذى يمتنعون به فان حكمهم حكم قطاع الطريق لسهولة ضبطهم واعادتهم الى الطاعة دون الحاجة الى القتال .

الثانى : الخروج من قبضة الامام ، فان لم يخرجوا من قبضته لم يكونوا بغاة .

الثالث : أن يكون لهم تأويل سائح يدعوهم الى الخروج على حكم الامام وان اخطأوا فى ذلك كما تأول بنو حنيفة منع الزكاة بقوله تعالى : ( خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ) ( ١ ) ، فقالوا أمر الله بدفع الزكاة الى من صلاته سكن لنا وهو رسول الله . فأما ابن قحافة فليست صلاته سكننا لنا .

الرابع : واختلف العلماء فى اشتراط عدالة الامام لوصف جريمة الخارجين عليه بالبغى ،

فذهب الحنفية<sup>(٢)</sup> والمالكية<sup>(٣)</sup> الى اشتراط عدالة الامام لتحقق جريمة البغى فى الخارجين عليه ، وخالفهم فى ذلك الشافعية<sup>(٤)</sup> حيث قالوا بعدم اشتراط عدالة الامام ، ولكن فرقوا بين الامام الجائر الذى تولى السلطة بالطرق المشروعة والذى تولاه بالغلبة والقهر ، واعتبروا الخروج بغياً على الامام الجائر الذى تولى بطريق شرعى والا فليس ببغى . وأما الحنابلة فلم يفرقوا فى ذلك ، واعتبروا أن الخروج عليهما خروجاً<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) التوبة ( ١٠٣ ) .

( ٢ ) انظر بدائع الصنائع للامام الكاسانى ( ١٤٠ / ٧ ) .

( ٣ ) انظر الخرشي على مختصر سيدى خليل للامام على بن احمد العدوى ( ٦٠ / ٨ ) .

( ٤ ) انظر المجموع شرح المذهب بتكملة الطيعى ( ١٩٨ / ١٩ ) طبعة دار الفكر .

( ٥ ) شرح منتهى الايرادات للامام منصور البهوتى ( ٣٨٠ / ٣ ) دار الفكر ، والمغنى

بالشرح الكبير لابن قدامة ( ٥٣ ، ٥٢ / ١٠ ) .

وإذا تحقق من هذه الشروط فيمن خرج عليه فانه من الواجب عليه أن يرأسهم  
ويسألهم ما ينعمون منه ، ويزيل ما يذكرونه من مظلمة ، ويكشف ما يدعونه من شبهة ،  
ويستجيب لنصحهم ، ويقبل الحق الذي عندهم ، وينصحهم بالعودة إلى  
الحق والدخول في الطاعة قبل أن يبدأهم بالقتال ، ولا يجوز له أن يبدأهم  
بالقتال قبل أن يفعل ذلك أخذاً من قوله تعالى: ( وأن طائفتان من المؤمنين  
اقتتلوا فأصلحا أو بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى  
حتى تفيء الى أمر الله ) \* حيث ان الله سبحانه وتعالى أمر بالصلح قبل القتال بوعين  
القتال عند البغى ، واقتداءً بالامام على ( رضى الله عنه ) حيث بعث عبد الله  
ابن عباس الى الحرورية لما خرجوا عليه قبل أن يقاتلهم . ( ١ ) هذا ما ذهب اليه  
الشافعية والحنابلة والمالكية ، وذهب الحنفية الى استحباب دعوتهم الى الطاعة  
وكشف شبهتهم ، وقالوا أن ذلك ليس بواجب لأنهم كمن بلغتهم الدعوة لاسلامية  
لا تجب دعوتهم ثانيه . ( ٢ )

والذى اطعنن اليه هو ما ذهب اليه جمهور الائمة لظاهر الآيه ، وفعل على رضى الله عنه ،  
ولأن الاصل فى دماء المسلمين الحرمة فلا يجوز قتلهم الا دفعا وهم مسلمون ، خاصة  
وأن الآيه وصفتهم بوصف الايمان ( وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا . . ) ،

( ١ ) انظر هذا الخبر فى المستدرک للحاکم فى کتاب قتال أهل البغى ( ٢ / ١٥٢ ، ١٥٤ )

وصححه الحاکم ، وانظر السنن الكبرى للبيهقى ( ٨ / ١٧٩ - ١٨٠ )

کتاب قتال أهل البغى - باب لا يبدأ الخوارج بالقتال حتى يسألوا ما نقموا .

وانظر مسند الامام احمد ( ١ / ٨٦ - ٨٧ ) کلهم يرويه عن عبد الله بن شداد .

وقد صحح ابن كثير اسناد الامام احمد فى البداية والنهاية ( ٧ / ٢٨٠ - ٢٨١ )

مکتبة المعارف بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٤ - ١٩٧٤ ، وصحح الاستاذ احمد

شاکر اسناده كذلك فى تحقيقه على المسند ( ٢ / ٦٦ / رقم ٦٥٦ ) ، وصححه

الالبانى فى ارواء الغليل ( ٨ / ١١١ / طبعة المکتب الاسلامى - الاولى

١٣٩٩ - ١٩٧٩ .

( ٢ ) انظر ذلك فى العراج المذکورة فى الصفحة السابقه .

( \* ) الحجرات ( ٩ ) .

ولأنهم قد يعودون الى الطاعة من خلال معرفتهم الحق باقامة الحجة عليهم  
كما حصل وأن عاد أربعة آلاف من الخوارج الى الحق وطاعة الامام "علي" بعد أن حاجبهم  
ابن عباس ثلاثة أيام وأقام عليهم الحجـة. (١)

فاذا ماتحقق الامر على ما سبق ولم يعودوا الى الحق ، فان من واجب الامام  
أن يقاتلهم حتى يعودوا الى الحق ويدخلوا في الطاعة . واستدل العلماء على قتال  
البيـغاة بآية سورة الحجرات المذكورة في السطور القليلة السابقة . فقد قال ابن العربي  
عندها (٢) هذه الآية هي الاصل في قتال المسلمين ، والعمدة في حرب المتأولين ،  
وعليها عول الصحابة واليها لجأ الأعيان من اهل الملة ، واياها عنى النبي صلى الله  
عليه وسلم بقوله (٣) يقتل عمارا الفئة الباغية)).

وقال القرطبي ( في هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم  
بغيتها على الامام أو على أحد من المسلمين ) . والآية وان لم تنص على الخروج على  
الامام الا انها تشملها لعمومها أو تقتضيه لأنه اذا طلب القتال للبغي على طائفة فاللبيغي  
على الامام من باب أولى .

ويجب قتالهم لما يترتب على خروجهم من الفتنة وتفريق جماعة المسلمين ، يدل  
على ذلك ما أخرجه مسلم - واللفظ له - وغيره عن عرفة قال : ( سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول : انه ستكون هنات وهنات فمن اراد أن يفرق هذه الامة وهى  
جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان ) . (٥)

(١) سبق تخريجه في هامش رقم (١) من الصفحة السابقة .

(٢) احكام القرآن لابن العربي (٤/١٧١٧) .

(٣) أخرجه الامام مسلم عن ام سلمة وعن ابي سعيد الخدرى في كتاب الفتن - باب  
لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء  
(٤/٢٢٣٥ ، ٢٢٣٦) ، والترمذى عن ابي هريرة في المناقب - باب مناقب  
عمار بن ياسر (٥/٦٦٩) وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث  
العلاء بن عبد الرحمن . وأخرجه الحاكم عن ابن عباس في كتاب قتال اهل البغي  
(٢/١٤٩) وصححه .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٣١٧) . وانظر فتح القدير للشوكاني ٥/٦٣ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الامارة - باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (٣/١٤٧٩) ،

قال النووى فى شرحه ( فيه الامر بقتال من خرج على الامام أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك ، وينهى عن ذلك فان لم ينته قوتل ، وان لم يتدفع شره الا يقتله فقتل كان هدرا )<sup>(١)</sup> .

ويدل كذلك على قتال البغاة قتال ابى بكر الصديق رضى الله عنه للبغاة الذين منعوا الزكاة بتأويل ظنا منهم أنها سقطت بموت النبى صلى الله عليه وسلم ، وقاتل على رضى الله عنه أهل الجمل وأهل صفين والخوارج بالنهر روان<sup>(٢)</sup> .  
 مما سبق يتضح مشروعية القتال لردع البغاة حتى يدخلوا فى طاعة الامام ويحافظوا على وحدة جماعة المسلمين .

هذا واذا قاتلهم الامام فلا يقاتلهم بما يعم اتلافه كالمنجنيق والنار الا للضرورة ، ولا يستعين فى حربهم بكافر ، ولا يتبع لهم مدبرا ، ولا يجهز لهم على جريح ، ولا يغنم لهم مالا ، ولا يسبى لهم ذرية ، ومن اسر من رجالهم حبس حتى تنقضى الحرب ثم يخلص سبيله الى غير ذلك من الاحكام الخاصة بالبغاة والمذكورة فى مظانها من كتب الفقه .

=== وابوداود فى كتاب السنة - باب قتال الخوارج ( ٢٤٢ / ٤ ) . والنسائى فى كتاب تحريم الدم - باب قتل من فارق الجماعة ( ٩٢ / ٧ ) والامام احمد فى المسند ( ٣٤١ / ٤ ) .  
 والحاكم فى المستدرک - كتاب قتال اهل البغى ( ١٥٦ / ٢ ) وصححه .  
 ( ١ ) صحيح مسلم بشرح النووى ( ٢٤١ / ١٢ ) .  
 ( ٢ ) انظر احكام القران لابن العربى ( ١٧٢١ / ٤ ) .



### ثالثا : قطاع الطرق والعصابات التي تهدد الأمن :

وشرع الجهاد كذلك لمحاربة قطاع الطرق ويسمى حد ( الحراية ) ، فاذا قام جماعة بتهديد الناس وقتالهم لسلب اموالهم فان هؤلاء محاربون لله ورسوله ويعيشون في الارض فسادا ، لذا فانه يجب قتالهم أخذا من قوله تعالى : ( انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ) .<sup>(١)</sup>

وسواء في ذلك الفرد أو الجماعة صغيرة كانت أم كبيرة ، وسواء المباشر للفعل أو الرد كالذي يدلهم أو ينظر لهم من يجيء ، هذا هو المأثور عن الخلفاء الراشدين ، ولأن المباشر انما يمكن من قتله بقوة الرد ومعونته ، وهذا ما ذهب اليه جمهور العلماء<sup>(٢)</sup> .

وأكثر العلماء على انهم لوشهروا السلاح في البنيان للقتل والسلب فهم محاربون كما لوفعلوا ذلك في الصحراء ، وهذا قول مالك - في المشهور عنه - والشافعي وأكثر أصحاب احمد وبعض اصحاب ابى حنيفة بخالف بعضهم فاشتروا لحد الحراية أن يخرج المحاربون في الصحراء ، والا فهم بمنزلة المختلس والمنتهب لأن المطلوب يدركه الغوث اذا استغاث بالناس<sup>(٣)</sup> .

وهؤلاء المحاربون على أصناف أربعة<sup>(٤)</sup> :

الأول : من قتل منهم فقط ولم يأخذ مالا فحكمه القتل ، ولا حق لاصحاب الجناية في العفو عنه ، ولا يجوز للامام اسقاط الحد عنه بحال .

(١) المائدة ٣٣

(٢/٣) انظر السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية لابن تيمية (٧٨ وما بعدها) دار الكتاب العربي .

(٤) انظر المجموع شرح المذهب للنووي مع تكملته للطبيعي (٢٠/١٠٥ - ١١٠) . والاقناع لابن قدامة المقدسي (٤/١٤٠ - ١٤٢) ، واحكام القرآن لابن العربي (٢/٥٩٦ وما بعدها) ، وفقه السنة للشيخ سيد سابق (٢/٤٦٤ وما بعدها) طبعة دار الكتاب العربي - بيروت .

الثانى : من قتل واخذ المال ، وهو لاء يقتلون ويصلبون .

الثالث : من أخذ المال فقط ، وحكمه قطع يده ورجله من خلاف ، أى قطع يده اليمنى

مع رجله اليسرى .

الرابع : من أخاف السبيل فقط ولم يقتل ولم يأخذ مالا ، وحكمه النفى من الارض واخراجه

من كل مكان يستقر فيه حتى تظهر توبته ، او سجنه حتى ينصح حاله ويتأكد

الامام من استقامته فحينئذ يخلى سبيله .

وان فى هذه الآية للائمة الاربعة نظرا ترتب عليه خلافهم فى بعض الاحكام ، وقد تركت

التعرض اليه لثلا يطول الكلام فيما ليس هو من شأن هذا البحث ، وحسبى أن اشرت

الى بعض المراجع التى يرجع اليها الراغب فى استقصاء هذه الفروع .

والمقصود مما سبق هو تقرير مشروعية القتال لمحاربة قطاع الطرق والعصابات

التى تهدد الأمن داخل الوطن الاسلامى .

يقول الامام القرطبى : ( واذا أخاف المحاربون السبيل وقطعوا الطريق

وجب على الامام قتالهم من غير أن يدعوهم ، ووجب على المسلمين التعاون على قتالهم

وكفهم عن اذى المسلمين ) . ( ١ )

ولو كان قطاع الطرق هؤلاء افرادا قلائل فان القليل من جند المسلمين

قد يكفى للقبض عليهم لتنفيذ العقوبة بهم ، ولكن قد يكون هؤلاء عصابات كبيرة ،

ويملكون من الاسلحة الخطيرة ويتركزون فى مناطق حصينة . . . لذا فان الأمر يتطلب

تسيير قوات كبيرة ، ومشاركة أسلحة كثيرة من أجل محاصرتهم للقبض عليهم ، وقد يقتضى

الامر قتالهم بعد عنادهم لكف المسلمين من اشرارهم ، ولتأمينهم على انفسهم واموالهم

( ١ ) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ( ٦ / ١٥٥ ) .

واعراضهم . وحديثا اضطرت بعض الدول الى تحريك الجيوش، واستخدام الطائرات من أجل القضاء على مثل هذه العصابات، التي اصبحت حديثا قادرة على امتلاك أخطر الاسلحة التي تهدد أمن الناس والدولة . لذا فقد شرع القتال ، وهو تشريع واقعي وحكيم، واقعي لأن الواقع لا يخلو من هذه الظاهرة، مما يوجب وجود هذا التشريع وحكيم لما فيه من حكمة ظاهرة تتمثل في الحفاظ على أمن المجتمع والدولة من عبث العابثين .

ولاشك أن هذا القتال يعد جهادا حقيقيا تحصل للمسلمين منه منفعة عظيمة ، ويتحقق به واحد من البواعث التي شرع من اجلها الجهاد ، ويفوز المقاتلون بسببه بالثواب او الشهادة .

#### رابعا : المنازعات بين المسلمين :

اهتم الاسلام بالحفاظ على وحدة المجتمع الاسلامي ، وحذر من كل ما يفرق جمعهم ويشتت شملهم . فقد أخرج الامام مسلم - واللفظ له - والنسائي وابن ماجه واحمد عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( <sup>(١)</sup> من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو الى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية ) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ترك جماعة المسلمين وامامهم ، ونهى عن اشارة النعرات القبلية والاقليمية لما تسببه من الاختلاف والتنازع بين المسلمين .

ونهى الله سبحانه وتعالى عن التنازع والاختلاف وأخبرهم بأنه سبب

( ١ ) اخرجه مسلم في كتاب الامارة - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ( ٣ / ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ) ، والنسائي : كتاب تحريم الدم - باب التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية ( ٧ / ١٢٣ ) ، وابن ماجه - كتاب الفتن - باب العصبية ( ٢ / ١٣٠٢ ) ، واحمد في المسند ( ٢ / ٤٨٨ ) .

لضعفهم وذهاب قوتهم، فقال سبحانه: ( اطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب  
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ) ( ١ ) .

واذا حدث نزاع بين المسلمين فقد ارشد الحق تبارك وتعالى الى منهج  
قويم يغيث النزاع بينهم. يقول سبحانه وتعالى: ( وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا  
فاصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تنفيء الى  
امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين ) ( ٢ ) .  
امر الله سبحانه بالاصلاح بين المتخاصمين ، وامر بأن يكون هذا الصلح قائما على  
العدل وذلك في قوله ( فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل ) فان الصلح قد يوجد ولكن  
لا يكون بالعدل ، بل بالظلم والحييف على احد المتخاصمين ، فهذا الصلح ليس  
هو المأمور به ، ولهذا فقد ذيل الآية بقوله ( واقسطوا ان الله يحب المقسطين ) أمرا  
لهم بالعدل بعمومه ، ومبينا انه سبحانه يحب العادلين من عباده .

فعلى الامام ان يصلح بين المتخاصمين بالعدل، وذلك بتحري حكم الله فيما  
يتنازع فيه الطرفان. يقول سبحانه: ( فان تنازعتن في شىء فردوه الى الله والى الرسول  
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا ) ( ٣ ) .

وعلى الامام كذلك أن يسلك كل سبيل الخير للجمع بين المتخاصمين والتأليف  
بين قلوبهم، فان بغت فئة على الأخرى بتجاوزها للحق واصرارها على الظلم فيجب  
على الامام أن ينتدب من جند المسلمين من يقاتل الطائفة الباغية ليردها الى جادة  
الصواب، وعلى المسلم المشارك في هذا القتال أن لا يتحرج من مقاتلة الطائفة  
الباغية بحجة أنها مسلمة، بل ان الاجتهاد في مقاتلتها طاعة لله ورسوله وامتنثال

( ١ ) الانفال ٤٦ .

( ٢ ) الحجرات ٩ .

( ٣ ) النساء ٥٩ .

لقوله تعالى ( فقاتلوا التي تبغى حتى تبغىء الى أمر الله ) .

والقتال يقتضى مقاتلة بين الفريقين: فريق النصره وفريق الظلم، فالمقتول

بأيدى تلك الطائفة الباغية شهيد والمقاتل لها مصيب.

قال القرطبي : ( قال العلماء : لا تخلو الفتان من المسلمين فى اقتالهما

أما أن يقتتلا على سبيل البغى منهما جميعا أو لا . فان كان الاول فالواجب فى

ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين . . ، فان لم يتحاجزا ولم يصطلحا واقامتا

على البغى صير الى مقاتلتها . وأما ان كان الثانى، وهو أن تكون احدهما باغية

على الاخرى ، فالواجب أن تقاتل فئة البغى الى أن تكف وتتوب، فان فعلت أصلح

بينها وبين المبغى عليها بالقسط والعدل . فان التحم القتال بينهما لشبهة

دخلت عليهما وكتاهما عند أنفسهما محقة ، فالواجب ازالة الشبهة بالحجة

النيرة والبراهين القاطعة على مرشد الحق . فان ركبنا متن اللجاج ولم تعملا

على شاكلة ما هديتا اليه ونصحنا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا

بالفئتين الباغيتين ) ( ١ ) .

من كل ذلك نخلص الى أن الاسلام حرص على وحدة المجتمع الاسلامى

واتحاده ، فشرع القتال للحفاظ على الحقوق ورد المظالم والأخذ على يد الظالم،

احقاقا للحق ومنعا للظلم، وتحقيقا للوحدة وتأمينا لسلامة الجبهة الداخلية من

أسباب الفرقة والاختلاف والتنازع .

ولاشك أن تقرير الجهاد من أجل هذه الغاية فيه منفعة كبيرة للأمم

الاسلامية اذ يوء من لها أسباب القوة الذاتية فى وجه أعدائها ، ويكسبها القدرة

( ١ ) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ١٦ / ٣١٧ ) .

على مجابهة الاعداء من خلال جبهة واحدة وبامرة قيادة واحدة . ولقد كانت وما زالت الفرقة والاختلاف ، والفتن الداخلية من أسباب تساقط الدول وضعف الأمم .

### الباعث الثاني : المحافظة على العهود والمواثيق .

ان معايكم علاقة أهل الكتاب بالدولة الاسلامية أن يكونوا في عقد ذمة معها بكذا بالنسبة لغيرهم من المعاهدين حيث يربطهم بالدولة الاسلامية عقد هدنة .

والدولة الاسلامية مأمورة بالمحافظة على هذه العقود والمعاهدات ، ولكن اذا تخوف الامام من غدوهم وخيانتهم للعهد فان له أن ينيذ اليهم عهدهم ويعلمهم بأنهم لم يعودوا في عقد أمان ، بل هم في حكم المحاربين .

يقول سبحانه وتعالى : ( وما تخافن من قوم خيانة فانيذ اليهم على سواء ان

الله لا يحب الخائنين ) (١) معنى قوله ( فانيذ ) أي فاطرح والى اليهم عهدهم ،

ومعنى قوله ( على سواء ) أي أخبرهم اخبارا ظاهرا مكشوفيا بالنقض ولا تناجزهم الحرب

بغته ، أو بمعنى أن يكونوا هم والمسلمون سواء في العلم . (٢) بهذا فان الله سبحانه

أباح للامام أن يطرح العقود التي بينه وبين العدو اذا خيف غدوهم ، وأمره بأن يكون

النيذ ظاهرا معلوما للعدو ودفعاً لتهمة الغدر .

ونقض أهل الذمة أو المعاهدين لعهدهم مع المسلمين يبرئ ذمة المسلمين

منهم ومن عهدهم ، ويبيح للمسلمين قتالهم لنقضهم العهود ونيذهم المواثيق .

والقتال في هذه الحالة يتعين من أجل منعهم من نكث المعاهدات واجبارهم

على احترامها . وتفصيل هذا أبينه كما يلي :

### أولا : المعاهد :

اذ انقض أهل الهدنة عهدهم بقتال أو مظاهرة عدوان انتقضت الهدنة لقوله

(٣)

تعالى : ( فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ) ،

(٣) التوبة (٧) .

(١) الانفال ٥٨ .

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ٢ / ٣٢٠ .

ولقوله تعالى: ( الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم )<sup>(١)</sup> فدل على انهم ان ظاهروا علينا احداً لم تتم اليهم عهدهم . وكما أن من مقتضى الهدنة الكف عنا فانها تنتقض بتركه .  
وأمر الله سبحانه الصحابة بمقاتلة المشركين لنقضهم العهد معهم فقال سبحانه :  
( وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون \* الا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدوكم أول مرة . . . )<sup>(٢)</sup> نزلت هاتان الآيتان في قريش، فقد كان بينها وبين المسلمين صلح الحديبية، وقد كان من شروطه ( أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده ( صلى الله عليه وسلم ) دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم )<sup>(٤)</sup> فاستغلت بنو بكر الهدنة وثأرت من خزاعة ، وأمدت قريش بنى بكر بالسلاح والرجال يقا تلون في الليل خفية ،<sup>(٥)</sup> وبذلك نقضوا عهدهم مع المسلمين، فنزلت الآيات تأمر بقتالهم، فسار المسلمون لفتح مكة ومحاربة قريش . وينطبق هذا الحكم على كل من نقض عهدا للمسلمين ، اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .  
قال ابن كثير (والصحيح أن الآية عامة ، وان كان سبب نزولها مشركي قريش  
فهى عامة لهم ولغيرهم) .<sup>(٦)</sup>

(١) التوبة ٤ .

(٢) التوبة ١٢ ، ١٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٣٣٩ / ٢ ) .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام مجلد ٢ صفحة ٣١٧ ، ٣١٨ / تحقيق مصطفى السقا -

مطبعة البابى الحلبي / الثانية .

(٥) المصدر السابق م ٢ ، ص ٣٩٠ .

(٦) تفسير ابن كثير ٣٩٩ / ٢ .

وعندما غدر بنو النضير، أجالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما نقض

بنو قريظة العهد ، قتل رجالهم وسبى نساءهم واولادهم .

أخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن ابن عمر رضى الله عنهما ( أن يهود بنى

النضير وقريظة حاربوا رسول الله ، فأجلى رسول الله بنى النضير وأقر قريظة ومن عليهم

حتى حاربت قريظة بعد ذلك، فقتل رجالهم وقسم نساءهم واولادهم واموالهم بين المسلمين (١) .

قال النووى فى استنباطه لأحكام هذا الحديث ( فى هذا أن المعاهد والذى

إذا نقض العهد صار حربيا وجرت عليه احكام أهل الحرب، وللإمام سبى من أراد منهم

وله المن على من أراد ) (٢) .

ثانيا : أهل الذمة :

وكذلك الحال بالنسبة لأهل الذمة إذا امتنعوا من اداء الجزية أو رفضوا

التزام احكام الاسلام العامة ، فانهم بذلك ينقضون العهد الذى بينهم وبين الدولة

الاسلامية ، لأن عقد الذمة لا ينعقد الا بهما .

وان قاتلوا المسلمين انتقض عهدهم لأن مقتضى عقد الذمة الامان من الجانبين ،

والقتال ينافى الامان فانتقض به العهد (٣) . فاذا نقضوا العقد وجب قتالهم لأن الله

سبحانه أمر بقتالهم حتى يخضعوا لسلطان المسلمين من خلال دفع الجزية ،

(٤)

والتزام احكام الاسلام العامة كما بين الفقهاء .

(١) انظر الحديث بتمامه فى صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب اجلاء اليهود

من الحجاز ( ٣ / ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ) . وفى صحيح البخارى فى كتاب المغازى ،

باب حديث بنى النضير ومخرج رسول الله اليهم فى دية الرجلين وما ارادوا

من الغدر برسول الله ( ٣ / ١٥ ) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ( ١٢ / ٩١ ) .

(٣) انظر المجموع شرح المذهب للنووى ( ١٩٠ / ٤٢٣ - ٤٢٤ ) ، والمعنع لابن قدامة

المقدسى ( ١ / ٥٣٣ - ٥٣٤ ) ، وآثار الحرب فى الفقه الاسلامى - وهبه الزحيلي

٣٩٢ ، طبعة دار الفكر . (٤) انظر المغني بالشرح الكبير لابن قدامة ( ١٠ / ٥٣ )



يقول سبحانه وتعالى: ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون

ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية

عن يد وهم صاغرون ) . (١) قال الامام ابو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي: ( لو عاهد

الامام أهل بلد أو حصن ثم نقضوا عهدهم وامتنعوا من اداء ما يلزمهم من الجزية

وغيرها وامتنعوا من حكم الاسلام من غير أن يظلموا وكان الامام غير جائر عليهم وجب

على المسلمين غزؤهم وقتالهم مع امامهم ) . (٢)

ولاشك أن القتال في هذه الحالة يكون وسيلة فعالة لا يقاومهم عند حد ودهم

وارغامهم على الوفاء بعهودهم . وبهذا فان الجهاد يساهم في ردع المعاهديين

وأهل الذمة اذا ما بيتوا غية الغدر ، ويساهم في ارغامهم على الوفاء بالمعاهدات التي

ابرموها مع الدولة الاسلامية .

(١) التوبة ٢٩ .

(٢) كتاب الكافي في فقه اهل المدينة المالكي ، (١/٤٨٣) .

تحقيق د . محمد محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني - مكتبة الرياض الحديثة -

الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

الباعث الثالث: رد الاعتداء وانقاذ المسلمين المستضعفين .

ان حق الدفاع لصد العدوان هو من الحقوق الأساسية التي تقرها الشرائع السماوية

والاعراف والمواثيق الوضعية .

والقرآن الكريم قرر ذلك . كما فى قوله تعالى: ( الشهر الحرام بالشهر الحرام ،

والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله

واعلموا ان الله مع المتقين ) ( ١ ) .

وكما فى قوله تعالى ( وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله

لا يحب المعتدين ) ( ٢ ) .

فأمر الله سبحانه وتعالى بصد العدوان عن المسلمين وقاتل من يقاتلونهم ظلما وعدوانا .

وليس المقصود من هاتين الآيتين الا نجاهد اعداء الله الا اذا اعتدوا علينا ، بل المقصود

أن الجهاد فى حال العدوان فرضه علينا أشد تأكدا ، وأما قوله ( ولا تعتدوا ) فهو

عموم مخصوص محمول على ترك العدوان عن بيننا وبينهم عهود ومواثيق ، وعن هم

خاضعون لسلطان المسلمين ، وعن لا يستحقون القتل من النساء والصبيان والرهبان وغيرهم .

وقد وجد بعض المفسرين ( ٣ ) فى هذا النص ما يعطل فريضة الجهاد المحكمة بالمأمور بها أمرا

مطلقا فى كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ( قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وليجدا

فيكم غلظة ) ( ٤ ) وقوله تعالى: ( انفروا خفافا وثقالا رجاء واثقا باموالكم وأنفسكم فى سبيل الله

ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ) فقالوا ان آية ( وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم )

( ١ ) البقرة ١٩٤ .

( ٢ ) البقرة ١٩٠ .

( ٣ ) انظر فتح القدير للشوكاني ٢ / ١٩٠ .

( ٤ ) التوبة ١٢٣ .

( ٥ ) التوبة ٤١ .

وأمثالها منسوخة بآية السيف ، وهى قوله تعالى: ( فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد )<sup>(١)</sup> . ويمكن دفع هذا النسخ بما أسلفتموه من تأويل .

وأرشد الله سبحانه فى كتابه العزيز المؤمنى الى عدم الخضوع للظلم والاستسلام للظالمين ، وحثهم على الانتصار منهم حيث يقول تبارك وتعالى: ( والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون \* وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين \* ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل )<sup>(٢)</sup> . قال ابو السعود فى معنى قوله ( والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون ) ؛ أى ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل<sup>(٣)</sup> .

وقال القرطبى فى معنى قوله ( ولمن انتصر بعد ظلمه ) : أى المسلم اذا انتصر من الكافر فلا سبيل الى لومه ، بل يحمد على ذلك مع الكافر<sup>(٤)</sup> .

ولهذا فقد أذن الله سبحانه للصحابه رضوان الله عليهم بقتال المشركين ، وبرر هذا الاذن بما وقع عليهم من قتل وظلم وتشريد حيث قال سبحانه وتعالى: ( أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير \* الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . . . )<sup>(٥)</sup> فدل هذا على ان الجهاد مشروع لدفع العدوان ورد الاعتداء وحماية المسلمين . وليس معنى تبرير الجهاد بدفع الظلم أن فرض الجهاد متوقف على هذه القيود كما بينت سابقا ، وانما المقصود من هذه الآيات التى قيدت الجهاد بدفع الظلم بيان أحقية المسلم فى الدفاع عن نفسه ، والتشريع على

( ١ ) التوبة ٥ .

( ٢ ) الشورى ٣٩ - ٤١ .

( ٣ ) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، لآبى السعود محمد بن محمد العمادى ( ٣٤ / ٨ ) . الناشر دار احياء التراث العربى - بيروت .

( ٤ ) احكام القرآن للقرطبى ٤١ / ١٦ .

( ٥ ) الحج ٣٩ ، ٤٠ .

الظالم لظلمه . وفي الحقيقة ليس من السهل على الكافرين أن يتركونا دون اعتداء علينا ، وليس من السهل عليهم أن يتركونا ننشر ديننا ، بل هم يحاولون دائما أن يستأصلوا شأفتنا أو أن يدخلونا في ملههم الباطلة ، يسلكون السبيلين معا . أو ما سهل عليهم منهما ، قال الله تعالى : ( انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا ) .<sup>(١)</sup>

ومبدأ رد الاعتداء عام يشمل كل اعتداء يقع على المسلمين ، سواء في عقيدتهم أو أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم أو بلادهم . كما أنه مقرر لدفع العدو وان بكل صورته وأشكاله ، كأن يحاول العدو اخراج المرابطين بالفعل من الشغور تمهيدا لدخول ديار المسلمين ، فان الاعتداء واقع في هذه الحالة وان لم يدخل الديار . وأي اعتداء يقع على بلد من بلاد المسلمين يعدّ اعتداء على جميع المسلمين ، يوجب الجهاد عليهم جميعا . وسبق أن بينت في "حكم الجهاد" أن الجهاد يعدّ فرض عين اذا أعتدى العدو على بلد للمسلمين أو أسرا احدا من المسلمين .

وإذا وقع الاعتداء على المسلمين في غير دار الاسلام باضطهادهم وظلمهم وقتنتهم فان من واجب المسلمين أن ينصروهم ويهبوا لنجدتهم ، ويقاتلوا في سبيل انقاذهم .

أخرج الامام مسلم بسنده عن ابي هريرة قال :<sup>(٢)</sup> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ) .

قال النووي رحمه الله في شرحه على الحديث ، قال العلماء : الخذل : ترك الاعانة والنصر .<sup>(٣)</sup> من هنا ندرك بان اخوة الاسلام تفرض على المسلم اعانة أخيه ونصرته ،

(١) الكهف ٢٠ .

(٢) أخرجه الامام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (٤/١٩٨٦) واللفظ له . وأخرجه البخاري بنحوه من حديث ابن عمر

في كتاب الاكراه ، باب يمين الرجل لصاحبه انه اخوه اذا خاف عليه القتل . (٤/٢٠٢) (٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٢٠) .

وتفرض على المسلمين نصره بعضهم البعض ، وان اقتضى الأمر الجهاد فانه واجب لنصرة بعضهم البعض.

ويقول الله عزوجل محرضا المؤمنين على القتال لنصرة اخوانهم فى العقيدة

( وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا ) . ( ١ )

يحث الله تبارك وتعالى فى هذه الآية الكريمة المسلمين للوقوف بقوة وعزم - فى جانب اخوانهم المستضعفين فى دار الحرب ، ويدعوهم لنصرتهم بكل ما اوتوا من قوة ، ويخاطبهم بما يستنهض الهمم والعزائم ، وبما يحرك فى نفوسهم الغيرة على اخوانهم فى العقيدة لكى يقاتلوا دفا عاً عنهم .

قال القرطبي رحمه الله : ( قوله تعالى ( وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ) حرض على الجهاد ، وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدى الكفرة والمشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين ، فأوجب تعالى الجهاد لاعلاء كلمته واطهار دينه ، واستنصار المؤمنين الضعفاء من عباده ) . ( ٢ )

بل ونجد ان الله تبارك وتعالى أمر بالجهاد لنصرة المسلمين من الاعراب ،

الذين يملكون الهجرة ولم يهاجروا ، بشرط أن لا ينقضوا بذلك عهدا .

يقول سبحانه وتعالى : ( والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى

يهاجروا ، وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ،

( ١ ) النساء ٧٥ .

( ٢ ) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٥ / ٢٧٩ .

والله بما تعملون بصير (١)

ذكر ابن كثير عن ابن عباس في معنى قوله تعالى ( وان استنصروكم في

الدين فعليكم النصر ) قوله :

(أى وان استنصروكم هؤلاء الاعراب الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدو من

الكفار بينكم وبينهم ميثاق أى مهادنة الى مدة ، فلا تخفروا ذمتكم ، ولا تنقضوا ايمانكم

مع الذين عاهدتم) (٢)

وقال ابن العربي-رحمه الله-عند قوله تعالى ( وان استنصروكم في الدين

فعليكم النصر ):(يريد ان دعوا من ارض الحرب عونكم بغير او مال لاستنقاذهم فأعينوهم

فذلك عليكم فرض ، الا على قوم بينكم وبينهم عهد فلا تقاتلوهم عليهم حتى يتم العهد ،

أو ينبذ على سواء) (٣)

واستثنى القرطبي من ذلك ، اذا ماكانوا أسرى مستضعفين ، فأجاز نصرتهم

وان كنا على عهد حيث قال:( الا ان يكونوا اسراء مستضعفين ، فان الولاية معهم

قائمة والنصرة لهم واجبة ، حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى تخرج الى استنقاذهم

ان كان عدونا يحتمل ذلك ، أو تبذل جميع اموالنا فى استخراجهم حتى لا يبقى لأحد

درهم . كذا قال مالك وجميع العلماء . فانا لله وانا اليه راجعون ، على ما

بالخلق في تركهم اخوانهم فى اسر العدو ويايديهم خزائن الاموال ، وفضل الاحوال

والقدرة والعدد والقوة والجلد) (٤)

(١) الانفال ٧٢ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ، للحافظ عماد الدين ، ابو الغداء اسماعيل بن كثير

(٢ / ٣٢٩) .

(٣) احكام القرآن لابي بكر بن العربي (٢ / ٨٨٧) .

(٤) احكام القرآن للقرطبي (٨ / ٥٧) .

يريد بهذا أن المعاهدة مع قوم عندهم اسرى من المسلمين لاتمنعنا من تخليصهم ونقض عهدهم الذى يفرض علينا فى حال ضعفنا . بهذا تتأكد مشروعية الجهاد لصد العدوان ، وحماية المسلمين ونصرة المستضعفين ، ومن هنا ندرك بأن الجهاد فى الاسلام هو انتصار للحق والعدالة ، وهو انتصار على الظلم والقهر .

هذا ومن جهة أخرى فانه لا يحل لمسلم أن يقيم فى دار الكفر ، واذا أسلم شخص فى دار الكفر تجب الهجرة عليه منها الى دار الاسلام ، وذلك من أجل الحفاظ على المسلم فى دينه ونفسه وماله وعرضه ، اذ لا امان على ذلك فى دار الكفر .

يقول الله عزوجل ( ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فمى كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا \* الا المستضعفين من الرجال والنساء والولد ان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا \* فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا ) (١) .

نقل ابن كثير عن الضحاك قوله : (نزلت الآية ) ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ) فى ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا فمى أصيب ، فنزلت الآية الكريمة عاممة فى كل من اقام بين ظهرانى المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متعكنا من اقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالا جماع وينص الآية (٢) .

وذكر ابن العربى حكم الهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام خلال تقسيمه لأنواع الهجرة فقال : ( الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام ، وكانت فرضا فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم . . . ، وهذه الهجرة باقية مفروضة الى يوم القيامة ،

( ١ ) النساء ٩٧ - ٩٩ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير ١ / ٥٤٢ .

والتي انقطعت بالفتح هي القصر الى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان ، فمن اسلم  
في دار الحرب وجب عليه الخروج الى دار الاسلام فان بقي عصى (١) .

وعذر الله سبحانه المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون  
الهجرة من مكة الى المدينة المنورة كما صرحت الآيات . ويدل عليه ايضا ما اخرجـه  
البخارى بسنده عن ابن ابي مليكة ان ابن عباس رضى الله عنه تلا ( الا المستضعفين  
من الرجال والنساء والولدان ) قال : ( كنت أنا وأمي ممن عذر الله ) ، وللبخارى كذلك  
بسنده عن عبيد الله قال : سمعت ابن عباس قال (٣) : (كنت أنا وأمي من المستضعفين ) .

---

(١) احكام القران لابن العربي ٤٨٤/١ ، ولمزيد من الاطلاع في المسألة انظر كتاب  
"العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة" لابي الطيب صديق بن حسن  
القتوجي البخارى ص ٢١٩ وما بعدها ، بتحقيق ابو هاجر محمد السعيد  
ابن بسيوني زغلول . دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .  
(٣، ٢) اخرجهما البخارى في كتاب التفسير ، تفسير سورة النساء ١٢٠/٣ .



## الباعث الرابع: تأمين حرية نشر الدعوة

### واجب الأمة الاسلامية أن تدعو إلى الاسلام

دعوة غير المسلمين إلى الاسلام فرض كفاية على الأمة الاسلامية اذا قام به البعض سقط عن الباقيين . وذلك لعموم رسالة الاسلام ، فهي للناس جميعا ، عربهم وعجمهم ، أبيضهم وأسودهم ، في كل عصر ومصر . يقول سبحانه وتعالى : ( قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا )<sup>(١)</sup> ، ويقول سبحانه ( وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون )<sup>(٢)</sup> .

نقل ابن كثير عن قتادة قوله في معناها : ( يعنى إلى الناس عامة )<sup>(٣)</sup> . فالرسول عليه الصلاة والسلام أرسل برسالة الاسلام إلى الناس جميعا ، وهذه الحقيقة ثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة ، ولا تحتاج إلى مزيد بيان أو احتجاج . والرسول عليه الصلاة والسلام بلغ الرسالة وأدى الأمانة في حياته ، وكتب الرسائل إلى الملوك والقيصرة يدعوهم إلى الاسلام<sup>(٤)</sup> ، وظل يدعو إلى هذا الدين إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى .

والواجب على المسلمين من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغوا دعوته إلى كل من لم تبلغهم لكي لا يكون لهم حجة .  
قتال من يصد الدعوة ويمنع اعلاء كلمة الله في الأرض :-

وكثيرا ما تسعى أنظمة الكفر وأحزابه الفاسدة للصد عن دين الله والحيلولة

(١) الاعراف ١٥٨ .

(٢) سبأ ٢٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٣٨ / ٣ .

(٤) انظر خبر كتبه عليه الصلاة والسلام لكسرى وقيصر في صحيح البخارى - كتاب

الجهاد - باب دعوة اليهود والنصارى ، وباب دعاء النبي إلى الاسلام (١٥٩ / ٢) .

دون وصوله الى شعوبهم التي يتحكمون فى رقابها ، لأنهم لا يريدون لها أن تستنير بنور الاسلام ، ولا أن يعيشوا عدل الاسلام وانصافه . والطواغيت والانظمة الفاسدة

استمروا على قهر وظلم شعوبهم . والاسلام يمنع من ذلك ، ويقتص منهم على ظلمهم وقهرهم لشعوبهم ، ولذا فانهم يحاولون حجب نور الاسلام عن شعوبهم بكل ماأوتوا من قوة وجبروت . بل وان الطواغيت يصدونهم عن الدين الحق ، ويمنعونهم من الدخول فيه ، ويعاقبونهم على ذلك بالعذاب والتنكيل بهم ، رغم ايمانهم بأنه الحق من عند ربهم .

والقرآن الكريم حكى لنا قصة فرعون وصدده للسحرة عن الايمان بدين الله الحق

وتهديده لهم ووعيده بتقتيلهم وصلبهم ، فقال سبحانه : ( قال آمنت له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون ، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبكم أجمعين ) . ( ١ )

لهذا فقد توعد الله عزوجل الذين يصدون الناس عن دينه ، فى أكثر من اربعين

آية مكية ومدنية ، منها قوله تعالى ( ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم ) . ( ٢ )

وقوله تعالى ( الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ) . ( ٣ )

إذا ما يطلبه الاسلام هو عدم صد الناس عن هذا الدين ، وعدم الوقوف فى وجه

الدعوة الاسلامية ، لتبلغ الناس جميعا . فاذا وقف أحد فى طريق هذه الدعوة ليصدها

عن الانتشار ، وليحول دون اعلاء كلمة الله فى الأرض فانه محارب لهذه الدعوة ولأهلها . . .

( ١ ) الشعراء ٤٩ .

( ٢ ) محمد ( ٣٣ ) .

( ٣ ) النحل ( ٨٨ ) .

وحي هنا أن يقاتل المسلمون من يقف في وجه دعوتهم ، وإذا قاتل المسلمون فانهم حينئذ لا يقاتلون لأكراه الناس على الدخول في الاسلام ، وإنما يقاتلون لزالمة الحواجز التي تمنع الدعوة من الانتشار .

والدليل على مشروعية الجهاد لتأمين نشر الدعوة واعلاء كلمة الله في الأرض آيات

الجهاد المطلقة التي تحض على الجهاد ، بل وتأمر به لاعلاء كلمة الله في الأرض .

يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنفال: ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون

الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير ) (١) ، ويقول سبحانه وتعالى في

سورة البقرة: ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان

الا على الظالمين ) (٢)

في هاتين الآيتين الكريمتين أمر الله سبحانه المسلمين بقتال الكفار ، وحدد

الغاية من هذا القتال وهي: ان لا تكون فتنة، وان يكون الدين كله لله .

ولتوضيح غاية هذا القتال لا بد من بيان معنى ( الفتنة ) ومعنى أن ( يكون الدين

كله لله ) . معنى الفتنة : روى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ( وقاتلوهم حتى

لا تكون فتنة ) يعني لا يكون شرك ، وقال بهذا المعنى ابو العالية ومجاهد والحسن

وقتادة والربيع بن انس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم . (٣)

قال ابن القيم : ( وأكثر السلف فسروا الفتنة هنا بالشرك ، كقوله تعالى : ( وقاتلوهم

حتى لا تكون فتنة ) ، ويدل عليه قوله تعالى ( ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا واللهم

(٤) ربنا ما كنا مشركين )

(١) الانفال ٤٩ .

(٢) البقرة ١٩٣ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢/٣٠٩ ، ١٠/٢٢٧ .

(٤) الانعام ٢٣ .

أى لم يكن مآل شركهم وعاقبته ، وآخر أمرهم الا أن تبرأوا منه وانكروه ، وحقيقتها : أنها الشرك الذى يدعو صاحبه اليه ويقاتل عليه ، ويعاقب من لا يفتتن به . ولهذا يقال لهم وقت عذابهم بالنار وفتنتهم بها ( ذوقوا فتنتكم ) قال ابن عباس ( تكذيبكم ) ، وحقيقته : ذوقوا نهاية فتنتكم وغايتها ومر مصير أمرها ) ( ١ ) .

وخلاصة القول أن معنى الفتنة هو الشرك كما فسره ترجمان القرآن ابن عباس وأكثر السلف رضوان الله عليهم ، ويعنى هذا أن غاية القتال هى : أن لا يكون شرك .  
معنى أن ( يكون الدين كله لله ) :

روى الضحاك عن ابن عباس فى معنى ذلك : أى يخلص التوحيد لله . وبهذا القول قال ابن اسحاق . وقال الحسن وقتادة وابن جرير : أن يقال : لا اله الا الله . ( ٢ )  
ولافرق بين هذين القولين اذ أن ( لا اله الا الله ) معناها : لا معبود بحق الا الله ، وهذا هو المراد من اخلاص التوحيد لله . وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم : لا يكون على دينكم كفر . ( ٣ ) واخلاص التوحيد لله يلزم منه أن لا يكون على دين الله كفر أو شرك .  
والخلاصة أن الله تبارك وتعالى أمر بالجهد لازالة الشرك ، وليكون دينه هو الأعلى . ولا يكون دين الله هو الأعلى الا بازالة الشرك ، ولذا قدم فى كلتا الآيتين ذكر القتال لازالة الشرك باعتبار أن ازالته هو المقدمة المنطقية لاعلاء كلمة الله ، والاخلاء يسبق الاملاء ، والتخلية تسبق التحلية . والمقصود من ذلك اخراجهم من عقائد الكفر والضلال وادخالهم فى عقيدة التوحيد والهداية . قال الشوكانى فى تفسيره لآية سورة البقرة ( وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ) قال : ( فيه الأمر بمقاتلة المشركين الى غاية هى أن لا تكون فتنة وأن يكون الدين لله ، وهو الدخول فى الاسلام ، والخروج عن سائر الاديان المخالفة له ) ( ٤ ) .

( ١ ) زاد المعاد لابن القيم ٢ / ٢١٥ ، تحقيق محمد حامد الفقى - مطبعة السنة المحمدية .  
( ٢ ) ، ( ٣ ) انظر تفسير ابن كثير ٢ / ٣٠٩ ، ١ / ٢٢٧ .  
( ٤ ) فتح القدير للشوكانى ١ / ١٩١ .

والآيات المطلقة التي تأمر بجهاد المشركين كثيرة، كقوله تعالى: ( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم )<sup>(١)</sup> فالآية تأمر بقتال المشركين حتى يتوبوا عن شركهم ، ويدخلوا في الاسلام .

ويدل على مشروعية الجهاد لنشر الاسلام واعلاء كلمة الله في الأرض ، من السنة المباركة ما أخرجه الشيخان- واللفظ للبخارى - عن ابي هريرة رضى الله عنه قال :<sup>(٢)</sup> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى نفسه وماله الا بحقه وحسابه على الله ) . صرح الرسول عليه الصلاة والسلام بوجوب قتال الكفار والمشركين الى غاية دخولهم الاسلام . ولكن اذا لم يدخلوا في الاسلام تقبل الجزية منهم لورود الدليل على قبولها منهم من جهة أخرى كما سيأتى .

وقد اختلف العلماء فيمن تؤخذ منه الجزية على الوجه التالي :

أولا : مذهب الشافعية<sup>(٣)</sup> والحنابلة<sup>(٤)</sup> أن الجزية لا تقبل الا من أهل الكتاب خاصة عربا كانوا أو عجماء ، ومن المجوس كذلك .

دليلهم : قوله سبحانه وتعالى: ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين آتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون )<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) التوبة ( ٥ ) .

( ٢ ) اخرج البخارى في كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي الى الاسلام والنبوة ( ١٦١ / ٢ ) . ومسلم في الايمان ، باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ( ٥٢ ، ٥١ / ١ ) .

( ٣ ) انظر كتاب الامام<sup>٢</sup> للامام محمد بن ادريس الشافعى ( ٢٧٧ / ٨ ) طبعة دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ( ١٣٩٣ / ١٩٧٣ ) . وانظر المجموع شرح المذهب للنووى وتكلمته للمطيعى ( ٧٢ / ٨ ) .

( ٤ ) انظر المغنى بالشرح الكبير لابن قدامة ( ٥٧٣ / ١٠ ) .

( ٥ ) التوبة ٢٩ .

قالوا : خص اهل الكتاب بالذكر - فى الآية - فتوجه الحكم اليهم دون من سواهم .  
ومن ثم فان الجزية خاصة بهم . واما المشركون فقد قال الله فيهم ( فاقتلوا المشركين  
حيث وجدتموهم )<sup>(١)</sup> ولم يقل حتى يعطوا الجزية كما قال فى اهل الكتاب ، ومن ثم  
فانها لاتقبل منهم . واما المجوس فتقبل منهم لان الرسول صلى الله عليه وسلم  
قبلها من مجوس هجر .

أخرج البخارى - واللفظ له - وابوداود والدارمى واحمد وابن الجارود عن  
بجالة رضى الله عنه قال<sup>(٢)</sup> : (كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف ، فاتانا كتاباً من  
ابن الخطاب قبل موته بسنة فرّقوا بين كل ذى محرم من المجوس بولم يكن عمر أخذ  
الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أخذها من مجوس هجر) .

ولما رواه الامام مالك فى الموطأ (أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال : ما ادرى  
كيف اصنع فى امرهم ، فقال عبدالرحمن بن عوف ، اشهد لسمعت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول : سنوا بهم سنة اهل الكتاب)<sup>(٣)</sup> .

ثانياً :

ذهب المالكية الى ان الجزية تؤخذ من عموم الكفار الا المرتد ، وهو قول الاوزاعى  
وفقهاء الشام ، ووافقهم الأحناف<sup>(٦)</sup> واحمد فى أحد قوليهِ<sup>(٧)</sup> ، ولكن استثنوا من ذلك مشركى  
العرب .

(١) التوبة (٥) .

(٢) اخرجه البخارى فى الجهاد ، باب الجزية والموادعة (٢٠٠/٢) . وابوداود فى  
الخراج ، باب فى اخذ الجزية من المجوس (١٦٨/٣) . والدارمى فى السير  
باب فى اخذ الجزية من المجوس (١٥٢/٢) . واحمد فى المسند (١٩٤/١)  
وابن الجارود فى الجزية (٣٧٢) .

(٣) اخرجه الامام مالك فى الموطأ ، كتاب الزكاة (١٨٨) . قال الشوكانى فى نيل  
الاطار (٢١٣/٨) وهذا منقطع ، ورجاله ثقات . وقال ابن عبدالبر : هذا  
حديث منقطع . انظر نصيب الراية لاحاديث الهداية للامام عبدالله بن يوسف

الزيلعى (٤٤٩/٣) الناشر المكتبة الاسلامية . الطبعة الثانية ٩٣هـ - ٧٣ م .

(٤) انظر مواهب الجليل لشرح مختصر خليل (٣٨١/٣) للامام محمد بن محمد الطرابلسى  
المعروف بالخطاب ، مكتبة النجاح - ليبيا - مطابع دار الكتاب اللبنانى . بيروت .

(٥) انظر الدرارى المضيئة للشوكانى (٢٩٨/٢) واحكام القرآن للقرطبى (١١٠/٨) .

(٦) انظر الهداية شرح بداية المبتدى للامام على بن ابي بكر المرغينانى (١٦٠/٢)

مطبعة البابى الحلبى - الطبعة الاخيرى . وانظر بدائع الصنائع الكاسانى (١١٠/٧) (١١١)

(٧) انظر المغنى بالشرح الكبير لابن قدامة (٥٧٣/١٠) .

دليلهم : استدلو بما أخرجه مسلم - واللفظ له - والترمذى وابن ماجه وابوداود عن بريدة أنه قال : ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أو صاه فى خاصته يتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ، واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال ( أو خلال ) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، واخبرهم انهم ان فعلوا ذلك فلهم مال المهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فان ابوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء الا ان يجاهدوا مع المسلمين ، فان هم ابوا فسلهم الجزية ، فان هم اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم ابوا فاستعن بالله وقاتلهم . ( الحديث ) ( ١ ) والشاهد هو قوله ( واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال ، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ) ، وبين أن الخصال الثلاث هى : الاسلام ، أو الجزية ، أو القتل . فنص بذلك على قبول الجزية من عموم المشركين ، ولم يخص أهل الكتاب من بينهم حيث أن لفظ ( عدوك من المشركين ) يشمل كل عدو مشرك سواء اكان من اهل الكتاب أم من غيرهم .

---

( ١ ) اخرجه مسلم فى الجهاد والسير ، باب تأمير الامراء على البعوث ( ٣ / ١٤٥٧ )  
 وابن ماجه فى الجهاد ، باب وصية الامام ( ٢ / ٩٥٣ ) . والترمذى فى السير ،  
 باب ماجاء فى وصيته صلى الله عليه وسلم فى القتال ( ٤ / ١٦٢ ) .  
 وابوداود فى الجهاد ، باب فى دعاء المشركين ( ٣ / ٣٧ ) .

قال النووي في شرحه: ( هذا مما يستدل به مالك والاوزاعي وموافقهما في جواز أخذ الجزية من كل كافر عربيا كان او عجميا ، كتابيا او مجوسيا أو غيرهم ) .<sup>(١)</sup>

وقال الشوكاني عند هذا الحديث: ( وهو حجة في أن قبول الجزية لا يختص

بأهل الكتاب ) .<sup>(٢)</sup>

ومن استثنى مشركي العرب استدلال بما أخرجه الترمذي - واللفظ له - واحمد

عن ابن عباس أنه قال :<sup>(٣)</sup> ( مرض ابو طالب فجاءته قريش ، وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم

وعند ابي طالب مجلس رجل ، فقام ابوجهل كى يمنعه وشكوه الى ابي طالب ، فقال :

يا ابن اخي ماتريد من قومك ؟ قال : انى اريد منهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب ،

وتؤدى اليهم العجم الجزية ، قال : كلمة واحدة ؟ قال : كلمة واحدة ، قال : يا عم

يقولوا : لا اله الا الله . . . الحديث ) . والشاهد هو قوله ( انى اريد منهم كلمة

واحدة تدين لهم بها العرب ، وتؤدى اليهم العجم الجزية ) فبين أن الغاية بالنسبة

للعرب هي أن يدينوا بكلمة التوحيد ، واما بالنسبة للعجم فالغاية هي أن يؤدوا الجزية

وذلك اذا لم يسلموا ، ففرق بهذا بين العرب والعجم في أخذ الجزية ، وهو ما يفيد عدم

اخذها من العرب ويبقى الخيار بالنسبة لهم بين الاسلام او القتل .

( ١ ) شرح النووي على صحيح مسلم ( ٣٩ / ١٢ ) .

( ٢ ) نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار ، للشوكاني ( ٥٢ / ٨ ) طبعة دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣ .

( ٣ ) أخرجه الترمذي في التفسير ، سورة : " ص " ( ٣٦٥ / ٥ ، ٣٦٦ ) وحسنه ، وأخرجه احمد

في المسند ( ٢٢٧ / ١ ، ٢٨٢ ) . والحاكم في التفسير ، سورة : ص ( ٤٣٢ / ٢ ) وصححه .

قلت : الحديث ضعيف لان مداره على يحيى بن عمارة وهو مقبول .

انظر التقريب ( ٣٥٤ / ٢ ) .



وذكروا في تعليل استثناء مشركي العرب من الجزية أن النبي صلى الله عليه وسلم نشأ بين أظهرهم ، والقرآن نزل بلغتهم فالمعجزة في حقهم أظهر ومن ثم فلا يقبل منهم الا الاسلام ، وقيل اكراما لهم لمكانتهم من النبي صلى الله عليه وسلم بوقيل لأنهم أسلموا كلهم فان وجد منهم كافر فهو مرتد .<sup>(١)</sup>

وفي الحقيقة أن الخلاف في أخذ الجزية من مشركي العرب لاثمة له ولا ينبنى عليه عمل ، لأنه لم يعد في زماننا هذا ومنذ أمد بعيد مشركون من العرب اذ دخلوا جميعا في الاسلام ، فاذا وجد أحد منهم اليوم فهو مرتد ، والمرتد لا خلاف في قتله .  
والذي أرجحه في مسألة أخذ الجزية هو أنها تؤخذ من عموم الكفار والمشركين أهل الكتاب وغيرهم ، وبالنسبة لمشركي العرب فكما قلت لا خلاف فيهم اليوم لأنه لم يعد فيهم مشرك .

وقوله تعالى: ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . . الآية )<sup>(٢)</sup> لم يرد به فيما أرى - والله أعلم - تخصيص أهل الكتاب من بين سائر الكفار بحكم ، بل أريد به التحريض على مقاتلتهم وعدم الركون اليهم ، حيث صدرت الآية بقوله ( قاتلوا ) وهو أمر بالقتال . والاكتفاء بأخذ الجزية من أهل الكتاب جاء في سياق هذا الأمر ، اذ أنها هي الغاية التي يقاتلون عليها ( حتى يعطوا الجزية ) فالآية لم تقرر أخذ الجزية منهم دون سواهم ، بل قررت أخذها منهم باعتبار انها الغاية التي يتوقف بها الأمر المتقدم بقتالهم ، ولم تتعرض لمن سواهم بالسلب والايجاب .

( ١ ) انظر مواهب الجليل لشرح مختصر خليل للحطاب ( ٣ / ٣٨١ ) . والهداية للمرفعياني

( ٢ ) ( ١٦٠ / ٢ ) .

( ٢ ) التوبة ( ٢٩ ) .

وأشار الصنعاني الى هذا المعنى فى سبل السلام فقال: (وأما الآيات ( التى استدل بها الفريق الأول ، وقد تقدمت ) فأفادت أخذ الجزية من أهل الكتاب ولم تتعرض لأخذها من غيرهم ولا لعدم أخذها ( ١ ) . وإنما خص أهل الكتاب بالذكر - فى الآية - لأنهم كانوا هم المخصوصين بالقتال وقت نزول الآية . يؤيد هذا قول مجاهد فى سبب نزولها: ( نزلت هذه الآية حين أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بغزوة تبوك ) ( ٢ )

أى نصارى الشام ، وهم من أهل الكتاب . فالأقتصار على ذكرهم لا يعنى اختصاصهم بالحكم دون سواهم ، وإنما هو باعتبار أن الآية نزلت فيهم للحث على قتالهم حتى يدفعوا الجزية .

وأما قوله تعالى: ( فإذا انسلك الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ) ( ٣ )

لا يمتنع أن يراد به أهل الكتاب أيضا لأنهم فى الحقيقة مشركون لقول اليهود عزيز ابن الله ، وقول النصارى المسيح ابن الله . وهذا ما صرح به سبحانه وتعالى فى قوله: ( وقالوا اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا قاتلهم<sup>الله</sup> أنى يؤفكون \* اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ) ( ٤ )

ومن ثم فان المشركين وأهل الكتاب يقاتلون جميعا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . ولا تعارض بين الآيتين اذ أمرت آية السيف بالقتال ، وأمرت الآية الاخرى بالقتال حتى تدفع الجزية ، وتبين أن لفظ ( المشركين ) مشترك بين أهل الكتاب وغيرهم ،

( ١ ) سبل السلام شرح بلوغ المرام للإمام محمد بن اسماعيل الصنعاني ( ٤ / ٤٧ ) الناشر مكتبة الرسالة الحديثة .

( ٢ ) انظر فتح القدير للشوكاني ( ٢ / ٣٥٢ ) .

( ٣ ) التوبة / ٥ .

( ٤ ) التوبة ٣٠ ، ٣١ .

كما أن لفظ ( من أهل الكتاب ) في الآية الاخرى ليس تخصيصا لهم من دون المشركين .  
يقول الامام الشوكاني: ( ظاهر الأدلة يقتضى أن بذل الجزية من أي يوجب الكف  
عن مقاتلته ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الامراء من اصحابه بالجيش  
على الطوائف المختلفة ، فيذكر في جملة ما يوصيهم به انهم اذا بذلوا الجزية قبل منهم  
ذلك كما في حديث بريدة عند مسلم وغيره ( تقدم ) فان قوله : ( كان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية ) يدل على أن هذا كان شأنه في كل جيش  
يبعثه . ولا ينافي هذا قوله تعالى في أهل الكتاب ( حتى يعطوا الجزية عن يد وهم  
صاغرون ) فان أهل الكتاب هم نوع من انواع الكفار الذين يجب الكف عن قتالهم اذا اعطوا  
الجزية ، ولا ينافي ذلك أيضا ما ورد من الأمر بقتال المشركين في آية السيف وغيرها .  
فان قتالهم واجب الا أن يعطوا الجزية فانه يجب الكف عنهم ، كما يجب الكف عنهم  
اذا أسلموا ) ( ١ ) .

وأما ما ورد في الآية من قوله تعالى: ( فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا  
سبلهم ) فهو لا يعنى أن أمر المشركين يدور بين القتل او الاسلام ، بل قد يعنى  
توجيه قلوب المسلمين الى محبتهم اذا أسلموا ، وأن يعتبروهم جزءا منهم ، وأن لا يشكوا  
فيهم بما لهم من ماضي سيء مع الاسلام ، فان اقامة الصلاة وايتاء الزكاة رمز لصدقهم  
واخلاصهم ، ولا يصح بعد ذلك أن يطعن بعضنا في بعض لما كان لهذا البعض من  
ماضي عدائى .

ويجوز أن يراد بالمشركين هنا مشركو العرب خاصة لانهم هم الذين أعطوا  
المهلة في قوله تعالى: ( براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين \* فسيحوا  
في الارض اربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين \* وأذان من  
الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم  
فهو خير لكم وان توليتم فانه علموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم \*  
الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم  
عهدهم الى مدتهم ان الله يجب المتقين ) ( ٢ ) .

( ١ ) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني ( ٤ / ٥٧٠ ) تحقيق محمود زايد -

دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ / ٢٠١٩ م .

( ٢ ) التوبة ، الآيات ( ١ - ٤ ) .

فالظاهر الواضح من هذه الآيات الأربع أن المشركين هم مشركو العرب ،

فهم الذين خوطبوا ببراءة الله ورسوله منهم يوم الحج الأكبر في السنة التاسعة ( ١ ) ،

وهم الذين أعطي بعضهم العهد والأمان ، فإذا قال الله بعد ذلك ( فإذا انسَلَخ

الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين ) ( ٢ ) فالمعنى فاقتلوا مشركي العرب ، ف ( أل ) هنا

ليس للجنس بل هي للعهد .

كما أن عدم قبول الجزية من المشركين

يعنى تخييرهم

بين الاسلام أو القتل ، وهو ما يفضي الى اكراههم من أجل الدخول في الدين ،

وهذا ينافي دعوة الاسلام الى عدم الاكراه كما سأبينه قريبا .

ولو كان قتالهم من أجل الدخول في الدين لما خير الشارع الامام في شأن

أسراهم بأن يمن عليهم بتخلية سبيلهم أو يفاد يهم أو يسترقهم أو يقتلهم ، وَلَا مَرَّ بِقَتْلِهِمْ

فقط كما سأبينه قريبا في سياق دحض شبهة الاكراه .

والحكمة في وضع الجزية على الكفار والمشركين هي تمكينهم من الاطلاع على محاسن

الاسلام مما يشجعهم على الدخول فيه . ( ٣ )

ودفع المشركين وأهل الكتاب الجزية الى المسلمين يكفل لهم الأمان على

نفوسهم واموالهم واعراضهم .

وما يريد أن اخلص اليه هو أن الاسلام شرع الجهاد لتأمين نشر الدعوة وازالة

العقبات والعوائق التي تصد عن دين الله ، حتى تتمكن الشعوب من رؤية نور الاسلام

ومشاهدة روعة عقائده وتشريعاته ، الكفيلة باسعاد البشرية وانقاذها مما تتخبط فيه

من ضلالات وجهالات . وبهذا فان الجهاد من أجل هذه الغاية هو جهاد من أجل

سعادة البشرية في الدنيا والآخرة . . . .

( ١ ) انظر احكام القرآن للقرطبي ( ٦٧ / ٨ ) .

( ٢ ) التوبة آية ( ٥ ) .

( ٣ ) انظر نيل الاوطار للشوكاني ( ٢١٥ / ٨ ) .

دحض شبهة الاكراه على الدخول في الدين :-

حاول بعض خصوم هذا الدين من المستشرقين والمستغربين اثاره الشبهات على فرض الجهاد ، حيث يدعون بأنه شرع لقهر الناس ولاكراههم على الدخول في الاسلام .

واتهامهم هذا يبرده حقيقة هذا الدين ، وطبيعته القائمة على الايمان ، ويرده العقل والواقع ، واقوال المتصنفين من المستشرقين أنفسهم .  
ولنبداً في تفصيل الرد كمايلي :-

ان الاكراه مخالف لطبيعة هذا الدين ، لانه يقوم على الايمان والاعتقاد القلبي وهذا لا تنفع فيه القوة أو تضر ، لأنها لا يمكن أن تنتزع ما في القلب من اعتقاد ثم تستبدل به اعتقاداً آخر الا باقرار وموافقة الانسان نفسه ، فيختار الانسان لنفسه بنفسه العقيدة التي تحلوه ، ولذلك فقد قال الله سبحانه في شأن المعركة على الكفر: (١) الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ) بين الله سبحانه جواز قول كلمة الكفر اذا اكره المؤمن عليها دون أن يعتقد بها ويطمئن اليها ، فدل هذا على أن سلطة الاكراه لا يمكن أن تصل الى القلب ، ولا يمكن أن تقر الاعتقاد للانسان ، بل هو مما يقع في دائرة ملك الانسان واختياره الكامل وليس لاحد من البشر عليه سلطة اطلاقاً .

ولهذا فان مبدأ عدم الاكراه هو من مبادئ هذا الدين ، ومن خصائص الدعوة الاسلامية يقول سبحانه وتعالى : ( لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ) . (٢)

(١) النحل ١٠٦ .

(٢) سورة البقرة ٢٥٦ .

نهى الله سبحانه في هذه الآية الكريمة عن اكراه الناس على الاسلام ، وورد التعبير بصورة النفي المطلق ، وهو نفي جنس الاكراه ، أى استبعادا له عن عالم الوجود ابتداءً، فضلا عن استبعاد مزاولته . وورد النهى فى صيغة النفي ليكون اعمق ايقاعا وآكد دلالة. (١)

وقوله سبحانه ( قد تبين الرشد من الغي ) ( استثناء تعليلي صدر بكلمة التحقيق ( قد ) لزيادة تقرير مضمونه ، - أى ان قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التى يمتنع توهم اشتراك غيره فى شىء منها الايمان الذى هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذى هو الغى المؤدى الى الشقاوة السرمدية ) . (٢)

والمراد بهذا التعليل تأكيد عدم الاكراه على الدخول فى الدين ، لأن الاسلام فيه من الحجج والبراهين الساطعة ما يكفى للاقتناع .

واختلف السلف فى معنى الطاغوت المذكور فى الآية اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد فنقل عن عمر بن الخطاب والحسين بن على بأنه الشيطان ، وبه قال مجاهد وقتادة .

وعن سعيد بن جبير وعكرمة انه الكاهن . وعن ابي العالية انه الساحر ، وعند مالك بن أنس : كل ما عبد من دون الله تعالى ، وعن بعضهم : الأصنام .

قال الالوسير والاولى ان يقال بعمومه سائر ما يطغى ، ويجعل الاقتصار على بعض (٣)

فى تلك الاقوال من باب التمثيل ) ونقل الالوسير عن ابن عباس فى معنى ( العروة الوثقى ) قوله : الاخلاص . وعن مجاهد : الايمان . (٤)

(١) انظر فى ظلال القرآن للاستاذ سيد قطب ١/٢٩١ .

(٢) انظر تفسير ابني السعود - باختصار - ١/٢٤٩ .

(٣ ، ٤) روح المعانى للالوسير ١/٢/١٥ دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

وذيلت الآية بقوله ( والله سميع عليم ) ، وفي هذا مطابقة للوصفين السابقين بحيث أن الكفر بالطاغوت والايان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده الجنان ، فناسب هذا ذكر هذين الوصفين <sup>(١)</sup> . وفي هذا المعنى الذى ذيلت به الآية تأكيد لما ذكر اولاً من منع الاكراه على الدخول فى الاسلام ، فمادام القلب محل الايمان ، فلا يصل اليه كائن من كان بالسيف أو السنان .

ونقل ابن كثير عن ابن عباس فى سبب نزول الآية قوله: ( كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنوالنضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا : لاندع ابناؤنا فأنزل الله ( لاأكره فى الدين قد تبين الرشد من الغي ) .

ونقل كذلك عنه سبب آخر فى نزول الآية جاء فيه قوله : ( نزلت فى رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحصينى كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلاً مسلماً فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الا استكرهما فا نهما قد ابيا الا النصرانية فانزل الله فيه ذلك ) <sup>(٢)</sup> .

ولاتعارض فى تعدد أسباب النزول لأن الآية الواحدة قد تنزل فى أكثر من سبب وحادثة .

<sup>(٣)</sup>  
واختلف اهل العلم فى هذه الآية أهى منسوخة ام ليست بمنسوخة ؟ :  
الرأى الأول : ذهب بعضهم الى أن الآية منسوخة بآية السيف ، وروى هذا عن ابن مسعود وكثير من المفسرين .

(١) انظر تفسير البحر المحيط ٢ / ٢٨٣ ، لابی حيان الاندلسى ٢ / ٢٨٣ دار الفكر بيروت/الثانية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٠ - ٣١١ .

(٣) انظر احكام القرآن للقرطبي ٣ / ٢٨٠ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٣١١ .

الرأى الثانى : ذهبت طائفة كثيرة من العلماء الى أن الآية محكمة خاصة فى اهل الكتاب الذين يبذلون الجزية : بهذا قال الشعبى و قتادة والحسن والضحاك بويعيد قولهم ما ذكر من اسباب النزول .

قال ابو حيان الاندلسى : ( ومذهب مالك أن الجزية تقبل من كل كافر سوى قريش ، فتكون الآية خاصة فيمن اعطى الجزية من الناس كلهم لا يقف ذلك على اهل الكتاب ) ( ١ ) .

والذى أراه أن الآية محكمة ، عامة فى اهل الكتاب وغيرهم لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ولما ترجح من أخذ الجزية منهم و من غيرهم فلا اكراه لهم ولا لغيرهم ، ولأن فى الاكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان ، وهو ما لا يجوز فى دار الدنيا التى هى دار الابتلاء .

ولا حاجة للقول بنسخ الآية المذكورة بآية السيف ، اذ لاتعارض بينهما غاية السيف تأمر بقتال المشركين ، ولا يكون ذلك الا بعد أن يعرض عليهم الاسلام فان السيف تأمر بقتال المشركين ، ولا يكون ذلك الا بعد أن يعرض عليهم الاسلام فان أبوه عرض عليهم ما هو أخف منه على نفوسهم وهو الجزية ، فان ابوا ذلك نقاتلهم ليس اجبارا لهم على دخول الاسلام ، وانما لأنهم أصبحوا بذلك محاربين لاصرارهم ، ولأنهم سيعوقون طريق الدعوة فاستوجب قتالهم لازالة العارض ، والدليل على ذلك أننا اذا قاتلنا من رفض الاسلام والجزية واسرناهم فانهم لا يكرهون على قبول الاسلام ، بل يختار الامام على الراجح فى أن يقتلهم ، أو يمن عليهم بتخلىة سبيلهم ، أو يفاديهم

بالرجال أو بالمال أو يسترقهم عملا بقوله تبارك وتعالى : ( فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا اخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما من بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ) ( ٣ ) .

( ١ ) تفسير البحر المحيط لابي حيان الاندلسى ٢ / ٢٨١ .

( ٢ ) انظر احكام القرآن للقرطبى ١٦ / ٢٢٨ .

( ٣ ) سورة محمد آية ٤ .



قال القرطبي رحمه الله : ( فاذا كان الاسر جاز القتل والاسترقاق والمفاداة  
والمن ، على ما فيه صلاح المسلمين - وأضاف بقوله - وهذا القول يروى عن اهل المدينة  
( ١ )

والشافعي وابى عبيد ) .

وقال النووى رحمه الله : ( وأما الرجال الاحرار الكاملون اذا اسروا ، فالامام  
مخير بين أن يقتلهم صبرا ، . . ، أو يمن عليهم بتخلية سبيلهم ، أو يفاديهم بالرجال ،  
أو بالمال أو يسترقهم . . وسواء في الاسترقاق كان الاسير كتابيا أو وثنيا ، وقال  
الاصطخرى : يحرم استرقاق الوثنى لأنه لا يُقَرُّ بالجزية ، والصحيح الأول وسواء كان  
( ٢ )  
الكافر من العرب أو غيرهم على الجديد المشهور ) .

ومما يؤكد أن الاسلام لا يقاتل لأكراه الناس على الدخول فيه الأمر بقتال المقاتلة  
من المشركين فقط ، والنهي عن قتال غيرهم من النساء والصبيان والشيخ والزهاد ،  
فلو صح أن قتالهم من أجل الدخول في الدين لما ساغ استثنائهم من القتل . وغاية  
ما في الأمر أن القتال فقط هو لتأمين حرية نشر الدعوة وإزالة الحواجز من طريقها .  
قال ابن تيمية رحمه الله : ( . . . وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة  
كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن ونحوهم فلا يقتل عند جمهور  
العلماء الا أن يقاتل بقوله أو فعله ، وان كان بعضهم يرى اباحة قتل الجميع  
بمجرد الكفر الا النساء والصبيان لكونهم مالا للمسلمين . والأول هو الصواب . لأن  
( ٣ )  
القتال هو لمن يقاتلنا اذا اردنا اظهار دين الله ) .

( ١ ) انظر احكام القرآن للقرطبي ٢٢٨ / ١٦ .

( ٢ ) روضة الطالبين للنووى ٢٥٠ / ١٠ - ٢٥١ .

( ٣ ) الفتاوى لابن تيمية ٢٨ / ٣٥٤ توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين .

ويرد شبهة المستشرقين والمنصّرين انتشار الاسلام في بلاد لم يدخلها مسلم مجاهد بسيفه ، وكان الفضل لانتشار الاسلام فيها للعلماء والتجار والبحارة ، ومثال ذلك اندونيسيا والصين وبعض اقطار افريقيا . فهل دخل من اسلم في هذه البلاد بحد السيف ام بسماحة الاسلام ؟ ولوصح ادعاهم بان الاسلام قد انتشر بحد السيف لما قامت للاسلام قائمة بعد أن دالت دولتهم عبر حروب ومحن من التتار والصليبيين في القديم ، ودول الاستعمار الحديث ولقلّ عدد المسلمين ، والذي نراه هو خلاف ذلك حيث ان نسبة اعداد المسلمين في زيادة .

ولو دخل هؤلاء الاسلام كرها لما بقوا على اسلامهم ولما زادت اعدادهم بل لخرجوا منه ، ولم يكن هناك ما يمنعهم من الخروج في اوقات كثيرة من التاريخ الاسلامي .

مما تقدم تبين أن الاسلام لا يكره احدا على الدخول فيه . ولكن يجدر بنا في هذا المقام ان نذكر شهادة الخصوم على ذلك فالفضل ماشهدت به الاعداء . يقول سيرتوماس ارنولد : ( ويمكننا ان نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بان القوة لم تكن عاملا حاسما في تحويل الناس الى الاسلام فمحمد نفسه ( صلى الله عليه وسلم ) قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية ، وأخذ على عاتقه حمايتهم ، ومنحهم الحرية في اقامة شعائرتهم الدينية ، كما اتاح لرجال الكنيسة ان ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في امن وطمانينة )<sup>(١)</sup> ونقل توماس ارنولد رسالة كتبها البطريق النسطوري يشوع ياف الثالث وكان قد بعث بها الى سمعان مطران ريقاردشير ورئيس اساقفة فارس في القرن الهجري الاول جاء فيها ( . . وان العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا ، يشاهدون ما انتم عليه ، وهم بينكم . كما تعلمون ذلك حق العلم ، ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية ، بل على العكس يعطفون على ديننا ويكرمون قسنا وقديس الرب ، ويجودون بالفضل على الكنائس والاديار ، فلماذا اذا هجر شعبك من اهل مرو عقيدتهم من اجل هؤلاء العرب . ولماذا حدث ذلك ايضا في وقت لـ م يرغمهم

( ١ ) الدعوة الى الاسلام تأليف توماس ارنولد ص ٦٥ ترجمة د / حسن ابراهيم حسن . مكتبة النهضة - القاهرة . الطبعة الثالثة . ١٩٧٠ .

فيه العرب كما يصرح بذلك أهل مرو أنفسهم على ترك دينهم بل تعهدوا لهم أن يبقوا

( ١ )

عليه آمنوا مصونا اذا هم اقتصروا على اداء جزء من تجارتهم . . .

وتشهد مجلة العالم الاسلامي " الانكليزية التبشيرية على تنامي اعداد المسلمين

وعدم تناقصهم منذ بداية الدعوة الاسلامية ، وذلك في سياق تخويفها للغرب من القوة

الاسلامية حيث تقول : ( ان شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي ،

ولهذا الخوف أسباب ، منها أن الاسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددا ، بل

هو دائما في ازدياد واتساع . . . ، ولم يتفق قط أن شعبا دخل في الاسلام ثم عاد

( ٢ )

نصرانيا ) . وهذا يشهد بأن الاسلام لم ينتشر بحد السيف ، والا فمالذي يمنعهم

من الارتداد عن الاسلام والخروج منه ، اللهم الا اذا كانوا حقيقة دخلوا فيه عن ايمان

واعتماد ، وليس عن جبر واكراه .

والواقع في العصر الحديث يرد شبهة هؤلاء ، حيث أن كثيرا من الوثنيين والنصارى

بل ومن قاداتهم أيضا يدخلون في الاسلام ، فالاسلام أقدر من غيره من الاديان الاخرى

على الانتشار والامتداد ،

، وسبب ذلك قوة الاسلام الذاتية التي تتمثل في قوة حججه وبراهينه ، وكفاية

أنظمتهم وعقائدهم وتشريعاتهم . . . ، ولقد بلغ الغيظ بالنصارى من انتشار الاسلام في القارة

الافريقية أن اتهموا المنصرين بتقاعسهم وتقصيرهم في نشر النصرانية في افريقيا ، وتبديدهم

الاموال دون طائل .

( ١ ) المصدر السابق ١٠٢ .

( ٢ ) عن أجنحة المكر الثلاثة - عبدالرحمن حنيفة الميداني ( ٥٨ ) دار القلم / الثانية . ١٤٠ هـ / ١٩٨٠ م .

يقول الاستاذ سعد جمعة رئيس وزراء الاردن سابقاً: ( ومن زكرياتي الخاصة ايضاً اننى حينما كنت سفيراً فى واشنطن سنة ١٩٦٣ م ، أثارت الصحف حملة ضارية ضد الارساليات التبشيرية الى القارة الافريقية ، التى انفتحت مئات بل الوف الملايين من الدولارات ، دون أن تأدى الغرض من وجودها والامل المعقود عليها ، وعيرتها بأن الاسلام قد انتشر فى تلك القارة انتشاراً عفويًا دون بعثات وارساليات ، فكان جواب المبشرين على تلك الحملة : انهم ان يكونوا اخفقوا فى دعوتهم فقد نجحوا نجاحاً ملحوظاً فى تشويه الاسلام فى نفوس اصحابه من العامة . . . واعتذروا عن تقصيرهم فيما ارسلوا من اجله بأن الافريقيين والوثنيين منهم خاصة كانوا ينفرون بشدة من المبشرين لأن ما يدعونه من سماحة المسيحية وتعاليم يسوع يخالف مخالفة دنسة التعذيب البشع والتقتيل الجماعى الذى يقاسونه من الاستعمار ) (١) .

بهذا كله نرد شبهة المستشرقين والمبشرين عليهم ، ونؤكد على أن الاسلام ينتشر بالحجة والبرهان ، وليس الجهاد هو وسيلة للاكراه ، وانما هو وسيلة لازالة الحواجز التى تقف فى طريق الدعوة ، ولازالة الطواغيت الذين يمنعون الناس من رؤية النور والهدى ، ويمنعونهم من الاطلاع على الدين الحق . ولاشك بأن الجهاد والحالة كذلك هو جهاد لخير الناس ، ولمصلحة البشرية . ومن خلال ماتم عرضه من بواعث الجهاد تبرز عظمة الاسلام فى تشريعاته عامة والجهاد خاصة ، اذ لم يكن القتال كما هو المعتاد لدى الناس وسيلة للقهر والعدوان وسرقة ثروات الامم والشعوب ، ولم يكن وسيلة لتثبيت دعائم سلطة الفرد او الحزب او القبيلة على اخوانهم من بنى البشر ، بل كان وسيلة لتقويم هذا الاعوجاج وذاك ، ووسيلة لتثبيت دعائم العدل والخير والمحبة بين الناس جميعاً ، ووسيلة لتوصيل دعوة الهداية والفلاح لامم بنى البشر بنورها فتبديد عنهم ظلمات الجهل والكفر ، وتضىء لهم طريق الحياة والمعات ، وتزينه بجمال الدين وروعته . ان المسلمين اذا قاتلوا لينتصروا فانهم يقاتلون من أجل تحقيق هذه البواعث ومن أجل نصرته هذه المبادئ . فالنصر الذى يسعون له هو فى الحقيقة نصر الحق على الباطل والخير على الشر والعدل على الظلم . . . .

(١) الله او الدمار . تأليف سعد جمعه (٧٠) ط . المختار الاسلامى / الثالثة ٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

## المبحث الرابع

### الجهاد طريق النصر .

لقد برز لنا بوضوح من خلال بيان حكم الجهاد وفضله الأهمية البالغة التي يقيمها الإسلام للجهاد ، حتى أنه جعله فريضة لازمة على الأمة الإسلامية التي يوم القيامة . وتعدّ هذه الفريضة بحق سر قوة المسلمين وعزتهم على مر السنين ، وستبقى كذلك إلى يوم الدين . . . . . وماشدد الشارع في أمر الجهاد وجعله اسمى العبادات إلا لما فيه من مصلحة دنيوية وأخروية للمسلمين ، بل وماشرعه إلا ليكون طريقاً لنصرة هذا الدين بالجهاد هو طريق النصر والقيود عنه هو طريق الذل والهزيمة . ان للنصر ثمننا مثلما أن لكل شيء ثمننا وثمرته الجهاد ، ومن أراد نصراً رخيصاً بدون ثمن فلن يحصد إلا الهزيمة . وان الصحابة ( رضوان الله عليهم ) ما انتصروا على عدوهم في مشارق الأرض ومغاربها وهم جالسون في أكناف المدينة بهل لأنهم خرجوا يجاهدون في سبيل الله فازوا بنصر الله . ونحن اليوم لن نصل إلى ما وصلوا إليه إلا بفعل ما كانوا عليه من الاستقامة على شرع الله والجهاد في سبيله . ولقد أبان القرآن الكريم لهم ( رضوان الله عليهم ) كما أبان لنا من بعدهم طريق النصر فقال سبحانه وتعالى : ( قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ) . ( ١ )

أمر الله سبحانه بقتال الأعداء ، وذكر ثمرة القتال ونتيجته الحاسمة والتي تتمثل في إحلال الهزيمة بالعدو ، وفوز المؤمنين بالنصر . ولم تكن فالآية بذكر النتيجة الحاسمة للقتال وهي نصر المؤمنين وهزيمة الكفار ، بل فصلت / ذكر ثمرات القتال وما يترتب عليه من فوائد للمؤمنين وهي :

( الأولى : تعذيب الله للكفار بأيدي المؤمنين بالقتل والأسر .

الثانية : أخزائهم ، قتل بالأسر ، وقيل بمانزل بهم من الذل والهوان .

( ١ ) التوبة ( ١٤ ) .

الثالثة: نصر المسلمين عليهم .

الرابعة: ان الله يشفى بالقتال صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال ولا حضره .

الخامسة: انه سبحانه يذهب بالقتال غيظ قلوب المؤمنين الذي نالهم بسبب ما وقع من الكفار من الامور الجالبة للغيظ وحرغ الصدر .

فان قيل شفاء الصدر وازهاب غيظ القلوب كلاهما بمعنى فيكون تكوينا . قيل في الجواب: ان القلب اخص من الصدر . وقيل ان شفاء الصدر اشارة الى الوعد بالفتح ، ولا ريب ان الانتظار لنجاز الوعد مع الثقة به فيها شفاء للصدر، وأن اذهاب غيظ القلوب اشارة الى وقوع الفتح ( ١ ) .

وهذا التفصيل في ذكر ثمرات القتال وفوائده فيه ابراز لاهمية القتال

في احراز النصر، وفيه توجيه للمؤمنين بتابع القتال طريقا للعزة والنصر . وعبارة ( يعذبهم الله بأيديكم ) تفيد بأنه سبحانه اراد أن يتحقق وعده بالنصر على أيدي المؤمنين انفسهم ، وذلك بالقتال كما امر في اول الآية ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الجهاد هو طريق النصر .

ويشهد لما قرره من أن الجهاد طريق النصر قوله تعالى : ( يا ايها الذين

آمنوا هل اذلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم \* تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون \* يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم \* واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ) ( ٢ ) .

فقد ارشد الله سبحانه الى التجارة التي تتمثل في الايمان والجهاد ، وذكر

ثمرات هذه التجارة وهي :

اولا : الثمرات الآجلة : وهي المغفرة للذنوب والفوز بالجنة .

ثانيا : الثمرة العاجلة : النصر والفتح القريب : اي فتح مكة وقيل بلاد فارس

والروم . وعبر القرآن فيما يخص هذه الثمرة من الجهاد بقوله ( واخرى ( ٣ )

تحبونها نصر من الله وفتح قريب ) ليشير الى ان هذه التجارة التي تقوم

( ١ ) تفسير فتح القدير للشوكاني ( ٢ / ٣٤١ ، ٣٤٢ ) .

( ٢ ) الصف ( ١٠ - ١٣ ) .

( ٣ ) انظر تفسير النسفي ( ٤ / ٢٥٣ ) .

على الجهاد فى سبيل الله تحقق امرا يميل اليه المؤمنون بالحب والرغبة الشديدة .

وإذا كان ذلك هو الامل العظيم بالنسبة للصحابية رضوان الله عليهم ، فالامل العظيم لدى كل مسلم أن يعم الاسلام ربوع الارض، وأن تكون الكلمة العليا للمسلمين على من عاداهم كى يسوسوهم بالحق وليهتدى منهم من شاء الله له الهداية، فلا يتحقق هذا الامل ولا يدنو الا بالتمسك بهذه التجارة على الدوام والعمل فيها بدأب وجد على مدى العمر كله . وما نكب المسلمون فى هذه الايام الا بغفلتهم عن هذه التجارة وتفريطهم فى الجهاد وركونهم الى الراحة والنعومة التى اضععت عليهم دينهم ودنياهم . من هذا نخلص الى أن النصر هو ثمرة الجهاد الصادق، أى أن الجهاد هو طريق النصر . وقد اشار القرآن الكريم الى الحديد كوسيلة من وسائل القوة لتحقيق النصر فقال سبحانه : ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب ان الله قوى عزيز . ) ( ١ )

الآية ذكرت امورا ثلاثة هى : الحق ، والعدل ، ثم القوة لنصرتهما ، واليك تفصيل ذلك :

اولا : ذكرت الآية الحق ويتمثل فى ( البينات ) وهى المعجزات والدلائل والحجج والبراهين ، و ( الكتاب ) وهو الوحي الذى هو عبارة عن الاسلام . ( ٢ )

ثانيا : ثم ذكرت الميزان والقسط : اشارة الى العدل الذى ينبغى أن يسود بين الناس . ( ٣ )

ثالثا : ثم ذكرت القوة ( وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ) .

والتعقيب بذكر الحديد وما فيه من قوة وشدة بعد ذكر الحق والعدل ، فيه دلالة صريحة على أنه لا بد للحق والعدل من قوة تقيمهما وتحميهما .

وعلى ذلك لا يكفى أن نكون على حق فى صراعنا مع العدو ، اذ لا بد من توفير

اسباب القوة واللباس الشديد للحصول على الحق .

( ١ ) الحديد ( ٢٥ ) .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٤ / ٣١٤ ، ٣١٥ ) .

والإشارة إلى الحديد بالذات كسبب من أسباب القوة هو إشارة إلى السلاح بأنواعه وأشكاله كافة، وهذا وذاك هو عتاد المقاتلين ووسائل نقلهم . فالإيعة ذهبت إلى أبعد من المطالبة بالقتال فطالبت بالاستفادة من الحديد لإعداد السلاح ووسائل النقل والقاذفات وغيرها . والتعقيب بقوله تعالى : ( وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب ) فيه إرشاد للمؤمنين بأن يستخدموا كل أسباب القوة ومنها الحديد وما يمكن صناعته منه لنصرة الله ورسوله . أي أن النصر يقتضى تجهيز المقاتلين بالسلاح وما يلزم من القوة ، وفى هذا توجيه صريح لاعتماد القتال طريقاً للنصر .

وضرب لنا القرآن الكريم مثلاً فى بنى إسرائيل لنستبين طريق النصر ، فذكر فى سورة المائدة قصتهم مع موسى عليه السلام حيث أمرهم بالقتال ليقتلوا الأرض المقدسة ، فذكر القرآن على لسانه قوله : ( يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على آدابكم فتقلبوا خاطرين . ) ( ١ )

أمرهم موسى عليه السلام بالقتال لدخول الأرض المقدسة ، وأخبرهم بانهم إذا لم يقاتلوا انقلبوا بالهزيمة والخسران . وفى هذا تأكيد على أن القتال طريق النصر والتحرير . وسجل القرآن تخلفهم عن القتال فقال سبحانه : ( قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ) . وقال سبحانه : ( قالوا يا موسى انالنا ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ) . ( ٢ ) ( ٣ )

لم يستجب بنو إسرائيل لأمر نبيهم بالقتال ، ورضوا بالعودة ، وأرادوا نصرًا رخيصاً بدون ثمن فكانت النتيجة الهزيمة والخسران والمذلة والهوان كما أخبر بذلك سبحانه وتعالى : ( قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلأتأس على القوم الفاسقين . ) ( ٤ )

( ١ ) المائدة ( ٢١ ) .

( ٢ ) المائدة ( ٢٢ ) .

( ٣ ) المائدة ( ٢٤ ) .

( ٤ ) المائدة ( ٢٦ ) .



وهكذا يكون حال كل من اراد نصرا رخيصة ولم يقاتل لتحرير المقدسات فانه لن يرجع الا بالهزيمة والخسران . وما ذكره القرآن عن قصة قوم موسى مثل ضرب لنا لنستفيد منه في تحقيق غايتنا بالنصر .

ولمزيد العظة والعبرة ذكر القرآن قصة بنى اسرائيل في سورة البقرة - بعد وفاة موسى وهارون عليهما السلام : ( الم تر الى الملاء من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله . ) ( ١ )  
وأخبر القرآن عن جماعة من بنى اسرائيل تمثل الصفوة فيهم قاتلوا مع طالوت فكتب الله لهم النصر وهزم اعداءهم .

يقول سبحانه : ( ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين \* فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين . ) ( ٢ )

تخبرنا هاتان الآيتان أن طالوت عليه السلام وجماعته خرجوا لقتال جالوت وجنوده ، وتوجهوا بقلوبهم الى الله يسألونه الثبات والصبر والنصر على عدوهم فكتب الله لهم النصر وجعله على ايديهم لما قاتلوا وتوكلوا على الله ، ولم يجعله على ايدي من سبقهم من بنى اسرائيل لانهم جبنوا ولم يقاتلوا عدوهم .

من هذه القصة نستخلص العبرة بأن القتال طريق النصر والتحرير ، وهو الطريق الذي ينبغي أن يسلكه المسلمون اليوم لاجراز النصر على عدوهم ولتحرير ارضهم ومقدساتهم ، وما قررته يعتبر حقيقة بارزة صدع بها كتاب الله ومتفق مع سنة الله في التدافع وابتلاء الناس بعضهم ببعض . يقول سبحانه : ( فاذا لقيتم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها . ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض . ) ( ٣ )

( ١ ) البقرة ( ٢٤٦ ) .

( ٢ ) البقرة ( ٢٥٠ ، ٢٥١ ) .

( ٣ ) محمد ( ٤ ) .

فى هذه الآفة الكرفمة يأمر الله سبحانه بقتال المشركفن ساعة اللقاء ، وبعلمهم الاسلوب الامثل للقتال بالسفوف وذلك بضرب الرقاب لان ذلك افسر وابلغ فى قتل العدو ، وىأمرهم بتشدد فى القبضه عليهم لققع من بقى منهم حفا فى الاسر . وبعقب الله سبحانه بعد ذلك بقوله : ( ذلك ولوفشاء الله لانصر منهم ولكن لفللو بعضكم ببعض . ) وفى هذا تعلفل لسبب الامر بالقتال . . . وهو سنة الله الجارية بابتلاء الناس بعضهم ببعض ، والا فبامكانه سبحانه أن فهلكهم بالخسف او الغرق او الرفح او غيرها من المهلكات التى سخرها على الامم السابقة .

وبهذا فان سنة الله فى النصران فقاتل المسلمون لتحقيق النصر فاذا قاتلوا نصرهم الله على اعدائهم . ولفس لهم أن فقعدوا عن القتال وفسسلموا للعدو ثم فدعوا بالنصر ، فانهم بذلك فخالفون سنة الله فى النصر . وقد كان الله سبحانه فهلك الامم السابقة باحدى المهلكات الكونففة التى فسخرها عليهم دون أن يأمر انبفائه واتباعهم بالقتال وهو نوع من النصر ، ولكن بعد أن شرع الله الجهاد فانه اصفح طرفقا ففجب اتباعه لتحقيق وعده بالنصر .

فقول ابن كثر رحمة الله : ( ١ ) وقد كان انما فعاقب الامم السالفة المكذبة للانبفائه بالقوارع التى تعم تلك الامم المكذبة كما اهلك قوم نوح بالطوفان ، وعاد الاولى بالدفبور ، وشمود بالصفحة ، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجفل وقوم شعفب بفوم الظلة ، فلما بعث الله تعالى موسى عليه السلام واهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق فى الفم ثم انزل على موسى التوراة شرع ففبها قتال الكفار واستمر الحكم فى بقفة الشرائع بعده على ذلك . وقتل المؤمنف للكافرين اشد اهانة للكافرين ، واشفى لصدور المؤمنف — كما قال :

( ١ ) تفسير القرآن العظفم لابن كثر ( ٢ / ١ - ٢٩ ) .

( ١ )

( قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم . . الآية ) ولهذا كان قتل صفاديد هريش بايدي اعدائهم الذين ينظرون اليهم بأعين ازدرائهم أنكى لهم واشفى لصدور حزب الايمان ، فقتل ابي جهل في معركة القتال وحومة الوغى اشد اهانة له من موته على فراشه بقارعة اوصاعقة او نحو ذلك . . . ) .

ولم يكن الجهاد فيما مضى من الامم قبل موسى عليه السلام ، لان من سبقه من اخوانه من الرسل لم تتوفر لهم القوة العادية المتمثلة في كثرة الرجال اذ لم يوءمن من اممهم الا قلة من الناس كما صرح به القران الكريم في مواضع كثيرة منها قوله تعالى في شأن قوم نوح : ( وما آمن معه الا قليل ) ( ٢ ) . ثم شرع الله تعالى الجهاد لبنى اسرائيل في التوراة لانهم كانوا امة كبيرة وشعبا يتسنى بهم مجاهدة الاعداء .

وليس المراد من هذا ان الله سبحانه لا يوءيد المسلمين بانواع من المهلكات يسخرها على اعدائهم ، وانما المراد أن الله سبحانه شرع الجهاد وسيلة لتحقيق النصر .

فاذا جاهد المسلمون ايدهم الله تعالى بما يريد من المؤيدات كما حدث للمسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ( ٣ )

( ١ ) التوبة ( ١٤ ) .

( ٢ ) هود ( ٤٠ ) .

( ٣ ) المؤيدات التي ايد الله بها رسوله عليه الصلاة والسلام كثيرة جدا وتستحق دراسة خاصة بها ، ولا يمكن تناولها جميعا في هذا البحث . والقرآن حافل بنماذج وصور التأييد الرباني للرسول عليه الصلاة والسلام وللصحابه في كثير من مواطن القتال كما في غزوة الاحزاب حيث ايدهم على عدوهم بالجنود والريح ، واخبر عن ذلك بقوله : ( يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ) ( ٩ ) الاحزاب .

وكما ايدهم سلاح الرعب عند غزوهم ليهود بنى النضير ، واخبر عن ذلك في قوله سبحانه وتعالى : ( هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار ) الحشر ( ٢ ) والا مثله كثيرة جدا في الكتاب والسنة .

### المذلة والهزيمة عاقبة ترك الجهاد :-

بعد أن أبان القرآن طريق النصر حذر من عدم اتباعه لئلا تكون الذلة والهزيمة، وإذا كان الجهاد طريق النصر فلا شك أن التخلّف <sup>عنه</sup> يودى إلى الهزيمة. يقول سبحانه : ( الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير . ) (١)

توعد الله سبحانه تاركى الجهاد بالعذاب الشديد ، وباستبدال قوم آخرين بهم يجاهدون فى سبيل الله . قال ابوبكر بن العربى فى نوع عذابهم : ( قال ابن عباس : هو حبس المطر عنهم فان صح ذلك فهو اعلم من اين قاله ، والا فالعذاب الاليم هو الذى فى الدنيا باستيلاء العدو على من لم يستول عليه وبالنار فى الآخرة . ) (٢)

وعلق الاستاذ سيد قطب رحمه الله على الآية بقوله : ( والعذاب الذى يتهددهم ليس عذاب الآخرة وحده ، فهو كذلك عذاب الدنيا عذاب الذل التى تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح ، والغلبة عليهم للاعداء ، والحرمان من الخيرات واستغلالها للمعادن ، وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والاموال اضعاف ما يخسرون فى الكفاح والجهاد ، ويقدمون على مذبح الذل اضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها السفداء . وما من أمة تركت الجهاد الا ضرب الله عليها الذل فدفعت مرغمة صاغرة لاعدائها اضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الاعداء . ) (٣)

(١) التوبة (٣٩) .

(٢) احكام القرآن لابن بكر بن العربى (٢/٩٥٠) .

(٣) فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب (٣/١٦٥٥) .

ولاشك ان ترك الجهاد يؤدى الى انتصار العدو وهزيمة المسلمين التاركين للجهاد ، فيحصل للعدو والاستيلاء على الارض ، واستحلال المال والنفس والعرض ، ويعيث في الارض فسادا ، ويهدر كرامة المسلمين ، وذلك كله لتركهم الجهاد .

لذا فقد حذر القرآن الكريم من الركون الى الدنيا والقعود عن الجهاد كما فى قوله تبارك وتعالى : ( وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين . )<sup>(١)</sup>

اخرج الترمذى - واللفظ له - وابوداود والحاكم فى سبب نزول الآية عن يزيد بن ابى حبيب عن اسلم ابى عمران التجيبى قال : ( كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم ، فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر ، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد ، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم ، فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقى بيديه الى التهلكة ، فقام ابو أيوب فقال : يا ايها الناس انكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل ، وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه ، فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت ، وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه ، فلو اقمنا فى اموالنا فاصلحنا ماضع منها ، فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا : ( وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ) فكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو . فما زال ابو ايوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بارض الروم . )

(١) البقرة (١٩٥) .

(٢) اخرجه الترمذى فى كتاب التفسير / باب سورة البقرة (٢١٢/٥) . وقال هذا حديث حسن صحيح غريب . قلت اسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

واخرجه ابوداود فى كتاب الجهاد / باب فى قوله تعالى : ( ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ) (٣/١٢ ، ١٣) . واخرجه الحاكم فى المستدرک كتاب

الجهاد / باب حرمت الفار على عين سهرت فى سبيل الله . وصححه (٢/٨٤ ، ٨٥) وصححه الالبانى فى سلسلة الاحاديث الصحيحة

(١/١٨ ، ١٩) .

ذكرت سبب النزول ليتضح المعنى الاساسى الذى تعالجه الآية الكريمة المذكورة .  
 واذا كان كثير من الناس فهم منها ان التضحية والفدائية القاء باليد الى التهلكة  
 فان الصحابة رضوان الله عليهم قد فهموا من الآية المذكورة عكس ما فهم اولئك .  
 وها هو ابو ايوب رضى الله عنه ذكر سبب نزول الآية ليعين ان معنى الالقاء باليد  
 الى التهلكة هو الركون الى الدنيا والقعود عن الجهاد ، وضرب لنا مثلا واقعيا  
 بجهاده واستشهاده فى القسطنطينية . ولا شك أن ترك الجهاد فيه القاء باليد  
 الى التهلكة ، اذ بتركه يقوى العدو ويحتل البلاد ويستحل العباد ، وفـى  
 ذلك تهلـكة واى تهلـكة ؟

- وترك الجهاد يستوجب غضب الله عزوجل ، ونزول العقاب بمن ترك الجهاد .  
 اخرج الامام احمد - واللفظ له - وابوداود عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :  
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( ١ ) اذا يعنى <sup>(٢)</sup> من الناس بالدينار  
 والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، <sup>(٣)</sup> واتبعوا أذناب البقر ، <sup>(٤)</sup> وتركوا الجهاد فى سبيل الله  
 انزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم . ) .  
 حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض الخصال التى توجب نزول  
 البلاء باصحابها ومن تلك الخصال الاشتغال بالدنيا وترك الجهاد .

- 
- ( ١ ) اخرجه الامام احمد فى المسند ( ٢ / ٢٨ ) ، واسناده صحيح ، ورجاله ثقات .  
 واخرجه ابوداود فى البيوع باب فى النهى عن العينة ( ٣ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ) .  
 ( ٢ ) الضن : هو البخل والشح . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٣ / ١٠٤ ) .  
 ( ٣ ) بيع العينة : هو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم الى اجل مسمى ثم  
 يشتريها منه باقل من الثمن الذى باعها به . انظر غريب الحديث لابن الاثير .  
 ( ٣ / ٣٣٣ ، ٣٣٤ ) .  
 ( ٤ ) كناية عن اشتغالهم بالزرع واهمالهم امر الجهاد فى سبيل الله .

واخبر عليه الصلاة والسلام بان البلاء الذى ينزل بهم لا يرجع عنهم الا اذا رجعوا عن ارتكاب هذه الخصال المذمومة .

على ضوء هذا الحديث الشريف وغيره ينبغى أن ننظر الى واقعنا وأن نقوم امتنا الاسلامية ، وينبغى أن نسترشد بذلك فى مسيرتنا الاسلامية من اجل الحفاظ على وجودنا واداء واجبنا لهداية البشرية .

فمن هذا الحديث ندرك أن من اسباب نزول البلاء بالمسلمين تركهم الجهاد ، فهو يرشدنا الى ضرورة الجهاد لدفع ما اصاب المسلمين من بلاء ، وما اكثر ما بالمسلمين اليوم من البلاء ؟ فما احوجنا اليوم الى الجهاد ؟ .

وفى حديث آخر ينطبق على واقع الامة الاسلامية اليوم ارى فيه وصفا صادقا لما اصاب الامة من البلاء وتشخيصا حقيقيا للداء ، وارشادا للدواء الذى ينهض بالامة الى العزة والسيادة .

فقد اخرج الامام احمد - واللفظ له - وابوداود عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( يوشك أن تداعى عليكم الامم من كل افق كما تداعى الاكلة على قصعتها ، قال : قلنا يا رسول الله امن قلة بنا يومئذ ؟ قال : انتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل فى قلوبكم الوهن ، قال : قلنا وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت . ) .

يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة الاسلامية بما يصدق على واقع المسلمين اليوم ، وفى هذا الوصف تصوير لحالة الضعف والهوان التى تصيب المسلمين بحيث يجتمع الاعداء عليهم من كل جانب و يصير المسلمون كالايتام على مائدة اللثام .

( ١ ) اخرجه الامام احمد فى المسند ( ٢٧٨ / ٥ ) واستناده حسن لأجل مرزوق ( ابو عبد الله الحمصى ) فهو صدوق . انظر التقريب ( ٢٣٧ / ٢ ) ، وتاريخ اسماء الثقات لابن شاهين ( ٣٠٨ ) تحقيق عبد المعطى قلعجى . دار الكتب العلمية بيروت ( ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ) . واخرجه ابوداود فى الملاحم باب فى تداعى الامم على الاسلام ( ١١١ / ٤ ) . ورجاله ثقات سوى ( ابو عبد السلام ) صالح بن رستم ، ذكر ابن حجر انه مجهول . انظر التقريب ( ٣٥٩ / ١ ) . والتهديب ( ٣٩٠ / ٤ ) . وقال الذهبي : ( روى عنه ثقتان ، انظر ميزان الاعتدال ( ٢٩٥ / ٢ ) . فخفت الجهالة

وان واقع المسلمين اليوم لا يخرج عن هذا الوصف قيد انمله فلم يعد للمسلمين حساب بين أمم الشرق والغرب، بل ويسعى المسلمون انفسهم لتقليد الغرب او الشرق في فكره وسلوكه ومناهج حياته، وذهب كثير منهم الى اكثر من ذلك وهو يرتضى في حلف من احلاف الشرق او الغرب الدنسة . ولقد بدأ كيدا لاعداء الامة الاسلامية في التاريخ الحديث بانقضاضهم على الخلافة الاسلامية العثمانية واسقاطها، ثم اقتسام العالم الاسلامي - الذي كان واقعا تحت سيادتها - بين الحلفاء في معاهدة سايكس بيكو، ثم استصدار وعد بلفور لزراعة اسرائيل وسط العالم الاسلامي العربي . . . ، واستمر مسلسل الانقضاض على القصة الاسلامية بكافة صورته واشكاله واساليبه العسكرية والسياسية والاقتصادية والغزو الفكري . . . ، والمسلمون يغطون في سبات عميق . حدث هذا واكثر منه رغم كثرة المسلمين العددية، ورغم كثرة مايملكونه من الثروات الزراعية والحيوانية والمائية والمعدنية والبتروال والارض الخصبة . الخ.

وفي هذا تصديق لما اخبر به عليه الصلاة والسلام من قوله ( انتم يومئذ كثير ) فالعبرة ليست بالكثرة . وقد شخص لنا المصطفى عليه الصلاة والسلام الداء الذي جلب البلاء للمسلمين ( الوهن ) ثم بينه بيانا صريحا بقوله ( حب الدنيا وكر اهية الموت ) وفي رواية اخرى قال ( حبكم الدنيا وكر اهيتكم القتال ) اذ افا المرض الذي يشكو منه المسلمون والذي سبب كل ما اصابهم هو حبههم الدنيا وكر اهيتهم القتال، وهذا المرض خطير، فاذا تفاقمت الامة الى الارض ورضيت بالدنيا وزينت بها وانغمست في متاعها، واذا جبت الامة وتخلت عن الجهاد والاستشهاد فانها وبلا شك تهون على الله وتهون بين الامم فتكون متاعا لتلك الامم . اما وقد وقفنا على الداء فقد عرفنا الداء، الا وهو الزهد في الدنيا واتباع سبيل الجهاد . بذلك نتخلص من الداء، ومما اصابنا من البلاء، ويكتب الله لنا النصر على الاعداء .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ( كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ) .  
( ١ )



فسر القرطبي قوله تعالى ( وعسى ان تكرهوا<sup>شيئا</sup> وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ) فقال : ( والمعنى عسى ان تكرهوا ما فى الجهاد من المشقة وهو خير لكم فى انكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون ، ومن مات مات شهيدا ، وعسى ان تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم فى انكم تغلبون وتذلون ويذهب امركم . وهذا صحيح لا غبار عليه كما اتفق فى بلاد الاندلس ، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال واكثروا من الفرار فاستولى العدو على البلاد ، واى بلاد ؟  
 واسر وقتل وسبى واسترق فان الله وانا اليه راجعون ، ذلك بما قدمت ايدينا  
 ( ١ )  
 وكسبته . )

فها هو كتاب ربنا يرشدنا الى ما فيه خيرنا وصلاحنا وانتصاراتنا وهاهى تجربة المسلمين فى الاندلس ماثلة امامنا، فهلا اتعظنا من كتاب ربنا ومن تجارب اخواننا فرفعنا لواء الجهاد عاليا خفاقا واعددنا كتائب المجاهدين لاعدائنا ، اذا سيكون النصر لنا باذن الله كما وعدنا . . . . .

( ١ ) القرطبي احكام القرآن ( ٣ / ٣٩ ) . .

# الفصل الثاني

## النصر والهزيمة في الكتاب والسنة

وقيه تمهيد، وستة مباحث :

الأول : مفهوم النصر والهزيمة في الإسلام .

الثاني : غاية النصر في الكتاب والسنة .

الثالث : وجوه النصر الوياني للمؤمنين .

الرابع : وعد الله للمؤمنين بالنصر، ووعيده للشركين  
بالهزيمة .

الخامس : الحكمة فيما يقع للمسلمين من الهزيمة بسبب  
تقصيرهم .

السادس : ستة الله في النصر والهزيمة .

### تمهيد

لقد فصلت فيما سبق الجهاد لانه هو الطريق لنصرة هذا الدين ، وبه يحصل التمكين للمسلمين .

ولكن ماهو النصر الذى نريد ؟ وما الغاية منه ؟ هل هو انتصار الزعيم

والحزب والعشيرة ؟ ام انتصار الفكر والمبدأ والعقيدة ؟

وماهى وجوه النصر الرباني للمؤمنين ؟ وهل النصر والهزيمة يحدثان

بالمصادفة والفضوى ام انها يحدثان وفق سنة ربانية لا تتحول او تتبدل الا بأمره ؟

ومعرفة هذه السنة امر ضرورى لانارة جنبات الطريق ، ولمعرفة ما يقتضيه من اسباب

لازمة للوصول الى نهايته يتوفيق وسداد .

واذا كانت الهزيمة اليوم تخيم بظلالها على الامة الاسلامية ، فان هذا

لم يحدث الا لأسباب جنتها الامة ، فلا خلاص لنا من الهزيمة الا بالخلاص من

اسبابها ، ولا سبيل لنا الى النصر الا بأخذ اسبابه التى فى استطاعة المسلمين .

ولكن على يقين من نصر الله ، لانه سبحانه وتعالى وعد هذه الامة فى كتابه العزيز

وعدا قاطعا بالنصر والتمكين فقال سبحانه : ( وعد الله الذين آمنوا منكم

وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن

لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون

بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاويلئك هم الفاسقون ) ( ١ )

وقال سبحانه وتعالى : ( انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم

يقوم الاشهاد ) ( ٢ )

( ١ ) النور ( ٥٥ ) .

( ٢ ) غافر ( ٥١ ) .

## المبحث الأول

### مفهوم النصر والهزيمة في الاسلام

النصر في اللغة : إعانة المظلوم . والنصرة : حسن المعونة . والإنتصار : الإلتقام . قال الأزهري : يكون الانتصار من الظالم الانتصاف والانتقام ، وانتصر منه : انتقم . قال الله تعالى مخبراً عن نوح ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، ودعائه إياه بأن ينصره على قومه : ( فدعاره أنى مغلوب فانتصر \* ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ) ( ١ )

كانه قال لربه : انتقم منهم كما قال : ( رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ) . ( ٢ )

وفي التنزيل : ( ولمن انتصر بعد ظلمه ) وقوله عز وجل : ( والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ) . والاستنصار : استمداد النصر . واستنصره على عدوه أى سأله أن ينصره عليه . والتنصر : معالجة النصر . والتناصر : التعاون على النصر .

من هذا يعلم أن الانتصار هو الانتقام ويكون ذلك في المعركة بالانتقام من العدو ، وذلك بالظهور عليه وكسر شوكته والحاق الهزيمة به . كما أن لفظ ( النصر ) يكون بهذا المعنى لأن النصر وهو الإعانة ، لازمه الانتصار ، لأن من يعين أحداً إنما يعينه لينتصر ، كما أن من يستعين بأحد إنما يستعين به لينتصر على عدوه ، ولهذا فإن النصر يكون بمعنى الانتصار وهو الانتقام من العدو وذلك بالظهور والتغلب عليه . والغلب والغلبة من ( غلب ) ، وقولك تغلب على بلد كذا معناه استولى عليه . ( ٦ )

قهرًا . والهزيمة من تهزم الشيء إذا يبس وتكسر فأخرج صوتاً ، تهزمت القرية أى يبست وتكسرت فصوتت ، والهزوم الكسور في القرية وغيرها .

( ١ ) القمر ( ١٠ ، ١١ ) .

( ٢ ) نوح ( ٢٦ ) .

( ٣ ) الشورى ( ٤١ ) .

( ٤ ) الشورى ( ٣٩ ) .

( ٥ ) انظر لسان العرب لابن منظور ( ٥ / ٢١٠ ) دار صادر بيروت .

( ٦ ) انظر المصدر السابق ( ١ / ٦٥٢ ) .

والهزيمة فى القتال : الكسر والقْل . هزمه يهزمه هزماً فانهمزم ، وهزم القوم فى الحرب .  
والاسم الهزيمة والهزيمى . وهزمت الجيش هزماً وهزيمةً فانهمزموا .

قال الأصمعى : الاهتزام من شيئين ، يقال للقربة إذا بيست وتكسرت : تهزمت  
( ١ )  
ومنه الهزيمة فى القتال ، انما هو كسر . والاهتزام من الصوت ، يقال : سمعت هزيم الرعد .  
من هذا يتبين أن هزيمة العدو ومعناها كسر شوكته وتحطيم قوته ، وهذا لا يكون  
الا بالتغلب عليه فى المعركة .

وبهذا فان الهزيمة تقابل النصر ، وهما متلازمان فى عملية واحدة تحدث بين  
طرفين كل منهما فى مواجهة الآخر ، فاذا تحقق النصر لأحدهما بالغلبة والظهور تحققت  
الهزيمة للآخر فيكون مغلوباً ومهزوماً .

ويتوقف نوع النصر والهزيمة على نوع المواجهة القائمة بين الطرفين ، وتكون عادة  
معنوية أو مادية أو كليهما . وفى الحروب خاصة يحرص كل من الخصمين على استخدام  
كافة الوسائل المعنوية والمادية المتوفرة لديه من أجل تحطيم طاقات خصمه  
المادية والمعنوية التى يمتلكها . فالنصر فى الحرب يحصل بالانتقام من العدو ، وذلك  
بالاستيلاء عليه ، وتحطيم قواته وطاقاته المادية والمعنوية ، وفى المقابل يكون هذا الطرف  
مهزوماً فى المعركة .

والهزيمة فى الجانب المعنوى أخطر بكثير منها فى الجانب المادى ، لأن الهزيمة  
فى الجانب المعنوى تؤدى غالباً إلى الاستسلام ، فى حين أن الجيش يصمد لمدة  
طويلة فى المعركة ولو لم تتوفر لديه أسلحة متطورة إذا كان يملك معنويات عالية . ولذلك  
فإن الجيوش الحديثة تهتم بالجانب المعنوى كثيراً فى المعركة ، وتقيم وحدات للتعبئة  
والتوجيه والمعنوى ، وأجهزة متخصصة فى الحرب النفسية والاعلامية .

( ١ ) انظر لسان العرب لابن منظور ( ١٢ / ٦١٠ ) .

وصراع العقائد والأفكار بين الأمم والشعوب هو من قبيل المواجهة المعنوية والتي يتمخض عنها انتصار هذه العقيدة على تلك ، وذلك بأن تظهر قوة حججها وسلامة دلائلها وبراهينها على غيرها ، وابطال حجج وأدلة العقيدة المخالفة وإثبات فسادها .

والنصر في الاسلام يعنى انتصار العقيدة الاسلامية على ما سواها من العقائد الأرضية بالحجة والبرهان ، كما انه انتصار من أجل إفساح الطريق أمام هذه العقيدة بالقوة والسلطان ، وهو انتصار لإقامة الحق وتحقيق العدالة .

ولا يعنى النصر في الاسلام بحال من الأحوال أن يتمكن المسلمون من العدو بالتبثيل والأسر والتخريب . . . ، أو أن يحصل لهم فرض عقيدتهم على عدوهم بالسيوف والحرب . كلا فإن هذه ليست هى من بواعث الجهاد ولا من غايات النصر فى الإسلام . وأما لجوء المسلمين إلى قتال عدوهم وتحطيم قواته فليس هذا باعثاً فى ذاته وإنما هو وسيلة يلجأ إليها المسلمون إما لدفع العدو وان عنهم بعد<sup>أن</sup> لا ينفع الدفع الا به ، أو لدفع من يقف فى طريق الدعوة ليمنعها من الانتشار بالقوة ، إذ لا تنفع معه حينئذ إلا القوة كما بينت فى فصل بواعث الجهاد .

وبذلك فإن لجوء الاسلام إلى القتال إنما هو لجوء المضطر ويقدر الضرورة ،

إذ حرّم الاسلام قتل وايداء المدنيين من الأطفال والنساء والشيوخ إذا لم يشاركوا فى القتال ، ومنع التمثيل بالقتلى أو الحرق بالنار ، ومنع التخريب بأرض العدو وكقطع الشجر أو هدم العمران إلا لحاجة يقتضيها كسر شوكة العدو ، وحرّم على المسلمين الغلول والنهب ، ولم يبيح قتالهم الا بعد عرض الدعوة عليهم وتخييرهم بين الاسلام أو الجزية .  
( ١ )

( ١ ) انظر موضوع المباغثة ص ( ٤٥٠ - ٤٥٥ ) .

## المبحث الثاني

### غاية النصر في الكتاب والسنة .

ليست غاية النصر في الإسلام احتلال الأوطان ، واذلال الشعوب واستعمارها وقهرها كما هو الحال عند الشرق والغرب من أهل الكفر والضلال .  
وليست الغاية كذلك استرداد الأوطان ليحكم فيها من يحكم بغير منهج الإسلام كما يريد دعاة التحرير ، وليس النصر كذلك انتصاراً لقوم أو عشيرة أو عصبية أو أرض . وإنما غاية النصر في الإسلام هي إعلاء كلمة الله في الأرض ، والانتصار له سبحانه بإقامة منهجه والحكم بشريعته .

يقول الله عزوجل : ( ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز \* الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ) .  
ويقول سبحانه وتعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ) .  
في هذه الآيات يرشد الحق تبارك وتعالى الجماعة المؤمنة إلى ثلاث قضايا أساسية في النصر :

الأولى : الغاية من جهاد الجماعة المؤمنة : هي نصره الله عزوجل ، أخذاً من قوله تعالى : ( إن تنصروا الله ينصركم ) ، وقوله تعالى : ( ولينصرن الله من ينصره ) حيث أضيف النصر إلى الله تعالى مما يعنى ضرورة القصد من الجهاد نصر الله عزوجل .

( ١ ) الحج ( ٤٠ ، ٤١ ) .

( ٢ ) محمد ( ٧ ) .

الثانية: الغاية من النصر والتمكين للمؤمنين : هي إقامة منهج الله في الأرض وإعلاء كلمته ، يدل على هذا قوله تعالى : ( الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ) فقد جعل الله سبحانه الغاية من تمكين المؤمنين هي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ( وأشار بهذه الاصول إلى مآزرها ، فالصلاة رأس العبادة البدنية التي تزكى النفس وتحسن علاقة المخلوق بالخالق ، والانسان بأخيه الانسان ، والزكاة رأس العبادات المالية التي تقيم المجتمع على أساس من التعاون والتكافل . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس كل خير ديني وأدنيوي ، وهما دعامة كل إصلاح ، ودرء كل شر وفساد في الأرض ) .

مما يعنى أن الغاية من التمكين للمؤمنين في الأرض هي إقامة منهج الله في الأرض ، سواء في الشعائر التعبدية أو الشرائع القانونية فضلا عن الأصول الإيمانية . وبالتحليل النهائي تكون الغاية هي تحقيق العبودية لله في الأرض ، وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى : ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ) .

- ( ١ ) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة .هـ / محمد ابو شهبه ص ٥٩ - مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة - الطبعة الثانية .
- ( ٢ ) لا يعنى هذا اكراه من لا يدين بالاسلام على أن يدين به ، بل يكتفى منه ببذل الجزية إذا لم يسلم . إيذانا بخضوعه لسلطان المسلمين كما دلت على ذلك النصوص الأخرى كما بينت في فصل بواعث الجهاد . وأما المقصود من إقامة منهج الله وإعلاء كلمته في الأرض هو : أولاً : أن يقيم المسلمون أنفسهم شريعة الله بينهم ليحصل لهم بذلك نصر الله . ثانياً : أن يقاتلوا عدوهم من أجل هذه الغاية ، وليس من أجل غاية دنيوية ترضى أهواءهم ونزواتهم كأن يقاتلوا لإعلاء ملكهم وسلطانهم البشرى ، فهذا خلاف ما أمروا به من القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض . وثالثاً : أن يطبق المسلمون أحكام دين الله في البلاد التي يفتحونها سواء بتطبيق أحكام الذمة على من يدخل من أهلها في ذمة المسلمين ، أو بتطبيق الأحكام الخاصة بالمسلمين على من يدخلون الاسلام من أهلها ، وبهذا تعلو كلمة الله على الناس جميعاً .
- ( ٣ ) سورة النور ( ٥٥ ) .



ثالثاً : تحقق الجماعة المسلمة بالأمرين السابقين شرط لتحقيق وعد الله بالنصر لهذه الجماعة. وهذا مأخوذ من الشرط الصريح في قوله تعالى: ( ان تنصروا الله ينصركم ) حيث رتب جواب الشرط ( ينصركم ) على فعل الشرط ( تنصروا الله ) . ومأخوذ أيضاً من قوله تعالى: ( ولينصرن الله من ينصره ) حيث رتب الحق تبارك وتعالى تحقيق وعده بنصر المؤمن على نصرته له سبحانه . و من ثم لا يكون نصر للمؤمنين ما لم ينصروا الله بإقامة منهجه في الأرض والحكم بشريعته .  
ولأهمية هذه القضية اليوم فسوف أقف قليلاً لإبراز أثر تحكيم شريعة الله في الحصول على نصر الله .

إنَّ تاريخ المسلمين الطويل يدلنا على أن انتصار المسلمين مرهون بتحكيمهم شريعة الله ، اذ انهم لما كانوا يحكمون بشريعة الله كانت لهم السيادة والعزة والنصر ، ومكَّن الله لهم حتى سادوا وقادوا البشرية الى طريق الهداية . ولما عزفوا عن دين الله وهجروا شريعته ولم يحتكموا لشرعه في كثير من مناهج حياتهم ، تركهم الله ووكلمهم الى أنفسهم ، فأصابتهم الهزيمة والمذلة والمهانة ، حتى استذلهم أجبن وأخسأ شعوب الأرض .

وليس بالامكان هنا استيعاب هذه القضية من كل جوانبها ، والاستشهاد عليها من خلال حلقات التاريخ الاسلامي كله ، ولكن يكفي أن أدلل على ذلك ببعض شواهد التاريخ من عهد السلف رضوان الله عليهم ، وأذكر هنا بمقارنة هذه المشاهد بحقيقة واقع المسلمين المعاصر لندرك الجوهر في عملية تقدم المد الاسلامي وانحساره ، والسبب المؤثر الذي يشير الى منحنى الصعود أو الهبوط في الأمة الاسلامية ، والذي يعبر عن مرحلتى القوة والضعف التي ينشأ عنها النصر أو الهزيمة .

لقد نبه الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين إلى الاحتكام لشرع الله ، وحذر من مخالفة شريعته ، وبيّن أن عاقبة المخالفة وعدم الاحتكام لشرعه سبحانه هو الهلاك والاختلاف والابتلاء .

( ١ )

أخرج الحاكم بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :  
 ( يامعشر المهاجرين خمس إن ابتليتم بهن ونزلن فيكم أعوذ بالله أن تدركوهن ، لم  
 تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعملوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم  
 تكن مضت في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة  
 وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم  
 يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدوهم من غيرهم وأخذوا بعض  
 ما كان في أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا ألقى الله بأسهم بينهم.. الحديث ) .  
 وإذا كانت هذه هي عاقبة عدم تحكيم شرع الله فهي أشد من الهزيمة ، بل ما يكون  
 من هزيمة وفشل وتفرق بين المسلمين أمام عدوهم إنما هو بعض منها .

ووعد الله بالنصر لمن ينصره فيه وعيد بالهزيمة لمن لم ينصره ويحكم بشريعته ، فكما أن من  
 يحكم بشرع الله يثاب على الحكم به بالنصر في الدنيا فضلا عن ثواب الآخرة فإن من لم  
 يحكم بشرع الله يعاقب على عدم الحكم به بحجز النصر عنه ومنعه منه أو بالحاق الهزيمة  
 به عقوبة له في الدنيا فضلا عن عقوبة الآخرة .

ولقد أبصر الفاروق رضى الله عنه هذا المعنى ، وأرشد إلى هذه العبرة لكي نطلب

العزة بالاسلام .

---

( ١ ) أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب الفتن والملاحم ( ٤ / ٥٤٠ ) ، وصححه  
 قلت : اسناده حسن لأجل ( أبو معبد حفص بن غيلان ) اختلف في توثيقه . وهو  
 صدوق . انظر التقريب ( ١ / ١٨٩ ) ، وتهذيب التهذيب ( ٢ / ٤١٨ ) وميزان  
 الاعتدال ( ١ / ٥٦٨ ) . وأخرجه ابن ماجة من طريق آخر عن ابن عمر في كتاب  
 الفتن باب العقوبات ( ٢ / ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ) واسناده ضعيف لأجل ضعف  
 خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك . انظر التقريب ( ١ / ٢٢٠ )  
 وتهذيب التهذيب ( ٣ / ١٢٧ ، ١٢٨ ) .

( ١ )

أخرج الحاكم بسنده عن طارق بن شهاب قال : ( خرج عمر بن الخطاب الى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقه له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه ، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة ، فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ، أنت تفعل هذا ، تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ، ما يسرنى أن أهل البلد استشفروك ، فقال عمر : أوه ، لويقول ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالاسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله ) .

إن قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هذه تعدد القاعدة الثابتة التي تبين وجهة النصر من الهزيمة ، والتي تفسر حال المسلمين - على مر التاريخ - وسبب ما أصابهم ويصيبهم من نصر وهزيمة ، وهي قنديل أمل للمسلمين اليوم وكل يوم في احراز النصر ، وذلك من خلال عودتهم للحكم بشريعة الله .

---

( ١ ) أخرجه الحاكم في المستدرک : كتاب الايمان ( ١ / ٦١ ، ٦٢ ) ، وصححه . قلت : اسناده

صحيح ، ورجاله ثقات .

### المبحث الثالث

=====

#### وجوه النصر الرباني للمؤمنين

تمهيد :

يتصور بعض الناس أن للنصر صورة واحدة وهى الصورة المألوفة للنصر العسكرى ، ويقودهم هذا التصور للتساؤل عن هذه الصورة من النصر فقط ، ويغيب عن بالهم صور اخرى للنصر لا تقل أهمية عن النصر العسكرى .

ان النصر فى المنظور الاسلامى هو الغلبة والظهور للدعوة الاسلامية لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

و كل اعلاء لكلمة الله هو نصر لسدين الله ، وكل احطاط من كلمة الكفر هو هزيمة للكفر وأهله ، سواء تحقق ذلك بالصراع الفكرى والعقدى بالحجة والبرهان ، أو بإفشال مخططات العدو وكيدهم للنيل من الاسلام واهله ، او بانزال العقوبات الربانية لاهلاك طائفة من اهل الكفر ، او بالمواجهة العسكرية بين معسكر الايمان ومعسكر الكفر ، فينتصر معسكر الايمان على معسكر الكفر ويستحلون ارضهم وديارهم ، ويقتلون ويأسرون ماشاء الله منهم .

كل هذه وجوه وصور حقيقية للنصر لان فيها اعلاء لكلمة الله وابطالا لكلمة الكفر ، واعزازا للحق واهله ، وازالا للباطل واهله .

يقول الاستاذ سيد قطب : ( والناس كذلك يقصرون معنى النصر على صورة معينة معهودة لهم قريبة الروئية لأعينهم . . . ولكن صور النصر شتى . . . وقد يتلبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة . ابراهيم عليه السلام وهو يلقي فى النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة لها . . . أكان فى موقف نصر أم فى موقف هزيمة ؟ ما من شك فى منطق العقيدة انه كان فى قمة النصر وهو يلقي فى النار ، كما انه انتصر مرة اخرى وهو ينجو من النار . . . وكم من شهيد ما كان يملك ان ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش الف عام كما نصرها باستشهاده . . .

وما كان يملك ان يودع القلوب من المعانى الكبيرة ويحفز الالوف الى الاعمال الكبيرة ، بخطبته مثل خطبته الاخير التى يكتبها بدمه فتبقى حافزا محركا للابناء والاحفاد ، وربما

( ١ )

كانت حافزا محركا لخطى التاريخ كله مدى أجيال . . . . .

وصور النصر كثيرة ولا يمكن حصرها ، لان قوة الله سبحانه وتعالى وصور امدؤده

وتأييده للمؤمنين لاتعد ولا تحصى ، يقول سبحانه وتعالى : ( وما يعلم جنود ربك الا

هو ) ( ٢ ) ، ويقول سبحانه ( ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيمًا ) ( ٣ )

وكل صورة من صور النصر الرباني تتناسب مع طبيعة المعركة التى يخوضها أهل الايمان

مع اهل الكفر ، فاذا كان الصراع فى معترك الفكر فان النصر يكون باقامة الحجـة

على فساد عقيدة اهل الكفر مع اثبات سلامة عقيدة اهل الايمان والتوحيد . واذا كان

الصراع فى ساحة القتال فان النصر يكون بتحطيم قوات العدو . . . ، وهكذا كل معركة

تقتضى نوع نصر خاص يناسب طبيعتها . وهذا النصر او ذاك يعنى اعزاز كلمة الله فى الارض

واعزاز من يجاهد فى سبيلها ، كما أن كل هزيمة للكفار أيًا كانت طبيعة المعركة

فانها هزيمة لكلمة الكفر وازلال لأهلها .

وسأحاول هنا ايراز بعض <sup>وجه</sup> النصر الرباني للمؤمنين فى معاركهم ضد اهل الكفر ،

مستندا ذلك من الكتاب والسنة . ولن اطيل فى ذكر نماذج لكل وجه من وجوه النصر ،

وسأكتفى بما فيه بيان المراد من هذا النوع من النصر ، مع العلم بأن الأمثلة كثيرة جدا

فى كتاب الله وهى تمتد امتداد تاريخ الرسالات السماوية .

### الوجه الاول : النصر الفكرى بقوة الحجـة والبرهان :

تاريخ الصراع الفكرى والعقدى بين الايمان والكفر تاريخ طويل يمتد بجذوره امتداد

تاريخ الانسانية منذ آدم عليه السلام . وحلقات هذا التاريخ تبرز بوضوح فى دعوة

الرسل عليهم الصلاة والسلام أقوامهم للايمان والدخول فى عبادة الله ، واجتناب

الطاغوت ، وهذه الحلقات مرتبطة بسلسلة واحدة الى يوم القيامة .

( ١ ) أحمد فائز / طريق الدعوة فى ظلال القرآن ١ / ٣٥٧ .

( ٢ ) المدثر ( ٣١ ) .

( ٣ ) الفتح ٧ .

وسعى الرسل عليهم الصلاة والسلام لهداية اقوامهم الى دين الله بكل ما يمكن  
من وسائل الحجة والبرهان ، ودخلوا معهم فى جدل فكرى لرحض حججهم ، وبيان  
سفه عقائدهم ، ولاقناعهم بعقيدة الايمان والتوحيد .

ومن البدهي القول بأن عقيدة الكفر لا تقوى على الوقوف امام عقيدة الايمان  
والتوحيد فى أى مواجهة فكرية بينهما ، لأن عقيدة الكفر تخالف العقل والمنطق والفطرة  
والحس والمشاهدة .

فاذا كانت مواجهة فكرية بينهما فلاشك فى أن عقيدة الايمان والتوحيد هى التى  
ستعلو وتظهر ويكون لها النصر المؤزر ، وأما عقيدة الكفر فليس لها الا أن تختفى مهزومة  
من قوة حجة عقيدة الايمان والتوحيد .

وما من شك فى ان ظهور كلمة الله فى الارض وعلو منهجه سبحانه على مناهج  
الارض نصر عظيم لكلمة الله ولمنهجه ولعباده المؤمنين ، وفتح عظيم يفتح الله به  
عليهم اهل الارض للدخول فى هذا الدين راغبين .

وسجل الله سبحانه فى كتابه العزيز نماذج لهذا النصر ، اذكر منها انتصار  
ابراهيم عليه السلام على قومه باثبات فساد عقيدتهم ، وابطال حججهم الواهية ،  
واقامة الحجج والبراهين على سلامة عقيدة الايمان والتوحيد .

يقول الله تبارك وتعالى : ( واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة  
انى اراك وقومك فى ضلال مبين \* وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون  
من الموقنين \* فلما جنّ عليه الليل رءا كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال لأحب الآفلين \*  
فلما رءا القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى لأكونن من القوم الضالين \*  
فلما رءا الشمس بازعة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون \*  
انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين \* وحاجه قومه  
قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ماتشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل  
شئ علما افلا تتذكرون \* وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به  
عليكم سلطانا فأى الفريقين احق بالأمن ان كنتم تعلمون \* الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم

بظلم اولئك لهم الأمان وهم مهتدون \* وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع  
درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) (١)

فى الآيات الاولى حاج ابراهيم عليه السلام أباه ولم تأخذه فى الله لومة لائم،  
ونعى عليه وعلى قومه عبادة غير الله سبحانه بأسلوب استفهامى انكارى ( أتتخذ أصناما  
آلهة) ثم أكد على ضلال أبيه وقومه ( انى اراك وقومك فى ضلال مبين )  
اى فى ضلال ظاهر لا يرتاب فيه ذوعقل . ثم تلا ذلك جملة اعتراضية من الله سبحانه  
لتبيين عنايته بابراهيم عليه السلام واطلاعه على غيب ملكوت السموات والارض مما لا يتسنى  
لغيره أن يقف عليه الا بعناية الهية (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون  
من الموقنين ) .

أى وكما كشف الله سبحانه لابراهيم عليه السلام قبح الشرك كشف له ايضا ملكوت السموات  
والارض واطلعه على ما فيها من اسرار، وقيل المراد بملكوتها: الربوبية والالهية ، أى نريه  
ذلك ونوفقه لمعرفته بطريق الاستدلال التى سلكها ، وعلل الله سبحانه ذلك الكشف له  
ليكون من الموقنين عياناً كما يقن بياناً . ( فلما جنّ عليه الليل ) أى ستره بظلمته ،  
والضمير عائد على ابراهيم عليه السلام ، وهو استئناف لبيان ما كان من ابراهيم عليه السلام  
فى تدرجه بالاستدلال على الخالق . وقد اختلف المفسرون فى زمن ذلك ، فقال بعضهم:  
انه كان منه زمن طفولته . وقال غيرهم : ان ذلك بعد نبوته لتقرير الحجة على قومه  
بإظهار موافقتهم ، او افتراض صحة اقوالهم ابتداءً ثم عرضها على النظر والاستدلال لبيان  
خطئها وعدم موافقتها للنظر السليم . ونقض الطبرى الرأى الأول فقال: (وتلك حال لا يكون منيراً كفى)<sup>(٢)</sup>  
وتدرج ابراهيم عليه السلام فى محاجة قومه ، فبعد أن بدأ بذكر معبوداتهم  
الارضية اعقب ذلك محاجتهم فى معبوداتهم العلوية ، وبدأ بالكواكب ( فلما جنّ عليه  
الليل رءا كوكبا قال هذا ربي . فلما أفل قال لا احب الاقلين ) وقوله ( هذا ربي ) اما  
باعتبار مضرأى هذا ربي على زعمكم ، أو وانتم تقولون هذا ربي ، أو هو للاستهزاء بهم

(١) الانعام (٧٤ - ٨٣) .

(٢) انظر ابن السعود (١٥٣/٣) ، فتح القدير للشوكانى (١٣٣/٢) .

(٣) جامع البيان (٢٥٠/٥) .

والانكار عليهم على معنى : أهذا ربى ، والعرب تكفى عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت .  
قال النسفى : ( والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكى  
قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه ادعى للحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد  
حكايته فيبطله بالحجة )<sup>(١)</sup> . واستدل ابراهيم على خطأ تأليههم لها بالفترة  
السليمة ، والمشاهدة الصريحة التى تدل على النتيجة الصريحة ، فغروب الكوكب عنه هو  
تغييره من حال الى حال وهو دليل الحدث ، أى أنه محدث ومخلوق وليس محدثا وخالقا  
مما يجعله فى النظر السليم بمعزل عن استحقاق الربوبية قطعا .  
ثم تدرج ابراهيم عليه السلام بعد ذلك ( فلما رأى القمر بازغا ) أى مبتدئا فى  
الطلوع ( قال هذا ربى ) على الاسلوب السابق ( فلما أفل ) كما أفل النجم ( قال لئن  
لم يهدنى ربى ) أى الى الحق ( لأكونن من القوم الضالين ) نيه قومسه على أن من اتخذ  
القمر الهاً فهو ضال ، وجعل ذلك التنبيه لهم فى سياق الحديث مع نفسه ليشعروا منه  
بالاخلاص فيما يقول ، ولاظهار تجرده ونزاهته فى البحث ، وهو اقوى فى اقامة الحجة .  
ثم استطرده كذلك فى التنبيه على خطأ اتخاذهم الشمس الها ( فلما رأى الشمس بازغة )  
أى مبتدئة فى الطلوع ( قال هذا ربى ) مجازاة لهم فى اعتقادهم ( هذا اكبر ) تأكيد  
لما رآه عليه السلام من اظهار النصفه ، مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى  
ببيان أن الأكبر أحق بالربوبية من الاصغر ( فلما أفلت ) أى غابت كما غاب الكوكب والقمر  
( قال ) مخاطبا للكل ، صارعا بالحق بين اظهرهم ( يا قوم انى برىء مما تشركون )  
أى من الذى تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حالة الى اخرى المسخرة لمحدثها  
( انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ) أى للذى دلت هذه المحدثات والتى  
منها الكوكب والقمر والشمس بالاستدلال والاستنتاج على أنه منشئها ومحدثها ( حنيفا )  
أى ماثلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائفة كلها ( وما انا من المشركين ) بالله شيئا  
من خلقه .

( ١ ) تفسير النسفى ( ٢ / ٢٠ ) .



ثم حكى القرآن ما كان من قومه في حاجتهم له فيما صدع من امر التوحيد (وحاجته قومه) ثم ينتقل الكلام لابراهيم وهو يرد عليهم حجتهم ( قال اتحاجوني في الله ) ينكر عليهم ابراهيم اجترأهم على حاجته مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم . ( وقد هدان ) حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عليه السلام مهديا من جهة الله تعالى وموئدا من عنده مما يوجب استحالة حاجته عليه السلام ، أى اتجاد لوننى فى شأنه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هدانى الى الحق بعد ما سلكت طريقكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبينا تاما كما شاهدتموه ، وقوله تعالى ( ولا اخاف ماتشركون به ) جواب عما خوفوه به عليه السلام أثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة أصنامهم ( الا أن يشاء ربي شيئا ) استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى لا أخاف ماتشركون به سبحانه من معبوداتكم فى وقت من الاوقات الا فى وقت مشيئته تعالى من اصابة مكروه بى ( وسع ربي كل شيء علما ) فلا يصيب عبدا شي من ضرا ونفع الا بعلمه ( افلا تتذكرون ) فتميزون بين القادر والعاجز ( وكيف أخاف ما شركتم ) من معبودات لا تملك النفع او الضر ( ولا تخافون انكم اشركتم بالله ) الذى بيده النفع والضر والذى بيده ملكوت السموات والارض ( ما لم ينزل به ) باشراكه ( عليكم سلطانا ) حجة ، اذ الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة ، والمعنى وما لكم تنكرون على الأمن فى موضع الأمن ولا تنكرون على انفسكم الأمن فى موضع الخوف ( فأى الفريقين ) أى فريقى الموحدين والمشركين ( احق بالأمن ) من العذاب ( ان كنتم تعلمون ) من احق بذلك .

ومعنى قوله ( الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ) أى بشرك ( اولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) قيل هو جواب ابراهيم عليه السلام على سؤاله ( فأى الفريقين أحق بالأمن ) وقيل هو من كلام الله سبحانه يبين فيه الجواب الحق فى ذلك .

لقد تدرج ابراهيم عليه السلام فى محاجة قومه كما رأيت باسلوب فطرى بعيد عن الغموض والتعقيد ، واعتمد على التفكير والتدبر فيما شاهده لاستنتاج الحقيقة الصريحة الدالة على خطأ ربوبية معبودات قومه ، ولم يحكم على خطأ تلك المعبودات الا بعد أن اخضعها للنظر والاستدلال واعطى المقدمات السليمة التى يستنتج منها هو وكل ذى عقل

وفطرة سليمة الحكم الصحيح فيما ادعوه من ربوبية تلك المعبودات .

كل ذلك يبين قوة حجة ابراهيم عليه السلام ، وقوة دلائله وبراهينه مع بساطتها ،

ويبين مخالفة عقائد القوم للعقل والفطرة والمنطق ، بل ويكشف عن خرافية تلك المعتقدات .

وكشف القرآن على أن الحجة التي رزقها ابراهيم عليه السلام هي من توفيق الله

له ( وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ) ( تلك ) : اشارة الى جميع ما احتج به

ابراهيم عليه السلام على قومه ، وما في اسم الاشارة من البعد لتفخيم شأن المشار اليه والاشعار

بعلو طبيقته وسمو منزلته في الفضل ، واذن نون العظمة في قوله ( حجتنا ) للتعظيم من شأن

الحجة المشار اليها . ومعنى قوله ( نرفع درجات من نشاء ) أي رتبنا عظمة عالية، ومعنى

قوله ( ان ربك حكيم عليم ) أي حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض ، وعليم بحال من يرفعه . ( ١ )

من خلال العرض السابق لمعنى الآيات تبين مدى توفيق الله سبحانه لابراهيم عليه

السلام في اقامة الحجة على قومه بالعقل والفكر والمنطق السليم حتى اثبت خطأ ما يزعمونه

من معبودات ، ودحض ما يثيرونه من شبهات ، وأثبت لهم عقيدة التوحيد . واذا كانت

النتيجة التي صدع بها في وجوههم جميعا هي فساد عقيدتهم، وصلاح ايمانه وعقيدته فان

ذلك يمثل في الحقيقة ظهورا ونصرا له ولعقيدته وهزيمة لهم ولعقيدتهم الضالة .

وكما ذكرت الآيات بان هذه الحجة منحة من الله سبحانه لابراهيم ( وتلك حجتنا آتيناها

ابراهيم على قومه ) وهذه الاشارة تشعر بان هذه الحجة هي نوع نصر لابراهيم على قومه

أمدته بها ارادة تأييد نبيه واظهار دينه .

وقد حكى لنا القرآن الكريم في سورة الانبياء جزءا آخر من صورة النصر الفكري لابراهيم

عليه السلام على قومه من خلال حاجته القوية لهم بحيث اثبت لهم فساد عقيدتهم في عبادة

الاصنام . وكان من نتيجة ذلك شعورهم واحساسهم بالنكسة والهزيمة النفسية والفكرية

امام قوة حجة ابراهيم عليه السلام . يقول سبحانه وتعالى : ( ولقد آتينا ابراهيم رشده

من قبل وكنا به عالمين \* اذ قال لابيهِ وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون \* قالوا

وجدنا آباءنا لها عابدين \* قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين \* قالوا أجبثنا بالحق

أم أنت من اللّاعبين \* قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من

الشّاهدين \* وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين \* فجعلهم جذاذا إلا

( ١ ) رجعت في تفسير الآيات المذكورة الى تفسير النسفي ( ٢ / ١٩ - ٢١ ) وتفسير ابن السعود

كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون \* قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين \* قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ، قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم \* قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون \* فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون \* ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون \* قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم \* أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون \* قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين \* قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم \* وارادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين . ( ١ ) .

بدأت الآيات بتقرير هداية الله سبحانه لابراهيم عليه السلام وتقرير اهليته

لذلك ، ثم عرض القرآن بداية الحوار بين ابراهيم عليه السلام وبين والده وقومه بسؤال منه موجه لهم <sup>لما</sup> هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ( أى ما هذه الاصنام المصورة التي تدينون لها بالعبادة ، ويبدو من هذا التساؤل وعمده عليه السلام تجاهل ما يسأل عنه مع علمه به ، فقد (سألهم عن هذه الاصنام بـ ( ما ) التي يطلب بها بيان الحقيقة اوضح الاسم ، كأنه لا يعرف انها ماذا ، مع احاطته بان حقيقتها حجر أو شجر اتخذوها معبوداً ، وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار ( ٢ ) على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيقها وازلالها وتوبيخا لهم على اجلالها ) . وبسؤاله عليه السلام لآبيه وقومه كذلك اراد ان يردهم لاعادة النظر والتفكير

في حقيقة ما يعبدون من الاصنام ، اهي خالقة حتى تجب لها العبادة ام هي مخلوقة؟ بل اهي تعقل وتدرك حتى تعبد؟ ولا شك ان ابراهيم عليه السلام قد وجه اليهم ضربة قوية - بسؤاله هذا لهم - في صميم ما يعتقدون ويعبدون بحيث افقدتهم بذلك كل حجة منطقية ترد بالاجابة الصحيحة . ولذا فقد كان جوابهم على سؤاله جواب المهزوم الذي لا يجد حجة يجيب بها مباشرة على حقيقة السؤال ، ولم يجدوا شيئاً حقيقياً يبرر عبادتهم الاصنام ، ولما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا الى التقليد ( قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ) وهذا الجواب يمثل غاية الهزيمة والعجز الفكري حيث يدل على انهم لا يعبدون ما يعبدون الا تقليداً لآبائهم دون ان يكلفوا أنفسهم بالنظر والتفكير

( ١ ) الانبياء ٥١ - ٧٠ .

( ٢ ) تفسير ابن السعود ( ٧٢ / ٦ ) . بتصرف يسير جداً .

فى صحة ما جاء عن آباءهم ، وكأنهم عطلوا عقولهم عن التفكير . و اجاب عليه السلام بقوله  
( لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين ) اى ظاهر بين لا يخفى على عاقل .

ثم تعرض الآيات سوء الهم ( قالوا أجبنا بالحق ) اى بالجد ( ام انت من  
اللاعبين ) فتقول ذلك على وجه المزاح والمداعبة ؟ وتأتى الاجابة من ابراهيم عليه

السلام قوية تنفى كل ما يتوهمونه من مزاح ابراهيم ومداعبته لهم فيما قاله لهم ، وصريحة  
فى الافصاح عن حقيقة الربوبية فى خالق السموات والارض وهو الله سبحانه ( قال بل

ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين ) ورجع الضمير  
الى التماثيل اذ دخل فى تضليلهم واظهر فى الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغنى

( ١ )

عن التأمل من كون ما يعبد ونه من جملة المخلوقات .

هذه مرحلة اخرى من اقامة الحجة على فساد عقيدتهم ، واثبات سلامة عقيدة

التوحيد ، وفى كلتا المرحلتين نلمس الحجة القوية ل ابراهيم عليه السلام التى تحسم

النتيجة بالنصر ل ابراهيم والهزيمة لقومه . ويستمر بعد ذلك السياق فى نقل صورة واقعية

من صراع ابراهيم مع قومه ل اقامة الحجة على فساد عقيدتهم ، ولكن هذه المرحلة

بصورة عملية ليزداد وايقيناً بفساد هذه الآلهة ، ولينزع كل <sup>ما</sup>ورثوه عن آباءهم من الخوف

والمهابة من هذه الاصنام ، وليبين لهم حقيقة هذه الاصنام لدرجة انها لا تستطيع

ان تجلب لنفسها النفع او تدفع عن نفسها الضر ، فضلا عن ان تجلب لهم النفع او تدفع

عنهم الضر .

وتبدأ الصورة بالتهديد ( تالله لأكيدن اصنامكم ) ثم ينتقل التهديد الى

تنفيذ ( فجعلهم جذاذا ) أى قطعاً ، ( الا كبيراً لهم ) أى للأصنام ( لعلمهم يرجعون )

الى ابراهيم عليه السلام فيحاججهم ، أو يرجعون الى هذا الكبير فيسألونه عن الكاسر لأن من شأن المعبود أن يرجع اليه في الملمات ، والنتيجة انه لن يجيبهم بشيء ، أو يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم من الاضرار . ولا شك أن ترك كبير الاصنام كان لغاية في نفس ابراهيم عليه السلام حتى يستخدم ذلك في اقامة الحجة على خطأ آليهم لتلك الاصنام ، ولذا لما سأله هل هو الذى حطم الاصنام أجاب ( بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون ) أسند ابراهيم عليه السلام تحطيم الاصنام الى كبيرها ، فكانت هذه الاجابة بمثابة الصدمة التى تردهم الى معرفة حقيقة هذه الاصنام ، اذ ليس من المألوف ولا من المتصور عقلا أن يحمل الصنم الاكبر الفأس ويحطم الاصنام ، ومن ثم يدفعهم هذا الى الرجوع بالاعتقاد بأن هذا الصنم ما هو الا حجر لا يفعل شيئاً فضلاً عن ان يدفع عن نفسه الضرر ، ولزيادة الزامهم الحجة تحداهم بأن تجيبهم الاصنام عن فعل ذلك بآلتهم ، ( فاسئلوهم ان كانوا ينطقون ) ولا شك بأنها عاجزة عن الاجابة عن الفاعل الحقيقى ، واذا كانت هى عاجزة عن اخبارهم بهذا الامر - كما هى عاجزة عن دفع الضرر عن نفسها من قبل - فهى عاجزة عن اخبارهم عما يستفسرون . من احوالهم أو العلم بما يحتاجونه من دفع الضرر عنهم ، ومن ثم فما هى الاحجارة واشجار لا تفعل شيئاً . وبعد هذا شعر قومه بالنكسة والهزيمة الفكرية فرجعوا الى انفسهم خزايا واتهموا انفسهم - فيما بينهم - بانهم هم الظالمون ، ورفعوا عن ابراهيم التهمة بأنه من الظالمين ، ولكن امام ابراهيم استكبروا واصبروا على شركهم من خلال الاستعراض السابق ظهر لنا مدى النصر والغلبة التى احرزها ابراهيم على قومه ، ومدى الهزيمة الفكرية التى لحقت بقومه ، وذلك من خلال اقامة الحجة عليهم باثبات فساد عقيدتهم فى عبادة الاصنام ، واثبات عقيدة الايمان والتوحيد . ولما كانت نتيجة مواجهة الكفار لابراهيم ( عليه السلام ) هى الهزيمة الفكرية فيما يعتقدون ، لجأوا الى البطش والتعذيب من اجل الانتصار لعقيدتهم المهزومة .

( قالوا حرقوه وانصروا آلهمتمكم ان كنتم فاعلين ) ، وكما نصر الله سبحانه نبيه بالحجة والبرهان ، فقد نصره كذلك بانقاذه من النار ، ( قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . . . ) .

هذه صورة للنصر الفكرى تمثلت فى انتصار ابراهيم عليه السلام على قومه بالحجة والبرهان حيث اثبت فساد عقيدتهم وآلهتهم ، واثبت لهم سلامة عقيدة التوحيد . ولم يجدوا هم ما يردون به على ابراهيم عليه السلام أو يثبت صحة دعوى عبادتهم مما أصابهم بالنكسة والهزيمة فى معتقدتهم . والأمثلة على هذا النوع من النصر كثيرة كقصة الغلام والراهب مع الملك والساحر الواردة فى صحيح مسلم <sup>(١)</sup> ، وقد اكتفيت بقصة ابراهيم عليه السلام لكفايتها فى بيان المراد ، اذ الغاية هى التمثيل لهذا النوع من النصر وليس الحصر .

#### الوجه الثانى : النصر بانجاء المؤمنى من كيد الاعداء

هذه صورة أخرى حقيقية للنصر يبطل الله بها كيد الاعداء ، ويفشل خططهم ومؤامراتهم التى تهدف الى النيل من المسلمين ، وينجى الله سبحانه بها عباده المؤمنى مما دبّر لهم من سوء . قاله سبحانه توكل بالدفاع عن المؤمنى ( ان الله يدافع عن الذين آمنوا ) <sup>(٢)</sup> .

وأمثلة هذا النوع من النصر كثيرة فى كتاب الله ، ولا يمكن حصرها هنا ، ولذا فسأكتفى ببعض النماذج للتمثيل وليس للحصر ، لأن مرادى هنا هو بيان هذا الوجه من النصر .

يقول سبحانه وتعالى فى سورة الانبياء : ( ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم . ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ) <sup>(٣)</sup> .

(١) انظر صحيح مسلم: كتاب الزهد/باب قصة اصحاب الاخدود والساحر والراهب والغلام (٢٢٩٩/٤) .  
(٢) الحج (٣٨) .  
(٣) الانبياء (٧٦، ٧٧) .

يحكى لنا القرآن مناجاة نوح لربه ( ونوحا اذ نادى من قبل ) وهى صريحة

فى طلب النصر من الله سبحانه كما صرحت بذلك آية سورة المؤمنون ( قال رب  
انصرنى بما كذبون ) ، وكما فى آية سورة القمر ( فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ) . ( ٢ )  
واستجاب الله سبحانه لدعاء نوح ( فاستجبنا له ) أى دعائه ، وفصل نوح  
النصر الذى أیده به ( فتجيناه وأهله ) أى المؤمنین من ولده وقومه ( من الكرب  
العظيم ) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان ( ونصرناه من القوم الذين كذبوا  
بآياتنا ) أى منعناه من اذاهم .

وذكر القرآن استجابة الله سبحانه لدعاء نوح بالنصر ، والتعبير بقوله  
( ونصرناه ) صريح بأن تنجية الله سبحانه نوحا ومن معه من المؤمنین هو من تمام  
نصر الله لهم ، مما يثبت ان هذا نوع نصر يوفد الله به عباده المؤمنین .  
ومما يؤكد هذا الوجه من النصر ما جاء فى شأن نصره موسى وهارون عليهما  
السلام فى سورة الصافات ( ولقد مننا على موسى وهارون . ونجينا هما وقومهما  
من الكرب العظيم . ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ) . ( ٣ )

ذكرت الآيات ما أنعم الله به على موسى وهارون عليهما السلام من ايتائهما  
النبوة ، وتنجيتهما ومن آمن معهما من بنى اسرائيل من الكرب العظيم ، وهو ملكة  
آل فرعون وتسلطهم عليهم بألوان البطش والتعذيب ثم صرحت بأن هذا من تمام  
نصر الله لهما ( ونصرناهم ) أى موسى وهارون وقومهما على عدوهم ( فكانوا )  
بسبب ذلك ( هم الغالبين ) غلبة لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما فى أسرهم  
وقسرهم مقهورين تحت ايديهم يسومونهم سوء العذاب .

من ذلك يتضح أن تنجية الله للمؤمنين من كيد الاعداء هو نوع نصر يوفد الله  
به عباده المؤمنين . ولأحب أن اطيل فى ذكر الشواهد ، فالآيات كثيرة تلك <sup>التى</sup> تنجيتهم  
نصر الله لكثير من انبيائه بهذا النوع من النصر ، اذكر منها قوله تعالى فى تنجيتهم

( ١ ) المؤمنون ( ٢٦ ) .

( ٢ ) القمر ( ١٠ ) .

( ٣ ) الصافات ( ١١٤ - ١١٦ ) .

لوطا عليه السلام: ( ولوطا آتيناہ حکما وعلما ونجيناہ من القرية التي كانت تعمل  
( ١ )  
الخبائث انہم كانوا قوم سوء فاسقين . )

وقوله تعالى في تنجيته لوطا وابراهيم عليهما السلام: ( قالوا حرقوه  
وانصروا آلہتکم ان کنتم فاعلين \* قلنا يانار کونی بردا وسلاما علی ابراهيم \*  
وارادوا به کيدا فجعلناہم الاخسرین \* ونجيناہ ووطا الى الارض التي بارکنا  
( ٢ )  
فيہا للعالمین ) .

وقوله تعالى في شأن هود عليه السلام: ( فأنجيناہ والذين معه برحمة منا  
( ٣ )  
وقطعنا دابر الذين کذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ) .

---

( ١ ) الانبياء ( ٧٤ ) .

( ٢ ) الانبياء ( ٦٨ - ٧٢ ) .

( ٣ ) الاعراف ( ٧٢ ) .



### الوجه الثالث : نصر المؤمنين بانزال المهلكات الكونية باعدائهم

هذه صورة أخرى للنصر يوئيد الله بها دينه ورسله وعباده المؤمنين ، وينتقم بها من اعدائهم الكافرين ، يسخر فيها الحق تبارك وتعالى القوى الكونية لتهلك الكفار وتنزل بهم الخراب والدمار .

والله بيده الخلق والأمر ، والكون كله مريبوب له سبحانه يجرى فيه حكمه وينفذ فيه أمره ، ( ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا لله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ) ( ١ ) .

والخسف والزلازل والبراكين والفيضانات والرياح والأعاصير كلها من المهلكات التى سخرها الله سبحانه على الكافرين اهلاكا لهم ونصرة لعباده المؤمنين . ولكن لا يتحقق ذلك للمؤمنين الا بعد أن يستنفذوا ما فى وسعهم وطاقاتهم من الجهد والجهاد متوكلين على الله سبحانه ، والا فلا يحدث ذلك للقاعدين أو المنافقين .

وأمثلة هذا النوع من النصر كثيرة فى كتاب الله ، ولا يسعنى فى هذا المقام الا أن أمثل لهذا النصر ببعض الأمثلة .  
نصرهود عليه السلام على قومه :

دعا هود عليه السلام قومه عاداً للايمان فلم يؤمنوا وانكروا البعث والنشور ، واصروا على كفرهم حتى ايس منهم عليه السلام فدعا عليهم : ( قال رب انصرنى بما كذبون \* قال عما قليل ليصبحن ناديين \* فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين ) ( ٢ ) .

( ١ ) الاعراف ( ٥٤ ) .

( ٢ ) المؤمنون ( ٣٩ - ٤١ ) .

ودعاء هود عليه السلام صريح في طلب النصر من الله على قومه الذين كذبوه لينتقم له منهم على تكذيبهم له ( قال رب انصرني بما كذبون ) واستجاب الله لدعائه فأجابه بقوله: ( قال عما قليل ليصبحن ناديين ) طمأن الله نبيه هوداً بأنه عما قليل سيندمون على تكذيبهم له واصرارهم على الكفر، ( فأخذتهم الصيحة ) هذه الاجابة الفعلية من الله لدعاء نبيه بالنصر، حيث أخذ الله قومه بالصيحة لينصره عليهم ، فهذا هو نوع نصر من الله .  
وأخبر الله سبحانه أن هذا الانتقام والهلاك انما هو ( بالحق ) أى بالعدل ، وبين ما وقع بهم من اثر الصيحة حيث أصبحوا ( غثاء ) والغثاء هو ما يحمله السيل من بالى الشجر والحشيش والقصب ونحو ذلك على ظاهر الماء . والمعنى : صيرهم هلكى فيبسوا كما يبس الغثاء . ( ١ )

وذكر الله سبحانه في سورة الحاقة عذابا آخر سخره عليهم وهى الريح الصرصر ( ٢ )  
( ٣ ) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ) والصرصر = شدة الصوت أو شدة البرودة .  
واستمرت الريح تعصف بهم سبع ليال وثمانية أيام ( سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ) ( ٤ ) ومعنى ( حسوما ) أى بتتابع ودون انقطاع . ( ٥ )  
ثم بين الله سبحانه حالهم من شدة ما وقع بهم من الهلاك والدمار فى تلك الأيام فقال: ( فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ) ( ٦ ) ( الأعجاز أى الاصول ( الخاوية ) أى الساقطة أو البالية ، شبه الله سبحانه حالهم بعد وقوع العذاب بهم بأصول النخل الساقطة البالية ، وهو منظر يفصح عن الدمار والهلاك الشديد الذى أصابهم . وعقب الله تبارك وتعالى بما يفيد استئصالهم بالعذاب المتقدم

( ١ ) انظر فتح القدير للشوكانى ( ٤٨٣ / ٣ ) .

( ٢ ) الحاقة ( ٦ ) .

( ٣ ) انظر ابن السعود ( ٢٢ / ٩ ) ، النسفى ( ٢٨٦ / ٤ ) .

( ٤ ) الحاقة ( ٧ ) .

( ٥ ) انظر ابن السعود ( ٢٢ / ٩ ) ، النسفى ( ٢٨٦ / ٤ ) .

( ٦ ) الحاقة ( ٧ ) .

( ٧ ) النسفى ( ٢٨٦ / ٤ ) .

( فهل ترى لهم من باقية )<sup>(١)</sup> استفهام انكارى معناه لن ترى منهم احداً أو باقية .  
نصر لوط على قومه :

ومثل آخر يبين هذا النوع من النصر، وهو نصر الله سبحانه لوطاً على قومه  
 باكفاء الارض عليهم وانزال حجارة مسومة .

وذلك أن لوطاً عليه السلام حذر قومه من فعل الفاحشة، ونهاهم عن فعل  
 المنكر فلم يستجيبوا له، بل نازعوه فى ضيوفه، وتحدوه بأن ينزل عليهم عذاباً .  
 وتوجه لوط عليه السلام الى الله <sup>تعالى</sup> يسأله النصر على قومه لفسادهم وعنادهم  
 فقال: ( رب انصرنى على القوم المفسدين )<sup>(٢)</sup> .

واستجاب الله سبحانه لدعاء نبيه ، فأرسل اليه ملائكة: ( قالوا يا لوط اننا  
 رسل ربك لن يصلوا اليك ، فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك  
 انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقریب )<sup>(٣)</sup> . وطمان الملائكة لوطاً  
 عليه السلام انه لن يصيبه اذى منهم بالخلوص الى ضيوفه كما كانوا يرجون، وامعانا فى  
 طمانينته كشفوا له عن حقيقتهم: ( قالوا يا لوط اننا رسل ربك لن يصلوا اليك ) . وأمروه  
 أن يخرج هو وأهله فى آخر الليل ، وأن لا يلتفت منهم احد بمعنى لا يتخلف أو لا ينظر الى  
 الوراء حين سماعهم وقوع العذاب على قومه المفسدين ، واستثنى من ذلك زوجته لأنه  
 سيصيبها ما يصيب قومه من العذاب لاشتراكها معهم فى الفساد ، ثم اخبروه بأن  
 موعد نزول العذاب بهم وقت الصبح .

ثم بينت الآيات العذاب الذى وقع عليهم عندما جاء مواعده وهو الصبح ( فلما  
 جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود \* مسومة عند  
 ربك وماهى من الظالمين ببعيد )<sup>(٤)</sup> . يخبر الله سبحانه عما فعله فى قوم لوط حين جاء  
 موعد عذابهم حيث قلب قراهم وجعل عاليها سافلها ليهلكهم ، وأخبر بأنه انزل عليهم  
 حجارة من سجيل : اى من طين متحجر ، وعبر بلفظ ( وامطرنا ) للاشعار بغزارة<sup>(٥)</sup>

( ١ ) الحاقة ( ٨ ) .

( ٢ ) العنكبوت ( ٣٠ ) .

( ٣ ) هود ( ٨١ ) .

( ٤ ) هو ( ٨٢ ، ٨٣ ) .

( ٥ ) هناك معانى اخرى يمكن الرجوع اليها فى كتب التفاسير، وانظر ابي السعود ( ٤ / ٣٣٠ ) .

ما أسقط عليهم من الحجارة .

وأخبر تبارك وتعالى بان هذه الحجارة ليست كبقية الحجارة وانما هى

( مسومة ) أى معلمة ومميزة بعلامة وميزة خاصة ميّزها الله بها لتوقع الهلاك والتدمير بقوم لوط ، فهى مخلوقة لهذه الغاية ومن ثم فانها مميزة بما يحقق هذه الغاية من قوة الفعل والتأثير فى الهلاك والتدمير ، وحذر الله سبحانه الظالمين من أن يقع بهم مثل ما وقع بقوم لوط .

من هذا المثل يتضح بأن المهلكات الكونية هى من صور النصر الربانية، اذ دعا لوط عليه السلام بالنصر، فأجاب الله دعاه، وأرسل على قومه الحجارة المسومة، وقلب عليهم الارض ليهلكهم . ولاشك أن ما وقع لقوم لوط انما هو من تمام جواب الله لدعاء نبيه لوط الصريح بالنصر على قومه ، ومن ثم فان انزال المهلكات الكونية على اعداء الانبياء والمؤمنين هو نصر صريح وحقيقى لامراء فيه .

وصدق الله العظيم حيث يقول: ( ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا ، وكان حقا علينا نصر المؤمنين ) . ( ١ )  
 الله عزوجل الرسول صلى الله عليه وسلم بوعدده الحق بالنصر من خلال تذكيره بانتقامه من الاقوام السابقة المجرمة فى حق رسلها . ومجىء ذكر الانتقام من اعداء الرسل فى معرض التأكيد على وعد الله بالنصر هو تمثيل لنصر الله ، ولاشك أن الانتقام من الأمم السابقة المجرمة فى حق رسلها كان باهلاكها بقوى كونية ، وهذا يؤكد بأن الاهلاك والتدمير للاعداء بالمهلكات الكونية هو نوع نصر ينصر الله به رسله وعباده المؤمنين .

## الوجه الرابع: النصر العسكــــــــــــــــري

هذا النصر هو المأ لوف والمعروف لدى الناس، وهو الذي يكتب الله سبحانه

به الغلبة للمؤمنين على الكافرين بتوريتهم ارضهم واموالهم .

ويكون هذا النوع من النصر عند التقاء كتائب الايمان مع الكفار

في ميادين القتال، كما كان الحال يوم بدر اذ شهد ذلك اليوم قتال المسلمين

للمشركين، وما أمد الله به المؤمنين من النصر والتأييد والتمكين .

يقول سبحانه وتعالى: ( ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم

تشكرون ) (١) يخبر القرآن عن نصر المؤمنين يوم بدر على قريش رغم قلة المؤمنين في العدد

والعتاد عن المشركين، ولذا فقد عبر بقوله ( وانتم اذلة ) وهي حال من مفعول نصركم.

واذلة : جمع ذليل، وانما جمع جمع قلة للايدان باتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة

اعلاماً بضعفهم يومها، لقلة عدد المؤمنين وعتادهم . (٢)

ورغم أن المشركين كانوا ثلاثة أضعاف المسلمين يوم بدر الا أن الله سبحانه

هزم المشركين شر هزيمة، ونصر المؤمنين أعز نصر حتى انهم قتلوا من / سبعين

واسروا سبعين، وعاد المشركون الى مكة وهم يلبسون ثوب الخزي والعار والهزيمة .

وكان هذا النصر المؤزر بفضل تأييد الله للمسلمين حيث أمدهم بالملائكة

كما في قوله سبحانه وتعالى: ( اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالفر من

الملائكة مردفين \* وما جعله الله الا بشري ولتطمئن قلوبكم وما النصر الا من عند الله

ان الله عزيز حكيم ) . (٣)

وكما في قوله تعالى: ( اذ تقول للمؤمنين آلن يكيفكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من

الملائكة منزلين \* بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة

الاف من الملائكة مسؤمين \* وما جعله الله الا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر

الا من عند الله العزيز الحكيم ) . (٤)

(١) آل عمران (١٢٣) .

(٢) انظر تفسير ابي السعود (٢/٧٩) .

(٣) الانفال (١٠، ٩) .

(٤) آل عمران (١٢٣-١٢٦) .

فقد أمد الله سبحانه المسلمين يوم بدر ابتداءً بألف من الملائكة ، ثم أردفهم بألفين فأصبحوا ثلاثة آلاف ، ثم أردفهم بألفين آخرين فأصبحوا خمسة آلاف ملكاً .<sup>(١)</sup>

والحكمة من تدرج الامداد وتتابعه هى اشعار المؤمنين بمتابعة الله سبحانه لهم فى المعركة بين اللحظة والاخرى مما يطمئنهم بانهم فى رعاية الله وكنفه ، وفيه أيضاً اشعار بأن قوة الله ومدده ليس لها حدود . ولهذا وذاك وقع حسن على نفوس المؤمنين/اثناء المعركة حيث يلقي فى قلوبهم السكينة والطمأنينة ، ويزيد من نشاطهم وحماسهم فى المعركة .

وقد قاتلت الملائكة مع المؤمنين فى بدر، يقول سبحانه وتعالى: ( ولوترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ) .<sup>(٢)</sup>

ويقول سبحانه وتعالى: ( اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ) .<sup>(٣)</sup>  
والحكمة من قتال الملائكة مع المؤمنين فى بدر مع أن ملكا واحدا قادر على أن يدفع الكفار

هى كما قال السبكي: ( لا رادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب وسنتها التى اجراها الله تعالى فى عبادته ، والله تعالى هو فاعل الجميع ) .<sup>(٤)</sup>

واشار القرآن الكريم الى الغاية من شهود الملائكة للمعركة وقتالهم فيها بقوله سبحانه وتعالى: ( وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم ) . أى أن الغاية من الامداد بالملائكة هى تبشير المؤمنين بالنصر ، وتثبيت قلوبهم فى المعركة .

وذيلت الآية بقوله ( وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم ) لاعلام المسلمين بأن النصر الذى احرزوه يوم بدر هو من الله عزوجل ، واستعمل القرآن اسلوب الحصر والقصر ليقتصر النصر عليه وحده سبحانه . والحكمة فى ذكر هذا بعد ذكر الامداد بالملائكة هى دفع ما قد يطرأ من توهم بان الذين نصرهم هم الملائكة .

( ١ ) انظر تفسير ابن كثير ( ٤٠١ / ١ ) ، رزاد المعاد ( ٢٢١ / ٢ ) .

( ٢ ) الانفال ( ٥٠ ) .

( ٣ ) الانفال ( ١٢ ) .

( ٤ ) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ( ٣١٣ / ٧ ) .

( ٥ ) الانفال ( ١٠ ) .

ولأحب أن اترك الحديث عن انتصار المؤمنين في بدر دون أن أستشهد على ذلك من السنة بحديث يلخص ما كان عليه المسلمون من القوة مقابل ما كان عليه المشركون ويبين ما من الله به على نبيه من النصر والتأييد في هذه المعركة مقابل ما أوقع بالمشركين من الهزيمة .

( ١ )

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - والترمذي وابوداود عن عمر بن الخطاب أنه قال :

( لما كان يوم بدر نظر رسول الله الى المشركين وهم ألف واصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا ، فاستقبل نبي الله القبلة ثم مَدَّ يديه فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لى ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لاتعبد في الارض . فما زال يهتف بربه ماداً يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فاتاه ابوبكر فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله ، كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك، فانزل الله عزوجل : ( اذ تستغيثون ربكم

فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ) فامده الله بالملائكة . قال ابوزميل

( هو سماك الحنفي ) ، فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ

يشدد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة السوط فوقه وصوت الفارس يقول :

اقدم حيزوم، فنظر الى المشرك امامه، فخر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد خطم أنفه

وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع، فجاء الانصارى فحدث بذلك رسول الله

فقال : صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة. فقتلوا سبعين واسروا سبعين ) .

هذا مثل للنصر العسكى الذى يمنحه الحق تبارك وتعالى لعباده المؤمنين

في مواطن القتال وساحات الجهاد . وهذا النصر أوداك يتناسب مع طبيعة هذه المعركة

او تلك غاله سبحانه وتعالى ينصر عباده في كل معركة وكل موطن بما يجعل الفوز لهم

وحسن العاقبة في هذا الموطن اوداك ، وبما يؤكد ان النصر حليفهم في كل معركة لهم

مع الكافرين . . .

( ١ ) اخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر و اباحة

الغنائم . ( ١٣٨٣ / ٣ ) ، والترمذي في التفسير سورة الانفال ( ٢٧٠٦٢٦٩ / ٥ ) ،

وابوداود في الجهاد ، باب في فداء الاسير بالمال ( ٦١ / ٣ ) مختصرا .

( ٢ ) أحد رجال الاسناد . وهو من التابعين .

المبحث الرابع  
=====

وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين، ووعدده للمشركين بالهزيمة

وعد الله للمؤمنين بالنصر:

لقد تكفل الله سبحانه في كتابه العزيز بنصر عباده المؤمنين الصادقين ، وذلك من خلال تسخير أسباب النصر لهم وتيسيرها عليهم ، أو من خلال تأييدهم بالملائكة أو بجنود أخرى يعلمها الله .

وقد تضافرت النصوص على ذلك بما يجعل نصر المؤمنين حقيقة ثابتة ، ووعدا قاطعا من الله عزوجل ، والله لا يخلف الميعاد . يقول الله سبحانه : ( انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ) في هذه الآية الكريمة يقرر الله سبحانه وعده بالنصر لعباده المؤمنين ، فضلا عن رسله صلوات الله وسلامه عليهم ( انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ) ، ويبشرهم بالنصر على الاعداء ( في الحياة الدنيا ) وذلك بغلبتهم والظهور عليهم ، والانتقام منهم بالقتل والسلب والاسر والقهر ، وفي الآخرة ( ويوم يقوم الاشهاد ) وذلك بفوز المؤمنين ودخولهم الجنات ومجازاة الكافرين ودخولهم النار . وقد اكد الله سبحانه على نصر المؤمنين في هذه الآية بجملة من التأكيدات ، فأخبر عن نصره للمؤمنين بالجملة الاسمية التي تفيد التوكيد ، وبإضافة الضمير ( انا ) له سبحانه ، ليفيد انه هو الذي تكفل بالنصر للمؤمنين ، فاذا كان هو ناصرهم فمن ذا الذي يغلبهم ؟ يقول سبحانه ( ان ينصركم الله فلا غالب لكم )<sup>(٢)</sup> كما وأكد الله سبحانه نصره للمؤمنين بلام التوكيد في كلمة ( لننصر ) لتقرير هذه الحقيقة .

(١) غافر ٥١ .

(٢) تفسير فتح القدير للشوكاني (٤ / ٤٩٥) .  
انظر

(٣) آل عمران ١٦٠ .



وفى آية أخرى أنزل الله عزوجل نصر المؤمنين منزلة الحق الواجب على نفسه

مع أنه سبحانه لا يجب عليه شيء فقال: ( وكان حقا علينا نصر المؤمنين ) (١)

قال ابن كثير : ( أى هو حق أوجه على نفسه الكريمة تكريما وتفضيلا ) (٢)

وفى ذلك تطمين لقلوب المؤمنين كى يستقر فيها وعد الله الذى لا يتخلف بنصره لهم

ان هم قاموا بموجبات النصر .

وأكد القرآن على هذه الحقيقة فى قوله تعالى: ( ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا

المرسلين انهم لهم المنصورون . وان جندنا لهم الغالبون ) (٣)

يخبر الله سبحانه بأنه قضى بالنصر لرسله ولعباده المؤمنين . وأكد الله سبحانه

على هذا المعنى بالقسم وبلاد التوكيد ، و " قد " التى تفيد التحقيق لمجيئها مع الفعل

الماضى ، وتكرر التأكيد فى الجملتين ( انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون )

بان المؤكدة وبلاد التوكيد .

وارد فى الله سبحانه بجملة ( وان جندنا لهم الغالبون ) بعد ذكر وعده بنصر

رسله لئلا يتوهم أحد بأن هذا الوعد خاص بالرسل عليهم الصلاة والسلام ، وانما هو

للرسل ولا تباعهم من المؤمنين الصادقين .

ولفظ ( الغالبون ) يوحى بأن هذا النصر فى الدنيا - فضلا عن نصر الله لهم فى

الآخرة - قال الآوسى - رحمه الله - ( وظاهر السياق يقتضى أن ذلك فى الدنيا وأنه

بطريق القهر والاستيلاء والنيل من الاعداء ، اما بقتلهم او تشريدهم أو اجلائهم عن

اوطانهم أو استئسارهم أو نحو ذلك - و اضاف بقوله - : والجملتان دالتان على الثبات

( ٤ )

والاستمرار )

وقد وعد الله سبحانه عباده المؤمنين بالنصر والاستخلاف والتمكين - اذا أخلصوا

فى عبادتهم لله وحده - فقال سبحانه : ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم

وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا \* يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك

هم الفاسقون ) .

( ١ ) الروم ٤٧ .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٤٣٦ / ٣ ) .

( ٣ ) الصافات ١٧١ ، ١٧٢ .

( ٤ ) روح المعانى للآوسى ١٥٦ / ٢ / ٨ .

( ٥ ) النور ٥٥ .

اللام فى قوله تعالى ( ليستخلفنهم فى الارض ) جواب لقسم محذوف ، او جواب للوعـد  
بتنزيـله منزلة القسم لانه ناجز لامحالة ، ومعنى ليستخلفنهم فى الارض : ليجعلنهم  
فيها خلفاء يتصرفون فيها تصرف الملوك فى مملوكاتهم .

والمراد بالذين استخلفهم الله من قبل : كل من استخلفه الله من المؤمنين قبل  
بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى ارضه ، فلا يخص ذلك بنى اسرائيل ولا أمة من الامم  
دون غيرها .

وجملة ( وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ) معطوفة على ( ليستخلفنهم ) داخلة  
تحت حكمه كائنة من جملة الجواب ، والمراد بالتمكين هنا : التثبيت والتقريب : أى يجعله  
الله ثابتا مقررا ويوسع لهم فى البلاد ويظهر دينهم على جميع الاديان . والمراد بالدين  
هنا : الاسلام .

وجملة " وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا " معطوفة على التى قبلها ، والمعنى أن  
الله سبحانه يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الاعداء أمنا .<sup>(١)</sup>

والوعد بالاستخلاف والتمكين عام فى جميع امة محمد صلى الله عليه وسلم وليس  
خاصا فى الصحابة ، روى ذلك <sup>عن</sup> ابن عباس ومجاهد ،<sup>(٢)</sup> وذهب اليه كثير من المفسرين : كابن  
عطيه والقرطبي ، وابن كثير<sup>(٣)</sup> واللاؤسى<sup>(٤)</sup> والشوكانى ، ولا وجه لتخصيصه بالصحابة (رضوان الله  
عليهم) فان الايمان وعمل الصالحات لا يختص بهم بل يمكن وقوع ذلك من كل واحد من  
هذه الأمة .<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) انظر المعانى السابقة فى فتح القدير للشوكانى ٤٧/٤ .  
(٢) تفسير روح المعانى لللاؤسى (٢٠٢/٣/٦) .  
(٣) احكام القرآن العظيم للقرطبي ٢٩٨/١٢ .  
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٠٠/٣ .  
(٥) تفسير روح المعانى لللاؤسى (٢٠٢/٣/٦) .  
(٦) تفسير فتح القدير للشوكانى ٤٧/٤ .

من خلال التفصيل السابق للآية المذكورة يتبين وعد الله الثابت والأكيد باستخلاف المؤمنين والتمكين لهم ، ( وقد جاء ذكر التمكين بعد الاستخلاف ليفيد أن الاستخلاف ليس على وجه العروض والطرؤ ، بل على وجه الاستقرار والثبات )<sup>(١)</sup> - ما اخلصوا لله - وفي ذلك نصر وأي نصر؟! بل وجعل الله سبحانه وتعالى نصر المؤمنين الذين يجاهدون في سبيله سنة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل - ما قام المسلمون بموجبات النصر - فقال سبحانه وتعالى: ( ولوقاتكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا \* سنة الله التي قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ) .<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير: ( يقول عزوجل مبشراً لعباده المؤمنين بأنه لوناجزهم المشركون

لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ، ولا نهزم جيش الكفر فارا مدبرا لا يجدون وليا ولا نصيرا لانهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين ) .<sup>(٣)</sup>

وصرحت الآيات بذكر نتيجة قتال الكفار وهي الهزيمة، لحصول مزيد الايلا م لهم بذكرها ، ولشفاء صدور المؤمنين من ذكرها ، ولم تصرح بذكر نتيجة قتال المؤمنين - وهي النصر - اشعارا بان ذلك معلوم ، بل هو لا يحتاج الى بيان ، وخصوصا أنه سنة ثابتة لله عزوجل .

وقوله تعالى ( سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ) .

تقرير لوعده الله الحق بنصر المؤمنين ، وتأکید بأن نصر المؤمنين على اعدائهم هو سنة الله الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل .

( ١ ) انظر تفسير فتح القدير ( ٤ / ٤٧ ) .

( ٢ ) الفتح ٢٢ ، ٢٣ .

( ٣ ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٤ / ١٩٢ ) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : ( أى هذه سنة الله وعادته فى خلقه ، ماتقابل الكفر والايمن فى موطن فيصل الا نصر الله الايمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل كما فعل تعالى يوم بدر بأولياءه المؤمنين ، نصرهم على اعدائه من المشركين مع قلعة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم ) . ( ١ )

وقال الشوكانى فى بيانه للمراد بالسنة هنا ، ( أى طريقته وعادته التى قد مضت فى الامم من نصر أولياءه على اعدائه ) ( ٢ ) وقد خص الله سبحانه النصر بنفسه ، وبين أنه بيده وحده فقال معقبا على ما ذكره من نصر المؤمنين فى بدر ( وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ) ( ٣ ) وقال ( وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم ) ( ٤ ) فقد عبر بصيغة الحصر ليقصر النصر عليه وحده .

قال الامام ابو السعود فى معنى قوله ( وما النصر ) أى حقيقة النصر على الاطلاق ( الا من عند الله ) أى الا كائن من عنده عزوجل من غير أن يكون فيه شركة من جهة الأسباب والعدد ، وانما هى مظاهر له بطريق جريان السنة الا لهية . ( ٥ ) وعبر بوصفى العزة والحكمة مناسبة لما قرره من قصر النصر عليه . وحده ، اذ أن صفة العزة تقتضى تفرد به بالامر وعدم منازعته فى حكمه ، كما ان صفة الحكمة تدل على ان فعله من منح النصر او منعه انما يكون حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة .

واذا كان الله جلت قدرته وعد عبادته المؤمنين وعدا قاطعا بالنصر والتمكين كما بينت سابقا ، وكشف لهم بأن النصر بيده وحده كما تبين هنا ، فان هذا يعنى أن انتصار المؤمنين هو انتصار ثابت ومستقر لا يملك احد تحويله او تبديله أو زعزعة مادام المسلمون قد حافظوا عليه بحفظ دينه والاخذ بسنته ، فاذا ما فرط المسلمون

( ١ ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٤ / ١٩٢ ) .

( ٢ ) تفسير فتح القدير للشوكانى ( ١٣٧ ، ١٣٨ ) .

( ٣ ) آل عمران ١٢٦ .

( ٤ ) الانفال ١٠ .

( ٥ ) تفسير ابى السعود ( ٤ / ٩٠٨ ) .

فى ذلك فان النصر قد يتحول عنهم ويتبدل الى هزيمة او يتزعزع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا . ولذا فقد خاطب الله سبحانه المسلمين عقب انهزامهم فى احد - وهو خطاب للمسلمين من بعدهم - لتقرير هذه الحقيقة فى نفوسهم ، وتأكيدها لكى تكون نصب أعينهم فى كل معركة يخوضونها مع عدوهم ، فيستقر فى قلوبهم أن النصر حليفهم لا محالة ، فاذا تخلف عنهم لسبب منهم - كما حدث فى احد - فان احدا لا ينفعهم ولا ينصرهم بل ولا يمنعهم من أن ينهزموا أمام عدوهم الا الله جل وعلا ، ولذا تتوجه القلوب اليه متوكلة عليه فى عامة شأنها وفى قتال عدوها خاصة . يقول سبحانه وتعالى :

( ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمنذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) ( ١ ) .

وعيد الله للمشركين بالهزيمة :

وكما أن الله سبحانه وعد المؤمنون بالنصر فانه توعد الكافرين بالهزيمة فقال تعالى : ( قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد \* قد كانت لكم آية فى فتنتين التقتا ، فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأى العين والله يوءد بنصره من يشاء ، ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ) ( ٢ ) .

نزلت هاتان الآيتان فى اليهود عندما جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منهم أن يسلموا قبل أن يصيبهم ما أصاب قريش ، فقالوا : يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا لا يعرفون القتال . . . فنزلت الآيتان . ولا شك أن هذا هو السبب الخاص بالنزول ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والآية جاءت عامة فى الكفار للاخبار بأنهم سيغلبون ويهزمون فى الدنيا ، وانهم سيدخلون النار وبئس المصير . وقوله تعالى ( قد كانت لكم آية ) أى دلالة على أن الله ناصر دينه ورسوله وفتنه أو حزبه المؤمنون . ومثل الله تبارك وتعالى لذلك بيوم بدر حيث نصر الله من يقاتل فى سبيله - وهم المسلمون - على الفئة الكافرة وهى قريش .

( ١ ) آل عمران ١٦٠ .

( ٢ ) آل عمران ( ١٢ ، ١٣ ) .

( ٣ ) تفسير ابن كثير ( ١ / ٣٥٠ ) .

وعقب الحق تبارك وتعالى بقوله ( والله يوءيد بنصره من يشاء ان فى ذلك  
 لعبرة لأولى الأبصار ) للتأكيد على ما تقدم فى الآية ، وقال ابن كثير فى معنى هذا  
 التعقيب : ( أى ان فى ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم ليهتدى به الى حكم الله  
 وفعاله وقدره الجارى بنصر عباده المؤمنين فى الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ) .  
 ( ١ )

من هنا يتبين وعده سبحانه بنصر عباده المؤمنين ، وبالمقابل وعيده سبحانه بالهزيمة  
 للكافرين .

واذا حدث وأن انهزم المسلمون فى معركة امام اعدائهم فان هذا لايعنى تخلف  
 وعد الله ، فمعاذ الله أن يتخلف وعده ، فوعده الحق ، وقوله الصدق ، وهو احكم الحاكمين ،  
 وانما يكون هذا بسبب من المسلمين انفسهم ، لتقصيرهم فى واجبات دينهم ومخالفتهم  
 لاحكامه بما يجلب عليهم غضب الله وسخطه ، اولعجزهم وتقصيرهم عن الاخذ باسباب  
 النصر . ولايعنى هذا ان العاقبة ستكون للكافرين ، بل ستكون عليهم الدائرة ولو بعد  
 حين ، عندما يعود المسلمون لاحكام هذا الدين ، لأن هذا ماجرت عليه سنة الله فيهم  
 كما أخبر القرآن الكريم .

ففى يوم احد عند ما تززع المسلمون - بسبب منهم - ذكرهم الله سبحانه ابتداء  
 بسنته فى عاقبة الكافرين لكى لا يتوهموا بان الله سيجعل العاقبة لعدوهم فقال تعالى :  
 ( قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين \* هذا بيان  
 للناس وهدى وموعظة للمتقين ) .  
 ( ٢ )

فى الآية الاولى بين الله سبحانه سننه الجارية فى جعل العاقبة للمؤمنين والدائرة  
 على الكافرين .

وبين فى الثانية الغاية من ذكر ذلك وهى :-

- اعلان للناس مؤمنهم وكافرهم ليعلموا حكم الله وقدره السابق .
- توجيه خاص للمؤمنين لتحصل لهم الهداية والعبرة بان الله سيجعل العاقبة لهم  
 والدائرة على عدوهم . . . . .

( ١ ) تفسير ابن كثير ( ١ / ٣٥٠ ) .

( ٢ ) آل عمران ١٣٧ ، ١٣٨ .

وقد بين الله سبحانه في آيات كثيرة بأن التدمير والاهلاك هو عاقبة الكافرين  
فقال سبحانه: ( فلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله  
عليهم وللكافرين امثالها ) (١) .

وقال سبحانه وتعالى: ( وكأين من قرية هي اشد قوة من قرية التي اخرجتك اهلكتناهم  
فلا ناصر لهم ) (٢) .

وقال سبحانه وتعالى: ( وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن  
من بعدهم الا قليلا ، وكنا نحن الوارثين ) (٣) .

وقال سبحانه وتعالى: ( وكم اهلكنا قبلهم من قرية هل تحس منهم من احد او تسمع  
لهم ركزا ) (٤) .

وبين الله سبحانه ان اهلاكه للاقوام السابقة والقرون الاولى من الكفار الذين ذكرتهم  
هذه الايات وغيرها هو سنته الثانية فقال سبحانه: ( فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن  
تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا \* اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف  
كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات  
ولا في الارض انه كان عليما قديرا ) (٥) (فهل ينظرون ) استفهام انكارى موجه للمشركين .

وذكر المفسرون ان المراد بسنة الاولين هنا هي انزال العذاب والهلاك بالكافرين ،  
(٦)  
ومعنى ( فلن تجد لسنة الله تبديلا ) أى لا يقدر احد أن يبدل سنة الله بالامم المكذبة  
بأن يضع موضع العذاب غير العذاب . ومعنى ( ولن تجد لسنة الله تحويلا ) أى بأن ينقله  
من المكذبين الى غيرهم . وَنَقَى وَجَدَانِ التَّيْدِيلِ وَالتَّحْوِيلِ عبارة عن نفي وجودهما ،

(١) محمد ١٠ .

(٢) محمد ١٣ .

(٣) القصص ٥٨ .

(٤) مريم ٩٨ .

(٥) فاطر ٤٣ ، ٤٤ .

(٦) انظر تفسير فتح القدير (٤/٣٥٦) ، روح المعاني (٨/١/٢٠٦) ، وتفسير ابن السعود

(٧/١٥٦) .

( ١ )

وتخصيص كل منهما بنفى مستقل لتأكيد انتفاؤها .

وبعد أن افصح القرآن عن سنة الله الجارية بانزال التعذيب والهلاك بالكفار

استشهد على هذه السنة بما كان من عاقبة الامم السابقة المكذبة بقوله ( أو لم يسيروا

في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ) .

قال الشوكاني : ( هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده ، أى ألم يسيروا

في الارض فينظروا ما أنزلنا بعاد وشمود ومدين وامثالهم من العذاب لما كذبوا الرسل

( ٢ )

فان ذلك هو من سنة الله في المكذبين التي لا تتبدل ولا تتحول ) .

مما سبق تبين أن نصر المؤمنين وهزيمة الكافرين هو سنة الله الجارية مادام الصراع

بين الايمان والكفر بين الحق والباطل ، فهل علم المسلمون قيمة ما يملكون من حق يسعدون

به في دنياهم واخراهم ، ويكتب لهم به العزة والتمكين والنصر المبين . إن فهم هذا الدين

العزة والقوة والغلبة والنصر ، وهو سلاح فيه صلاحنا وقوتنا ، ولكننا لاندرک اهميته

أو نحسن استعماله في حياتنا .

---

( ١ ) انظر هذه المعاني في التفاسير المذكورة في الصفحة السابقة بنفس الاجزاء والصفحات .

( ٢ ) تفسير فتح القدير ( ٣٥٦ / ٤ ) .



## الحكمة فيما يقع للمسلمين من الهزيمة

قد يهزم المسلمون في معركة لهم مع أهل الكفر، وذلك لمخالفتهم شريعة الله، أو لعدم أخذهم بأسباب النصر. وهذا لا يتناقض مع وعد الله لهم بالنصر إذ تحقق الوعد مرهون بتحقيق موجباته وشروطه، ولا يعنى هذا بأن الله سيدل أهل الكفر والباطل على أهل الإيمان والحق، وإنما هي جولة ثم تكون العاقبة للمؤمنين، كما حدث للصحابه ( في أحد ) حيث فقدوا النصر يومئذ بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى بسبب المعصية والتنازع، ولم تكن ( أحد ) الا جولة ثم كانت العاقبة للصحابه بالفتح المبين. ووقوع الهزيمة أو فقدان النصر فيه حكم وعظات وعبر للمؤمنين، ينبغى عليهم ان يستخلصوها من درس الهزيمة كما يستخلصون العبر والعظات من دروس النصر، وذلك لكي يستفيدوا منها في جولاتهم القادمة مع العدو، ولكي يتعلموا

الخشوع في العسر واليسر والمنشط والمكره، ولكي لا يستسلموا لما يصيبهم من أذى الهزيمة وإنما ليزدادوا وتصميماً لنصرة هذا الدين. وقد أورد ابن القيم رحمه الله جملة من الحكم أنقلها عنه بتصريف وإيجاز:

( ١ )

( ١ ) تعريف المؤمن بسوء عاقبة تركهم لإحدى سنن الله في النصر والهزيمة: كما حدث للمؤمنين في أحد من تغير سير المعركة لصالح عدوهم بعد أن كان النصر في جانبهم حتى سقط لواء المشركين ولم تحمله الا امرأة منهم، وذلك بسبب مخالفة الرماة أمر قائدهم، وتنازعهم فيما بينهم، فأراد الله عزوجل أن يعطيهم درسا عمليا في أهمية طاعة القائد وعدم التنازع. ورغم أن هذا الدرس فيه قسوة وشده، إلا أنها قسوة العربي الناجح والطبيب الماهر، فلا يعود المؤمنون إلى المعصية مرة أخرى، بل ويكونون أشد حذرا ويقظة، وتحرزوا من أسباب الخذلان.

(١) انظر جملة هذه الحكم في زاد المعاد لابن القيم ( ١ / ٢ / ٩٩ - ١٠٢ ) .

مطبعة البابي الحلبي - الطبعة الثانية ( ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ) .

- وأشار القرآن الكريم إلى سبب تغيير موقف المؤمنين في المعركة يوم أحد لكي تتم الفائدة فقال الله عزوجل : ( ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم ) . ( ١ )
- ( ٢ ) حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا مرة ، ويدال عليهم أخرى لكن يكون لهم العاقبة ، فإنهم لو انتصروا دائما دخل معهم المسلمون وغيرهم ولم يتميز الصادق من غيره . ولو انتصر عليهم دائما لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة فاقضت حكمة الله : أن جمع لهم بين الأمرين ليميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاءه وابه ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة .
- ( ٣ ) ومنها أن يتميز المؤمن من الصادق من المنافق الكاذب يقول تعالى : ( وما كان الله ليجزر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) . ( ٢ )
- أى ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين حتى يميز أهل الايمان من أهل النفاق كما ميزهم بالمحنة يوم أحد .
- ( ٤ ) ومنها استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء ، وفيما يحبون وما يكرهون ، وفي حال ظفرهم وفي حال ظفر أعدائهم بهم ، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون ويكرهون فهم عبيده حقا ، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد ، من السراء والنعمة والعافية .
- ( ٥ ) ومنها أنه سبحانه لو نصرهم دائما لطغت نفوسهم ، فلو بسط لهم النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها <sup>فيما لو</sup> بسط لهم الرزق ، فلا يصلح عباده الا السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والقبض والبسط .

( ١ ) آل عمران ( ١٥٢ ) .

( ٢ ) آل عمران ( ١٧٩ ) .

( ٦ ) ومنها : أنه اذا امتحنهم بالغلبة والهزيمة ذلّوا وانكسروا وخضعوا له فاستوجبوا

منه العزة والنصر، فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار يقال

( ١ )

تعالى في شأن المسلمين يوم بدر: ( لقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ) .

وقال تعالى في شأن المسلمين يوم حنين: ( ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرتكم

( ٢ )

فلم تغن عنكم شيئاً ) . فهو سبحانه اذا أراد أن يعز عبده ويجبره وينصره كسره

أولاً ، ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره .

( ٧ ) ومنها أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها

أعمالهم ، ولم يكونوا بالغيبها إلا بالبلاء والمحنة ، فقيض لهم الأسباب التي

توصلهم اليها من ابتلائه وامتحانه ، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة

أسباب وصولهم اليها .

( ٨ ) ومنها : ان النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانا وركونا

الى العاجلة . وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها الى الله والدار

الآخرة ، فمن رحمة الله بها أن يقيض لها من الابتلاء ما يكون دواءً لذلك المرض ،

فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقى العليل الدواء الكريه ، ويقطع منه

العروق الموءمة لاستخراج الأدواء منه ، ولو تركه لغلبته الأدواء حتى يكون

فيها هلاكه .

( ٩ ) ومنها أن الشهادة عنده سبحانه من أعلى المراتب ، والشهداء هم

خواصه المقربون من عبادته ، وهو يجب أن يتخذ من عبادته شهداء ، تُراق

دماؤهم في محبته ومرضاته ، ويؤثرون رضاه ومحابته على نفوسهم . ولا سبيل

إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية اليها من تسليط العدو .

( ١ ) آل عمران ( ١٢٣ ) .

( ٢ ) التوبة ( ٢٥ ) .

( ١٠ ) ومنها أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم . ومن أعظمها - بعد كفرهم - بغيتهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه ومحابرتهم وقاتلهم فيتمحص بذلك أوليائه من ذنوبهم وعيوبهم ، ويزداد بذلك أعدائه من أسباب محقتهم وهلاكهم كما جاء في قوله تعالى: ( ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله . وتلك الأيام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ) . ( ١ )

يتبين من هذا أن الهزيمة لا تخلو من حكم وعبر ينبغي على المؤمن إدراكها خلال مسيرتهم وجهادهم ، وإن كانت الهزيمة لا تقع أصلاً إلا لسبب فيهم استوجب وقوعها ، ولكن المسلم على فرض وقوع الهزيمة يطمئن إلى قدر الله ولا يخالطه اليأس والشك في وعد الله بالنصر . لذلك فإن القرآن الكريم خاطب كل من شك من المشركين والمنافقين في نصر الله لرسوله ولدينه ، وأساء الظن بالله بما يكشف كيدته وشدة غيظته على دين الله ، وبما يجعل نفسه تموت حسرة لعظم ما يرى من نصر الله لدينه ورسوله . يقول سبحانه وتعالى : ( من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيدته ما يغيظ ) . ( ٢ )

بهذا فإن الله سبحانه يسفه ظن المشركين والمنافقين ، ويؤكد أيضاً لعباده المؤمنين وعده لهم بالنصر والتمكين . ( ٣ )  
وللمفسرين في هذه الآية تأويلات ، أقف عندها لبيان شدة انكار القرآن على

من ظن بالله خلاف ما وعد رسوله وعباده بالنصر .

التأويل الأول : من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ( فليمدد بسبب ) أي يحبل ( الى السماء ) أي سماء بيته ( ثم ليقطع )

( ١ ) آل عمران ( ١٣٩ - ١٤١ ) .

( ٢ ) الحج ( ١٥ ) .

( ٣ ) انظر تفسير ابن كثير ( ٣ / ٢١٠ ) . وفتح القدير ( ٣ / ٤٤٤ ) .

ثم ليخستنق به .

حكاه ابن عباس وقال به مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة وغيرهم ، ورجحه ابن كثير .

التأويل الثانى : من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً صلى الله عليه وسلم فى الدنيا  
والآخرة فليتوصل الى بلوغ السماء ، فإن النصر انما يأتى محمداً من السماء ، ثم  
ليقطع عنه ان قدر على ذلك .

( ١ )  
حكاه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم . وقال عنه النحاس هو أحسن ما قيل فى هذه الآية .

وكل من هذين التأولين فيه من عمق المعنى بما يحسن للرد على من يسىء الظن

بالله ، ولكن أرجح الرأى الثانى لدقة موافقة معناه لألفاظ الآية ، فقد ورد

التعبير ( فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ) ورد لفظ الكيد وهو أظهر

فى الدلالة على المكر والحيلة ، وتعليق الرأس بحبل فى أعلى السقف ثم

الاختناق لا يدل على معنى الحيلة والمكر إلا اذا أريد بالكيد: الصنيع

والفعل ، ولكن كما قلت معنى الحيلة والمكر أظهر ، وبهذا يكون المعنى

أكثر مناسبة للتأويل الثانى . أى ليستخد م كل وسيلة وكل ما يستطيع من خداع

ومكر ليمنع النصر فلن يستطيع ذلك .

ثم بينت الآية سبب ظنهم السىء فأشارت الى الغيظ الذى فى نفوسهم الناشء عن

حسد هم للمؤمنين على فوزهم بنصر الله . ومن ثم يكون هذا الظن اسقاطاً لرغباتهم ،

فلا يبلغ فى هذه الحالة ابقاء هذا الغيظ فى نفوسهم وزيادته وذلك

بتعليق امكانية تحقيق رغبتهم وكيدهم على مستحيل ، إذ لا يمكنهم ان يوءخروا أو يقدموا

فى نصر الله شيئاً لأنه من عند الله عزوجل ، ومن ثم فتفسير معنى السماء بارادة الله

الذى يتجلى على العرش أبلى من تفسيرها بسماء البيت أى سقفه ، والله اعلم .

بهذه الصورة الرائعة من التوكيد ، يسفه القرآن الكريم أحلام الكفار والمشركين ويبيد أمانيتهم ومكائدهم ، ويفنّد ظنونهم الباطلة ليثبت لهم أن كيدهم وتآمرهم لهزيمة هذا الدين إنما هو سراب لا يزيدهم إلا ظمأً وغيظاً حتى يموتوا كهدأ من شدته ، وهو يزيد المؤمنين إيماناً وثقةً بنصر الله . وليثق المؤمنون اليوم بنصر الله ، وليطمئنوا لوعد الله فإنه قادر لا يحول دون تحقيق وعده بالنصر أحد ، وهو لا يخلف الميعاد . . . . .

ولا ييأس المسلمون مما أصابهم من الهزيمة ، فإن هذه غمامة ستزول لتشرق شمس المسلمين من جديد بالنصر والعزة والقوة والتمكين . . . . .

ولكن لا بد من التفكير في حاضرنا وواقعنا بالدراسة والتحليل لا دراك الأسباب الحقيقية التي أدت بنا الى الهزيمة . . . . . ، ولا بد من العودة الى الله فى كل مناهج حياتنا العقائدية والعبادية والتشريعية ، لكى نفوز برضى الله . . حتى نكون أهلاً لوعد الله . . . . . وان نصر الله لقريب من المؤمنين . . . . .

## المبحث السادس

### سنة الله فى النصر والهزيمة .

لقد سنَّ الله سبحانه سننا تنظم حركة الانسان والكون والحياة ، وجعلها ثابتة لا تتغير أو تتبدل إلا بأمره .

وتنظيم الكون والحياة من خلال سنن ثابتة يملك الانسان إدراكها ومعرفتها فيه  
حكمة ظاهرة للناس ، تقوم على تسخير قوى الكون وفق هذه السنن للنهوض بأعباء الخلافة ،  
وتعمير الارض ، والا ستفادة من أقواتها وأرزاقها ومنافعها وطاقاتها لصالح البشرية .  
سنة الله فى تحقيق المسببات هى اتخاذ الأسباب :

وان من سنة الله فى الكون والحياة أن جعل لكل مسبب سببا ينتج عنه إذا تحققت  
الشروط ، وانتفت الموانع . وهذه السنة تشمل كل شىء فى الوجود ، وكل حادث فى الكون ،  
فليس من موجود أو حادث إلا وله سبب ، سواء أكان ذلك الشىء أمراً مادياً أم معنوياً فالصحة  
لها أسبابها والمرض له أسبابه ، والغنى له أسبابه والرزق له أسبابه ، والنعمة لها أسبابها  
والنقمة لها أسبابها ، والنصر له أسبابه والهزيمة لها أسبابها .

وهذه السنة بدهية فى نظر الشرع والعقل ، حيث يراها الانسان العاقل فى كل  
ما يراه من موجودات أو أحداث بل ويراها الانسان اول ما يراها فى نفسه حيث ان اصل  
الانسان نطفة كما أن أصل الشجرة بذرة ، ولا يمكن لعاقل أن يحكم بان الانسان خلق  
من غير نطفة وأن الشجرة نبتت من دون بذرة - مالم يكن ذلك بمعجزة الالهية - ، ولا يحكم  
كذلك بأن الانسان خلق من بذرة قمح وأن الشجرة خلقت من نطفة رجل ، إذ ليس ذلك  
من سنة الله فى خلق الانسان أو الشجرة .

ولقد جاءت هذه السنة موافقة لما أرشد اليه سبحانه من سبيل معرفته والاهتداء الى وجوده ، حيث أمر بالتفكر في خلق السموات والأرض للاستدلال بهذه المخلوقات على الخالق سبحانه ، وهذا الاستدلال هو من قبيل رد المسبب الى سببه ، فاذا كان الخالق سبحانه قد دل على نفسه بخلقه فان هذا دليل على اثبات سنة الله في رد المسبب الى سببه .

وجعل الله سبحانه قاعدة الثواب والعقاب مبنية على ما يقع من أسباب تقتضى هذا أو ذاك ، فقال سبحانه: ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) (١) فردّ الله ما يقع من خير وشر الى فاعله ومسببه ، ورتب على نوع فعله ، ما يناله من الثواب أو العقاب .

وهذا ما يتفق مع العدل الرباني ، اذ لا يستوى الذي يفعل الخير و الذي يفعل الشر ، ولا يستوى الذي يفعل الخير و الذي لا يفعله ، كما لا يستوى الذي يأخذ بأسباب النصر و الذي يأخذ بأسباب الهزيمة أو يقعد عن الأخذ بأسباب النصر . وكذلك فقد جعل الله سبحانه أسباباً لرضاه وأسباباً لسخطه ، وجعل أسباباً لدخول الجنة وأسباباً لدخول النار ، وجعل أسباباً للهداية وأسباباً للضلال . ورتب قاعدة الجزاء الدنيوى على ما يفعل المسلم من أسباب توجب تنفيذ الحكم عليه ، فجعل الردة سبباً لإقامة حد القتل على المرتد وكذلك منعه من الارث والتزواج والدفن في مقابر المسلمين . وجعل السرقة سبباً في إقامة حد القطع ، والقتل سبباً في إقامة حد القصاص أو الدية باعتبار نوع القتل ، والزنا سبباً لإقامة حد الرجم وكذلك بقية أحكام التشريع كالميراث وغيره . وهذه التشريعات كلها تردّ المسبب الى سببه ، وتبنى على ذلك حكماً في الدنيا فضلاً عن حكم الآخرة ، مما يثبت أن سنة ارتباط الاسباب بالمسببات هي سنة الله في الدنيا والآخرة .

(١) الزلزلة ( ٧ ، ٨ ) .



وهذا يؤكد أن اتخاذ الأسباب هو سنة الله في إحراز النتائج .

قال القرطبي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى في شأن داود عليه السلام (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) <sup>(١)</sup> قال رحمه الله : ( هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب ، وهو قول أهل العقول والألباب ، لا قول الجهلة والأغبياء القائلين بأن ذلك انما شرع للضعفاء ، فالسبب سنة الله في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة ) <sup>(٢)</sup> .

ورد القرطبي في موضع آخر من تفسيره على قول من يدعى بأن الاسباب انما شرعت للضعفاء .

قال القرطبي رحمه الله : ( قال لي بعض مشايخ هذا الزمان في كلام جرى : ان الأنبياء عليهم السلام انما بعثوا ليسنوا الأسباب للضعفاء ، فقلت مجيبا له : هذا قول لا يصدر الا من الجهال والأغبياء ، والرعا والسفهاء ، أو من طاعن في الكتاب والسنة العلياء ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه عن أصفياه ورسله وأنبيائه أخذهم بالأسباب والاحتراف فقال وقولها لحق : (وعلمناه صنعة لبوس لكم) <sup>(٣)</sup> وقال (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) <sup>(٤)</sup> قال العلماء : ( أى يتجرون ويحترفون . . . ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يتجرون ويحترفون وفى أموالهم يعملون ، ومن خالفهم من الكفار يقاتلون ، أتراهم ضعفاء ؟ بل هم كانوا والله الأقوياء ، وبهم الخلف الصالح اقتدى ، وطريقهم فيه الهدى والاهتداء . . . . . )

(١) الانبياء (٨٠) .

(٢) احكام القرآن للقرطبي (١١/٣٢١) .

(٣) الانبياء (٨٠) .

(٤) الفرقان (٢٠) .

ثم انّ هذا القول يدل على ضعف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لأنهم أيدوا  
 بالملائكة وثبتوا بهم ، فلو كانوا أقوياء ما احتاجوا الى تأييد الملائكة ، وتأيدهم  
 إذ ذلك سبب من أسباب النصر ، نعوذ بالله من قول واطلاق يؤول إلى هذا ، بل  
 القول بالأسباب والوسائط سنة الله وسنة رسوله ، وهو الحق المبين ، والطريق المستقيم  
 الذي انعقد عليه اجماع المسلمين ، وإلا كان يكون قوله الحق : ( وأعدوا لهم ما استطعتم  
 من قوة ومن رباط الخيل ) - الآية - مقصوراً على الضعفاء ، وجميع الخطايات كذلك .  
 وفي التنزيل حيث خاطب موسى عليه السلام ( اضرب بعصاك البحر ) ( ٢ ) وقد كان قادراً  
 على فلق البحر دون ضرب عصا . وكذلك مريم عليها السلام ( وهزى اليك بجزع النخلة ) ( ٣ )  
 وقد كان قادراً على سقوط الرطب دون هز ولا تعب ، ومع هذا كله فلا ننكر أن يكون رجل  
 يلفظ به ويعان ، أو تجاب دعوته ، أو يكرم بكرامة في خاصة نفسه أو لأجل غيره بولا نهراً  
 لذلك القواعد الكلية والأمور الجمالية . هيهات هيهات ! لا يقال فقد قال الله تعالى :  
 ( وفي السماء رزقكم وما توعدون ) فانا نقول : صدق الله العظيم ، وصدق رسوله الكريم ،  
 وان الرزق هنا المطر باجماع أهل التأويل ، بدليل قوله تعالى : ( وينزل لكم من السماء  
 رزقاً ) وقال سبحانه وتعالى : ( ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ) ( ٦ )  
 ولم يشاهد ينزل من السماء على الخلق أطباق الخبز ولا جفان اللحم ، بل الأسباب  
 ( ٧ )  
 أصل في وجود ذلك ) .

- 
- ( ١ ) الانفال ( ٦٠ ) .  
 ( ٢ ) الشعراء ( ٦٣ ) .  
 ( ٣ ) مريم ( ٢٥ ) .  
 ( ٤ ) الذاريات ( ٢٢ ) .  
 ( ٥ ) غافر ( ١٣ ) .  
 ( ٦ ) ق ( ٩ ) .  
 ( ٧ ) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ( ١٣ / ١٤ ، ١٥ ) .

من هذا تبين أن سنة الله في احراز النتائج كالغنى والفقر والسعادة والشقاوة والنصر والهزيمة تقوم على اتخاذ الأسباب لكل منها حتى تتحقق في عالم الوجود .

### تأثير الأسباب في المسببات :

واقتران السبب بالنتيجة هو اقتران فاعلية وتأثير وليس كما يقول الجهمية بأنه مجرد اقتران عادى كاقتران الدليل بالمدلول ، وأن وجود الأسباب كعدمها ونسبتهم لأفعال الى العبد نسبة مجازية كما تنسب إلى الجمادات كقولك : أثمرت الشجرة وطلعت الشمس، أو كما يدّعه بعضهم من نفى قدرة العبد . وبالتالي نفى الأسباب بالكلية .<sup>(١)</sup>

ولقد أنكر ابن تيمية على الجهمية قولهم هذا وبين مخالفتهم فيه لعقيدة أهل السنة وجمهور علماء أهل الاسلام فقال: ( وكذلك أيضا الذين قالوا لا تأثير لقدرة العبد في أفعاله هم هؤلاء أتباع جهم نفاة الأسباب ، والا فالذى عليه السلف وأتباعهم وأئمة أهل السنة وجمهور أهل الاسلام المثبتون للقدر المخالفون للمعتزلة إثبات الأسباب ، وأن قدرة العبد مع فعله لها تأثير كتأثير سائر الاسباب في مسباتها ) .<sup>(٢)</sup>

ورد عليهم ابن تيمية رحمه الله تذرعهم بالقدر واتكالهم عليه ، فقال: ( ومن قال أنا لا أدعو ولا أسأل اتكالا على القدر ، كان مخطئا أيضا : لأن الله جعل الدعاء والسؤال من الأسباب التى ينال بها مغفرته ورحمته وهداه ونصره ورزقه ، وإذا قدر للعبد خيرا يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء ، وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم فإنما قدره الله بأسباب يسوق المقادير الى المواقيت ، فليس فى الدنيا والآخرة شئ الا بسبب ، والله خالق الأسباب والمسببات ) .<sup>(٣)</sup>

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى (٨٦ ، ٨٧) مكتبة الأنجلو المصرية .

الطبعة الاولى ١٩٧٧ م

(٢) مجموعة فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية (٤٨٧/٨) .

(٣) الفتاوى لابن تيمية (٦٩/٨ ، ٧٠٠) .

وإذا كان الجهمية قد خالفوا أهل السنة بنفى الأسباب أو نفى تأثيرها وفعاليتها ورجعوا الأمر إلى قدرة الله فقط، فإن المعتزلة خالفوا أهل السنة كذلك بإضافتهم الأفعال والمسببات إلى الفاعل والسبب فقط، مع نفيتهم لقدرة الله سبحانه في إيجادها، وقالوا : لا قدر والأمر أنف (١) .

من هذا يتبين أن مذهب أهل السنة يثبت القدرة للعبد ، ويثبت الأسباب ويثبت لها الفاعلية ، ولكن السبب ليس مستقلاً في التأثير ولا يوجب حصول المسبب بمفرده إذ لا بد من تمام الشروط وزوال الموانع . يقول ابن القيم رحمه الله : ( ليس في الوجود الممكن سبب واحد مستقل بالتأثير، بل لا يؤثر سبب البتة إلا بانضمام سبب آخر إليه ، وانتفاء مانع يمنع تأثيره هذا في الأسباب المشهودة بالعيان ، وفي الأسباب الغائبة والأسباب المعنوية كتأثير الشمس في الحيوان والنبات فإنه موقوف على أسباب أخرى من وجود محل قابل وأسباب أخرى تنضم إلى ذلك . وكذلك حصول الولد موقوف على عدة أسباب غير وطء الفحل ، وكذلك جميع الأسباب مع مسبباتها فكل ما يخاف ويرجى من المخلوقات فأعلى غاياته أن يكون جزء سبب غير مستقل بالتأثير ولا يستقل بالتأثير وحده دون توقف تأثيره على غيره إلا الله الواحد القهار ، فلا ينبغي أن يرجى ولا يخاف غيره ) (٢) .

الأسباب والمسببات من خلق الله :

ومع تقرير أن الأسباب هي سنة الله في حصول المسببات والنتائج ينبغي التأكيد على أن الأسباب والمسببات كلها من خلق الله سبحانه ، كما أن السنة نفسها التي فيها ترتيب لحصول المسببات بأسبابها هي من خلق الله ، والأسباب المتممة والمساعدة هي من خلق الله كذلك . والله سبحانه وتعالى يقول : ( والله خلقكم وما تعملون ) (٣) .

- (١) انظر الملل والنحل للشهرستاني (٤٩) . وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية (١/١٢٤) تأليف الامام محمد ابو زهرة . طبعة دار الفكر العربي .  
(٢) الفوائد لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بان القيم (٥٢) دار الفكر . وانظر الفتاوى لابن تيمية (٧٠/٨ ، ١٣٣) .  
(٣) الصافات (٩٦) .

قال القرطبي عند تفسيره للآية بعد إيرادها لأقوال المفسرين في موضع  
 ( ما ) الإعرابي ، قال: ( والأحسن أن تكون ( ما ) مع الفعل مصدرًا ، والتقدير :  
 والله خلقكم وعملكم . - وأضاف بقوله : هذا مذهب أهل السنة : أن الأفعال  
 ( ١ ) خلق لله عزوجل واكتساب للعباد . وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجهمية .  
 عدم ركون المؤمن إلى الأسباب ، وتخليص شعوره من التبعية لها :

وإذا كان السبب والنتيجة مخلوقين لله سبحانه وذلك بتقديرهما  
 مع إثبات فعلهما للانسان فإنَّ هذا يوجب على المؤمن أن لا يلتفتوا إلى  
 الأسباب أو يركنوا إليها ، بل يفوضوا أمرهم إلى الله ويعتمدوا عليه ، مع ضرورة  
 اتخاذ الأسباب حسب ما أمر الله ، وحسب ما تقتضيه سنة الله . والتعلق بالأسباب  
 في حقيقته تعلق رجاء من أجل تحقيق منفعة أو دفع مضرة ، وبهذا فإن الانسان  
 يتوجه بالعبادة إلى الأسباب <sup>وهذا خطأ محض</sup> لأن النافع والضار هو الله ، وما يقع من أسباب  
 هو بأمر الله . ولذلك فقد نقل ابن تيمية عن العلماء قولهم : ( الإلتفات إلى  
 الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير في وجه  
 العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكليسة قدح في الشرع ) . ( ٢ )  
 وتخليص شعور المؤمن من ضغط الأسباب الظاهرة فإن القرآن الكريم  
 مع إثباته للأسباب التي يفعلها الانسان - أضاف فعل المسببات إلى الله  
 سبحانه في مواضع كثيرة، منها قوله سبحانه وتعالى: ( ان الله لا يغير ما بقوم  
 حتى يغيروا ما بأنفسهم ) ( ٣ ) ذكرت الآية تغييرين : تغيير ما بالأنفس ، وتغيير ما بالقوم ،  
 ورتبت حصول الثاني على فعل الأول فكان هذا بمثابة السبب والثاني بمثابة  
 المسبب الذي ينشأ عنه . ولكن أضافت الآية التغيير الأول وهو السبب إلى  
 الانسان باعتباره المباشر لفعله والذي هو من دائرة عمله وقدرته وواجبه ، وأضافت  
 المسبب وهو تغيير ما بالقوم إلى الله سبحانه ( ان الله لا يغير ما بقوم ) حتى

( ١ ) احكام القرآن - للقرطبي ( ٩٦ / ١٥ ) .

( ٢ ) الفتاوى لابن تيمية ( ١٣٨ / ٨ ، ١٣٩ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ) .

( ٣ ) الرعد ( ١١ ) .

تتعلق النفوس بالله سبحانه ، وتنفض يدها وشعورها من التبعية للأسباب .

وقال سبحانه وتعالى مخاطباً المسلمين إثر غزوة بدر: فلم تقتلوهم ولكن

الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمن من بلاء حسنا إن

الله سميع عليم . ( ١ )

قال القرطبي : ( . فنزلت الآية إعلماً بأن الله تعالى هو المميت والمقدر

لجميع الأشياء ، وأن العبدانما يشارك بتكسبه و قصده . وهذه الآية ترد على من

يقول بأن أفعال العباد خلق لهم . فقل المعنى : فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بسوقهم

إليكم حتى أمكنكم منهم . وقيل : ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين أمدمكم بهم ) . ( ٢ )

وقال الشوكاني عند تفسيره للآية: ( الفاء جواب شرط مقدر : أي إذا عرفتم

ما قصه الله عليكم من إمداده لكم بالملائكة وإيقاع الرعب في قلوبهم فلم تقتلوهم ولكن

الله قتلهم بما يسره لكم من الأسباب الموجبة للنصر . ونقل عن ثعلب تفسيره لقوله

( وما رميت ) : أي الفرع والرعب في قلوبهم ، وقوله ( إذ رميت ) : أي بالحصباء فانهزموا ،

وقوله ( ولكن الله رمى ) : أي أعانك وأظفرك . وأضاف : والعرب تقول : رمى الله

لك : أي أعانك وأظفرك وصنع لك ) ( ٣ ) فالآية بهذا أثبت فعل الرمي للرسول صلى الله

عليه وسلم ، وأثبتت من جهة أخرى أثر الرمي ونتيجته لله سبحانه لكي تتوجه القلوب

الى الله وتركن اليه ، وتزداد ثقة بنصره وتأييده ، وتتخلص من ضغط الأسباب الظاهرة .

نقل الشوكاني في تفسيره للآية القول ( بأن تلك الرمية بالقبضة من التراب التي

رمى بها لم ترمها أنت على الحقيقة ، لأنك لو رميتها ما بلغ أثرها الا ما يبلغه رمي

البشر ، ولكنها رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم ) . ( ٤ )

( ١ ) الأنفال ( ١٧ ) .

( ٢ ) السقرطبي / أحكام القرآن ( ٣٨٤ / ٧ ) .

( ٣ ) فتح القدير للشوكاني ( ٢ / ٢٩٤ - ٢٩٥ ) بتصرف يسير جدا .

## اتخاذ الأسباب سنة الله في النصر والهزيمة :

إن حركة التاريخ الإنساني وما يواكبها من مد وجزر وصعود وهبوط ونصر وهزيمة، لا تصير <sup>بغير</sup> بالمصادفة ، بل يحكمها نظام - كما هو الحال في الأمور المادية والطبيعية ، وكما هو شأن هذا الكون الذي يتصف بالنظام والدقة في كل شأن من شئونه من الذرة إلى المجرة . . - وذلك من خلال سنة ربانية ثابتة تنظم وقوع المسببات بناء على أسبابها المقدرة كما قررت سابقا .  
وبالتالي فإن السنة في النصر والهزيمة تقوم على أن لكل منهما أسبابه المفضية إلى وقوع هذه النتيجة أو تلك ، ولا يقع أي من ذلك من فراغ ومن دون أسباب إلا بمعجزة ربانية . والمعجزة هي قانون الله الذي يخرق فيه السنة ، فهو خاص به سبحانه ، أما السنة فإنها هي قانون الله الذي أودعه الكون ، لكي يعمل به البشر في هذا الكون ، ولكي يحققوا ما يريدون بواسطته .

والله سبحانه قضى بأن تكون سنته في النصر والهزيمة - كما هو الشأن في غيرهما - قائمة على فعل البشر للأسباب ، وذلك لما يتصف به سبحانه من العدل حيث أن من يعمل بالأسباب لا يستوى ومن يتركها . وقضى الله سبحانه بهذه السنة على المؤمنين كذلك - وهو القادر على أن ينصرهم بدون أسباب - ليناسب ذلك كون الدنيا دار ابتلاء وامتحان وتكليف ، فيظهر من يجاهد في سبيل الله ممن يتخاذل - والله عليم بعباده - ثم يكون بعد ذلك الجزاء له في الآخرة على ما كان منه . يقول سبحانه وتعالى : ( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ) ( ١ ) .

( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ) . ( ٢ )

( ١ ) آل عمران ( ١٤٢ ) .

( ٢ ) البقرة ( ٢١٤ ) .

( أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعلمون ) .<sup>(١)</sup>

وإذا أراد الله سبحانه أن يمكّن لأحد من عباده المؤمنين فإنه يسخر له الأسباب التي يتوصل بها إلى التمكين مجارة لسنته سبحانه في أن للنصر والتمكين أسبابه كما ذكر القرآن في شأن تمكين ذي القرنين ، يقول تبارك وتعالى: ( وبسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا \* إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا ) .<sup>(٢)</sup>

بين الله سبحانه أنه مكن لذي القرنين في الأرض ، ثم أتبع ذلك بذكر الوسيلة التي أتم له بها التمكين وهي الأسباب ، تقريراً لسنته سبحانه بأن النصر والتمكين له أسبابه .

والسبب في الأصل هو الحبل ، ثم استعير للدلالة على كل ما يتوصل به إلى شيء . وقال بعض المفسرين في معنى الأسباب هنا بأنها العلم . وقيل : تعلم الألسنة وقيل : من كل شيء يحتاج إليه الخلق . وقيل : من كل شيء يستعين به الملوك في فتح المدائن وقهر الأعداء .<sup>(٣)</sup>

قال ابن كثير في تفسيره لمعنى الأسباب هنا : ( أي الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضي وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض وإذلال أهل الشرك ، قد أوتى من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سببا ) .<sup>(٤)</sup>

وكما أن الله سبحانه إذا أراد أن يمكّن لأحد من عباده المؤمنين فإنه يبسر له الأسباب ، فكذلك إذا أراد سبحانه أن يهزم أو يهلك أمة من الناس فإنه يملأ لها حتى تتخذ الأسباب المفضية إلى هلاكها أو هزيمتها .

يقول سبحانه وتعالى: ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ) .<sup>(٥)</sup>

( ١ ) التوبة ( ١٦ ) .

( ٢ ) الكهف ( ٨٣ ، ٨٤ ) .

( ٣ ) انظر فتح القدير للشوكاني ( ٣ / ٣٠٨ ) .

( ٤ ) تفسير ابن كثير ( ٣ / ١٠١ ) .

( ٥ ) الاسراء ( ١٦ ) .



قال المفسرون فى معنى كلمة ( أمرنا ) بالتخفيف: أى أمرناهم بالطاعات ففعلوا  
 الفواحش فاستحقوا العقوبة ، وهو مروى عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبير . وقيل  
 هى بمعنى سخرنا . وهناك قراءة أخرى ( أمرنا ) بتشديد الميم: أى جعلناهم  
 أمراء مسلطين فيرتكبون المعاصى ، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم الله ، وفى قراءة <sup>ثالثة</sup>  
 ( آمرنا ) بالمد والتخفيف ، أى أكثرنا مترقبها ففعلوا المعاصى فأهلكهم الله . من  
 هذه المعانى يتضح أن تغيير حال القوم والجماعة من الناس من الرخاء إلى الشدة  
 ومن النعيم إلى الهلاك له أسبابه المفضية إلى وقوعه ، وإلا فلا يقع . فكل حال  
 تكون بالأمة إنما هى لأسباب تكون منظر تصديقا لقوله تعالى : ( إن الله لا يغير  
 ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) . ( ١ ) وهذه الآية تكشف عن سنة الله فى التغيير الخاصة  
 بالأمم والمجتمعات حيث عبّرت الآية بلفظ ( قوم ) . وهى عامة فى كل قوم مؤمنين  
 كانوا أم كفارا ، لورود هذا اللفظ بالتنكير الذى يدل على العموم ، ثم هى عامة  
 فى كل حال تكون عليها الأمة من الرخاء أو الشدة ، والفقراً أو الغنى ، والنصراً والهزيمة ،  
 والآية بينت أن سنة الله فى تغيير أحوال الأمم تقوم على تغيير هذه الأمم لما فى نفسها ،  
 باتخاذها الأسباب الكافية بإصلاح شأنها حتى يصلح الله أمرها .  
 بهذا فإن القرآن الكريم يرد ما يقع بالأمة من النصراً والهزيمة - وغيرهما -  
 إلى الأمة نفسها التى تفعل الأسباب المفضية لهذه النتيجة أوتلك ، ويرشد  
 إلى أن إحراز النصر للأمة يستوجب إصلاح شأنها بالإستقامة على شرع الله ، والأخذ  
 بأسباب القوة التى أمر بها الله سبحانه فى آيات أخرى من كتابه العزيز .  
 ولقد أمر الله سبحانه فى كتابه العزيز المؤمنين بإعداد ما يستطيعونه من أسباب  
 القوة اللازمة لإحراز النصر على عدوهم وإرهابهم ، فقال وقوله الحق : ( وأعدوا لهم ما استطعتم  
 من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم  
 ( ٢ )  
 . الله يعلمهم ) .

( ١ ) الرعد ( ١١ ) .

( ٢ ) الانفال ( ٦٠ ) .

( \* ) انظر تفسير ابن السعدود ( ١٦٣ / ٥ ) . وفتح القدير للشوكانى ( ٢١٤ / ٣ ) .

وانهزام المسلمين فى (أحد) لم يكن من غير <sup>سبب</sup> بل كان بسبب يعود إلى المؤمنى أنفسهم، وهذا ما كشف عنه القرآن بعد انهزامهم حيث يقول سبحانه وتعالى :

( أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم (١) )

إن الله على كل شىء قدير .

المصيبة هى الغلبة، والقتل اللذان أُصيبوا بها يوم أحد . وقوله ( قد أصبتم مثليها ) هو يوم بدر ، وذلك أن الذين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعون وقد كانوا قتلوا من المشركين يوم بدر سبعين وأسرُوا سبعين .

وأجاب الله سبحانه على تساؤل بعض الصحابة عن سبب انهزامهم وهم يقاتلون فى سبيل الله ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وعدهم الله بالنصر عليهم، فقال: ( قل هو من عند أنفسكم ) فبين لهم أن ما حدث إنما هو بسبب منهم، حيث خالف الرماة أمر رسول الله بلزوم المكان الذى عينه لهم، وعدم مفارقتهم له بأى حال . (٢)

من هذا يتبين أن للنصر والهزيمة سنة ربانية ثابتة تقوم على أن لكل منهما أسبابه، فليس لأحد أن يطلب النصر دون إعداد وجهاد ، وليس لأحد أن يشكو الهزيمة قبل أن يدع أسبابها . وليس النصر يأتى بعصاً سحرية غامضة تدور فى الكون نبحث عنها فلا نجدها ، بل هو فى أسباب واضحة وجلية سأتحادث عنها بالتفصيل فيما يأتى .

ولأود أن أدع الكلام عن سنة الله فى النصر والهزيمة دون أن أنه على أن كون هذه السنة قائمة على اتخاذ الأسباب لا يعنى أن انتصار المسلمين يتوقف على تفوق المسلمين على أعدائهم فى هذه الأسباب ، إذ إن هذا هو من شأن انتصار الكفار . بعضهم على بعض، كما أنه من شأن قتال المسلمين مع أعدائهم إذا تخلى المسلمون عن دينهم، حيث يكلمهم الله الى أنفسهم ويحجز نصره عنهم

(١) آل عمران ( ١٦٥ ) .

(٢) انظر فتح القدير للشوكانى ( ١ / ٣٩٦ ) .

فيصبحون هم واعداءهم سواء في هذا الشأن ، وتكون الغلبة فقط لمن تفوق على خصمه في حشد أكبر قدر من الأسباب المادية .

وأما اذا صلح حال المسلمين فانهم مأورون بأخذ المستطاع من أسباب القوة . وان لم تبلغ بهم الاستطاعة إلا مقدار ثلث قوة العدو ، فإن الله جلّ وعلا تكفل بنصرهم وتأييدهم على عدوهم إذا أحسنوا التوجه إليه ، وكانوا أهلاً لنصره وتأييده . ولا يلزم للانتصار على عدوهم أن يكونوا متفوقين عليهم في العدد والعدد - اذا لم يكن هذا في استطاعتهم- ، كما أنهم قد ينتصرون عليهم بأقل من ثلث قوة العدو كما حصل للمسلمين في بعض معاركهم . ( ١ )

والذي يفيد أن النصر على الاعداء غير مقيد بالتفوق عليهم ، بل يحصل من امتلاك المسلمين ثلث قوتهم هو قوله تعالى: ( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين \* يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون \* الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ) . ( ٢ )

لقد بين الله سبحانه كفايته لرسوله ولمن تبعه من المؤمنين في جميع أمورهم ، خاصة الأمور الواقعة بينهم وبين الكفرة بقوله ( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ) ، والكفاية هنا هي كفاية النصر وحصول الظفر بالاعداء في المعارك . وأمر

باعداد أسباب النصر من خلال التذكير بتحريض المؤمنين على القتال فقال: ( يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال ) أي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه . والأمر بتحريض على القتال جاء في سياق بيان كفاية الله لهم بالنصر والتأييد ، مما يفيد ضرورة اعداد الأسباب التي سيرتب الله عليها حصول كفايته لهم بالنصر والامداد . وفصل ذلك بقوله: ( إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . . . الايات ) أفادت الايات وجوب ثبات المقاتل المؤمن أمام عشرة من المقاتلين الكفار ، ثم خفف الأمر إلى أن يثبت الواحد أمام الاثنین منهم .

( ١ ) انظر مبحث عدم الاغترار بالكثرة أو اليأس من القلة . صفحة ( ٢٣١ ) .

( ٢ ) الانفال ( ٦٤ - ٦٦ ) .

( ٣ ) انظر تفسير ابن السعود ( ٣٤ ، ٣٣ / ٤ ) وابن كثير ( ٣٢٤ / ٢ ) .

وحملت أيضا وعداً من الله وبشارة بنصر المؤمنين وان كانوا - بعد التخفيف -

ثلث عد وهم ، ملائمتهم صابرين .

وقد فسّر الإمام الطبري الآيات على أنها إخبار من الله بحصول الغلبة

للمسلمين في حالتى القوة والضعف على ما ذكر فيها ، وأثبت في نفس الوقت ما يقتضيه

الخبر من إيجاب الثبات في وجه العدو . ونقل فيما نقل بسنده عن مجاهد في

قوله تعالى: ( ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ) أنه قال : كان فرض عليهم

إذا لقي عشرون مائتين أن لا يفروا ، فإنهم إن لم يفروا غلبوا ، ثم خفف الله عنهم

فقال: ( إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن

الله ) فيقول : لا ينبغي أن يفروا ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم . ( ١ )

وفسّر الإمام أبو السعود الآيات على سبيل الإخبار بالوعد المتضمن للأمر

بالثبات فقال عند قوله تعالى: ( إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ) : وعد

كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم بطريق الاستئناف

بعد الأمر بتحريضهم . ( ٢ ) وكذا فسرها ابن كثير ، والنسفي ، والشوكاني ، وأضاف بذكر

الجواب على من خالف ذلك لمخالفة الواقع للخبر أحياناً ، إذ يكون المسلمون مثل عدوهم

فلا ينتصرون عليهم فقال: ( وأجيب عن ذلك بأن وجود هذا في الخارج لا يخالف

ما في الآية ، لاحتمال أن لا تكون الطائفة من المؤمنين متصفة بصفة الصبر ) . ( ٥ )

ومرادى مما سبق ذكره هو التأكيد على أنه لا يلزم لانتصار المسلمين على الكفار

أن يكونوا مساوين لعدوهم أو متفوقين عليهم في أسباب القوة ، بل يكفي لإحراز النصر

عليهم أن يكونوا في ثلث قوتهم إذا كانت هذه غاية استطاعتهم .

ولاشك أن الأسباب المعنوية والشرعية منها خاصة تعوّض ما بهم من نقص ، وتكفل

لهم رضى الله وتأيدده ، وهو بيده العزة والنصر جميعاً . واما الأسباب المادية فهى

الغطاء لتحقيق قدر الله بالنصر . وهى فى حق المؤمنين ابتلاء لاظهار صدق توجسهم

الى الله .

( ١ ) جامع البيان عن تأويل آى القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري ( ٦ / ٣٨ ، ٤١ )

دا الفكر بيروت ٨٤ / م ٥ / ١٤٠٥ هـ

( ٢ ) تفسير ابن السعدي ( ٤ / ٣٤ ) .

( ٣ ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٢ / ٣٢٤ ) .

( ٤ ) تفسير النسفي ( ٢ / ١١٠ ) .

( ٥ ) تفسير فتح القدير للشوكاني ( ٢ / ٣٢٤ ) .

# الباب الثاني

## الأسباب المعنوية للنصر والهزيمة في الكتاب والسنة

ويشتمل على تمهيد واثنى عشر سبباً وهي ٢-

- ١ - الأيمان والعقيدة البناءة .
- ٢ - الأخلص وسلامة المقصد .
- ٣ - التقوى وعدم مقارفة المعاصي والذنوب .
- ٤ - الشورى في المعركة .
- ٥ - الحرب النفسية .
- ٦ - عدم الإعجاب بالكثرة أو اليأس للقلّة .
- ٧ - الاتحاد في المعركة .
- ٨ - الشجاعة وإرادة القتال .
- ٩ - التوكل على الله .
- ١٠ - الطاعة والانضباط في المعركة .
- ١١ - الذكر والدعاء في المعركة .
- ١٢ - الصبر والثبات في المعركة .

## تمهيد

أسباب النصر تعود في أصلها إلى أسباب القوة التي تمتلكها الأمة، لأن النصر هو أثر عن حالة القوة في الأمة، كما أن الهزيمة أثمر عن حالة ضعف الأمة .  
وتسهم القوة بنوعيتها المعنوية والمادية في إحراز النصر، كما يسهم الضعف بصنفيه في وقوع الهزيمة، ولذلك فإن أسباب النصر والهزيمة تنقسم إلى أسباب مادية وأسباب معنوية .

ويدخل في جملة الأسباب المعنوية الأسباب الشرعية، التي شرعها الخالق جل وعلا لعباده المؤمنين، كي يتوصلوا بها إلى تأييده وامداده ونصره وحسن توفيقه، كالدعاء والتوكل والتقوى، فإنها من الأسباب التي يستعين بها المؤمن من لقضاء حوائجه، كما تستعين بها الأمة للفوز بتأييد الله ونصره .

ولا يمكن فصل أسباب النصر عن أسباب الهزيمة، لأن فقدان سبب من أسباب النصر يعنى في المقابل ظهور سبب من أسباب الهزيمة، كما ان اجتناب سبب من أسباب الهزيمة يعنى في المقابل توفر سبب من أسباب النصر. فالسبب إذا وجد كان سببا في النصر، وإذا فقد أو وجد نقيضه كان سببا في الهزيمة .  
وتتفوق الأسباب المعنوية على الأسباب المادية في درجة التأثير على المعركة وإحراز النصر، لأن الأسباب المعنوية - على وجه العموم - تكون خافية على العدو، ويكون من الصعب عليه رصدها، وتقدير حجمها، ومواجهتها بأسلحة تبطل تأثيرها . كما أنها من جهة أخرى تكون نابعة من صميم قلب الأمة وجيشها، وتمثل وزنا كبيرا في تحفيز الأمة واستنهاض همتها ضد العدو...  
ولذلك فإن نابليون قدّر تأثير العامل المعنوي بثلاثة أضعاف تأثير العامل المادي (١)،  
وذهب كلا وزفتز الى أكثر من هذا حيث قال : ( ان القوى المعنوية هي التي تحدد نتيجة المعركة ) (٢) .

(١) الرسول القائد / اللواء الركن محمود شيت خطاب ص ٧٩ - دار الفكر الطبعة الخامسة .

(٢) استراتيجية الفتوحات الاسلامية / الراءد وليد محمد جرادات ص ٤٤ طبعة مديرية المطابع العسكرية .

ولو قدر لنا بليون أو كلاوزفتزان يكونا مسلمين معتقدين بالأسباب الشرعية ، فكم ياترى سيكون تقديرهما لقيمة الأسباب المعنوية - حسب مفهوم المسلميــــــــــــن - في احراز النصر ؟ انّ دخول الأسباب الشرعية في جملة الاسباب المعنوية يجعل<sup>هذه</sup> الاسباب كفيلا بقلب موازين المعركة واحراز النصر ، لأن الأسباب الشرعية في حقيقتها - هي مناط حصول النصر الرباني للمؤمنين .

وليس ما ذكرت هو دعوة لترك الاسباب المادية أو التهوين من قيمتها فقد اهتم الاسلام بها كما سترى . ولكن المراد هو وضع كل قسم من هذه الاسباب في الاطار والحجم الصحيحين الذين وضعها فيه الاسلام ، وحتى لانقع فريسة لخدیعة الاستعمار بأنا لانقوى على النصر الا بالسلح المادى وحده ، لالقاء الخور واليأس في نفوس المسلمين ، ولسلخهم عن عقيدتهم وشريعتهم التي هي مصدر قوتهم وعزتهم .

وسأحاول تفصيل الاسباب المعنوية للنصر والهزيمة من خلال استعراض نصوص الكتاب والسنة مع التمثيل بنماذج من جهاد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام والصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، لأن هذه السيرة هي بمثابة التطبيق العملي لنصوص الكتاب والسنة ، وهي خير شاهــــــــــــد على قيمة كل سبب من الاسباب المعنوية والمادية في احراز النصر ، لأنها سيرة حافلة بمشاهد الفتح والنصر . . . . .

السبب الأول  
=====الايان  
=====

الايان بالله هو سر انتصارات المسلمين :

إن الايمان بالله سبحانه هو مصدر القوة والعزة والنصر . وبيان هذا من جهين :

الأول : أن الله سبحانه وعد المؤمنين بالنصر والتمكين مع الأخذ في الاعتبار سنة الله

في النصر - وبذلك فإن الايمان شرط تحقيق الوعد بالنصر .

يقول سبحانه وتعالى : ( وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ) (١) . فهذا هو وعد الله الذي

أنزله بمنزلة الحق الواجب على نفسه ، وهو نصر المؤمنين من أى جنس أولون كانوا يوفى

أى زمان أو مكان ، فإنهم يحققون بنصر الله ما تحقق فيهم الايمان بالله .

وسبق بيان هذا الوجه في موضوع وعد الله للمؤمنين بالنصر . لذا فقد سأكتفي

بلايجاز هنا .

الثانى : إن الايمان بالله يزود المجاهدين بطاقة وقوة عظيمة تجعل منهم جيشاً لا يقهر .

وهو ما سأفصله في هذا البحث .

إن الايمان بالله يجعل قلب المجاهد موصولاً به سبحانه في أشد ساعات المعركة فضلاً

عن أهونها ، يتوجه الى الله ، ويعتمد عليه سبحانه ، ولا يخشى أحداً سواه . يقول الله تعالى :

( الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا

آجر عظيم \* الذين قال لهم الناس ، ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً

وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل \* فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا

( ٢ )

رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ) .

(١) الروم (٤٧) .

(٢) آل عمران (١٧٣ - ١٧٥) .



لقد دفع الايمان الصحابة - رضوان الله عليهم - لأن يستهينوا بتهديدات المشركين لهم عقب أحد ، وأن لا يهابوا الجموع التي أعدوها لقتالهم .

( ١ )

أخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - عن عائشة رضى الله عنها : ( الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع . . . ) - الآية - قالت لعروة يا ابن أختى كان أبوك منهم (٢) الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - ما أصاب يوم أحد ، وانصرف عنه المشركون ، خاف أن يرجعوا ، قال : من يذهب فى إثرهم ، فانتدب منهم سبعون رجلا قال : كان فيهم أبو بكر والزبير ) .

لقد خرج الصحابة لقتال المشركين رغم خروجهم من معركة أحد ، وقد أصابهم ما أصابهم يومها .

وكان للايمان بالله شأنه فى خروج الصحابة لمقاتلة المشركين فى حمراء الاسد ، وعدم تخوفهم من جموعهم وتهديداتهم ، إذ الإيمان بالله يقتضى ترك مخافة غير الله ( فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ) . كما أنه جعل قلوبهم مطمئن الى جنب الله ، وتتوكل عليه سبحانه ، وتفوض الأمر اليه وحده ، دون أن ينال ذلك من عزيمتهم أو إيمانهم بل زادهم إيمانا مع إيمانهم .

فالايمان بالله هو الذى ثبتهم فى الخروج لقتال أعدائهم بعد أحد ، وقد نالهم فيها ما نالهم ، وهو سبب نصرهم عليهم .

( ١ ) أخرجه البخارى فى كتاب المغازى - باب الذين استجابوا لله والرسول ( ٢٦ / ٣ )

..... ومسلم فى كتاب الفضائل ، باب فضائل طلحة والزبير ( ٤ / ١٨٨٠ ، ١٨٨١ ) .

( ٢ ) هكذا وردت . والصواب : كان منهم ابوك الزبير ، وأبو بكر .

ان الايمان بالله قوة عظيمة تقلب كل موازين القوى فى أى معركة تسلح المجاهدون فيها با لايمان الحق ، لأنه يزودهم بدافع نفسية - كما سنفصله قريباً - تمسلاً نفوسهم فداءً وتضحية واستيسالاً فتحارب هذه الدوافع إلى جانب أصحابها كما يحارب الجندي إلى جانب أخيه . ولهذا كان حساب المسلمين فى موازين القوى أضعاف غيرهم من الكفار ، فقد كلف الله سبحانه المجاهد المؤمن فى أول الاسلام أن يثبت أمام عشرة ) ، ثم خفف الله عنهم فجعل المؤمن الصابر يثبت لإثنين ، وجعل ذلك حكماً يلزم كل مؤمن الى يوم القيامة . فالمجاهد المؤمن مُقدّر بما فى قلبه من إيمان وعقيدة تبعث فيه روح الشجاعة والفداء والتضحية ، وتخلع من نفسه أسباب الخوف أو الضعف ، والكافر ليس فى قلبه عقيدة صادقة تدفعه الى كل ذلك فيؤثر الدنيا على الآخرة ، والقعود على القتال .

يقول الله سبحانه: ( يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون \* الآن خفف الله عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين ) ( ١ )

فاله سبحانه بين لنبيه عليه الصلاة والسلام أنهم بالايان والصبر مؤهلون للنصر ، وأما الكفار فهم غير مؤهلين لأنهم لا يفقهون ، أى لا يؤمنون .

والايان بالله سبحانه يحتّم على كل مؤمن - قادر - أن يكون مجاهداً فى سبيل الله بماله ونفسه . يقول تبارك وتعالى : ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ) ( ٢ ) . فالمجاهد بنفسه وماله هو المؤمن الصادق ، ومن سواه لا يملك دليلاً على صدق دعواه .

( ١ ) الانفال ( ٦٥ ، ٦٦ ) .

( ٢ ) الحجرات ( ١٥ ) .

يقول عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه مسلم - واللفظ له - وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله : ( من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه ، مات على شعبة من نفاق ) .

فالمؤمن الصادق هو المجاهد في سبيل الله أو المعد نفسه للجهاد ، والا فهو من المنافقين .

وإذا كان الأمر كما تبين سابقا ، فإن كل مؤمن هو جندي في جيش الاسلام - إلا من عذره الله لعذر لا يمكنه من الجهاد - ، ومن ثم فإن المجتمع الاسلامي كله مجتمع مجاهد . . . ، بهذا نرى أن الايمان يستنفر كل الطاقات البشرية والمادية للافادة منها في معركة التحرير والنصر . . . .

والايمان بصفات الله عزوجل يجعل المجاهد يلجأ الى الله وحده يستعين به في السراء والضراء وحين البأس ، ويجعله في درجة عالية من الأمن والطمأنينة ، حتى في أشد ساعات المعركة لأنه يوء من بأن الناصر هو الله ، وأنه سبحانه معهم أينما وحيثما كانوا بالنصر والمعونة والامداد ، ومن ثم فإن الايمان سبب للنصر .

يقول الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - مانصه : ان الايمان بالله اتصال بالقوة الكبرى التي لاتضعف ولا تفنى . . . وان الكفر انقطاع عن تلك القوة وانعزال عنها . . . ولن تملك قوة محدودة مقطوعة منعزلة فانية أن تغلب قوة موصولة بمصدر القوة في هذا الكون . . . . ( ٢ )

- 
- ( ١ ) اخرجته مسلم في الامارة ، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ( ٣ / ١٥١٧ ) .  
 واخرجه ابو داود في الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو ( ٣ / ١٠ ) . والنسائي في الجهاد ، باب التشديد في ترك الجهاد ( ٦ / ٨ ) .  
 ( ٢ ) انظر طريق الدعوة في ظلال القرآن / أحمد فائز ( ١ / ٣٤٧ ، ٣٤٨ ) .

ولقد حقق المسلمون عبر تاريخهم الطويل انتصارات لم يشهد لها تاريخ الانسانية مثيلا ، مادعا المفكرين والساسة والعسكريين الى الوقوف أمام هذه الانتصارات وبقية دهشة واعجاب واكبار .

ومبعث الدهشة عند هؤلاء يكمن فى أمور أهمها :

١ . النقلة البعيدة التى انتقلها أهل الجزيرة العربية ، فبعد أن كانوا رعاة أصبحوا قادة ودعاة ، حققوا كل تلك الانتصارات .

٢ - السرعة الفائقة التى تحققت فيها تلك الانتصارات ( والتى لم يسبق لها مثيل حتى قال الكثيرون ان العرب فتحوا فى ثمانين سنة أكثر مما فتح الرومان فى ثمانمائة سنة ، وكان نابليون يقول ان العرب فتحوا نصف الدنيا فى نصف قرن ) .

٣ - تحقق تلك الانتصارات رغم الفجوة الهائلة بين المسلمين وخصومهم ، فقد كان الفرس والروم يملكون قوى مادية وبشرية أضعاف ما لدى المسلمين مما يعنى فى الحسابات البشرية تفوقهم عليهم ، رغم هذا فانهم حطموها تلكم الامبراطوريتين ، وحققوا الانتصارات رغم قلة امكاناتهم ، ووفرة امكانات عدوهم وتقدم خبراتهم القتالية .

ولاشك أن الاسلام هو الذى خَرَجَ أولئك القادة وحقق تلك الانتصارات ، والا فما

هى الحال التى كان عليها العرب ، وما هو شأنهم بين الأمم قبل الاسلام ؟

ان السبب الرئيس فى انتصارات المسلمين هو ما كانوا عليه من عقيدة بناءة أحييت قلوبهم ، وألهبت حماسهم فجعلتهم يندفعون أسوداً فى ساحات الوغى وميادين القتال يستميتون فى سبيل هذه العقيدة ، وعلى النقيض منهم كان عدوهم ، فلا عقيدة صادقة تجمعهم ، ولا إيمان صادق يدفعهم ، فكانوا يحرصون على الحياة حرص المسلمين على الممات فى سبيل الله ، ومن ثم فلاقوة لهؤلاء الأعداء بأن يقفوا فى وجه جنود الله .

---

( ١ ) آيات الجهاد فى القرآن الكريم / د . كامل الدقس ص ١٤٧ / دار البيان . الكويت

٠ ( ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م )

ويجمل بنا هنا أن نستشهد بما كتبه أحد أبرز القادة المسلمين المعاصرين اللواء الركن محمود شيت خطاب، إذ يقول : ( . . . لم ينتصر العرب والمسلمون مطلقاً بكثرة العدد، وقد كان أعداؤهم متفوقين عليهم بالعدد في كل معركة خاضوها، وقد انتصرت الفئة القليلة من العرب المسلمين على الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين، ومن الفرس والروم وحلفائهم، بالعقيدة وحدها، وأتحدى من يثبت خلاف ذلك . . .، أن الإسلام بالنسبة للعرب هو السلاح السرى الذى جعلهم يقودون العالم قروناً طويلة فى ميادين —————  
( ١ )  
السياسية والحضارة والحرب) .

ولقد أدركت فئة - كما سنبينه - من أولئك المفكرين والساسة والعسكريين بأن الإسلام هو سر ما حققه العرب المسلمون من انتصارات رائعة، ولذا فقد نبه كثير من المنصرين والمستشرقين الدول الاستعمارية فى العصر الحديث على ضرورة سلب المسلمين عن إسلامهم بوسائل عديدة، لنزع سر القوة من أيدي المسلمين حتى لا يتحقق لهم ما تحقق لأجدادهم بهذا الدين .

---

( ١ ) الإسلام والنصر / اللواء الركن محمود شيت خطاب . ص ٢٧، باختصار . طبعة

دار الفكر . الطبعة الأولى ( ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ) .

## أركان الايمان واثرها فى تحقيق النصر.

معلوم أن للايمان أركاناً يعتقد بها كل مؤمن مسلم، ولهذه الأركان ثمرات فى حياة الفرد والجماعة، إذ تجعل الفرد مقاتلاً مؤمناً، يجاهد بدافع الايمان والعقيدة، وفى المجموع تكون الأمة كلها مجاهدة لنصرة الايمان والعقيدة. ويمكن استعراض بعض أركان الإيمان لبيان أثرها فى إعداد جيش العقيدة، واحراز النصر، بعد أن تبين أن الايمان بالله هو سر النصر.

أولاً - أثر الايمان باليوم الآخر: إن من أبرز مقررات العقيدة الاسلامية الايمان بالبعث واليوم الآخر.

فالدنيا ليست هى الغاية القصوى فى نظر الاسلام، وليست دار مقر، وانما هى ممر يوصل إلى الآخرة. وإذا كان الأمر كذلك، فماذا يتصور بالنسبة لحال المقاتل المؤمن وحال المقاتل الكافر؟ لا شك أن المقاتل المؤمن سيضحى بالدنيا وزينتها ليفوز بالحياة الآخرة، دار القرار النعيم.

والايمان باليوم الآخر سيجعله لا يكتثر للدنيا ومتاعها ولا يخشى ما يفوته منها باستشهاده، بل ويسعى بجهاده من أجل الوصول الى الحياة الآخرة. وعلى النقيض من ذلك تكون الدنيا غاية الكافر ونهاية ما يصبو إليه فيسعى ليتلذذ بها، ويحرص على أن لا يفوته شيء منها بوفاته، فيجبن فى المعركة، ويسيطر عليه الخوف لأن نهاية حياته ستكون بنهاية أجله كما يعتقد.

ومن ثم فإننا نجد أن الإيمان باليوم الآخر يدفع المجاهدين المؤمنين لخوض المعركة بمعنويات عالية، وعزيمة صادقة، وشجاعة نادرة لا يملكها العدو، مما يساهم فى احراز النصر عليهم.

ثانيا : أثر الايمان بالقضاء والقدر .  
 وان من اركان العقيدة الاسلامية أيضا الايمان بأن  
 الأمور مقدرة بيد الله عزوجل ، وما أصاب الانسان ما كان ليخطئه ، وما أخطأه ما كان ليصيبه  
 إلا باذن الله . يقول سبحانه: ( قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله  
 ( ١ )  
 فليتوكل المؤمنون ) .

ولهذه العقيدة أثر واضح في إعداد وتكوين نفسية المجاهدين على الصبر وتحمل  
 المشاق ، والرضى بما يصيبهم من قضاء الله وقدره .  
 ولها أثرها في جعل المؤمنين يشبتون في المعركة ويواجهون المهام الصعبة  
 والمواقف الحرجة بصلابة ، وقوة ورباطة جأش .  
 كما أنها تعد نفوس المجاهدين لعدم الخوف من كثرة المشركين وقلة المؤمنيين ،  
 فالنصر بيد الله .

ثالثا : أثر الايمان بأن الأجل بيد الله عزوجل .  
 من مقررات العقيدة الاسلامية أيضا  
 أن الحياة والموت بيد الله سبحانه ، وأن لكل نفس أجلا لا يتقدم أو يتأخر عن قدر الله  
 سبحانه .

يقول جل شأنه: ( وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ) .  
 ( ٢ )  
 ويقول سبحانه وتعالى: ( فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) .  
 ( ٣ )  
 وهذه الحقيقة الايمانية تثبت قلوب المجاهدين في المعركة ، وتنزع من نفوسهم  
 الجبن والخوف فلا يهابون الموت لأنه بأجل لا يقدمه القتال ولا يؤخره الفرار .

( ١ ) التوبة ( ٥٠ ) .

( ٢ ) البقرة ( ١٤٥ ) .

( ٣ ) الاعراف ( ٣٤ ) .

وهذه الحقيقة الايمانية ينتصر المؤمن على نفسه وعلى عدوه لأنه بها يحطم أوهام الخوف من الموت، أو الخوف من الأعداء، وينطلق مجاهداً في سبيل الله لا يوقفه عن غايته إلا أن يستشهد أو ينتصر.

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن مشابهة الكفار في اعتقادهم المخالف لاعتقاد المؤمنين في ذلك يقول سبحانه: ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير \* ولئن قتلتهم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ، ولئن متم أو قتلتهم لإلى الله تحشرون ) .  
نهى الله سبحانه أهل الإيمان عن مشابهة أهل الكفر في عقيدتهم الفاسدة الدال عليها قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار أو الحروب لو كانوا تركوا تلك الأسفار والحروب لما أصابهم ما أصابهم من الموت أو القتل .

وإذا كان هذا اعتقاد أهل الكفر فلن تمكنهم هذه العقيدة الفاسدة من دخول المعركة بعزم وصدق ، ولن تثبتهم عند الشدة ، وستدفع بهم إلى الفرار من ساحرة المعركة حرصاً على أرواحهم وحياتهم كما يظنون ، مما يعنى أنها ستكون سبباً من أسباب هزيمتهم ، كما أن عقيدة المؤمنين بالله ستكون سبباً من أسباب انتصارهم .

من هنا نلمس الاختلاف البين بين عقيدة الإيمان وعقيدة الكفر ، والدافع التي توجد ههنا كل من هاتين العقيدتين في المعركة ، والمساهمة التي تساهم بها في تحقيق النصر أو الهزيمة .

فإذا كان اعتقاد المؤمنين يدفعهم إلى الشجاعة والصبر والثبات فإن اعتقاد الكفر يدفع بأهله إلى الفرار من المعركة خوفاً من الموت ظناً منهم بأن القتل قرين القتال .



ولقد شنع الله سبحانه على المنافقين لالتقائهم مع أهل الكفر في هذه العقيدة الفاسدة . ومارتب عليها من أخلاق الفرار والجبن في المعركة ، وأفسد ظنهم وبيد أحلامهم بالنجاة من القتل أو الموت إذا فروا من المعركة ، وأعلمهم سبحانه بأن الموت سيدركهم وقتما وحيثما قدر عليهم .

يقول سبحانه : ( قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون  
( ١ )  
الا قليلا ) .

ويقول جل جلاله : ( قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم  
( ٢ )  
وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ) .

رابعا : أثر الايمان بالجزاء فى الآخرة .

من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة أن الدار الدنيا دار عمل ، وأن الدار الآخرة دار جزاء ، فمن عمل فى دنياه خيراً جزاه الله فى الآخرة خيراً ، ومن عمل شراً جزاه الله به فى الآخرة .

وخلق الله الجنة ثواباً لعباده المؤمنين والنار عقاباً للكافرين .

لهذا فإن المؤمنين يبيعون حياتهم الدنيا بالآخرة ابتغاء رضوان الله وثوابه .  
( ٣ )  
يقول سبحانه : ( ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ، والله رءوف بالعباد ) .

ومن باع نفسه فى سبيل الله فقد هانت عليه الدنيا ، ولم يعد له فيها ما يأسف عليه وذلك لطيب ما وعده الله به فى الآخرة ، يقول الله عزوجل : ( فامتاع الحياة الدنيا

فى الآخرة الا قليل ) .  
( ٤ )

( ١ ) الاحزاب ( ١٦ ) .

( ٢ ) آل عمران ( ١٥٤ ) .

( ٣ ) سورة البقرة ( ٢٠٧ ) .

( ٤ ) التوبة ( ٣٨ ) .

والجهاد في سبيل الله من أعظم الطاعات وأكمل العبادات، ولذ لك وعد الله  
المجاهدين أرفع الدرجات في الجنات كما بينت في فضل الجهاد .  
كما أن المجاهد المؤمن في المعركة لا يخلو حاله من أحد أمرين : إما أن يُقتل أو ما  
أن ينتصر، وفي كلا الأمرين وعده الله الثواب العظيم .

يقول جل شأنه : ( فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة  
( ١ )  
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ) .  
وعد الله سبحانه المجاهدين المؤمنين الجزاء في حالتى النصر والشهادة ولذلك  
فإن المجاهد يشعر بالغبطة والبهجة للنتيجة ، فيقبل على المعركة غير هيب في حين  
أن الكافر يشعر بالعذاب والألم .

يقول سبحانه : ( قل هل تترصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم  
( ٢ )  
الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم مترصون ) .

ولقد تكفل الله تبارك وتعالى بالثواب في كل ما يبذله المجاهد ، وفي كل ما يتحمله  
من مشاق الجهاد ، مما يعنى خلق الدوافع الايمانية عند المجاهد التى تجعله يبذل  
كل ما فى وسعه لتحقيق النصر . وفى هذا يقول سبحانه وتعالى : ( ما كان لأهل المدينة  
ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم  
لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطعون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون  
من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين \* ولا ينفقون نفقة  
صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ) .  
( ٣ )

( ١ ) النساء ( ٧٤ ) .

( ٢ ) التوبة ( ٥٢ ) .

( ٣ ) التوبة ( ١٢٠ ، ١٢١ ) .

من كل ما سبق يتبين لنا دور الايمان والعقيدة الاسلامية باعتبارها سببا من أهم أسباب النصر، وبناء عليه ينبغي التأكيد على هذا السلاح ، الذي أغفله المسلمون في بعض معاركهم مما سبب لهم الهزيمة أمام عدوهم .

ينبغي التأكيد على إعداد الجيش الاسلامي إعدادا إيمانيا مثلما يعد عسكريا حتى يكون جيش عقيدة يكتب على يديه وعد الله بالنصر .

وينبغي أن يرتفع لواء العقيدة شعارا للمعركة ، وليس بعد هذا لدعى أن يدعو لا قصاء العقيدة عن المعركة فهذه العقيدة يمكن أن نحقق ما حققه أسلافنا من النصر وبدونها نعيش في ذل وهزيمة .

شهادات الأعداء بأثر الايمان والعقيدة الاسلامية في إحراز النصر :

لقد أدرك بعض المفكرين والقادة والمنصرين من الغرب بأن سر عظمة المسلمين وقوتهم يكمن في العقيدة الاسلامية . فقد نوه المؤرخ سيرتوماس أرنولد بأهمية العقيدة كسبب من أسباب النصر عند المسلمين فقال: ( وكان ظهور مبادئ هذه العقيدة لأهالي بلاد العرب في القرن السابع الميلادي ، على يد النبي العربي - صلى الله عليه وسلم - الذي انضوى تحت لوائه شتى القبائل العربية فأصبحت بذلك أمة واحدة ، فلما امتلأوا من آثار هذه الحياة القومية الجديدة <sup>(١)</sup> ، ومن هذه الحماسة ، وتلك الحماية التي أمدت جنودهم بقوة لا تقهر ، تدفقوا في أنحاء ثلاثة يفتحون البلاد ويخضعون العباد ) <sup>(٢)</sup> .

وقال الفيلد مارشال مونتهجرى في كتاب الحرب عبر التاريخ : ( كان العرب (المسلمون)

يندفعون نحو القتال ويحركهم أقوى دوافع الحرب ، ألا وهو الايمان والعقيدة ) <sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ما كانت هذه الحياة قومية بالمعنى المتعارف عليه للقومية، بل هي حياة من صنع الاسلام .

( ٢ ) الدعوة الى الاسلام ( ٢٥ ، ٢٦ ) تأليف توماس ارنولد .

( ٣ ) عوامل النصر والهزيمة ( ٢١ ) تأليف شوقى ابو خليل / دار الفكر .

وكشف الأسقف ( لفردي ) في كتابه الكنيسة والعالم - عن طبيعة العقيدة الاسلامية وأثرها في قوة المسلمين وعظمتهم ونهضتهم فقال : ( إن سر القوة الخارقة للعادة التي يظهرها الاسلام يرجع إلى إدراك هذا الدين وجود الله بإرادته العليا وسيادته المطلقة على الكون فوق أنه كامن في وحدانيته ، فهذا الايمان هو الذي منح المسلمين في عصورهم الزاهية روح الانقياد والنظام وازدراء الموت الذي لم نعرفه في أى نظام آخر . . هذا بالاضافة إلى أن العقيدة الاسلامية خالية من التعقيدات والتجريدات فهي من ثم في متناول إدراك الشخص العادي . إنها تمتلك قوة عجيبة لاكتساب طريقها ( ١ ) إلى ضمائر الناس ) .

لذلك فإن الدوائر الاستعمارية أعلنت حرباً ضارية على الاسلام لكي يجردوا المسلمين من دينهم وعقيدتهم ، فيسهل عليهم بعد ذلك إذلالهم واستعبادهم . . ، وعملت في سبيل ذلك بكل ما أوتيت من أساليب ووسائل لخصها المستشرق ( ولفرد كانتول سميث ) بقوله : ( إن الغرب يواجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لحرب الاسلام ، وأنه خلق اسرائيل في قلب العالم الاسلامي كجزء من هذا المخطط ( ٢ ) المرسوم ) .

ولكن ستبقى العقيدة الاسلامية - رغم كل هذه الحرب والمكيدة - مصدراً لقوة المسلمين ومنعتهم في وجه العدو ، وليس أدل على ذلك من وصف المبشر النصراني ( لورانسبروان ) ( ٣ ) الاسلام بقوله : ( إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي ) .

( ١ ) الله او الدمار ( ٧٠ - ٧١ ) تأليف سعد جمعه .

( ٢ ، ٣ ) أجنحة المكر الثلاثة ( ٥٧ - ٥٨ ) تأليف عبدالرحمن حسن جبنكة الميداني .

ومن العجيب الغريب - بعد هذا كله أن يعتقد بعض القادة في العالم الاسلامى بأن لاصلة للعقيدة بالنصر . ومن الغريب كذلك أن تسعى بعض فئات المسلمين للنصر من دون هذه العقيدة بل مع عقوقهم لها ، ومجاهرتهم فى مخالفة أحكامها ، ويرفعون الشعارات الزائفة - التى لم تجلب لنا إلا الهزائم-، فى حين أن اليهود اليوم يعيئون قاداتهم وجيوشهم بالعقيدة التوارتية رغم فسادها - لأهمية الدافع الدينى فى شحذ همم الجيش ورفع معنوياته ، وتتم تعبئة الجيش بتلك العقيدة الفاسدة من خلال تدريسهم التوراة ، وعمل مسابقات سنوية فيها للجيش ، مع إكرام المتفوقين منهم ومنحهم الجوائز الفاخرة ، كما أن أفراد قوات المظلات الاسرائلية يوءدون يمين الولاء عند حائط المبكى يحملون البندقية بيد والتوراة فى اليد الأخرى ، كما ويتوافد أفراد الجيش وضباطه الى حائط المبكى لإقامة شعائرهم الدينية هناك .

---

( ١ ) اهداف اسرائيل التوسعية ( ٨٦ ) تأليف اللواء ركن محمود شيت خطاب . دار

النصر للطباعة .

السبب الثاني :

=====

الاخلاص وسلامة المقصد

ان من اهم اسباب النصر وضوح المقصد لدى المقاتلين وايمانهم بسلامة هذا المقصد ،  
لما لذلك من الاهمية فى اقدام المقاتلين وصبرهم وثباتهم فى سبيل هذا المقصد .  
فهو بمثابة الوقود المعنوى للمقاتلين فى المعركة . لذا فان العسكريين يحاولون تحديد  
الهدف والقضية التى يقاتلون من اجلها . ويبدلون جهودا مكثفة واطاقتا طويلة لتثبيت  
هذه القضية فى نفوس المقاتلين ، وتتولى اجهزة التعبئة المعنوية فى الجيش محاولة  
اقناع الجيش بهذه القضية ، كما تتولى اجهزة الاعلام تكوين رأى عام مؤيد للقتال من أجل  
مقصد هم ذاك .

باعث الجهاد لدى المسلمين : والاسلام حدّد للمسلمين مقاصد جهادهم بوضوح ، وهى

تنزل فى نفوس المجاهدين منزل الايمان الذى لا يتزعزع . وتتميز هذه المقاصد بالسلامة  
من كل المطامع البشرية التى هى من وراء قتال الكفار ، وسيوضح مدى ايمان المسلمين  
بالمقصد ، ومدى سلامة هذا المقصد ، وما لذلك من الاهمية فى تحقيق النصر .

لقد صرح القرآن الكريم بأن مقصد المؤمنين من القتال هو ( سبيل الله ) كما فى قوله

( ١ )

تعالى : ( الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ) .

وقد وردت كلمة (الجهاد) وكلمة ( القتال ) فى كتاب الله مقيدة بعبارة ( فى سبيل الله )

أكثر من خمسين مرة تقريبا ، أذكر منها قوله جل شأنه : انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم

وانفسكم فى سبيل الله ( ٢ ) ، وقوله جل شأنه : فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا

( ٣ )

بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ) .

( ١ ) النساء ( ٧٦ ) .

( ٢ ) التوبة ( ٤١ ) .

( ٣ ) التوبة ( ٨١ ) .

والرسول صلى الله عليه وسلم بين كيف يكون القتال في سبيل الله ، وذلك فيما

( ١ )

أخرجه الشيخان - واللفظ للبخارى - عن ابي موسى الاشعري قال : ( جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ) .

بين الرسول صلى الله عليه وسلم ان القتال في سبيل الله يعنى القتال لاعلاء كلمة الله . فسبيل الله هي كلمته ، أى دينه ودعوته .

يقول الشيخ محمود شلتوت : ( كلمة ( سبيل الله ) وردت كثيرا في القرآن الكريم

وكلمة ( سبيل ) هي الاصل بمعنى الطريق المعبد ، تستعمل في الخير ، وتستعمل في الشر ومنه سبيل المجرمين ، وتضاف الى الله والى المؤمنين فيقال : سبيل الله ، وسبيل المؤمنين وهي حينئذ تلتقى بمعناها مع كلمة ( الصراط المستقيم ) وكلاهما بمعنى مارسم الله لعباده من الايمان بالحق والدعوة اليه وعمل الخير والحث عليه ، فاعلاء كلمة الله ونشر دعوة الاسلام من سبيل الله . ودفع الاعداء اذا هددوا امتنا من سبيل الله ، او اغاروا على ارضنا ، او نهبوا اموالنا من سبيل الله... وعلى العموم فسبيل الله عبارة عن تأييد الحق واحلال الخير والصلاح محل الشر والفساد ، ووضع العدل والرحمة موضع الظلم والقسوة ) .

( ٢ )

فاذا ما تبين ان القتال في سبيل الله معناه القتال لاعلاء كلمة الله فان هذا

هو بمثابة المقصد الاساسى للجهاد ، ويدخل فيه جملة البواعث التي فصلتها في فصل

( بواعث الجهاد ) لانها جميعا يتحقق فيها المقصد الاساس وهو اعلاء كلمة الله . ولا

شك ان هذا السبيل هو سبيل الحق والخير والعدالة والهداية ، وفيه صلاح البشرية

( ١ ) اخرجه البخارى في الجهاد ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ( ٢ / ١٣٩ ) .

ومسلم في الامارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله

( ٣ / ١٥١٢ ، ١٥١٣ ) .

( ٢ ) تفسير القرآن الكريم ( ٦٤٩ ، ٦٥٠ ) باختصار وتصرف . دار الشروق ، الطبعة العاشرة

( ١٩٧٣ م ) .

وسعادتها وهدايتها في الدارين . فاذا ماتقرر القتال من اجله فانما هو قرار وقتال من اجل هداية الناس وصلاحهم ، وهو منزه عن المطامع البشرية والنوازع العذوانية التي هي من حال قتال البشر الذين يحكمهم الطاغوت ، وقد فصلت هذا في موضوع ( بواعث الجهاد ) فيمكن الرجوع اليه .

واذا كانت هذه هي المقاصد المشروعة من جهاد المؤمنين ، فان نزول تأييد الله ونصره عليهم مرهون بالتزامهم بهذه البواعث وخلصهم مما سواها مما ليس فيه اعلاء لكلمة الله كما سألينه في نهاية هذا البحث ان شاء الله .

وكما يلزم ان تكون البواعث العامة للجهاد خالصة من الاغراض الدنيوية والمطامع العذوانية ، فان الباعث الذاتي للجهاد عند كل مجاهد ينبغي ان يكون هو باعث الاخلاص لوجه الله تعالى .

أخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج الجهاد في سبيلي وايماننا بي وتصديقا برسلي فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا مانال من اجرا وغنيمته . . . ) .

قال النووي في معنى قوله ( لا يخرج الجهاد في سبيلي وايماننا بي وتصديقا برسلي ) قال : معناه لا يخرج الجهاد الا محض الايمان والاخلاص لله تعالى . ( ٢ )

يجب ان يكون الاخلاص كباعث ذاتي في نفس المجاهد هو المحرك له لتحقيق الباعث الخارجي الذي يتم به اعلاء كلمة الله ، وبهذا وذاك يكون المجاهد / في سبيل الله كما يكون الجهاد في سبيل الله ، وبهما معا يتكفل الله سبحانه للمجاهدين بالشواب والجنة ، كما يكفل لهم النصر .

( ١ ) اخرج البخاري في الجهاد ، باب قول النبي ( احلت لكم الغنائم ) ( ١٩٢ / ٢ )

ومسلم في الامارة ، باب فضيلة الجهاد والخروج في سبيل الله ( ١٤٩٥ / ٣ ) .

( ٢ ) صحيح مسلم بشرح النووي ( ٢٠ / ١٣ ) .



وحتى يكون الجهاد خالصا لوجه الله تعالى ينبغي ان لا تشوبه شائبة من الاغراض النفسية او الطائفية او القومية ، ويجب ان لا تشوبه شائبة من الشهوات كحب المال او الجاه او الرياء والسمعة ، والا فهو مجاهد من اجل ذلك الغرض او تلك الشهوة وليس مجاهدا في سبيل الله .

فقد مرّ في حديث ابي موسى الاشعري - في اول هذا المبحث - ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم : ( من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ) فنفي بهذا ان يكون القتال من اجل الغنيمة او الفخر والرياء والسمعة قتالا في سبيل الله ، وخص القتال في سبيل الله بمن قاتل لاعلاء كلمة الله . وبين الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر - ان اول ماتسعر به النار من استشهد ولم يرد بقتاله وجه الله وانما اراد به شيئا من الدنيا كالرياء والسمعة .

اخرج الامام مسلم بسنده عن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( ١ ) ان اول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لان يقال جرىء فقد قيل ، ثم امره فسحب على وجهه حتى ألقى في النار . . . . . ) .

وحذر صلى الله عليه وسلم من ان يقاتل المرء لغرض قومي او طائفي . اخرج الامام

مسلم - واللفظ له - والنسائي عن جندب بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ٢ ) من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية ، او ينصر عصبية فقتله جاهلية .

( ١ ) اخرجه مسلم في الامارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ( ٣ / ٥١٣ ٤١ ١٥١ ) .

( ٢ ) اخرجه مسلم في الامارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ( ٣ / ١٤٧٨ ) . والنسائي في كتاب تحريم الدم ، باب التغليظ فيمن قتل تحت راية

عمية ( ٧ / ١٢٣ ) .

نقل النووي عن الامام احمد قوله في المقصود بالراية العمية : هي الامر الاعمى

( ١ )

لايستبين وجهه .

وفي هذا تحذير من القتال تحت راية غير راية التوحيد ولغاية غير اعلاء كلمة الله ، لذا فانه من الواجب استبيان الغاية التي يقاتل من اجلها والراية التي يقاتل تحتها ، اذ لا بد ان تكون الراية اسلامية واضحة والغاية اسلامية نظيفة من كل الاهواء والمطامع البشرية .

ومن المطامع والاهواء البشرية التي حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث القتال لنصرة القوم او الطائفة من الناس غضبا لهم وتعصبا من اجلهم . وهذا القتال قتال غير مشروع ، بل هو قتال جاهلي ، اذ ان من شأن اهل الجاهلية ان يقاتل كل فريق منهم الآخر نصرته لفريقه من بنى قومه او جنسه او طائفته . لذا فقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من قتل في قتال كهذا بصفة الجاهلية ( فقتله جاهلية ) اي انه مات على صفة اهل الجاهلية ، وذلك لاتفاقه معهم في الغاية التي يقاتلون عليها فاهل الجاهلية لا يقاتلون في سبيل الله ، وهو بقتاله نصرته لعصبة لم يقاتل في سبيل الله كذلك ، ولا يقتصر تجرد المجاهد من هذه الاهواء والشهوات فقط ، بل ينبغي ان يتجرد من كل شيء يخالط قصد اعلاء كلمة الله . وجماع هذا الامر قوله تعالى : ( وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين . . . ) والجهد من اعظم العبادات وافضل القربات فالخلاص فيه واجب لاتصح العبادة ولا تقبل عند الله الا به .

( ٢ )

والخلاصة مما سبق ان المقصد الاساس الذي يدفع المؤمن للجهد هو ما ذكر في

الكتاب والسنة بلفظ ( سبيل الله ) ، ويمكن تقسيم هذا المقصد باعتبارات الى اقسام : -

( ١ ) شرح النووي على صحيح مسلم ( ١٢ / ٢٣٨ ) .

( ٢ ) البينة ( ٥ ) .

الاول : باعث ذاتي ( داخلي ) يدفع المؤمن الى الخروج للجهاد ، وهو عبارة عن محض الايمان والاخلاص لله تعالى .

الثاني : باعث خارجي يسعى المجاهد الى تحقيقه في الدنيا وهو اعلاء كلمة الله في الارض يفصله موضوع بواعث الجهاد .

والغاية القصوى التي يريجوها المؤمن من جهاده في الآخرة هي نيل رضوان الله ورحمته ومغفرته ، وبلوغ جنته والظفر بما اعده من ثواب عظيم للمجاهدين في سبيله .

باعث القتال عند الكفار :-

اما وقد تبين سمو مقاصد الجهاد الاسلامي عن كل المطامع والنزوات الدنيوية التي هي من شأن الحروب الجاهلية ، فانه يجمل بنا الوقوف هنا لبيان ما ذكره القرآن في المقاصد العامة من القتال عند الكفار ليتضح مدى سلامة مقاصد الجهاد الاسلامي . ومدى اثم مقاصد اهل الكفر والشرك واجرامهم .

لقد بين الله سبحانه وتعالى مقصد الكفار من القتال بعد أن بين مقصد المؤمنين فقال جلا وعلا: ( الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ) .

قال الاستاذ محمد عبده في معنى الطاغوت : الطاغوت من المبالغة في الطغيان وهو مجاوزة حدود الحق والعدل والخير الى الباطل والظلم والشر . وأوله الشوكانسي ( ٣ )  
بالشيطان .

اي ان معنى القتال في سبيل الطاغوت : هو القتال الذي يتجاوز فيه الناس الحق والعدل والخير الى الباطل والظلم والشر ، بدافع من الشيطان الذي يزين لهم الباطل في صورة الحق ، والظلم في صورة العدل ، والشر في صورة الخير ، او لارضاء الشيطان الذي اصبح بمثابة معبودهم من شدة انقيادهم له .

- ( ١ ) النساء ( ٧٦ ) .  
( ٢ ) تفسير المنار : الاستاذ / محمد رشيد رضا ( ٢١١ / ٥ ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .  
( ٣ ) فتح القدير للشوكاني ( ٤٨٧ / ١ ) .

غيرهم

وقتال الكفار في العموم هو تجاوز للحق والعدل والخير من اجل التمكين لباطلهم بالقهر والظلم، وليعيشوا في الارض الفساده، وهو انقياد للشيطان الذي يوحى اليهم الشرور والاثام وفعل السوء، وهو ارضاء لنزوات نفوسهم المريضة بالشهوات والمطامع والغرور.

وبعد ان بين الله سبحانه وتعالى غاية القتال عند الكفار قال : ( فقاتلوا

اولياء الشيطان ) وصفهم بانهم اولياء للشيطان ، ووصفهم بهذه الولاية هو لبيان ان اعمالهم وقتالهم انما هو موالة للشيطان ، وابتغاء مرضاة الشيطان .

وهو في المقابل - يشعر بأن المؤمنين اولياء لله تعالى حيث ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتقوية عزائم المؤمنين على القتال ، لان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة ، كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف .، وصرح الله سبحانه بضعف الشيطان بالتعقيب بقوله ( ان كيد الشيطان كان ضعيفا ) .

ولقد بين الله سبحانه غاية كفار قريش من خروجهم لقتال المسلمين في بدر في سياق نهى المؤمنين عن التشبه بهم ، فقال سبحانه : ( ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ) .<sup>(٢)</sup>

خرج المشركون ليحفظوا العير التي مع ابي سفيان ومعهم القيان والمعازف، فلما علموا بنجاة العير قالوا : لانرجع حتى نرد بدرا وننحر الجزور ، ونشرب الخمر، وتعيزف علينا القيان ، وتتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا ايدا .<sup>(٣)</sup>

فكان ذلك منهم بطرا وطلبيا للثناء من الناس وللتمدح اليهم والفخر عندهم، وكان خروجهم للصد عن سبيل الله ، والصد : اضلال الناس والحيلولة بينهم وبين طرق الهداية،<sup>(٤)</sup>

( ١ ) انظر تفسير ابي السعود ( ٢ / ٢٠٢ - ٢٠٣ ) .

( ٢ ) الانفال ( ٤٧ ) .

( ٣ ) انظر تفسير ابن كثير ( ٢ / ٣١٧ ) .

( ٤ ) انظر تفسير فتح القدير للشوكاني ( ٢ / ٣١٥ ) .

ومعلوم ان قريشاً كانت تبذل كل ما فى وسعها من اجل ان لا تنتشر الدعوة الجديدة فى الآفاق ، لذا فقد حاربت قريش المسلمين فى مكة والمدينة بكل ما لديها من وسائل .  
والقتال بقصد الصد عن دين الله جريمة كبيرة ، اذ ان الاسلام هو المنقذ للبشرية ، فهو دين الحق والعدل فيه الهداية والصلاح ، ومن حق الناس جميعا ان يروا نوره ، ويسعدوا باحكامه وتشريعاته ، ومن صدهم عن ذلك فانه لم يقصد بذلك خير البشرية وصلاحها .

### اهمية كون الجهاد ( فى سبيل الله ) فى احراز النصر :

لقد تبين المقصد الذى شرع الله من اجله الجهاد ، والاحترازاات اللازمة لصحته كعبادة ، كل ذلك مبين بالكتاب والسنة ، مما يعنى أن الجهاد بهذا المقصد وتلك الاحترازاات هو المأمور به شرعا ، وغيره فمضى عنه شرعا كذلك .  
والله سبحانه وتعالى وعد عباده المجاهدين بالنصر كما هو مبين فى موضوع ( وعد الله للمؤمنين بالنصر ) ، فاذا قصد المجاهدون من جهادهم نفس المقاصد المشروعة وتجردوا من الاحترازاات المحظورة فقد اصابوا فى جهادهم . واذا كان الامر كذلك فانهم هم الموعودون بنصر الله . واما اذا جاهدوا لغير تلك المقاصد فانهم لن ينالوا نصر الله لانهم لم يجاهدوا فى سبيل الله ، فلا يستحقون نصره .  
ولما كان قتالهم فى سبيل الله فانهم بهذا قد دخلوا فى ولاية الله التى هى عنوان العزة والقوة والنصر . وقد تكرر فى مواضع كثيرة من كتاب الله الجمع بين ولاية الله للمؤمنين وصفة النصير مما يشعر ان من تولاهم الله - لجهادهم فى سبيله - فهو ناصرهم ، وانظر الآيات مثل قوله تعالى : ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله يما يعملون بصير \* وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ) . ( ١ )

( ١ )

ومثل قوله تعالى: ( واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ) .

( ٢ )

وقوله تعالى: ( والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ) .

( ٣ )

وقوله تعالى: ( بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ) .

وبين القرآن الكريم ان ولاية الله للمؤمنين تحوطهم بالحفظ والرعاية ، وتنزل

بعد وهم القهر والتعذيب والتدمير . يقول تعالى: ( افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان

عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها \* ذلك بان الله مولى الذين

آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ) . ( ٤ ) وصرح القرآن هنا ان لا مولى للكافرين ، وصرح فى

غير هذا الموضوع ان الشيطان مولى الكافرين فقال تعالى: ( فقاتلوا اولياء الشيطان ، ان

كيد الشيطان كان ضعيفا ) .

وقد يتوهم احد التعارض بين هاتين الآيتين ، ولاتعارض فى الحقيقة اذ المراد

بان لا مولى للكافرين : اى لا ناصر لهم ، والمراد بولاية الشيطان فى الآية الاخرى هى

ولاية الاضلال ، والتزيين ، والاغراء بفعل سوء .

والكفار وليهم الشيطان ( فقاتلوا اولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا )

وكيد الشيطان ضعيف فى ذاته ، ولا شأن لكيدىه امام قوة الله وجبروته ، ولذا فان ابليس

لعنه الله - عند ما التقى جيش المسلمين بجيش المشركين يوم بدر فرهارا ونكص على عقبه

وتبرأ منهم بعد ان جاءهم فى صورة سراقه بن مالك واطمعهم فى قتال المسلمين ، وزين

( ٥ )

لهم قتالهم ، ومناهم بانه سيمنعهم مما اصابهم لاحقا ، وذلك لان كيد الشيطان ضعيف .

يقول سبحانه وتعالى: ( واذا زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من

الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبه وقال انى برىء منكم انى ارى مالا ترون

( ٦ )

انى اخاف الله ، والله شديد العقاب ) .

( ١ ) الحج ( ٧٨ ) .

( ٢ ) النساء ( ٤٥ ) .

( ٣ ) آل عمران ( ١٥٠ ) .

( ٤ ) محمد ( ١٠ ، ٩ ) .

( ٥ ) انظر تفسير ابن كثير ( ٣١٧ / ٢ ) .

( ٦ ) الانفال ( ٤٨ ) .

كما أن المؤمنين اتبعوا الحق وهو التوحيد والايمن ، واذا قاتلوا في سبيل الله فهم يقاتلون من اجل الحق ، والكفار اتبعوا الباطل بكفرهم فهم يقاتلون من اجل الباطل . وفى هذا يقول الحق جلا وعلا: ( الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل اعمالهم \* والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كقر عنهم سيئاتهم واصلح بهم \* ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم ) . ( ١ )

قال القرطبي مبينا معنى الحق والباطل فى الاية ( فالكافر اتبع الباطل ، والمؤمن اتبع الحق . والباطل: الشرك ، والحق: التوحيد والايمن ) . ( ٢ )  
ولاشك ان الحق هو الذى يعلو وينتصر ، اما الباطل فيخبو ويندثر . يقول سبحانه :  
( بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ) . ( ٣ )

قال الاستاذ محمد عبده : ( ومن سنن الله فى تعارض الحق والباطل ، ان الحق يعلو والباطل يسفل ، وفى مصارعة المصالح والمفاسد بقاء الاصلح ، ورجحان الامثل ، فالذين يقاتلون فى سبيل الله يطلبون شيئا ثابتا صالحا تقتضيه طبيعة العمران ، فسفن الوجود موءيدة لهم ، والذين يقاتلون فى سبيل الشيطان يطلبون الانتقام والاستعلاء فى الارض بغير حق ، وتسخير الناس لشهواتهم ولذاتهم ، وهى امور تأبها فطرة البشر السليمة ، وسنن العمران القويمه ) . ( ٤ )

هذا وان ظهور الباطل واهله اليوم ليس الا لنومة اهل الحق عنه ، ولوقام جهاد فى سبيل الله بحق - مع اتخاذ المستطاع من الاسباب - لانتصر الحق واهله .  
ووضوح المقصد من القتال وسلامته يجعل المجاهد يجاهد على بصيرة ، وفى طمأنينة . وكون الراية التى يقاتل تحتها ، والغاية التى يقاتل من اجلها هى ( اعلاء كلمة الله ) فان هذا سيجعل المجاهد يستبسل من اجل رفع هذه الراية خفاقة ، ونصرة هذه الغاية ، ويجعل قلب المجاهد موصولاً بالله سبحانه فيكون مطمئنا الى ولاية الله له بالرعاية

( ١ ) سورة محمد ( ١ - ٣ )

( ٢ ) احكام القرآن للقرطبي ( ١٦ / ٢٢٥ ) .

( ٣ ) الانبياء ( ١٨ ) .

( ٤ ) تفسير المنار ( ٥ / ٢١١ - ٢١٢ ) .

والامداد والتأييد والنصر،

كما ان المقاصد الشريفة والنبيلة المشروعة للجهاد تجعل المجاهد يؤمن بأن

معركته مع الكفر انما هي معركة الحق مع الباطل، والخير مع الشر، والعدل مع الظلم، مما يكون له عظيم الاثر على المجاهد، حيث تتكون لديه ارادة قتالية عالية تدفعه الى التفانى في نصرته الحق والخير والعدل .

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب ( اذا تذكرنا اهداف القتال في الاسلام وتعاليمه، علمنا بان ارادة القتال التي تغلغل في اعماق المسلم الحق، مبنية على اسس سليمة رصينة، لان هذا المسلم يؤمن ايمانا عميقا بانه يخوض ( حربا عادلة ) وهذه الحرب هي ( حافز ) جديد تجعل من المؤمن مقاتلا رهيبا كما يعبر عن ذلك العسكريون المحدثون ) .<sup>(١)</sup>

من ذلك كله يتضح <sup>من</sup> ما لهذا السبب<sup>١</sup> بالغ الاثر في احراز النصر، فهلا رفع المسلمون

راية التوحيد شعارا لمعركتهم حتى يفوزوا بنصر الله ؟

(١) ارادة القتال في الجهاد الاسلامي، اللواء الركن محمود شيت خطاب ص ٢٥

دار الفكر - الطبعة الثالثة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) .



## السبب الثالث :

=====

التقوى وعدم مقارفة المعاصي والذنوب

=====

تقوى الله تجلب نصر الله وتدفع كيد الاعداء :

ارشد القرآن الكريم الى التقوى باعتبارها من الاسباب المفضية الى نصر

المؤمنين على اعدائهم ، وذلك من خلال اخباره عن معية الله للمجاهدين

المتقين بالنصر والتأييد كما ورد فى آيات كثيرة ، منها قوله جل وعلا : ( وقاتلوا

المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين ) . ( ١ ) امر الله تبارك وتعالى

( ٢ )

المؤمنين أن يجتمعوا لقتال عدوهم كما هم يجتمعون لقتالهم ، ثم طمأنهم بمعيته

للمتقين بالنصر والعون ، وفى هذا توجيه لهم بأن يتزودوا بالتقوى ، واعلام أيضا

بأن التقوى سبب فى الفوز بمعية الله المتضمنة للعون والامداد والنصر .

قال الامام ابو السعود فى المراد بالمعية فى الآية الكريمة : ( اى معكم

بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال ) وأشار الى الحكمة من وضع المظهر

فى موضعه بقوله ( وانما وضع المظهر موضعه مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه

( ٣ )

وايدانا بأنه المدار فى النصر ، وقيل هى بشارة وضمان لهم با لنصرة بسبب تقواهم ) .

( ٤ )

وقال الامام النسفى : ( حثهم على التقوى بضمان النصرة لاهلها ) . وهذا

يدل على أن التقوى سبب مهم للفوز بالنصر .

( ١ ) التوبة ( ٣٦ ) .

( ٢ ) انظر تفسير ابن كثير ( ٣٥٥ / ٢ ) .

( ٣ ) تفسير ابي السعود ( ٦٤ / ٤ ) .

( ٤ ) تفسير النسفى ( ١٢٥ / ٢ ) .

ومثال هذه الآية بقوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم  
( ١ )

من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين ) ، معنى قوله ( يلونكم )  
اي يقربون منكم ويجاورونكم ، ومعنى ( غلظة ) أى شدة . أمر الله سبحانه بقتال  
( ٢ )

الكفار الاقرب فالاقرب ، ثم اخبرهم بمعيته للمتقين ( واعلموا أن الله مع المتقين )  
قال الشوكاني فى معناها : ( أى بالنصرة لهم وتأيدهم على عدوهم ، ومن كان  
( ٣ )

الله معه لم يقم له شىء ) .

واخبر الله سبحانه أن العاقبة لاهل التقوى فقال مخاطبا النبى صلى

الله عليه وسلم فى سياق الحث على الصبر على مشاق الدعوة : ( فاصبر ان العاقبة  
( ٤ )

للمتقين ) ، وفسر النسفى العاقبة هنا بالفوز والنصر والغلبة .

ووعده القرآن الكريم المؤمنين بالنصر اذا ما تزودوا بالتقوى فقال سبحانه

مخاطبا المؤمنين : ( يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم

سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ) ، بين الله سبحانه ما يكون بسبب التقوى  
( ٦ )

من الجزاء ، ومن ذلك نصره وتأيدته للمتقين حيث قال ( ويجعل لكم فرقانا ) والفرقان

هنا بمعنى النصر ، لانه يفرق بين الحق والباطل ، وبين الكفر باذلال حزبه  
( ٧ )

والاسلام باعزاز اهله ، وقيل بمعنى البيان والظهور واشهار الصيت . وترتيب النصر

على حصول التقوى باسلوب شرطي يدل على تعلق حصول النتيجة على تحقق المقدمة

اولا وهى التقوى .

( ١ ) التوبة ( ١٢٣ ) .

( ٢ ) تفسير ابن كثير ( ٤٠١ / ٢ ) .

( ٣ ) تفسير فتح القدير ( ٤١٦ / ٢ ) .

( ٤ ) هود ( ٤٩ ) .

( ٥ ) تفسير النسفى ( ١٩٣ / ٢ ) .

( ٦ ) الانفال ( ٢٩ ) .

( ٧ ) انظر تفسير النسفى ( ١٠١ / ٢ ) وتفسير ابن السعود ( ١٨ / ٤ ) .

وارشد الله سبحانه المؤمنين الى التزود بالتقوى ، والى لزوم الصبر

لدفع كيد اعدائهم فقال سبحانه ( وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ان  
( ١ )

الله بما يعملون محيط ) .

قال النسفي في هذه الآية : ( وهذا تعليم من الله وارشاد الى أن  
( ٢ )

يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى ) .

والمح القرآن الى أن التقوى كانت من اسباب نصر الصحابة في بدر ،  
( ٣ )

حيث قال سبحانه : ( ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون )

اخبر سبحانه عن نصره للمسلمين في بدر رغم قلتهم وضعف قوتهم ، وامرهم بالتقوى

باجتناب معاصيه والصبر على طاعته والثبات مع رسولهم . وفي ترتيب الامر بالتقوى

على الاخبار بالنصر اعلام بأن نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم ، اى اذا كان الامر  
( ٤ )

كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ . ومعنى قوله ( لعلكم تشكرون ) اى راجين  
( ٥ )

أن تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصر .

واخبر القرآن عن امداد الله للمسلمين يومها بثلاثة آلاف من الملائكة

ليثبتوهم في المعركة تحقيقاً لوعده بالنصر ، في قوله تعالى : ( اذ تقول للمؤمنين

الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ) ، الخطاب في الآية  
( ٦ )

للنبي صلى الله عليه وسلم ، خصص به لتشريفه وللشعار بسأن وقوع النصر في بدر

كان ببشارته عليه الصلاة والسلام ، وقوله ( اذ تقول للمؤمنين ) ظرف لقوله ( ولقد نصركم )

والمعنى نصركم الله وقت مقاتلتكم التى انكرتم فيها كفاية الامداد بثلاثة آلاف من

الملائكة للانتصار على المشركين ، وعبر بقوله ( لن ) التى هى لتأكيد النفسى ،

( ١ ) آل عمران ( ١٢٠ ) .

( ٢ ) تفسير النسفي ( ١٧٨ / ١ ) .

( ٣ ) آل عمران ( ١٢٣ ) .

( ٤ ) انظر تفسير ابي السعود ( ٧٩ / ٢ ) ، وتفسير روح المعانى للآلوسى ( ٤٤ / ١ / ٢ ) .

( ٥ ) انظر تفسير ابي السعود ( ٧٩ / ٢ ) .

( ٦ ) آل عمران ( ١٢٤ ) .

للاشعار بأنهم كانوا لقلتهم . . وكثرة عدوهم كالأيسين من النصر . (١) ولذا فقد  
 اسرع القرآن في الاجابة عن انكارهم ، واثبت كفاية الامداد بثلاثة آلاف من  
 الملائكة ، ثم <sup>د لهم</sup> على ما يكون سببا لزيادة نصرهم وتأبيدهم الا وهو الاستزادة من  
 الصبر والتقوى فقال سبحانه ( بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم  
 ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ) . قوله ( بلى ) ايجاب لما بعد ( لن ) معناه  
 (٢)  
 يكفيكم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة . والباعث هو عدم اطمئنان الصحابة  
 سابقا ، فاراد بذلك تطمينهم وتشيرهم . ثم اضاف بعد ذلك بقوله ( ان تصبروا  
 وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ) ليدل  
 على أن استزادتهم من الصبر والتقوى تستدعي زيادة امداد الله لهم بالملائكة  
 من ثلاثة آلاف الى خمسة آلاف ، اى زيادة قوتهم وتأبيدهم ونصرتهم .

#### المعاصي سبب للهزيمة :

اذا كانت التقوى سببا للنصر كما بينت سابقا ، فان ما يخالفها من مقارفة  
 المعاصي والذنوب سبب للهزيمة ، ويشهد لذلك ما وقع للمسلمين في أحد فقد  
 كان سببه المعصية ، يقول تبارك وتعالى : ( ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان  
 (٣)  
 انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حلیم ) .  
 المراد بقوله ( منكم ) اى المؤمنین ، وقوله ( يوم التقى الجمعان ) اى يوم (أحد)  
 والجمعان هما جمع النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ، وجمع ابى سفيان  
 والمشركين ، ومعنى قوله ( استزلهم ) اى انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان  
 طلب منهم الزلل ، ومعنى قوله ( ببعض ما كسبوا ) اى من الذنوب والمعاصي التي  
 هى مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم ، وترك المركز ، والحرص على الغنيمه

(٢) آل عمران (١٢٥) . (١) انظر تفسير النسفى (١ / ١٨٠) وتفسير ابى السعود

(٣) آل عمران (١٥٥) . . . . . (٢ / ٨٠) .

او الحياة . وقيل : الاستزلال هو التولى ، وقع بسبب ذنوب تقدمت لهم حيث  
ان المعاصي يجرب بعضها الى بعض كالطاعات . ( ١ )

والمعنى الذى ارشدت اليه الآية هو ان انهزام المسلمين فى (أحد )

كان بسبب ذنوبهم ، سواء كانت هذه الذنوب تتمثل فى مخالفة امر النبى صلى الله  
عليه وسلم وترك المركز . . ، او بسبب ذنوب سابقة افضت الى الذنوب الاولى  
وبذلك تكون المعاصي والذنوب على وجه العموم سببا للهزيمة .

وهذا التشخيص القرآني يحمل توجيهها ربانيا للمؤمنين مفاده ان المعاصي والذنوب  
من اسباب النكبة والهزيمة ، حتى يتجرد منها المؤمنون اذا كانوا جادين  
فى طلب النصر واستبدال الهزيمة .

وسرى القرآن عن الصحابة فيما اصابهم فى (أحد ) بما اصاب اتباع الانبياء

السابقين ، وارشدهم الى الدعاء والصبر والتحرز من المعاصي . يقول سبحانه وتعالى :

( وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله

وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين \* وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا

اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ) . ( ٢ )

قال ابن القيم رحمه الله : ( لما علم القوم ان العدو انما يدال عليهم

بذنوبهم ، وان الشيطان انما يستزلهم ويهزمهم بها ، وانها نوعان : تقصير

فى حق ، او تجاوز لحد ، وان النصر منوط بالطاعة ، قالوا ( ربنا اغفر لنا ذنوبنا

واسرافنا فى امرنا ) ، ثم علموا ان ربهم تبارك وتعالى ان لم يثبت اقدامهم وينصرهم

لم يقدروا هم على تثبيت اقدام انفسهم ونصرها على اعدائهم فسألوه ما يعلمون انه

بيده دونهم . . فوفوا المقامين حقهما : مقام المقتضى وهو التوحيد والالتجاء

اليه سبحانه ومقام ازالة المانع من النصرة وهو الذنوب والاسراف ) . ( ٣ )

( ١ ) انظر تفسير ابي السعود ( ٢ / ١٠٣ ) ، وتفسير روح المعاني للاوسى ( ٢ / ١ / ٩٨ ) .

( ٢ ) آل عمران ( ١٤٦ ، ١٤٧ ) .

( ٣ ) زاد المعاد لابن القيم ( ٢ / ٢٥٤ - ٢٥٥ ) بتصرف يسير .

وكتب امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى قائد جيش المسلمين سعد بن ابى وقاص يحذره من مغبة المعصية وسوء عاقبتها فقال : ( اما بعد فانى امرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله افضل العدة على العدو ، واقوى المكيدة فى الحرب . وآمرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله بولوا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عدونا ليس كعدوهم ، ولا عدتنا كعدوتهم فان استويننا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة والأُنُصر عليهم بفضلنا لم نَغلبهم بقوتنا . واعلموا ان عليكم فى مسيركم حفظة من الله يعلمون ماتفعلون فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وانتم فى سبيل الله . ولا تقولوا ان عدونا شرما فلن يسلط علينا ، فرب قوم قد سلط عليهم شرمنهم كما سلط على بنى اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . واسألوا الله العون على انفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ) .<sup>(١)</sup>

واذا كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب يوصي سعدا ، فانسه يوصي قائدا وجيشا معظمهم من الصحابة ، واين نحن من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واين تقوانا من تقواهم ، وكم هى ذنوبنا بالنسبة لذنوبهم ، فما احوجنا الى العمل بوصية الفاروق ، وان تترك المعاصي والذنوب .

---

(١) نهاية الارب فى فنون الادب (٦/١٦٨، ١٦٩) تاليف /شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة الطبعة الاولى (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) .  
والعقد الفريد (١/١٣٠) تاليف احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي دار الكتاب العربي /لبنان - (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

واذا كانت هذه وصية امير المؤمنين لقائده ، فلنر رأى القائد وشدة خوفه من الذنوب على جيشه . لقد كان سعد بن ابى وقاص - عندما خاض المسلمون نهر دجلة لفتح المدائن ، وقد هابه المسلمون اولاً - واثقا من النصر ، لا يخاف من عدوه وانما من ذنوب جيشه فكان يقول : ( حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزمن الله عدوه ان لم يكن فى الجيش بغى اوذ . نوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان - وكان يسير الى جواره - ان الاسلام جديد ، ذلل لهم البحور كما ذلل لهم البر ، اما الذى نفس سلمان بيده ليخرجن منه افواجا كما دخلوا افواجا ، فخرجوا منه كما قال سلمان ، لم يفرق منهم احدا ولم يفقدوا شيئا )<sup>(١)</sup> .

وان تبدل حال المسلمين من النصر الى الهزيمة من اسبابه المعاصى والآثام التى اقترفها المسلمون انفسهم ، واذا كانت الامة تعصي الله فانها تكون قد هانت على الله ، واستحقت عقوبته ، فيسلط الله عليها من يسومها سوء العذاب . وان ما اصاب الامة الاسلامية اليوم من مصائب ونكسات كاف لان تعود الامة الى رشدها فتسلك سبيل ربها ، وتتطهر من ذنوبها حتى تكون اهلا لنصر الله . واذا لم تتطهر الامة من اذران الذنوب ، ولم يسع الدعاة الى تزكيتها بالاعمال الصالحة ، فلاشك ان العاقبة ستكون وخيمة ، تحمل كل رزية ومصيبة ، لا تفرق بين صالح وطالح ، حذرنا منها النبى صلى الله عليه وسلم وذلك فيما اخرجنا الشيخان واللفظ لمسلم - عن زينب ابنة جحش أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول : ( لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب . فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه . وحلق باصبعه الابهام والى تليها .

( ١ ) البداية والنهاية لابن كثير ( ٣ / ٧ ) .

قالت زينب ابنة جحش : فقلت : يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم  
اذا كثر الخبيث ( ١ ) .

وفسر جمهور العلماء الخبيث بالفسوق والفجور ، وخصه البعض بالزنا ،  
وقال آخرون معناه اولاد الزنا . وقال النووى : ( والظاهر انه المعاصى مطلقا  
ومعنى الحديث ان الخبيث اذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وان كان هناك  
( ٢ )  
صالحون ) .

من هذا ندرك ماللذنوب من الاثر البالغ فيما يصيب الامة الاسلاميــــــــــــة  
من ابتلاء وهزائم امام اعدائها .  
وهذا هو احد امراض الامة اليوم فينبغي التخلص منه ، وينبغي اتباع سبيل  
التقوى والطاعة والصلاح ، فان هذا هو سبيل النصر والعزة والفلاح .

---

( ١ ) اخرجه البخارى فى الفتن / باب يأجوج ومأجوج ( ٢٣٣ / ٤ ) ومسلم فى الفتن  
واشراط الساعة / باب اقتراب الفتن وفتح زدم يأجوج ومأجوج ( ٢٢٠٧ / ٤ ) .  
( ٢ ) شرح النووى على صحيح مسلم ( ٤ / ١٨ ) .



السبب الرابع  
=====الشورى فى المعركة  
=====

مشاورة القائد لجنوده فى التخطيط للمعركة وفى تنظيمها وتنفيذها امر هام ينعكس اثره على المعركة وعلى المقاتلين انفسهم. لذا <sup>فواجب على</sup> القيادات العسكرية اليوم <sup>أن</sup> تتخذ لها مجالس حربية ، تجمع ذوى الخبرة فى الجيش ممن يمثلون اركاناً فى الحرب ليستشيروهم فى امور القتال ، وليستعينوا بقدراتهم العسكرية .

حث الاسلام على الشورى :-   
===== ومبدأ الشورى مبدأ اسلامى اصيل ، حث الاسلام المسلمين على الاخذ به فى شئونهم عامة وفى شأن الجهاد خاصة . يقول سبحانه وتعالى واصفا عباده المؤمنين : ( وامرهم شورى بينهم ) ، ويقول جل شأنه مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم : ( وشاورهم فى الامر ) ، وهو أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بمشاورة اصحابه فيما يقدم عليه من امر ، وهو المؤيد بمدد ربه المسدد بوجيه . والامر بالشورى هو امر عام فى كل ما يعرض على رسول الله ، والامر الحربية تدخل فى ذلك دخولا اوليا ، لورود ذلك فى سياق الكلام عن معركة احد . كما أن ذكر الشورى والامر بها فى سياق التعليق على غزوة ( أحد ) رغم ما حدث للمسلمين فى هذه الغزوة ، يوحى بالاهمية البالغة للشورى ، وبضرورة العمل بالشورى مهما كانت الدواعى والظروف ، وأن هذا من الاسباب التى تعين المسلمين فى قتالهم ضد أعدائهم .  
وقد تمثل هذا المبدأ فى جهاد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام على أمثل وجهه .

( ١ ) الشورى ( ٣٨ ) .

( ٢ ) آل عمران ( ١٥٩ ) .

نماذج للشورى من جهاد الرسول القائد صلى الله عليه وسلم :

ان المتبع لجهاد الرسول القائد يجد ان الشورى صفة بارزة فى قيادته وجهاده ، وهو ما يبين لنا أن الشورى هى سمة العسكرية الاسلامية ، كما أنها عنصر من عناصر القوة الاسلامية كما سأبينه قريبا .

الشورى فى غزوة بدر :

لقد تعددت مواقف الشورى فى هذه الغزوة . ، وتمثلت فيها بنوعيتها ، سواء مشاورة القائد لجنوده او مشاورة الجندى لقائده وقبوله مشورته . وكان للشورى فضلها فى تعزيز قوة المسلمين وتوحيد كلمتهم ، وتدعيم مركزهم وموقفهم العسكرى ضد العدو وماساهم فى احراز النصر عليهم ، ومواقف الشورى فى بدر هى كما يأتى :-

اولا : مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة عندما علم بافلات القافلة وخروج قريش للقتال .

ثانيا : مشاورة الحباب بن العنذر الرسول صلى الله عليه وسلم فى ان ينزل المسلمون

عند اقرب ماء من المشركين ، ثم يغوروا ما وراءه من الابار ، ويبنوا حوضا

ليشرب منه المسلمون ، ويمنعوا الماء عن المشركين . (١)

ثالثا : مشورة سعد للنبي صلى الله عليه وسلم ببناء العريش . (٢)

رابعا : مشاورته عليه الصلاة والسلام لابي بكر وعمر فى شأن الاسرى . (٣)

(١) انظر الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر (١٠٦) مؤسسة علوم القرآن

الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ . وزاد المعاد لابن القيم (٢/٢١٩) .

(٢) انظر الخبر فى البداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٦٨) .

(٣) انظر الخبر فى صحيح مسلم كتاب الجهاد ، باب الامداد بالملائكة فى غزوة بدر

واباحة الغنائم (٣/١٣٨٣ - ١٣٨٥) ، والمستدرک للحاكم فى المغازى

وصححه (٣/٢١) ، والحديث يرويه عمر بن الخطاب .

ومخافة التطويل فسأكتفى بذكر خبر مشاورته عليه الصلاة والسلام للمهاجرين  
والانصار في قتال المشركين يوم بدر فقط .

لما عادت قريش بتجارتها من الشام انتدب الرسول صلى الله عليه وسلم  
اصحابه لملاقاتها ، تأديبا لقريش على مارزأت به المهاجرين من اخذهم اموالهم  
وديارهم ، وعلى استمرار منا وأتاهم للاسلام واهله .  
ولي الله عليه وسلم  
ولم يأمر النبي / جميع الصحابة بالخروج ، فخرج منهم من خرج وبقى منهم من بقى .  
ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العير افلتت من ايديهم ، وان الصحابة  
لم يخرجوا للقتال ، وانه صلى الله عليه وسلم اذا امرهم به دون ان يمهد لذلك  
اضطربت قلوبهم ، شاورهم في امر القتال .

( ١ )

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - وابو داود عن انس ( ان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم شاور حين بلغه اقبال ابي سفيان ، قال : فتكلم ابوبكر ، فاعرض  
عنه ، ثم تكلم عمر فاعرض عنه ، فقام سعد بن عبادة فقال : ايانا تريد يا رسول الله  
والذى نفسى بيده لو امرتنا ان نخيضها البحر لا خضناها ، ولو امرتنا ان نضرب  
اكبادها الى برك الغماد<sup>(٣)</sup> لفعلنا . قال : فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا . . . الحديث ) .

الح الرسول صلى الله عليه وسلم في طلب الشورى ليعلم رأى الانصار

( لانه لم يكن بايعهم على ان يخرجوا معه للقتال وطلب العدو ، وانما بايعهم  
على ان يمنعوه من يقصده ( داخل المدينة )<sup>(٤)</sup> . وكشف الصحابة من المهاجرين  
والانصار عن غاية استعدادهم للجهاد مع رسولهم وقائدهم عليه الصلاة والسلام  
وكان جواب الانصار قويا بقوة الحاج الرسول في معرفة رأيهم مما يدل على  
تضحيتهم وطاعتهم .

( ١ ) اخرجه مسلم في الجهاد ، غزوة بدر ( ٣ / ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ) . واخرج ابوداود طرفا  
من القصة في الجهاد باب في الاسير ينال منه ويضرب ( ٣ / ٥٨ - حديث  
رقم ٢٦٨١ ) .

( ٢ ) نخيضها : يعنى الخيل .

( ٣ ) برك الغماد : قال ابن الاثير ( تفتح الباء وتكسر ، وتضم الغين وتكسر وهو اسم  
موضع باليمن . وقيل هو موضع وراء مكة بخمس ليال ) غريب الحديث ( ١ / ١٢١ ) .

( ٤ ) شرح النووى على صحيح مسلم ( ١٢ / ١٢٤ ) .

وافصحت الشورى فى هذا الموقف العصبى عن شدة تلاحم المسلمين وتماسكهم  
وتآخيهم ، مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يطمئن الى قوة جبهته الداخلىة .  
وهذا عنصر مهم من عناصر القوة الرئيسة فى المعركة . ومشاورة الرسول صلى الله عليه  
وسلم للصحابة هيأت لهم دخول المعركة عن ايمان وقناعة وحماس عبر عنه قادتهم  
ابوبكر وعمر وسعد ، وهذا له اثره الكبير فى المعركة . كما ان الظروف الجديدة التى  
طرأت بسبب افلات القافلة ، وخروج المشركين للقتال ، استدعت بالضرورة عمليـة  
المشاورة لاعلام الصحابة بهذه الظروف ، واتخاذ قرار جديد يتناسب مع طبيعة الموقف  
الجديد - وهو موقف قتالى - وبصفة جماعية من خلال المشاورة حتى تنهيا النفوس  
وتستعد للمواجهة العسكرية .

الشورى فى أحد :-  
===== وشاور الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه لما علم بقدم  
المشركين لقتال المسلمين ، وكان موضوع الشورى هو هل يقاتل المسلمون المشركين  
من داخل المدينة ، ام يقاتلونهم خارجها .

اخرج الامام احمد - واللفظ له - والدارمى وابن الجارود عن جابر بن عبد الله  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (١) رأيت كأنى فى درع حصينة ، ورأيت بقرا  
منحرة ، فاولت ان الدرع الحصينة المدينة ، وان البقر هو والله خير . قال : فقال  
لاصحابه : لو انا اقمنا بالمدينة فان دخلوا علينا فيها قاتلناهم ؟ فقالوا يا رسول الله

(١) اخرجه الامام احمد فى المسند (٣ / ٣٥١) ، والدارمى فى الرواى (٢ / ٥٥)  
حديث رقم (٢١٦٥) . وابن الجارود فى المنتقى ، باب ما جاء فى لبس  
الدرع ص ٣٥٤ ، حديث رقم (١٠٦١) ، مطابع الاشرف - باكستان . الناشر  
حديث اكادمى - باكستان ، الطبعة الأولى (١٤٠٣ - ١٩٨٣) .  
قال النهيى فى مجمع الزوائد (٦ / ١٠٧) : رواه احمد ورجاله رجال الصحيح .  
قلت : الا ان فيهم ابا الزبير وهو ثقة مدلس من المرتبة الثالثة ، وثقه جماعة  
منهم النسائى وابن معين . انظر ميزان الاعتدال (٤ / ٣٧ - ٤٠) .  
والحديث رواه ابو الزبير عن جابر بالعنعنة ، ولم يصرح بالسماع فى اى  
من رواياته . وصحح الالبانى الحديث بشواهد ، انظر سلسلة الاحاديث  
الصحيحة (٣ / ٩٠) حديث رقم (١١٠٠) .

والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية ، فكيف يدخل علينا فيها في الاسلام ؟  
قال عفان في حديثه ، فقال : شأنكم اذا ، قال : فليس لامته ، قال فقالت  
الانصار : رد دنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه ، فجاءوا ، فقالوا  
يا نبي الله شأنك اذا ، فقال : انه ليس لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى  
يقاتل .

يكشف لنا هذا الحديث عن حرص النبي صلى الله عليه وسلم على مشاورة اتبائه ،  
وهو تعليم للمسلمين في صورة عملية على الاخذ بالشورى فيما ليس فيه نص ،  
كما ويكشف عن اصالة هذا المبدأ في العسكرية الاسلامية ، حيث عمل الرسول  
القائد عليها الصلاة والسلام برأى الاغلبية وان خالف رأيه ، كما وان فيه تشجيعاً  
عملياً للصحابة على الابداء بالرأى والنصيحة وقت الشورى بما يحقق مصلحة  
المسلمين .

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يلم من اشار بالقتال خارج المدينة  
على رأيه ، بعد ما حدث في أحد ، ولم يخطئهم في اجتهادهم ، وذلك لحرصه  
على تقرير مبدأ الشورى بين الصحابة ، ولعلمه بأن رأيتهم نابع من حرصهم  
على المصلحة العليا للمسلمين .

وفي الحقيقة ان تعدد الآراء - في مرحلة الشورى - يثرى الفكرة ، ويساعد  
في تحديد اسلم الاختيارات المطروحة ، وقد كان لكل من الرأيين السابقين  
مبرراته العسكرية بما يكفي لاعدار اهله وتقديرهم على اجتهادهم . فرأى  
(١)  
الاجلبية من الصحابة وفيهم الشباب كان مبنياً على ان خير وسيلة للدفاع هي  
الهجوم ، وحرصاً على نقل المعركة بعيداً عن ارضهم ( المدينة ) التي هي  
عبارة عن مركزهم وقاعدة انطلاقهم ، فلا تصاب قاعدتهم اذا ما اصيب المسلمون  
في المعركة ، وتوءم بذلك عمقا استراتيجيا لجيش المسلمين . كما وان هذا فيه  
اشعار بقوة المسلمين وقدرتهم على التحدي والمواجهة مما يضعف من معنويات  
المشركين .

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/٤٢٠) .

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن وافقه من شيوخ الصحابة مبنى على تخطيط عسكري آخر يعتمد أسلوب الحرب الشعبية، حيث يمكن الاستفادة مما فى المدينة من الحصون المنيعة، كما ويمكن الاستفادة من سائر طاقات السكان حتى النساء والصبيان من خلال مشاركتهم فى القتال من فوق السطوح، وبالإمكان كذلك تحصين المدينة من الخارج سواءً باستغلال الموانع الطبيعية التى تمنع العدو من التقدم والاقتراب من المدينة، او بعمل استحكامات عسكرية تمنع العدو من التقدم كذلك مثلما طبق يوم الاحزاب من حفر الخندق، وقد نجحت هذه الخطة فى غزوة الاحزاب حيث لم تتمكن قريش وبقية الاحزاب من دخول المدينة، واضطروا فى النهاية الى الفرار والعودة من حيث أتوا.

#### الشورى فى غزوتى الخندق والحديبية: =====

ودروس الشورى فى جهاد النبى صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تكاد تخلو منها معركة . فيوم الاحزاب اشار سلمان الفارسى ( رضى الله عنه ) بحفر الخندق فحفره عليه الصلاة والسلام . واستشار الرسول صلى الله عليه وسلم سعد بن عباد وسعد بن معاذ فى مصالحة غطفان ، واعطائهم ثلث ثمار المدينة على ان يرجعوا...، فاشارك كل منهما بعدم مصالحتهم. (٢)

وعام الحديبية قصد النبى صلى الله عليه وسلم زيارة البيت الحرام لاداء العمرة، وعلم وهو فى طريقه الى مكة ان قريشا تريد صده عن البيت، وجمعت له الجموع لقتاله، فاستشار النبى عليه افضل الصلاة والسلام الصحابة وقال: (اشيروا ايها الناس على، اتررون ان اميل الى عيالهم، وذراى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فان يأتونا كان الله عزوجل قد قطع عينا من المشركين، والا تركناهم محروبين . قال ابو بكر: يا رسول الله، خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل احد

(١) انظر المجتمع المدنى فى عهد النبوة/ د اكرم ضياء العمرى، ص ٦٨، ٤٠٤-١٤٠٤-١٩٨٤.

(٢) انظر كشف الاستار عن زوائد البزار للهيثمى، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمى

(٣٣١/٢) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٣٢/٦): رواه البزار والطبرانى

ورجال البزار والطبرانى فيها محمد بن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.

ولا حرب احد ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه . قال عليه الصلاة والسلام امضوا  
على اسم الله ( ١ ) .

ولقد احتفل الجهاد النبوي بنماذج كثيرة للشورى ، اكتفى بما قدمته منها  
هنا . واذ كانت اطلت في ذكر شواهد الشورى في جهاد الرسول القائد  
عليه الصلاة والسلام فان القصد من ذلك هو التأكيد على ان الشورى هي ركيزه  
اساسية من ركائز العسكرية الاسلامية ( ٢ ) .

قيمة الشورى في المعركة :- ومن خلال الدراسة في جهاد النبي صلى الله عليه  
وسلم في غزواته يمكن الاطلاع على مميزات الجهاد النبوي وخصائصه ، وبالتالي  
يمكن التعرف على جوانب القوة والفاعلية والتأثير لدى المسلمين آنذاك ، ومن  
ثم تحصل المعرفة بأسباب الانتصارات التي حققها المسلمون آنذاك ليأخذ  
بها المسلمون اليوم .

وإذا كانت الدراسة قد دلت على ان الشورى سمة اساسية من سمات الجهاد  
النبوي ، فانه يستدل بذلك على ان الشورى سبب من اسباب القوة والنصر ، وذلك  
لان الجهاد النبوي نموذج رائع يكشف للمسلمين عن اسباب النصر ، لانه حقق  
في الواقع انتصارات عظيمة .

( ١ ) انظر الحديث في صحيح البخارى ، كتاب المغازي ، غزوة الحديبية ( ٣ / ٤٥ ) ،  
واخرج ابوداود بعضا منه في الجهاد ، باب في صلح العدو ( ٣ / ٨٥ ، ٨٦ )  
حديث رقم ( ٢٧٦٥ ) . والحديث يرويه المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم .  
( ٣٣ ) يقول اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ : ( تستخدم الدول عادة في  
تنظيم جيوشها نمطين : يسمى الاول بالتنظيم الرأسى ، والثانى بالتنظيم  
الرأسى الاستشارى . اما التنظيم الرأسى فتعتمد فيه السلطة من القائد  
الى مرءوسيه عن طريق التسلسل القيادى الذى تصدر تعليماته اليهم ،  
كما ترفع اليه تقاريرهم من خلاله . ويعيب هذا النمط خلوه من عنصر المستشار  
او المساعدين المتخصصين ، مما يلقى على القائد وحده عبء الدراسة والبحث...  
كما انه يودى الى تركيز السلطة فى يد شخص واحد... ، واما التنظيم الرأسى  
الاستشارى فانه يوفر عنصر المستشارين والمساعدين المتخصصين الذين يقدمون  
للقائد النصح والمشورة ، وبذلك يسد ما فى النمط الاول من التنظيم من نقص ) .  
وبعد ان عرض موضوع الشورى فى الاسلام اضافة قائلا : ( وعلى هذا يمكن  
ان نستخلص من قاعدة الشورى مبادئ وتوجيهات عديدة اولها : ان يكون  
نمط التنظيم الرأسى الاستشارى هو النمط السائد فى تنظيم الجيوش الاسلامية  
وبذلك تتحقق لها مزاياه فتأتى قرارات قادتها على اسس من العلم والخبرة  
والتخصص ، وتستطيع الجيوش تنفيذ مهامها بكفاية عالية ) انظر النظرية  
الاسلامية فى القيادة الحربية ، اللواء الركن / محمد جمال الدين محفوظ  
( ٩٣ - ٩٥ ) ، دار الاعتصام .

ومن الواضح ان للشورى من الفعالية والتأثير فى المعركة بما يساعده

على احراز النصر، وتتمثل تلك الفعالية فى امور اهمها :-

- ( ١ ) عرض آراء المستشارين وتجاربهم مما يساهم فى الاطلاع على اكبر قدر من الخبرات والتجارب والاراء للاستفادة منها.
- ( ٢ ) الاسهام فى اتخاذ القرارات الحكيمة والسليمة.
- ( ٣ ) الاسهام فى عدم الوقوع فى اخطاء واطوار الارتجالية والعقليات الفردية التى تريد الانفراد بالتخطيط والتنظيم.
- ( ٤ ) الاسهام فى رفع معنويات المجاهدين لشعورهم بمشاركة قادتهم من خلال ابداء المشورة والرأى .
- ( ٥ ) الاسهام فى توثيق عرى المحبة والمودة والثقة فى القيادة .
- ( ٦ ) الاسهام فى توحيد الاراء والافكار .

( ٧ ) تتيح الفرصة لتحسين ثقافة وتجارب الافراد المشاركين فى عملية الشورى وتتيح الفرصة لظهور قيادات جديدة للمستقبل .

وكل هذه الامور المذكورة تساهم فى حسن التخطيط والتنظيم وقيادة المعركة، وتساهم فى الارتفاع بمستوى التنفيذ لدى المقاتلين ، مما ينعكس على المعركة انعكاسا مباشرا فيكون سببا من اسباب النصر .

يقول اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ ( ومن اهم ميزات القيادة القناعية

انها تؤدى الى توليد شعور الارتياح والرضا عند المرؤسين ، وبالتالي تؤدى الى

ارتفاع روحهم المهنوية وتوليد روح المحبة والاخلاص للقائد ، وتؤدى الى توفير الكفاءة

العالية لدى المرؤسين فى تحقيق الاهداف التى يوجههم اليها ، والى خلق روح

الاجابية فيهم والى زيادة انتاجهم ومساهمتهم فى حل المشاكل التى تواجههم



( ١ )

والى الاقبال على العمل باخلاص وحماسة حتى فى غيبة القائد .

وليس معنى تقرير مبدأ الشورى هو الزام القائد بالمشورة فى كل امر، ومشاركة كل فرد فى الامور التى هى موضوع المشورة ، والزام القائد بان يشاور فى كل امر صغير وكبير ، بل المراد تعميم مبدأ الشورى فى كل قطاعات الجيش وفى كل دوائره القيادية والتنظيمية عموماً لما فى الشورى من الاثار الايجابية الهمة على المعركة .  
واما القيادة الفردية او الارغامية التى لاتأخذ بمبدأ الشورى مطلقاً ... فان لها اخطارا كبيرة، وقد يوءدى اطلاق الحرية الكاملة لها الى الهزيمة والنكبة .

فتاريخ الحرب العالمية الثانية يدل على ان هزيمة المانيا فى هذه الحرب انما كان بسبب استئثار هتلر بالتخطيط والتنظيم وادارة المعركة ، وعدم اكتراثه بأراء قواده ومستشاريه . وهجومه الاخير على الحلفاء والمسمى بحركة تعرض الاردن - على سبيل المثال - كان من بنات افكار هتلر فقط ، ودون استشارة كبار قواده مثل رونشتد، ومودل ، بل وضرباً بأراء هذين القائدين - وهما المكلفان بالهجوم - الحائط ، ولم يقبل اعتراضاتهما او تعديلاتهما على خطة الهجوم ، ففشل الهجوم وتقهقر الجيش الالماني ، وسقطت المانيا فى ايدي الحلفاء .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) النظرية الاسلامية فى القيادة الحربية ، اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

٠ ( ٥٤ )

( ٢ ) انظر اسرار الحرب العالمية الثانية فى سيرة ابرز قائد المانى: المشير فون رونشتد .

تأليف اللواء كونشر بلو منتريت ، ترجمة اللواء الركن / محمود شيت خطاب

( ٣١٥ - ٣٢٥ ) دار مكتبة الحياة . بيروت .

## السبب الخامس

=====

## الحرب النفسية

=====

تعريف الحرب النفسية : تداول الباحثون والعسكريون تعريفات كثيرة لمعنى

الحرب النفسية ، اختار منها تعريفا جامعاً ، وهو قولهم ان الحرب النفسية هي عبارة عن ( استخدام مخطط من جانب دولة او مجموعة من الدول في وقت الحرب اوفى وقت السلام لاجراءات اعلامية ، بقصد التأثير في آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات اجنبية معادية او محايدة او صديقة بطريقة تساعد على تحقيق سياسة واهداف الدولة او الدول المستخدمة ) (١) .

فالحرب النفسية - اليوم - علم قائم بذاته تستخدمه الدول لتحقيق اغراضها المختلفة ، وتستخدمه خاصة في المعارك والحروب بهدف تحطيم معنويات الخصم ليفقد الامل في النصر ، تمهيدا لهزيمته في المعركة والظفر به .

مجال الحرب النفسية : الحرب النفسية تكون موجهة الى نفوس القادة والمقاتلين

والامة باسرها ، فمجال الحرب النفسية هي النفس الانسانية بما تحويه من عواطف وافكار وطاقت معنوية . والنفس الانسانية فيها اهواء ومصالح ، وطاقت ، وتصورات ، من تمكن من التأثير فيها فقد تمكن من التأثير على سلوك الانسان وقتاله ، وذلك لان سلوك الانسان هو اثر لما في نفسه ، وبلاء المقاتل هو اثر لما في نفسه ممن الايمان والشجاعة . . . ولذلك فان المخططين للحرب النفسية يستفيدون من علم النفس بفروعه المختلفة ، وخاصة علم النفس العسكري ، لرفع معنويات جيوشهم وتحطيم معنويات اعدائهم في المقابل .

(١) الحرب النفسية . د. احمد نوفل (١ / ٣٤) .

اهداف الحرب النفسية ووسائلها : الهدف العام من الحرب النفسية هو تفتيت القوة المعنوية للخصم مما يساعد في تحطيم قوته المادية، وبالتالي احراز النصر عليه في المعركة . يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب ( والحرب النفسية - كما <sup>هو</sup> معلوم - تستهدف تحطيم المعنويات ، لان الامة التي تخسر الحرب وتحتفظ بمعنوياتها سليمة لا بد وان تعيد الكرة على اعدائها وتنتصر عليهم في المدى البعيد او القريب ) . (١)

ويمكن تفصيل الهدف العام للحرب النفسية في اهداف جزئية يساهم كل

منها في تحقيق الهدف العام، وهي :-

- ( ١ ) بث اليأس من النصر في نفوس القوات المعادية ، وخفض قوة العدو والقتالية باضعاف روحه المعنوية، والتشكيك في قدرته على النصر ، وتهيئة الجماهير <sup>للقوف</sup> ضد فكرة الحرب، وبث الرعب في قلوب القوات المسلحة، وبث روح التذمر في اوساط الجنود ، وذلك عن طريق المبالغة في وصف القوة وفي وصف الانتصارات ، والمبالغة في وصف هزائم العدو وحتى يشعر هذا العدو انه امام قوة لا تقهر . . . . .
- ( ٢ ) تفتيت وحدة الامة ، واضعاف الجبهة الداخلية ، باثارة اسباب الاختلاف، واثارة النعرات العرقية والطائفية .
- ( ٣ ) التشكيك في اخلاص وكفاءة القيادة .
- ( ٤ ) زعزعة ايمان العدو وبمبادئه واهدافه ، وذلك عن طريق اثبات استحالة تحقيق هذه المبادئ والاهداف .
- ( ٥ ) ارباك القيادات السياسية والعسكرية عند العدو .

( ١ ) الاسلام والنصر / اللواء الركن محمود شيت خطاب ( ٢٠ ) .

( ٢ ) انظر الحرب النفسية / د. احمد نوفل ( ١ / ٧٤ - ٧٦ ) .

ويتم تحقيق اهداف الحرب النفسية بوسائل كثيرة ومختلفة ، كالدعاية والاشاعة  
 واثارة الزعر والرعب فى نفوس العدو ، واثارة الخلافات ، والافادة من التناقضات ،  
 والتهديد والوعيد واستعراض القوة والظهور بمظهر الجيش الذى لا يقهر ، والشدة  
 فى القتال مع التنكيل بالعدو واثارة عوامل الخوف فى نفوس المقاتلين ، والمباغطة  
 فى القتال لارباك العدو وتحطيم معنوياته ، وتوجيه الضربة القاضية الى العدو منذ  
 البداية الى غير ذلك من الوسائل .

ويستخدم فى ذلك مختلف اساليب ووسائل الاعلام من الصحف والمجلات والاذاعة  
 والتلفاز ، وغيرها من الاجراءات الكفيلة بالتأثير فى معنويات الجيش والامة .  
اثر الحرب النفسية فى احراز النصر :-

ان المحافظة على معنويات الجيش امر مهم قبل المعركة واثنائها وفيما بعدها ،  
 لان الجيوش لا تحرز النصر بقوة السلاح والعتاد فقط ، وانما بما فى نفوس المقاتلين  
 من معنويات عالية ، وارادة قتالية جادة . يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب :  
 ( لقد أثبتت الحروب فى كل ادوار التاريخ ان التسليح والتنظيم الجيدين والقوة  
 العددية غير كافية لنيل النصر ، مالم يتحلُّ المقاتلون بالمعنويات العالية . لقد  
 كان تنظيم وتسليح الايطاليين فى الحرب العالمية الثانية متميزين ، كما كان عددهم  
 ضخما ، فلم يغن عنهم كل ذلك لان معنوياتهم كانت منهارة ! لذلك كانوا عبئا  
 ثقيلًا على حلفائهم الالمان فى كل معركة اشتركوا فيها معهم . بل كان الحلفاء  
 يعتبرون المناطق التى تشغلها القوات الايطالية فراغا عسكريا لا يكثرث به ) .<sup>(١)</sup> فهزيمة  
 العدو ومعنويا كافية لهزيمتهم ماديا فى المعركة ، ولن يجدى السلاح شيئا مادامت  
 الايدى التى تحمله خائفة يائسة من النصر .

(١) الرسول القائد / اللواء الركن محمود شيت خطاب (١٢٠ ، ١٢١) .

واذا كانت الروح المعنوية بهذه الاهمية فى المعركة ، فان الحرب النفسية لها نفس القدر والاهمية فى احراز النصر ، والحاق الهزيمة بالعدو ، لانها تستهدف تحطيم معنويات العدو وفى المعركة .

وسلاح الرعب الذى منحه عزوجل لرسله وعباده المؤمنين هو من صميم الحرب النفسية التى تستهدف تحطيم معنويات العدو ولينهزم فى المعركة . فحقيقة الرعب هى امتلاء القلب بالخوف والفرع ، وهو ما يعنى انهيار الروح المعنوية للمقاتل ، وهذا هو المقصود من الحرب النفسية . وهذا السلاح هو سلاح خاص بالمسلمين لا يملكه احد فى الشرق او الغرب ، لانه سلاح ربانى يؤيد الله به - وبغيره - رسله وعباده المؤمنين على عدوهم .

والمسلمون يعتمدون فى ممارسة الحرب النفسية على امرين :-

الاول : تأييد الله لهم بالقاء الرعب فى قلوب اعدائهم .

الثانى : ممارسة الحرب النفسية على العدو وبحشد واعداد القوة العسكرية الرادعة ، واستعراض قوة المسلمين لادخال الرعب فى قلوب الاعداء ، وبمطاردة العدو وفى نهاية المعركة . . ، الى غير ذلك من الاساليب ونظريات الحرب النفسية عند المسلمين والتى سيرد بعضها عند ذكر تطبيقات الحرب النفسية لدى المسلمين . ولقد ارشد القرآن الكريم الى هذين الامرين ليحرص عليهما المسلمون عند قتال اعدائهم يبين اثر هذه الحرب النفسية بشقيها فى هزيمة العدو وفى المعركة ليعلم المسلمون ما للحرب النفسية من عظيم الاثر فى احراز النصر .

لقد ذكر القرآن نصر الله وتأييده للمسلمين فى بدر فى قوله تعالى ( اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ) (١) . قصَّ سبحانه على عباده المؤمنين كيف نصر المسلمين فى بدر فاخبر سبحانه عن امداده لهم بالملائكة وتثبيتته لهم ، واخبر

عن قذفه الرعب في قلوب الكفار ( سألني في قلوب الذين كفروا الرعب ) وعبر بقوله  
 ( سألني ) ليفيد انه سبحانه هو الذي تولى ارباب المشركين وتخويفهم وتخذيلهم .  
 وفي حمراء الاسد - عقب غزوة احد - هم المشركون بالعودة لاستئصال المسلمين  
 فالقى الله في قلوبهم الرعب فرجعوا عن رأيهم من شدة ما وقع في روعهم من الخوف .  
 وهو ما اخبر عنه سبحانه في كتابه العزيز بقوله ( سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب  
 بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وما اهتم النار ويئس مشوى الظالمين ) ( ١ ) .

قال الشوكاني ( والرعب : بالضم الاسم ، واصله الملء ، يقال : سيل راعب  
 اى يملأ الوادى ، ورعبت الحوض ملاءته ، فالمعنى : سنملأ قلوب الكافرين رعبا :  
 اى خوفا وفزعا ، واللقاء يستعمل حقيقة في الاجسام ، ومجازا في غيرها كهذه  
 الآية ، وذلك ان المشركين بعد وقعة احد ندما ان يكونوا استأصلوا المسلمين  
 وقالوا بئسما صنعنا يقتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ، ارجعوا  
 فاستأصلوهم ، فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما  
 هموا به ) ( ٢ ) .

والآية وان كانت خاصة بالمشركين في حمراء الاسد الا انها عامة في كل الكفار  
 والمشركين ، وان كانت نزلت في شأن الصحابة في حمراء الاسد ، الا انها للصحابة  
 في كل موطن وكل حين ، ولبقية المؤمنين في كل عصر من العصور . يدل على ذلك  
 التعبير بالفعل المضارع ( سنلقى ) الذي يفيد الاستمرار ، اى استمرار القاء الرعب  
 في نفوس الكفار تأييدا للمؤمنين ، ويدل عليه ايضا التعميم في قوله ( الذين كفروا )  
 اذ يفيد القاء الرعب في عموم الكفار ، ويدخل فيهم مشركو قريش دخولا اوليا والعبرة بعموم  
 اللفظ لا بخصوص السبب ، ومن ثم فان هذا السلاح هو تأييد للمؤمنين جميعا على عموم  
 اعدائهم الكافرين والمشركين .

( ١ ) آل عمران ( ١٥١ ) .

( ٢ ) فتح القدير للشوكاني ( ٣٨٩ / ١ ) .

وقذف الله الرعب في قلوب بني النضير ، وذلك لما خرج اليهم النبي صلى الله عليه وسلم يطلب منهم المشاركة في دية قتيلين قتلوا ، هم بنو النضير بالقاء الصخرة من اعلى على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه ليقتلوه ، فاعلمه الله بكيدهم واخرجه سالما من بينهم ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه الصحابة لقتالهم بسبب ما بيتوا من نية الغدر والخيانة ، وحاصرهم الرسول صلى الله عليه ( ١ ) وسلم ، وقذف الله في قلوبهم الرعب والزعزعة والخوف حتى استسلموا واجلاهم رسول الله ونزلت في ذلك سورة الحشر وجاء فيها قوله تعالى ( هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ) . ( ٢ )

صورت الآية نفسية المؤمنين واليهود كذلك قبل ان يدب الرعب في قلوب اليهود بان كليهما كان لا يتوقع حدوث ما حدث بعد ذلك ، وخصوصا اليهود الذين كانوا يركنون الى حصونهم المنيعة .

وصورت كذلك ما وقع من اليهود بعد ان وقع في قلوبهم الرعب والخوف اذ انهم خربوا بيوتهم بأيديهم . ولا شك ان الرعب هو الذي دفعهم الى كل ذلك . وقذف سبحانه الرعب كذلك في قلوب يهود بنى قريظة لمظاهرة المشركين في غزوة الاحزاب ضد المسلمين ، وذلك بعد ان رحل المشركون عن المدينة - لما اصابهم من الريح الشديد التي سخرها تبارك وتعالى عليهم وخرج رسول الله لقتالهم ، ونزل في ذلك قوله تعالى ( وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا \* واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطوئوها وكان الله على كل شيء قديرا ) . ( ٣ )

( ١ ) انظر خبر اجلائهم في صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب حديث بني النضير ( ١٥ / ٣ ) . وانظر الدرر في اختصار المغازى والسير لابن عبد البر

٠ ( ١٨٥ ، ١٨٣ )

٠ ( ٢ ) الحشر ( ٢ )

٠ ( ٣ ) الاحزاب ( ٢٦ ، ٢٧ )

المراد بقوله ( الذين ظاهروهم من اهل الكتاب ) يهود بنى قريظة، اذ  
 ظاهروا المشركين يوم الخندق ، ومعنى ( صياصيمهم ) اي حصونهم ( وقد ف  
 فى قلوبهم الرعب ) اذ امتلأت قلوبهم خوفا ورعبا من المسلمين حتى استسلموا  
 لهم كاستسلام الشاة للجزار، فقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذرياتهم واموالهم  
 نزولا على حكم سعد بن معاذ ، الذى حكم فيهم بحكم الله ،<sup>(١)</sup> وهو كما اخبر  
 القرآن من حصول القتل والاسر فيهم ، ووراثة ارضهم وديارهم واموالهم ، وارض  
 اخرى لم يطوؤها بشرهم القرآن بفتحها ، قيل هى خيبر ، وقيل ارض فارس والروم  
 وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة .<sup>(٢)</sup>

واخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى نصره على عدوه  
 بالرعب ، وذلك فيما اخرج الشيخان والنسائى - واللفظ للبخارى - عن جابر  
 ابن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :<sup>(٣)</sup> اعطيت  
 خمسا لم يعطهن احد من قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر . . . والمعنى  
 ان الله سبحانه ينصره على عدوه بالقاء الرعب فى قلوبهم ، فينهزم العدو من مسيرة  
 شهر ، قيل ان يصلهم الرسول صلى الله عليه وسلم وجيشه ، وذلك لما يدب فى  
 قلوب العدو من الرعب الذى يحطم معنوياتهم ويجعلهم يدخلون المعركة وهم  
 مهزومون من الداخل فيصابون بالهزيمة فى الخارج ساعة اللقاء . والحكمة فى  
 الاقتصار على الشهر كما قال ابن حجر هى ( انه عليه الصلاة والسلام لم يكن بينه  
 وبين المعالك الكبار التى حوله اكثر من ذلك ، كالشام والعراق واليمن ومصر ، ليس  
 بين المدينة للواحدة منها الا شهر فمادونه ) .<sup>(٤)</sup>

- 
- ( ١ ) انظر الخبر فى صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب مرجع النبي من الاحزاب  
 ومخرجه الى بنى قريظة . . . ( ٣ / ٣٤ ) .  
 ( ٢ ) انظر تفسير ابن السعود ( ٧ / ١٠٠ ) .  
 ( ٣ ) اخرج البخارى فى التيمم ( ١ / ٧٠ ) . ومسلم فى المساجد ( ١ / ٣٧٠ ، ٣٤١ ) .  
 والنسائى فى كتاب الغسل والتيمم ( ١ / ٢٠٩ ، ٢١٠ ) .  
 ( ٤ ) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ( ٦ / ١٢٨ ) .



ويشهد لذلك واقع الجهاد النبوي، اذ قاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه ثمانياً وعشرين غزوة، قاتل العدو في تسع منها فهزم العدو وفي معظمها شر هزيمة، وفر من قتال المسلمين في بقية الغزوات،<sup>(١)</sup> وذلك بسبب الرعب الذي ملأ الله به قلوبهم.

ولا يظن أحد أن هذا السلاح خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، بل هو عام في جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة.

اخرج الامام احمد عن حذيفة بن اليمان قال : ( غاب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فلم يخرج حتى ظننا انه لن يخرج ، فلما خرج سجد سجدة فظننا ان نفسه قد قبضت منها ، فلما رفع رأسه قال : ان ربي تبارك وتعالى استشارني في امي ماذا افعل بهم فقلت : ماشئت اي رب ، هم خلقك وعبادك . فاستشارني الثانية فقلت له كذلك فقال : لا احزنك في امك يا محمد ، وبشرني ان اول من يدخل الجنة من امي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب ، ثم ارسل اليّ فقال : ادعُ تَجُوبُ ، و سَلْ تَعْطُ ، فقلت لرسوله اومعطي ربي سوء لي؟ فقال : ماؤر سلتني اليك الا ليعطيك . ولقد اعطاني الكوثر فهو نهر في الجنة يسيل في حوضي، واعطاني العز والنصر والرعب يسعي بين يدي امي شهرا ، واعطاني اني اول الانبياء ادخل الجنة ، وطيب لي ولأمتي الغنيمة ، واحل لنا كثيراً مما شدد علي من قبلنا ، ولم يجعل علينا من حرج ) .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) انظر ذلك في مبحث القيادة الراشدة ، صفحة ( ٢٨٢ ، ٢٨٣ ) من هذه الرسالة .

( ٢ ) اخرجه الامام احمد في المسند ( ٣٩٣ / ٥ ) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٦٨ / ١٠ ) : رواه احمد واسناده حسن .

من هذا يتبين ان سلاح الرعب هو من انواع الحرب النفسية التى يتوصل بها الى النصر ، وهو اخطر من كافة صور الحرب النفسية المعروفة ، كما انه سلاح خاص لا يمتلكه الا اهل الايمان ، وذلك لانه سلاح ربانى يؤيد الله به عباده المؤمنين على اعدائهم .

وكما ان سلاح الرعب هو من انواع الحرب النفسية ، فان للحرب النفسية صورة بشرية تتمثل فى مجموعة من التدابير والاعمال المعنوية والمادية التى تؤثر فى المعركة وتساهم فى احراز النصر .

ويحصل المسلمون على سلاح الرعب بالاخلاص والتقوى والاستقامة على شرع الله . ، كما ويحصلون على النوع الثانى ببذل الاسباب البشرية التى فى مقدورهم . ومن هنا فان المسلمين يجاهدون باعمالهم العبادية كما يجاهدون باعمالهم المادية ، وينصرون باخذ الاسباب فى كل .

ولقد نبه القرآن الكريم المؤمنين الى ممارسة الحرب النفسية من خلال الحشد والاعداد للقوة العسكرية الرادعة التى ترهب العدو ، وتحطم معنوياته ، فقال سبحانه وتعالى : ( واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . . ) ( ١ )

امر سبحانه باعداد كل ما فى الوسع من القوة ، وأشار الى الغرض من ذلك بقوله ( ترهبون به عدو الله . . ) .

---

( ١ ) الانفال ( ٦٠ ) .

فالغاية هي ارباب العدو واربابه ، وهو ما يعنى ممارسة الحرب النفسية عليه  
 بسياسة الحشد والاعداد للردع العسكرى . والمراد بقوله ( عد والله وعد وكم )  
 أهل مكة ، والمرادون فى قوله ( وآخريين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ) هم  
 اليهود والمنافقون بالمدينة والروم وفارس ، وسائر ملل الكفر مما لا يعلمون السى  
 يوم القيامة . ( ١ )

والمقصود من ذلك ان الحشد والاعداد العسكرى فيه ارباب وترويع للعدو  
 المباشر فى المعركة ، ولغيره من الاعداء الآخريين البعيدين عن المعركة ، وذلك  
 لان مجرد سماعهم بقوة المسلمين وحشودهم يكفى لتخويفهم واربابهم ، وهو ما  
 يعنى ممارسة الحرب النفسية عليهم .

وامر سبحانه وتعالى المؤمنين بالتنكيل بالعدو فى المعركة لادخال الرعب  
 فى نفوس بقية الاعداء ممن لم يشهدوا القتال ، وليسليهم ارادة القتال فلا يفكروا  
 فى مواجهة المسلمين ، وليزرع فى قلوبهم اليأس منهم ، وليضطربهم الى الاستسلام  
 اذا سار المسلمون لقتالهم ، وذلك لهول ما سمعوا مما حصل لخوانهم فى الكفر قريبا .  
 وهذا الاسلوب من الحرب النفسية ذكره القرآن فى قوله تعالى ( فاما تثقفنهم

( ٢ )

فى الحرب فشردهم بهم من خلفهم لعلمهم بذكرهم ) .

( ٣ )

معنى قوله ( تثقفنهم ) اى تقابلهم وتظفر بهم ، ومعنى قوله ( فشردهم بهم من خلفهم )

اى انذر بهم من خلفهم ، قاله سعيد بن جبير ، وقال ابو عبيد ( شردهم ) سمع

بهم ، وقال الضحاك : نكل بهم وقال الزجاج : افعل بهم فعلا من القتل تفرق

( ٤ )

به من خلفهم .

ولاشك ان الاية تدل على كل هذه المعانى ، وهى معانى متقاربة ، واختلافها

اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد .

( ١ ) انظر تفسير النسفى ( ٢ / ١١٠ ) .

( ٢ ) الانفال ( ٥٧ ) .

( ٣ ) انظر تفسير فتح القدير ( ٢ / ٣١٩ ) .

( ٤ ) انظر احكام القرآن للقرطبي ( ٨ / ٣٠ ، ٣١ ) .

والآية خطاب لجميع المسلمين في شخص نبيهم صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ، فالواجب على المسلمين اذا قابلوا اعداءهم في الحرب ان تكون سطوتهم عليهم شديدة ليشرذوا بمن لا قوهم غيرهم من الكفار حتى لا يفكروا في العداوان ، وحتى يهابوا قتال المسلمين .

فالأية صريحة في توجيه المسلمين الى ممارسة الحرب النفسية على الاعداء الغائبين عن ارض المعركة بالتنكيل بالعدو الذي يقابلهم في المعركة ، اذ يسمع اولئك الاعداء بما حصل من تقتيل وتنكيل فتخور عزيمتهم ، وتنهار معنوياتهم من هول ما سمعوا .

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله - في ظلال القرآن عند هذه الآية ( وانه لتعبير عجيب يرسم صورة للاخذ المفزع ، والهول المرعب ، الذي يكفى السماع به للهرب والشرود . فما بال من يحل به هذا العذاب الرعب ؟ انها الضربة المروعة ، يأمر الله تعالى رسوله ان يأخذ بها هؤلاء الذين مردوا على نقض العهد . . . ليؤمن المعسكر الاسلامي اولا ، وليدمر هيبة الخارجين عليه اخيرا ، وليمنع كائنا من كان ان يجروء على التفكير في الوقوف في وجه المد الاسلامي من قريب او من بعيد . . . ) ( ١ )

وارشد الرسول القائد صلى الله عليه وسلم الى اهمية الحرب النفسية في المعركة ، وذلك فيما اخرجته الدار مي - واللفظ له - وابوداود والنسائي واحمد والحاكم عن انس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم) .

( ١ ) في ظلال القرآن / للشهيد سيد قطب ( ١٥٤٢ / ٣ ) .  
 ( ٢ ) اخرجته ابوداود في الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو ( ١٠ / ٣ ) ، والنسائي في الجهاد ، باب وجوب الجهاد ( ٧ / ٦ ) ، والدارمي في الجهاد ، باب في جهاد المشركين باللسان واليد ( ١٣٢ / ٢ ) ، والامام احمد في المسند ( ١٥٣ ، ١٢٤ / ٣ ) ، والحاكم في الجهاد ( ٨١ / ٢ ) وصححه . وصححه النووي في رياض الصالحين ، في آخر كتاب الجهاد ص ٤٩١ طبعة دار احياء الكتب العربية . قلت اسناد الحديث صحيح ، ورجاله ثقات . وتدليس حميد الطويل - من الثالثة - لا يضر هنا لانه كان يدلس عن انس بواسطة ثابت وهوثقة ، وأشار الى هذا الحافظ ابو سعيد العلائي . انظر الضعفاء الكبير للحافظ العقيلي ، تحقيق د / عبد المعطي قلجعي ( ٢٦٦ / ١ ) دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الاولى . وانظر الميزان للذهبي ( ٦١٠ / ١ ) .

نبه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم الى ضرورة الجهاد الاعلامى من خلال الاشارة الى الجهاد باللسان ، وقرنه بجهاد المال وجهاد النفس، واطلق عليه لفظ الجهاد ، وامر المسلمين ان يجاهدوا به كما يجاهدون بانفسهم واموالهم .

والحرب الاعلامية - وهى صورة من صور الحرب النفسية - تعقد كثيرا على اللسان ، خاصة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذ لم تعرف الوسائل الحديثة كالوسائل البصرية او المطبوعات . . ، وهى تدخل فى اطار الجهاد المأمور به قياسا على الامر بالجهاد باللسان .

والاذاعة - وهى وسيلة اعلامية - تعتمد بالكلية على اللسان فى بث الاخبار والمعلومات والشائعات . . ، وهى وسيلة مؤثرة جدا فى زمن السلم والحرب. لذلك فان الدول الحديثة تبنى محطات موجهة للعدو، والخصم فى المقابل بينى محطات تشويش لمنع وصول اذاعة العدو و خوفا مما تحمله من احاديث واخبار...تشكل حربا نفسية على المجتمع والجيش (١) .

(١) يقول الدكتور احمد نوفل نقلا عن جريدة الوطن الكويتية : ( فالاتحاد السوفيتى بمساعدة حلفائه . . يقوم منذ زمن بالتشويش على حوالى ٨٠٪ من الموجسات المرسله من دول غرب اوربا . واذاعة موسكو قامت ببناء الفى وحدة ارسال بهدف التشويش على اذاعة صوت امريكا ، وبالفعل تمكنت هذه الوحدات من بث ٢٢٠٠ ساعة ب ٨٦ لغة مختلفة ، الامر الذى اثار قلق مسوئولى اذاعة صوت امريكا ممن احتمال فقد انهم لعدد كبير من مستمعيهم . والسبب الواضح وراء كل هذا القلق والسباق نحو التحكم بموجات الراديو يدل دلالة اكيدة على اهمية هذا الجهاز كأداة سياسية موجهة للجمهور لا تقل خطرا عن مهمة بناء جيش عسكرى . فهناك ما يقرب من مليارى جهاز راديو فى العالم . وليست اذاعات الدول الاوروبية ببيرئة من محاولات التشويش ، فاذاعة صوت امريكا يرى الكثيرون انها امتداد للمخابرات الامريكية ، ويقال ان العاملين فيها يحملون جوازات سفر دبلوماسية ، كما ان الرئيس ( ريغان ) قام بضخ ملايين اخرى من الدولارات ليكسر حاجز التشويش الشيوعى امام اذاعة صوت امريكا واذاعة اوربا الحرة التى تتخذ من المانيا مقرالها ) الحرب النفسية د / احمد نوفل ( ٤٣ / ١ ) بايجاز وتصرف يسير جدا .

مع سبق عرضه يتبين اهمية الحرب النفسية فى المعركة وفى احراز النصر، ويتبين مدى حرص الاسلام على ارشاد المسلمين الى الحرب النفسية، لياخذوا بها فى صراعهم مع عدوهم، وسيوضح هذا اكثر عند الاطلاع على تطبيقات الرسول القائد للحرب النفسية فى جهاده .

ولقد نوّه - حديثا - القادة والزعماء باهمية الحرب النفسية واثرها البالغ فى ادارة الصراع وفى تقرير افضل النتائج، من ذلك قول القائد الالمانى ( روميل ) : ( ان القائد الناجح هو الذى يسيطر على عقول اعدائه قبل ابدانهم ) . وقول الجنرال ( ديجول ) : ( لكى تنتصر دولة ما فى حرب عليها ان تشن الحرب النفسية قبل أن تحرك قواتها الى ميادين القتال، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهى من مهمتها )، وقول ( تشرشل ) : ( كثيرا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ ) (١) .  
 واذا كان هؤلاء القادة اطلعوا حديثا على خطر الحرب النفسية فى المعركة فان للعسكرية الاسلامية فضل السبق فى التأكيد على اهمية الحرب النفسية واثرها فى احراز النصر. ولقد طبق الرسول القائد عليه الصلاة والسلام الحرب النفسية فى معاركه منذ اربعة عشر قرنا من الزمان، وحقق اروع الانتصارات.

تطبيقات الحرب النفسية فى جهاد الرسول القائد واثرها فى احراز النصر على الاعداء :  
 =====

لقد اخذ الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بمبدأ الحرب النفسية وطبقها فى جهاده مع اعدائه، وذلك من اجل تحطيم معنوياتهم واشاعة روح الهزيمة بينهم .  
 واتبع فى ذلك وسائل عديدة، منها ( الشعر ) اذ كان آنذاك وسيلة اعلامية مؤثرة جدا فى حياة الناس فى السلم والحرب.

واستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الوسيلة فى حربه مع المشركين لتسفيه آلهتهم، ولتوهين عزيمتهم وتبديد آمالهم، وللرد على افتراءاتهم

(١) انظر الاقوال الثلاثة السابقة فى اقتباس النظام العسكرى (١٤٧) اللواء الركن

محمود شيت خطاب وزملاؤه، مطابع قطر الوطنية - قطر.

ففي غزوة بنى قريظة امر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء المشركين .  
 وذلك فيما اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - عن البراء بن عازب رضى الله عنه  
 قال : ( ١ ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان بن ثابت : اهج المشركين  
 فان جبريل معك .

واخبر الرسول عليه الصلاة والسلام ان وقع الشعر على نفوس المشركين كوقع النبل ،  
 وهو ما يبين ان الحرب النفسية تساهم في المعركة كبقية الاسلحة القتالية الاخرى .

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قال : ( ٢ ) اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل ، فارسل الى ابن رواحة  
 فقال : اهجم فجهاهم ، فلم يرض ، فارسل الى كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان ابن  
 ثابت فلما دخل عليه قال حسان : قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبيه  
 ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال : والذي بعثك بالحق لا فرينهم بلساني فري الا ديم .  
 فقال رسول الله : لاتعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها ، وان لى فيها نسبا حتى  
 يلخص لك نسبي ، فاتاه حسان ، ثم رجع فقال يا رسول الله : قد لخص لى نسبك والذي

بعثك بالحق لاسلتك منهم كما تسل الشعرة من العجين . قالت عائشة : فسمعت رسول الله  
 يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله . وقالت : سمعت رسول  
 الله يقول : هجاهم حسان فشفى واشفى . قال حسان :

|   |                                     |
|---|-------------------------------------|
| هَجَوْتُ مُحَمَّدًا ، فَأُجِبْتُ عَنْهُ | وعند الله في ذاك الجزاءُ            |
| هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا     | رسولَ الله شيمتهُ الوفاءُ           |
| فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي     | لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ |

- ( ١ ) اخرج البخارى فى المغازى ، باب مرجع النبى من الاحزاب ومخرجه الى بنى قريظة  
 ( ٣٥ / ٣ ) ، ومسلم فى فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان بن ثابت ( ١٩٣٣ / ٤ )  
 ( ٢ ) اخرج البخارى فى الادب ، باب هجاء المشركين ( ٧٤ / ٤ ) ، ومسلم فى الفضائل  
 باب فضائل حسان بن ثابت ( ١٩٣٥ / ٤ - ١٩٣٨ ) .

|   |   |
|---|---|
| تُشِيرُ النَّعْعُ مِنْ كُنْفَى كَدَاءِ <sup>(٢)</sup>     | شَكَلْتُ بُنَيْتِي اِنْ لَمْ تَرَوْهَا              |
| عَلَى اِكْتَاْفِهَا الْاَسْلُ الْظَّمَاءُ <sup>(٤)</sup>  | بِيَّارِيْنَ الْاَعْنَةَ مَصْعِدَاتِ <sup>(٣)</sup> |
| تَلَطَّمْنَ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ <sup>(٦)</sup>         | تَظَلَّ جِيَادُ نَا مَتَمَطَّرَاتِ <sup>(٥)</sup>   |
| وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ                  | فَاِنْ اَعْرَضْتُمْوَا عَنَا اَعْتَمَرْنَا          |
| يَعِزُّ اللّٰهُ فِيْهِ مِنْ يَشَاءُ                       | وَالَا فَاصْبِرُوَا لِضِرَابِ يَوْمِ                |
| هَمْ الْاَنْصَارُ عَرَضَتْهَا الْاَلْقَاءُ <sup>(٧)</sup> | وَقَالَ اللّٰهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا              |
| سَبَابٌ اَوْ قِتَالٌ اَوْ هِجَاءُ                         | يُلَاقِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ                  |
| وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سُوَاءُ                         | فَمَنْ يَهْجُو رَسُوْلَ اللّٰهِ مِنْكُمْ            |
| وَرُوْحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ                    | وَجَبْرِئِلُ رَسُوْلُ اللّٰهِ فَيُنَا               |

وشن رسول الله صلى الله عليه وسلم حربا نفسية عارمة على قريش قبل الفتح تمهيدا لغزوهم بعد ان نقضوا العهد ، فقد قال حسان بن ثابت فيهم ما قال ، ثم جهز الرسول صلى الله عليه وسلم جيشا عظيما لم يسبق أن رأته قريش مثله ، واخفى رسول الله مسيره الى مكة<sup>(٨)</sup> ، حتى يكونوا في عماية من الامر ، وهذا له اثره في مباغتتهم وتحطيم معنوياتهم . ولما جاء ابوسفيان الى المدينة للصلح ( أتى رسول الله فكلمه فلم يرد عليه شيئا )<sup>(٩)</sup> ، ثم طلب ابوسفيان من ابى بكر وعمر وعلى كل على حده ان يشفع لقريش عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفضوا ، فعاد خائبا مما ادخل الرعب والخوف في قلوبهم . . . .

- ( ١ ) تشير النقع: اى ترفع الغبار وتهيجه .  
( ٢ ) كنفى كداء: اى جانبى كداء بفتح الكاف وبالمد هى ثنية على باب مكة .  
( ٣ ) بيارين الاعنة: المباراة هى المجارة والمسابقة ، والمعنى انها لصرامتها وقوة نفوسها تضاهاى اعنتها . ( مصعدات ) اى مقبلات اليكم ومتوجهات .  
( ٤ ) ( الاسل الظماء ) الاسل : الرماح ، والظماء : الرقاق فكأنها لقله مائها عطاش وقيل المراد عطاش لدماء الاعداء .  
( ٥ ) تظل جيا دنا متمطرات: اى تظل خيولنا مسرعات يسبق بعضها بعضا .  
( ٦ ) تلطمهن بالخمير النساء: اى تمسحنهن النساء بخرهن . والمعنى يزلن عنهن الغبار ، وهذا لعزتها وكرامتها عندهم .  
( ٧ ) عرضتها: اى مطلوبها ومقصودها . انظر المعانى السابقة فى شرح النووى على صحيح مسلم ( ٥٠ / ١٦ - ٥١ ) .  
( ٨ ) السيرة النبوية لابن هشام ( ٤٣ / ٣٩٧ ) .  
( ٩ ) المصدر السابق ( ٤٣ / ٣٩٦ - ٣٩٧ ) .



وفى مسير الرسول القائد الى مكة قابله ابوسفيان فى الطريق بين مكة والمدينة  
 والتمس الدخول فلم يسمح له بالدخول - مبالغته فى الحرب النفسية - فقال ابوسفيان  
 ( والله لياذنن رسول الله اولاخذن بيد ابني هذا ، ثم لنذهبن فى  
 الارض حتى نموت عطشا وجوعا ) . وقوله هذا يدل على انهيار روحه المعنوية بسبب  
 ما مر من الحرب النفسية . وروى رسول الله صلى الله عليه وسلم له فاذن له بالدخول ،  
 فدخل واسلم .

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بما مر من اثاره الرعب فى نفس ابى  
 سفيان حتى بعد ان اسلم ، اذ امر العباس بقوله (٢) احبس اباسفيان عند حطم الخيل  
 حتى ينظر الى المسلمين . فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله  
 عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على ابى سفيان ، فمرت كتيبة قال يعباس : من هذه ؟  
 قال هذه غفار ، قال مالى ولغفار . ثم مرت جهينة قال مثل ذلك ، ثم مرت سعد  
 بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك . حتى اقبلت كتيبة فلم يمر  
 مثلها ، قال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية .  
 فقال سعد بن عبادة يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة . . ثم جاءت كتيبة وهى اقل  
 الكتاب فيهم رسول الله واصحابه وراية النبي مع الزبير بن العوام . . الحديث ) .  
 وكما رأيت فقد تعمده الرسول صلى الله عليه وسلم توقيف ابى سفيان لمشاهدة  
 هذا العرض والحشد العسكرى الهائل ليؤثر فى قواه المعنوية حتى بعد ان اسلم  
 ليفقده اى امل فى النصر فلا يعاوده مجرد التفكير فى العودة عن الاسلام او حرب  
 المسلمين .

(١) فقرة من حديث اخرجه الحاكم بسنده عن ابن عباس فى المغازى ، وصححه  
 (٤٤٠، ٤٣/٣) . قلت اسناده ضعيف لاجل احمد بن عبد الجبار ، انظر  
 الميزان للذهبي (١١٣، ١١٢/١) والتقريب لابن حجر (١٩/١) .  
 ولكن ورد الحديث نفسه عند ابن هشام فى السيرة (٤٠٣، ٣٩٩/٤، ٤٠٠) .  
 عن ابن عباس واسناده حسن .  
 (٢) اخرجه البخارى عن عروة بن الزبير فى المغازى /باب ، أين ركز النبي  
 الراية يوم الفتح (٦٠، ٦١/٣) واوله . ( لما سار رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشا خرج ابوسفيان . . ) .

ونجحت الحرب النفسية مع ابي سفيان ، فها هو يقول للعباس بعد أن استكمل العرض العسكري : ( مالا حد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا ابا الفضل لقد أصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما . قال العباس قلت يا ابا سفيان انها النبوة . قال فنعم اذن )<sup>(١)</sup> .

كما ان ابا سفيان كان فى مركز الزعامة فى قريش ، لذا فان ماسمعه ورآه واحس به من قوة المسلمين وشدتهم فتغىضد المشركين وحطم معنوياتهم وقادهم الى الاستسلام والهزيمة بعد ان اخبرهم به . فها هو لما جاءهم صرخ فيهم باعلى صوته يحذرهم من القتال ويدعوهم الى الاستسلام ويقول ( يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار ابي سفيان فهو آمن . . . ومن اغلق ابابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد )<sup>(٢)</sup> . واعطاء الامان لقريش على لسان زعيمها ابي سفيان كان بمثابة الضربة النفسية للقاضية التى قادتهم الى الاستسلام .

ولقد علق اللواء الركن / محمد جمال الدين محفوظ على الاحداث السابقة الخاصة بالحرب النفسية يوم الفتح - تعليقا مطولا جاء فيه ( كل هذه الاعمال احدثت خلاا كبيرا فى التوازن النفسى للمشركين ، وواقعتهم على وجه التأكيد تحت وطأة الضغوط النفسية التالية :

- أ- الاحساس بانهم يولجهمون موقفا سيئا .
  - ب- التشتت الذهنى والتمزق النفسى والشعور بانهم قد وقعوا فى فخ يصعب التخلص منه .
- جد تولد الشعور بالعجز عن القيام بعمل مضاد لحركة المسلمين . وهذا ما اكده الخبير الحربى ( ليدل هارت ) حين قال ( ينبئنا التاريخ العسكرى فى جميع العصور وفى جميع الحروب الحاسمة على التقريب ان الاخلال بتوازن العدو ونفسيا وماديا

( ١ ) السيرة النبوية لابن هشام ( ٤٠٤ / ٤٠٣ ) .

( ٢ ) السرية النبوية لابن هشام ( ٤٠٤ / ٤٠٥ ) باختصار .

هو المقدمة التي لا محيص عنها للقضاء عليه (١).

فيما مر من مشاهد تجلت الحرب النفسية باوضح صورها ، وبرز اثرها وقيمتها في احراز النصر .

ولقد مارس الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب النفسية على العدو في مواطن كثيرة ، وباساليب مختلفة . ففي يوم الخندق اجتمعت الاحزاب من قريش وطفان وغيرها من قبائل العرب ، وحالفهم يهود المدينة ، وانخدل المنافقون ، وكان يوم المسلمين عصيبا . فعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مواجعتهم بالحرب النفسية - عندما توفرت له فرصة استخدامها - من خلال اشارة اشاعة بينهم لتفريق جمعهم وتشتيت شملهم ، وذلك بان ارسل اليهم نعيم بن مسعود (٢) - بعد ان جاءه ليخبره باسلامه - ليؤلب كل طرف على الآخر ، وكان موثوقا عندهم ولم يعلموا بخبر اسلامه . وتمكن نعيم بن مسعود من تحقيق الهدف حتى شك كل منهم في الآخر ، ففرقوا ، ورجعت قريش ومن مالأها من قبائل العرب دون ان ينالوا من المسلمين شيئا . وكان لاشاعة التفريق التي اطلقها نعيم كبير الاثر في ان يرتدوا بغيظهم لم ينالوا شيئا مما جاءوا من اجله واجتمعوا بسببه .

والشائعة من اهم اساليب الحرب النفسية . يقول اللواء الركن / محمود شيت خطاب :

( ان الحرب الحديثة تعتمد على بث الاشاعات الشيرة لتصديع الصفوف ، وبليلة الافكار . وقسم بث الاشاعات من اهم أقسام شعب الاستخبارات في تشكيلات الجيوش . وهو اسلوب من اشد اساليب الحرب النفسية فتكا ) (٣)

(١) مجلة الامة القطرية ، العدد السابع والخمسون ، السنة الخامسة .

(٢) ستأتى القصة بالتفصيل في فصل الخداع . صفحة ( ٤٤٦ ) .

(٣) الرسول القائد / محمود شيت خطاب ( ٢٣٨ ) .

ومارس الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب النفسية على المشركين في عمرة القضاء،  
 وذلك لان المشركين فرحوا بما اصاب المسلمين من وهن الحمى لما نزلت بالمدينة  
 وكانوا يقولون ( يقدم عليكم وقد وهنهم حمى يثرب ) . (١) وكان الصحابة يومذاك هم  
 طلائع البعث وبشائر الفتح ، لذلك احب الرسول عليه الصلاة والسلام ان يظهرها  
 بمظهر القوة والشدة والعافية ليغيظ الكفار وليخيب آمالهم ، فامر الصحابة في  
 الطواف ( ان يرملوا الاشواط الثلاثة وان يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه ان يأمرهم  
 ان يرملوا الاشواط كلها الا الابقاء عليهم ) . (٢) وقال ابن عباس ( انما سعى النبي  
 صلى الله عليه وسلم بالبيت وبين الصفا والمروة ليرى المشركين قوته ) . (٣)

ونجح الرسول صلى الله عليه وسلم بصنيعه هذا في التأثير على معنويات المشركين  
 وفي فرض هيبة المسلمين عليهم . يدل على هذا ما جاء في رواية مسلم للحديث السابق  
 ( فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هؤلاء اجلد من  
 كذا وكذا ) .

من هنا فان هذه الحرب النفسية حققت فرضا مهما للمسلمين هو تغيير افكار  
 المشركين في المسلمين - خصوصا بعد مرحلة الاستضعاف - ليعتقدوا بان المسلمين  
 اليوم قوة لا يستهان بها ، قادرة على تهديدهم وقتالهم ان لزم الامر .  
 ومارس الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب النفسية في غزوه يهود خيبر ، اذ  
 باغتهم في الصباح الباكر وهم خارجون للفلاحة ، وصاح فيهم صيحات مدوية زلزلت  
 اركانهم وخلعت منهم قلوبهم .

( ١ ) حديث اخرجه البخارى في المغازي ، باب عمرة القضاء ( ٥٧ / ٣ ) واللفظ له ،  
 واخرجه مسلم في الحج ، باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة ( ٩٢٣ / ٢ )  
 كلاهما من طريق ابن عباس .

( ٢ ) فقرة من الحديث السابق ، رواية البخارى .

( ٣ ) اخرجه الشيخان في المواضع السابقة ، واللفظ للبخارى .

( ٤ ) سبق تخريجه في هامش رقم ( ١ ) من هذه الصفحة .

( ١ )

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - عن انس بن مالك رضى الله عنه قال :

( صبحنا خيبر بكرة فخرج اهلها بالمساحى ، فلما بصروا بالنبي صلى الله عليه وسلم )

قالوا : محمد والخميس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله اكبر خربت خيبر اننا

اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . . . ) .

لقد ادت مباغرة الرسول عليه الصلاة والسلام لليهود الى الاخلال بتوازنهم

والى شعورهم بالاحباط واليأس من القدرة على المقاومة . وكان كذلك وقع ندائه فيهم

كوقع الصاعقة عليهم . وهذا دفعهم الى الاستسلام للمسلمين .

ومن صور الحرب النفسية التى كان يمارسها الرسول القائد عليه الصلاة والسلام على

عدوه ، انه كان يقيم فى مكان المعركة - بعد انتهائها - ثلاث ليال لاظهار القسوة

والغلبة ، ولتعميق شعور الخيبة لدى العدو .

اخرج البخارى - واللفظ له - والترمذى وابوداود والدارمى واحمد عن ابى

( ٤ )

طلحة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ( انه كان اذا ظهر على قوم اقام

بالعرضة ثلاث ليال ) .

نقل ابن حجر عن ابن الجوزى قوله فى هذا الحديث ( انما كان يقيم ليظهر

تأثير الغلبة وتنفيذ الاحكام وقلة الاحتفال ، فكأنه يقول : من كانت فيه قوة منكم فليرجع

( ٦ )

الينى ) .

( ١ ) اخرجه البخارى فى المغازى ، باب غزوة خيبر ( ٤٩ / ٣ ) ، ومسلم فى الجهاد

والسير ، باب غزوة خيبر ( ٣ / ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ) .

( ٢ ) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجزقة من الحديد . انظر غريب الحديث

لابن الاثير ( ٤ / ٣٢٨ ) .

( ٣ ) الخميس : الجيش ، سمي به لانه مقسوم بخمسة اقسام : المقدمة ، والساقة ، والميمنة

والميسرة ، والقلب . وقيل لانه تخمس فيه الغنائم . انظر المصدر السابق ( ٢ / ٧٩ )

( ٤ ) اخرجه البخارى فى الجهاد ، باب من غلب العدو فاقام على عرضتهم ( ٢ / ١٨١ )

والترمذى فى السير ، باب فى البيات والغارات ( ٤ / ١٢١ ) ، وابوداود فى

الجهاد ، باب الامام يقيم عند الظهور على العدو بعرضتهم ( ٣ / ٦٣ ) ،

والدارمى فى السير ، باب ان النبي اذا ظهر على قوم فاقام بالعرضة ثلاثا

( ٢ / ١٤٠ ) ، واحمد فى المسند ( ٤ / ٢٩ ) .

( ٥ ) العرضة : مكان واسع لا بناء فيه . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٣ / ٢٠٨ ) .

( ٦ ) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ( ٦ / ١٨١ ) .

ومارس رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب النفسية من خلال المطاردة العسكرية للعدو ولارعا به وتخويفه وتهديده كما هو الحال في خروجه اثر المشركين في حمراء الاسد . روى الطبرى بسنده المتصل عن عكرمه قوله : ( . . ) وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ، وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وان الذى اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ) . ( ١ )

وكان من اثر ذلك ان رجع العدو عن رأيه في العودة لاستئصال المسلمين ، وذلك من شدة ما وقع في نفوسهم من الخوف . فافقدهم بذلك لذة النصر وغرس في نفوسهم اليأس من النيل من المسلمين .

كما واحبط امانى اليهود والمنافقين الذين توقعوا استسلام المسلمين لما اصابهم في احد . كما واعاد للمسلمين وللمقاتلين<sup>منهم</sup> خاصة ثقتهم في قوتهم وقد رتهم على مواجهة العدو في المعركة ، ومحا من نفوسهم غباراً ما اصابهم في أحد .

هذه نماذج من تطبيقات الحرب النفسية من جهاد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام يظهر منها اهمية الحرب النفسية في المعركة وقيمتها في احراز النصر . واكتفى بهذه النماذج مخافة التطويل اذا المقصود هو التمثيل فقط .

الوقاية من الحرب النفسية في الاسلام :  
=====

ان تعاليم الكتاب والسنة تعد العوء من فضلا عن المجاهد-اعدادا معنويا رفيعا لامثيل له . ولاغرو في ذلك ، اذ أن تعاليم الكتاب والسنة هي تعاليم سماوية ، وهذا هو شأن التعاليم السماوية الخاصة بالرسالة الخاتمة .

---

( ١ ) تاريخ الامم والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبرى ( ٢ / ٥٣٤ ) دار سويدان بيروت . وسنده ضعيف الا انه يقبل في الروايات التاريخية التى ليس فيها احكام شرعية .

وإذا كانت الحرب النفسية تخوف بالموت فإن الاسلام يعدّ معتنقيه ليدفعوا بانفسهم فى حمام الموت طالبين راغبين فى الشهادة . وإذا كانت الحرب النفسية تخوف المقاتل على اولاده فإن الاسلام يعد المقاتل المؤمن الذى يدفع باولاده الى المعركة كي يفوزوا بالشهادة فى سبيل الله . وإذا كانت الحرب النفسية تخوف بالفقر فإن الاسلام يعد مجاهديه لان ينفقوا اموالهم رخيصة فى سبيل الله . وإذا كانت الحرب النفسية تخوف من قوة العدو فإن الاسلام يربى مجاهديه على عدم الخوف إلا من الله سبحانه . وإذا كانت الحرب النفسية تهدف الى سلب ثقة المقاتلين فى النصر فإن الاسلام يزرع فى نفوس ابنائه ومقاتليه تفويض الامر الى من بيده العزة والنصر جميعا . . . .

كل هذا يوءدى الى الوقاية من الحرب النفسية ، بل ويوءدى الى ايجاد جدار معنوى صلب لا يمكن اختراقه بحرب نفسية او عسكرية . ولن اطيل هنا فى بيان ذلك ، لاني سأفصله فى موضوع الشجاعة . واكتفى هنا بتفصيل توجيهات الاسلام للوقاية من أخطر اساليب الحرب النفسية وهو الاشاعة ، ثم اختتم الموضوع بتسجيل مواقف من السيرة فى مقاومة الحرب النفسية .

لقد نبه القرآن الكريم الى الاشاعات وانواعها وخطورتها وكيفية التعامل معها فى قوله سبحانه وتعالى : ( وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذا عاباهم ولوردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلاً )<sup>(١)</sup> .

معنى قوله ( أمر من الأمن او الخوف ) أى ما يوجب الأمن والخوف ، و( اذا عاباه )

أى افشوه واظهروه . قال الشوكانى : ( وهو لاء هم جماعة من ضعفة المسلمين

كانوا اذا سمعوا شيئاً من امر المسلمين فيه امن نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم ،

او فيه خوف نحو هزيمة المسلمين وقتلهم افشوه وهم يظنون انه لاشى عليهم فى ذلك )<sup>(٣)</sup> .

(١) النساء (٨٣) .

(٢) روح المعنى للآلوسى (٩٣/٢/٢) .

(٣) فتح القدير للشوكانى (٤٩١/١) .

روى هذا عن الحسن ، وذهب اليه غالب المفسرين ، وروى عن ابن عباس والضحاك  
انهم المنافقون ، وقيل الطائفتان معا . ( ١ )

والمراد باولى الامر : الولاة وامراء السرايا ، وقيل هم اصحاب العقول  
الراجعة ، ومعنى قوله ( الذين يستنبطونه منهم ) اى يستخرجون تدبيره بفطنتهم  
وتجاربتهم ومعارفهم بامور الحرب ومكائده . ( ٢ )

وكتب الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - فى ظلاله عند هذه الآية الكريمة  
يقول ( والصورة التى يرسمها هذا النص ، هى صورة جماعة فى المعسكر الاسلامى  
لم تألف نفوسهم النظام ، ولم يدركوا قيمة الاشاعة فى خلخلة المعسكر وفى النتائج  
التي تترتب عليها ، وقد تكون قاصمة ، لانهم لم يرتفعوا الى مستوى الاحداث ،  
ولم يدركوا جدية الموقف وان كلمة عابرة وقلقة لسان قد تجر من العواقب على  
الشخص ذاته ، وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال ، وما لا يتدرك بعد وقوعه  
بحال . او - ربما - لانهم لا يشعرون بالولاء الحقيقى الكامل لهذا المعسكر  
( يقصد المنافقين ) ، وهكذا لا يعينهم ما يقع له من جراء اخذ كل شائعة والجري  
بها هنا وهناك واذاعتها حين يتلقاها لسان عن لسان سواء اشاعة ام -  
او اشاعة خوف . . فكلتاها قد يكون لاشاعتها خطورة مدمرة - فان اشاعة امر  
الامن مثلا فى معسكر متأهب مستيقظ متوقع لحركة من العدو . . اشاعة امر من  
الامن فى مثل هذا المعسكر تحدث نوعا من التراخى ، مهما تكن الاوامر باليقظة ،  
لان اليقظة النابعة من التحفز للخطر غير اليقظة النابعة من مجرد الاوامر ،  
وفى ذلك التراخى قد تكون القاضية . وقد تحدث اشاعة امر الخوف فيه خلخلة  
وارتباك ، وحركات لا ضرورة لها لاتقاء مظان الخوف . . وقد تكون كذلك القاضية ) .

( ١ ) روح المعانى للالوسى ( ٢ / ٢ / ٩٣ ) .

( ٢ ) تفسير النسفى ( ١ / ٢٣٩ ) .



واستطرد الاستاذ سيّد في بيان تربية القرآن للجندى المسلم من خلال هذه الآية - على الحذر من تداول الاشاعة ، وكيفية علاجها فقال ( وهكذا كان القرآن يربى . . فيغرس الايمان والولاء للقيادة المؤمنة ، ويعلم نظام الجندية فى آية واحدة . . بل بعض آية . . فصدر الآية يرسم صورة منفردة للجندى وهو يتلقى نبأ الامن او الخوف ، فيحمله ويجرى متنقلا مذياعا له ، من غير تثبيت . . ومن غير رجعة الى القيادة . . ووسطها يعلم ذلك التعليم . . وآخرها يربط القلوب بالله فى هذا ويذكرها بفضله ويحركها الى الشكر على هذا الفضل ، ويحذرنا من اتباع الشيطان الواقف بالمرصاد . . ) ( ١ ) .

بهذا فان القرآن نبه الى خطورة الاشاعة اذا وصلت الى الصف المسلم وحذر منها بقسميها : اشاعة الامن وهى التى تحتوى على معلومات تضيف الى الامن والطمأنينة الى الحال ، ليكون بعد ذلك الركون والاسترخاء ، فيسهل المباغته وتوجيه الضربة القاضية . واشاعة الخوف وهى التى تحوى معلومات تشير الى الخوف والفزع فى الجيش لتفقد توازنه واستقراره ، وتضعف معنوياته العسكرية ، حتى تتم المواجهة العسكرية وهو مجرد من ارادة القتال محطم المعنويات .

وارشد القرآن المسلم الى كيفية مواجهة الاشاعة بذلك من خلال :-

( ١ ) التحقق من كل خبر يسمعه بالتحقيق فى راوى الخبر ، يقول سبحانه وتعالى :  
( يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ) . ( ٢ )

( ٢ ) والتحقق ثانيا ببرد الخبر الى القيادة العليا القادرة على معرفة مصادر هذا الخبر واهدافه ومدى صحته او غلظه ( ولوردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم ) .

( ١ ) فى ظلال القرآن / للشهيد سيد قطب ( ٢ / ٧٢٣ ، ٧٢٤ ) .

( ٢ ) سورة الحجرات ( ٦ ) .

٣- كتمان الخبر وعدم اذاعته بين الآخرين - سوى القيادة-، وهو احسن وسيلة للقضاء على الاشاعة . والامر بكتمان الخبر وعدم اذاعته بين الناس يفهم من استنكار القرآن على الذين يذيعون الاخبار والشائعات دون ان يردوها الى الامر ( واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به . . ) .

٤- اهتمام القيادة بما ينشر العدو من شائعات ، وضرورة وجود قسم مختص بالتقاط الشائعات وتحليلها وتفنيدها والرد عليها بالحقائق او الشائعات المضادة ( لعلمه الذين يستنبطونه منهم ) .

مساولة الحرب النفسية فى المعركة : ان من واجب القيادة ان لا تكفى بالاعداد المعنوى للرجال من اجل تجنبهم الحرب النفسية التى يشنها العدو، بل ينبغى ان تكون قادرة على مقاومة الحرب النفسية اثناء المعركة وقبلها وبعدها لتجنب الجيش المسلم كل ما يسبب اضعاف قواه النفسية والمعنوية .

لقد تحرى الرسول القائد صلى الله عليه وسلم فيما سمعه يوم الخندق من نقض قريظة للعهد وتحالفها مع الاحزاب ( فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد ، ومعهما عبد الله بن رواحة ، وخوات ابن جبير فقال : انطلقوا حتى تنظروا احق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ام لا ؟ فان كان حقا فالحنوا لى لحنا اعرفه ، ولا تفتوا فى اعضاء الناس، وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس . قال فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم . . ثم اقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا : عضل والقارة اى كغدر عضل والقارة باصحاب الرجيع خبيب واصحابه فقال رسول الله : الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين ) (١)

( ١ ) السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٢٢١ ، ٢٢٢ ) باختصار، وانظر تاريخ

يمثل نقض<sup>١</sup> قريظة للعهد خطرا عظيما على المسلمين لانه كان بإمكان قريظة

التسلل الى داخل المدينة والتعرض للنساء والاطفال ، خاصة وانهم يعرفون

تفاصيل مسالك المدينة ، معاله كبير الاثر على معنويات المسلمين فى خطوط القتال  
اذ سيصبحون غير مطمئنين على مصير ذراريهم واموالهم، كما كان بإمكان اليهود  
القيام بقطع خط رجعة المقاتلين المسلمين الى داخل المدينة وبذلك يفسحون المجال  
للحزاب الاخرى لاقتحام الحرس~~ق~~ دون مقاومة مما يعنى شدة وقع  
نقض قريظة للعهد على نفوس المسلمين .

لذا فان الرسول القائد تصرف بدقة وحكمة اذ تحقق من الامر اولا ، وثانيا  
حرص على كتمانته عن المسلمين بعد أن تثبت من صحته ، وثالثا كبر وبشر بالنصر  
ليرفع المعنويات ويدفع الشك والظن بنقض العهد ، وهو من قبيل الاشاعة  
المضادة لابطال ما قد ينتشر من خبر نقض العهد .

من هنا نخلص الى براعة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم فى مواجهة  
حرب نفسية خطيرة - لو تمكنت من الوصول الى نفوس المسلمين - ، وحكمته  
فى مقاومة هذه الحرب والحيلولة دون وصولها الى نفوس المقاتلين . وبالتالى  
فانه نجح فى تجنيب المسلمين سببا من الاسباب التى قد تؤدى الى انهزامهم  
فى المعركة .

وفى مسير الرسول صلى الله عليه وسلم الى حنين ( جاء رجل فارس فقال: يا رسول  
الله انى انطلقت بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فاذا انا بهوازن على  
بكرة آبائهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين ، فتبسم رسول الله  
وقال : تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله . . الحديث ) (١)  
يبدو من كلام الفارس انه اهتم لكثرة المشركين ، وكونهم خرجوا بظعنهم  
ونعمهم . . ، وهذا بالطبع له اثره فى اضعاف معنويات القتال لدى المجاهد

( ١ ) اخرجه ابوداود عن سهل بن الحنظلية فى كتاب الجهاد ، باب فى فضل

الحرس فى سبيل الله ( ٩ / ٣ ) . والحاكم فى المستدرک ( ٢ / ٨٣ ، ٨٤ )

وصححه . والحديث اسناده صحيح ، ورجاله ثقات . وانظر الحديث بتمامه

فى موضوع المباغثة . صفحة ( ٤٦٦ ) .

فادرك الرسول ذلك وبشره بان مارآه سيكون باذن الله غنيمة للمسلمين . فزال من نفسه ماقد تعلق بها من شعور الخوف بسبب كثرة العدو ، ورفع معنوياته بحيث اصبح مارآه - وخاف منه سابقا - مشجعا له على الجهاد وقتال العدو . من هذا يتبين كيف كان يقاوم الرسول القائد الحربا النفسية فى المعركة ، وكيف كان يحافظ على معنويات جنوده لتكون قوية وعالية ويجنبها ماقد يوءثر فيها .

واذكر مثلا آخر على محافظة القائد على معنويات جنوده فى المعركة من سيرة خالد بن الوليد احد ابرز قادة الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد كان خالد بن الوليد يقود بالمسلمين معركة ضارية مع الروم فى اليرموك ، وابقان ذلك ( قدم البريد من نحو الحجاز ، فدفع الى خالد بن الوليد فقال له : ما الخبر ؟ فقال له - فيما بينه وبينه - : ان الصديق رضى الله عنه قد توفى ، واستخلف عمر واستناب على الجيوش ابا عبيدة عامر بن الجراح ، فاسرها خالد ولم يبد ذلك للناس ، لئلا يحصل ضعف ووهن فى تلك الحال ، وقال له والناس يسمعون : احسنت ، واخذ منه الكتاب فوضعه فى كنانته ، واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة ، واوقف الرسول الذى جاء بالكتاب الى جانبه ) ( ١ ) .

كتم خالد بن الوليد الخبر عن المسلمين وقال للرسول ( احسنت ) ليوم المسلمين بانه لا يحمل الا خبرا سارا ، واحتفظ بالرسالة لنفسه ، وجعل الرسول بجواره ليضمن عدم تسريب الخبر الى المقاتلين ، لان اعلان الخبر واشاعته بين المسلمين يوءدى الى الوهن والضعف النفسى والمعنوى فى المعركة ، ومن ثم اضعاف القدرة القتالية عندهم ، فهو بذلك جنب الجيش الاسلامى صورة من صور الحرب النفسية الخطيرة التى قد توءدى بهم الى اسوأ النتائج .

من خلال ماسبق ذكره تبين اهمية الحرب النفسية وخطورتها فى المعركة واثرها

فى احراز النصر او الوقوع فى الهزيمة .

( ١ ) انظر البداية والنهاية لابن كثير ( ١٤ / ٧ ) . وتاريخ الطبرى ( ٣ / ٣٩٨ ) .

من  
عدم الاعجاب بالكثرة او اليأس للقلّة  
=====

ان الكثرة او القلة لا تحسم المعركة ، لان النصر بيد الله سبحانه ( وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ) (١) فلا يجوز الاغترار بالكثرة او اليأس للقلّة . ولن يضر اهل الحق كثرة اهل الباطل ، فان النصر لاهل الحق وان قلوا ما لم يغتروا ، والافهوسبب لهزيمتهم وان كثروا . وسترى نماذج لانهازم المؤمنين بسبب اغترارهم كما سترى نماذج اخرى لانتصار القلة المؤمنة ولم يضرها كون اهل الباطل اضعافها . زعجة المؤمنين في حنين لاغترارهم بكثرتهم : اذا ما اغتر المسلمون واعجبوا بكثرتهم فانهم يكونون قد ركنوا الى الاسباب ، واعتمدوا على انفسهم ولم يعتمدوا على الله سبحانه ، مما يستوجب حرمانهم تأييد الله ونصره .

لقد كان اغترار المسلمين بكثرتهم في حنين سببا لا نكشافهم لولا ان تداركهم الله برحمته وتأييده . يقول سبحانه وتعالى ( لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين \* ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ) . (٢)

ذكر ابن كثير في تفسيره عن مجاهد قوله ( هذه اول آية نزلت من براءة يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم واحسانه لديهم في نصره اياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله ، وان ذلك من عنده تعالى وتأييده وتقديره لابعدهم ولا بعددهم ، ونبيهم على ان النصر من عنده سواء قل الجمع او اكثر فان يوم حنين اعجبتهم كثرتهم ومع هذا ما جدى ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين الا القليل منهم مع رسول الله ثم انزل نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه ليعلمهم ان النصر

(١) آل عمران (١٢٦) .

(٢) التوبة (٢٥، ٢٦) .

من عنده تعالى وحده وبامداده وان قل الجمع ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ) . ( ١ )

وكان ان اجتمع في حنين عشرة آلاف مقاتل من المسلمين - الذين فتحوا مكة - وانضم اليهم الفان من اهل مكة من مسلمة الفتح فاصبح عدد جيش المسلمين اثني عشر الفا . ( ٢ ) وهذا يعنى ان نسبة المسلمين كانت كبيرة بالنسبة الى ماسبق من غزوات ، مما جعل بعض المسلمين - وفيهم الذين خرجوا من اهل مكة طلبا للغنيمة - يركنون الى انفسهم ويعجبون بكثرتهم .

اخرج البزار بسنده عن انس رضى الله عنه قال : ( ٣ ) قال غلام منا من الانصار يوم حنين لم تغلب اليوم من قلة ، فما هو الا أن لقينا عدونا فانهمز القوم . . الحديث . وهذا ماكشف عنه القرآن في قوله تعالى ( يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ) حيث ادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة ، وزل عنهم ان الله هو الناصر لاكثر الجنود فلم تغن عنهم كثرتهم شيئا ، وانهمز الناس . وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ، ولزمه جماعة من الصحابة ، فلطف الله بهم لثباتهم ودعائهم وحسن توكلهم فنصرهم وايدهم على عدوهم . من هنا فان القرآن يعطينا درسا مهما في الهزيمة ليحذر المسلمون اغترارهم بكثرتهم ، فان هذا يفضي الى هزيمتهم . وقد كان اغترار نبي من الانبياء عليهم السلام بكثرة ما اعطى من جنود سببا لغضب الله عليهم ونزول العقاب بهم .

( ١ ) تفسير ابن كثير ( ٢ / ٣٤٣ ) .  
 ( ٢ ) ورد في حديث عند الحاكم في المستدرک ، كتاب الجهاد . وصححه ( ٢ / ١٢١ ) ، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٤٤٠ ) . وتاريخ الامم والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبرى ( ٣ / ٧٣ ) .  
 ( ٣ ) كشف الاستار عن زوائد البزار ( ٢ / ٣٤٦ ) . قال الهيثمى في مجمع الزوائد ( ٢ / ٣٤٦ ، ٣٤٧ ) : رواه البزار ، وفيه على بن عاصم بن صهيب وهو ضعيف لكثرة غلظه وتماديه فيه وقد وثق ، وبقي رجاله ثقات .

( ١ )

اخرج الامام احمد - واللفظ له - والترمذى عن صهيب رضى الله عنه قال ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى همس شيئا لا يفهمه ولا يخبرنا به ، قال : افطنتم لى ؟ قلنا نعم . قال : انى ذكرت نبيا من الانبياء اعطى جنودا من قومه فقال من يكافىء هؤلاء او من يقوم لهؤلاء او غيرها من الكلام ، فاحى اليه ان اختر لقومك احدى ثلاث : اما ان نسلط عليهم عدوا من غيرهم ، او الجوع ، او الموت . فاستشار قومه فى ذلك فقالوا : أنت نبى الله فكل ذلك اليك ، خر لنا . فقام الى الصلاة ، وكانوا اذا فزعوا الى الصلاة فصلى ماشاء الله . قال ثم قال : اى رب ااعدو من غيرهم فلا ، او الجوع فلا ، ولكن الموت فسلط عليهم الموت فمات منهم سبعون الفا . فهمسى الذى ترون انى اقول : اللهم بك اقاتل وبك اصاول ولا حول ولا قوة الا بالله ) .

لقد دل النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ( اللهم بك اقاتل وبك اصاول ولا حول ولا قوة الا بالله ) على ان الناصر هو الله ، وان الكثرة او القلة لا تقدم أو تؤخر فى نصره سبحانه ، فينبغى اللجوء اليه والاستنصار به والتوكل عليه .

واحبابان أوكد بان نصر الله ينزل على المخلصين من عباد ه قلوبا أم كثروا ، فاذا رافق جهادهم عجب وغرور فانهم يتسبيون بهذا فى حرمانهم من النصر ، بل ووقوعهم فى الهزيمة قلوبا أم كثروا كذلك ، اذا المعول عليه الاخلاص والتقوى وحسن التوجه الى الله ، وليست النسبة العددية المجردة عن الاخلاق الايمانية ، بل ان كثيرا من انتصارات المسلمين الباهرة كانت وهم قلة - فى العدد والعدد - بالنسبة لعدوهم ، كما سترى .

نصر الله للقلة المؤمنة على الكثرة الكافرة :-  
 =====  
 اذا ما تقابلت الكثرة الكافرة مع القلة  
 المؤمنة فى المعركة ، فان النصر يكون حليف الفئة المؤمنة - اذا جاهدت باستطاعتها -  
 اتباعا لسنته سبحانه التى افصحت عنها وعوده القاطعة فى كتابه الكريم كما رأيت

( ١ ) اخرجه الامام احمد فى المسند ( ٣٣٢ / ٤ ) ، ( ٣٣٣ / ٤ ) ، ( ١٦ / ٦ ) . والترمذى فى التفسير سورة البروج ( ٤٣٧ / ٥ ) . والحدِيث صحيح ، ورجالها ثقات .

سابقا فى فصل وعد الله بالنصر .

ويعوض الله سبحانه قلة المؤمنين بمعيتهم لهم فى المعركة بالتأييد والعون والامداد سواء بالملائكة ، او الرعب ، او بغيرها من الجنود الاخرى التى يسخرها الله لنصر المؤمنين واذلال الكافرين .

انتصار طالوت على جالوت :   
 =====

القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، لما <sup>اذ</sup> جاوز طالوت بمن معه النهر رأوا قلتهم ، وكثرة اعدائهم من الكفار بزعامه جالوت ، فخاف بعضهم من ذلك كما ذكره الله سبحانه ذلك بقوله ( فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ) ( ١ ) اى لا قدرة لنا بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن الغلبة عليهم . والقائل بعض المؤمنين لبعض ، وهو اظهار ضعف لانكوص لما شاهدوا من الاعداء ما شاهدوا من الكثرة والشدة ، قيل : كانوا مائة الف مقاتل شاكى السلاح ، وقيل ثلاثمائة الف . ( ٢ )

وظمأنتهم فئة من القلة المؤمنة بالنصر على جالوت وجنوده رغم كثرتهم استبشارا بنصر الله لكثير من الفئات المؤمنة القليلة على غيرها من الفئات الكافرة الكبيرة .

( قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ) - ( ٣ ) ( كم ) هنا خبرية ، والمعنى كثير من الفئات المؤمنة القليلة غلبت كثيرا من الفئات الكافرة ، وعبر بقوله ( غلبت ) ولم يقل اطاعت كما وقع فى كلام اخوانهم ، لتطمينهم بحصول ما استبعدوه وزيادة ثقة فى تأييد الله ونصرته للمؤمنين ، ولذلك قالوا ( باذن الله ) قال ابو السعود فى معناها : ( اى بحكمة الله وتيسيره ، فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى ، فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعزز من خذله وان كثرت اسبابه وعدده ) . ( ٥ )

- ( ١ ) البقرة ( ٢٤٩ ) .  
 ( ٢ ) روح المعانى للآلوسى ( ١٧١ / ٢ / ١ ) . باختصار يسير جدا .  
 ( ٣ ) البقرة ( ٢٤٩ ) تنمى الآية السابقة .  
 ( ٤ ) انظر تفسير النسفى ( ١٢٦ / ١ ) .  
 ( ٥ ) تفسير ابي السعود ( ٢٤٣ / ١ ) .



وختمت الآية بقوله ( والله مع الصابرين ) اى بالنصر ، وهو ختام يتناسب مع ما يفيد السياق من انتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، اذ إن أى فئة مهما قلت فهى بمعية الله سبحانه منصوره .

وقد انتصرت الفئة المؤمنة القليلة بقيادة طالوت على الكثرة الكافرة . يقول سبحانه ( فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت . . ) ( ١ ) اى هزم طالوت وجنده جالوت وجيشه رغم كثرتهم حتى قتل جالوت بنفسه .

وعلق الاستاذ سيد قطب فى ظلاله على القصة تعليقا مفيدا ، عن اثر العقيدة اقتطف منه قوله ( . . على الرغم من هذا كله فان ثبات حفنة قليلة من المؤمنين عليها قد حقق لبني اسرائيل نتائج ضخمة جدا . . فقد كان فيها النصر والعز والتمكين ، بعد الهزيمة العنكرة ، والنهاية الفاضحة والتشريد الطويل والذل تحت اقدام المتسلطين . ولقد جاءت لهم بملك داود ، ثم ملك سليمان - وهذه اعلى قمة وصلت اليها دولة بني اسرائيل فى الارض ، وهى عهدهم الذهبى الذى يتحدثون عنه ، والذى لم يبلغوه من قبل فى عهد النبوة الكبرى . . وكان هذا النصر كله ثمرة مباشرة لانتفاضة العقيدة من تحت الركام ، وثبات حفنة قليلة عليها امام جحافل جالوت . . ) ( ٢ ) .

واذا كان هذا المثل هو من التاريخ البعيد فان الامثلة فى التاريخ القريب - تاريخ هذه الامة - كثيرة اسوق بعضها حتى يعتمد المسلمون فى جهادهم على ربهم ، ولا يركنوا الى انفسهم او يعجبوا بكثرتهم ، ولا يياسوا كذلك لقلتهم .

( ١ ) البقرة ( ٢٥١ ) بعض آية .

( ٢ ) فى ظلال القرآن سيد قطب ( ١ / ٢٦٢ ) .

انتصار القلة المؤمنة في بدر: =====  
 (١) مقاتل، معهم مائتا فرس، (٢) وكان عدد المسلمين (بضعة عشرة وثلاثمائة) (٣)  
 ومعهم سبعون بعيرا يتعاقبون عليها. (٤) وباستعراض النسبة فان المشركين  
 يمثلون ثلاثة أضعاف المسلمين تقريبا . لذا فان ايا جهل لما علم بنجاة  
 القافلة ابي العودة وقال : ( لا والله لانرجع حتى نرد ماء بدر، ونحمر  
 الجزور، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان ، وتحدث العرب بمكاننا فيها  
 يومنا ابدأ ) (٥) كل ذلك اعجابا بكبرتهم وطمعا في المسلمين لقتلهم ..  
 وأشار القرآن الى ذلك في سياق نهى المؤمنين عن التشبه بما  
 كان المشركين يومئذ فقال سبحانه وتعالى ( ولا تكونوا كالذين خرجوا من  
 ديارهم بطرا ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ) . (٦)  
 ذكر ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم ان الآية نزلت  
 في المشركين الذين قاتلوا رسول الله يوم بدر . (٧)  
 ومعنى قوله ( بطرا ) اي فخرا واشرا ، ( ورثاء الناس ) هو المفاخرة  
 والتكبر عليهم ، يدل عليه قول ابي جهل العتقدم .

- 
- (١) ورد في حديث سبق تخريجه في وجوه النصر . ص ( ١٢٨ ) هامش (١) .  
 (٢) تاريخ الطبري (٤٢٣/٢) .  
 (٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب عدة اصحاب بدر ، من طريق البراء  
 (٤/٣) .  
 (٤) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (١٠٢) .  
 (٥) انظر تفسير ابن كثير (٣١٧/٢) ، والنسفي (١٠٧/٢) .  
 (٦) الانفال (٤٧) .  
 (٧) تفسير ابن كثير (٣١٧/٢) .

ولقد استهان ابو جهل كذلك بالمسلمين لقتلهم عندما قـرب  
 الفريقان من القتال فقال : ( انما محمد واصحابه كأكلة جزور، لو قد التقينا )<sup>(١)</sup>  
 وهو يريد انهم سيهزمون المسلمين لقتلهم ظنا منه بان النصر يحصل بالكثرة .  
 وقال المنافقون مثلما قال ابو جهل ، يقول سبحانه وتعالى ( اذ يقول  
 المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هوء لا دينهم ، ومن يتوكل على الله  
 فان الله عزيز حكيم ) .<sup>(٢)</sup>

قال ابن القيم عند هذه الآية : ( ولما رأى المنافقون ومن فى قلبه  
 مرض قلة حزب الله وكثرة اعدائه فى بدر ظنوا ان الغلبة انما هى بالكثرة وقالوا  
 " غر هوء لا دينهم " فاخبر الله سبحانه ان النصر بالتوكل عليه ، لا بالكثرة  
 ولا بالعدد . والله عزيز لا يغلب ، حكيم ينصر من يستحق النصر وان كان  
 ضعيفا ، فعزته وحكمته اوجبت نصر الفئة المتوكله عليه ) .<sup>(٣)</sup>

ورغم قلة المسلمين - كما رأيت - فقد نصرهم الله عليهم نصرا مؤزرا ،  
 يقول سبحانه وتعالى ( ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ) .<sup>(٤)</sup>

وسد الله سبحانه يومئذ ضعف المسلمين فى العدد والعدد بالملائكة  
 تقاتل معهم ، يقول سبحانه وتعالى ( اذ يوحى ريك الى الملائكة انى معكم  
 فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا  
 فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ) .<sup>(٥)</sup>

وقتلوا منهم يومئذ سبعين واسروا سبعين .<sup>(٦)</sup> بل وتهددهم الله سبحانه  
 ان عادوا لقتال المسلمين ان يعيد عليهم الكرة بالهزيمة دون ان تنفعهم  
 كثرتهم شيئا فقال سبحانه ( وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا  
 ولو كثرت وان الله مع المؤمنين ) .<sup>(٧)</sup>

( ١ ) كشف الاستار عن زوائد البزار ( ٢ / ٣١٣ ) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد  
 ( ٦ / ٧٦ ) : رواه البزار ، ورجاله ثقات . قلت : اسناده صحيح ، ورجاله  
 ثقات كما قال الهيثمى .

( ٢ ) الانفال ( ٤٩ ) . ( ٤ ) آل عمران ( ١٢٣ ) .

( ٣ ) زاد المعاد لابن القيم ( ٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ ) . ( ٥ ) الانفال ( ١٢ ) .

( ٦ ) ورد فى حديث سبق تخريجه فى وجوه النصر . ( ٧ ) الانفال ( ١٩ ) .

معركة السخندق : =====  
 وفى هذه الغزوة كان عدد المشركين عشرة آلاف ، عدا  
 يهود المدينة . وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف<sup>(١)</sup> . رغم هذا فان المشركين  
 لم يحرزوا أدنى نصر ، ولم تنفعهم كثرتهم ، اذ ايد الله سبحانه القلة المؤمنة  
 بريح وجنود لم يروها ، زلزلت المشركين واضطرتهم الى الفرار بارواحهم .  
 يقول سبحانه وتعالى ( يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم  
 جنود فارسنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا )<sup>(٢)</sup> .

غزوة مؤتة : =====  
 كان عدد المسلمين فى هذه الغزوة ثلاثة آلاف ، وعدد الروم ومن  
 معهم من نصارى العرب مائتا الف<sup>(٣)</sup> . ولما اسكثر المسلمون عددهم واد  
 بعضهم الكتابة للنبي صلى الله عليه وسلم كى يمد لهم او يأمرهم بالقتال ، قال  
 لهم عبد الله بن رواحة : ( يا قوم ان التى تطلبون قد ادركتموها - يعنى الشهادة -  
 ومانقاتل الناس بعدد ولا قوة ، ومانقاتلهم الا بهذا الذين الذى اكرمنا  
 الله به فانطلقوا ، فهى احدى الحسنين : اما ظهور ، واما شهادة . فوافقه  
 الجيش كله على هذا الرأى )<sup>(٤)</sup> .

وقاتل المسلمون ، ثم انسحب خالد بن الوليد بالجيش ، ولم يصيبهم  
 اذى من كثرة الروم يومها ، الا انه استشهد من المسلمين اثنا عشر فقط حسب  
 من سمعهم المصادر<sup>(٥)</sup> . ولا شك ان انسحاب المسلمين بخسائر محدودة جدا ،

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣، ٤ / ٢١٩ ، ٢٢٠) .

(٢) الاحزاب (٩) .

(٣) انظر تاريخ الطبرى (٣ / ٣٦ - ٣٨) . وسيرة ابن هشام (٣، ٤ / ٣٧٥) .

(٤) انظر تاريخ الطبرى (٣ / ٣٦ - ٣٨) . وسيرة ابن هشام (٣، ٤ / ٣٧٥) .

(٥) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣، ٤ / ٣٨٨ - ٣٨٩) .

ووقف الاستاذ سيد قطب - رحمه الله - وقفة بليغة عند قوله تعالى

فى شأن انتصار المسلمين فى بدر :- ( ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على

عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ) .<sup>(١)</sup>

يقول الاستاذ سيد قطب ( . . . وكانت فرقانا بين تصورين لعوامل النصر

والهزيمة . فَجَرَّتْ كل عوامل النصر الظاهرية فى صف المشركين ، وكل

عوامل الهزيمة الظاهرية فى صف العصابة المؤمنة ، حتى لقال المنافقون

والذين فى قلوبهم مرض : ( غر هوءلاء دينهم ) . . . وقد اراد الله ان تجرى

المعركة على هذا النحو - وهى المعركة الاولى بين الكثرة المشتركة والقلّة

المؤمنّة - لتكون فرقانا بين تصورين وتقديرين لاسباب النصر واسباب الهزيمة

ولتنتصر العقيدة القوية على الكثرة العددية ، وعلى الزاد والعتاد ، فتبين

للناس ان النصر للعقيدة الصالحة القوية لا لمجرد السلاح والعتاد ، وان

اصحاب العقيدة الحقّة ، عليهم ان يجاهدوا ويخوضوا غمار المعركة

مع الباطل غير منتظرين حتى تتساوى القوة المادية الظاهرية لانهم يملكون

قوة اخرى ترجح الكفة ، وان هذا ليس كلاما يقال ، انما هو واقع متحقق للعيان ) .<sup>(٢)</sup>

معركة أحد : =====  
بلغ عدد المشركين فى هذه الغزوة ثلاثة آلاف رجل منهم

سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فرس . وكان عدد المسلمين سبعمائة فيهم  
(٣)

مائة دارع ، قيل كان معهم فرسان وقيل خمسون فرسا . وبذلك فان قوة المشركين

المادية كانت اربعة اضعاف قوة المسلمين المادية او اكثر . رغم هذا فان

المسلمين تمكنوا من هزيمة المشركين فى اول المعركة شرهزيمة ، ولم يكن  
(٤)

انهزام المسلمين فى نهاية المعركة بسبب كثرة المشركين ، وانما كان بسبب

مخالفة الرماة لامر النبى صلى الله عليه وسلم وتنازعهم فيما بينهم كما هو معلوم .

(١) الانفال (٤١) .

(٢) فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب (٣/١٥٢٣) .

(٣) انظر الاعداد السابقة فى تاريخ الطبرى (٢/٥٠٤، ٥٠٥) . والسيرة

النبوية لابن هشام (٣، ٤/٦٥) . والدرر لابن عبد البر (١٥٨) .

(٤) انظر موضوع الانضباط . صفحة (٢٨٣) .

— رغم انهم كانوا وسط امواج من البشريعده نصرًا عظيمًا لا مثيل له ، اذ انهم افلتوا من موت محقق ... .

معركة اليرموك :  
 =====  
 فى هذه المعركة ( تكامل جيش الروم اربعين ومائتى الف ،  
 ثمانون الفا مسلسل بالحديد والحبال ، وثمانون الفا فارس ، وثمانون  
 الفا راجل . . . ، وتكامل جيش الصحابة ستة وثلاثين الفا الى الاربعين الفا ) .  
 وعندما اقبل خالد بن الوليد من العراق بامر الصديق لمساندة  
 جيش المسلمين فى اليرموك ( قال رجل من نصارى العرب لخالد : ما أكثر الروم  
 واقل المسلمين . قال خالد : ويلىك ، اتخوفنى بالروم ؟ انما تكثر الجنود  
 بالنصر ، وتقل بالخذلان لابعدهم الرجال ) .<sup>(٢)</sup>

وصدق خالد رضى الله عنه ، فقد نصرهم الله وهم قلة على عدوهم  
 رغم كثرتهم الفاحشة ، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئًا ، مما حير زعيمهم هرقل .  
 ذكر ابن كثير عن ابي اسحاق قوله ( كان اصحاب رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم لا يثبت لهم العدو ففواق ناقة عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على  
 انطاكية لما قدمت منهزمة الروم : ويلكم ، اخبرونى عن هؤلاء القوم الذين  
 يقاتلونكم ، اليسوا بشرًا مثلكم ؟ قالوا بلى . قال فانتم اكثرا من هم ؟ قالوا  
 بل نحن اكثر منهم اضعافا فى كل موطن . قال فما بالكم تنهزمون ؟ قال  
 شيخ من عظمائهم : من اجل انهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون  
 بالعهد ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم . ومن اجل  
 انا نشرب الخمر ، ونزنى ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغضب ، ونظلم ،

- 
- ( ١ ) البداية والنهاية لابن كثير ( ٧ / ٨ ) .  
 ( ٢ ) انظر المصدر السابق ( ٧ / ١١ ) . وتاريخ الطبرى ( ٣ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ ) .  
 ( ٣ ) فواق ناقة : اى قدر فواق ناقة ، وهو ما بين الحلبتين من الراحة .  
 انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٣ / ٤٧٩ ) .

( ١ )

ونأمر بالسخط ، وننهى عما يرضى الله ، ونفسد فى الارض . فقال : أنت صدقتنى .  
ان العبرة ليست بكثرة الرجال وانما العبرة بما هو فى نفوس اولئك  
الرجال من الايمان ، والاخلاق ، والمعنويات العالية ، لذا فان جيش هرقل  
لم يثبت فى وجه الصحابة رضوان الله عليهم ، وايقن هرقل حقيقة ذلك بنفسه .  
وما احوجنا نحن اليوم الى معرفة هذه الحقيقة لنعرف بالتالى عظمة ما نملك من  
القوة واسباب النصر .

معركة القادسية :

=====  
كان عدد الفرس فى هذه المعركة ثلاثون الفا ، وقيل  
ستون الفا . وكان عدد المسلمين بين السبعة آلاف والثمانية <sup>(٢)</sup> . ولما رأى الفرس  
قلة عدد المسلمين وعتادهم قالوا : ( لا يد لكم ولا قوة ولا سلاح ، ما جاء بكم ؟  
ارجعوا . قال ، قلنا : ما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نبلنا ويقولون :  
دوك ، دوك . وشبهونا بالمغازل ) <sup>(٣)</sup> .

ولكن لم تنفع اولئك كثرتهم ، قال ابن كثير ( وانهمزت الفرس عن بكرة  
ابيهم ، ولحقهم المسلمون فى اقفاثهم فقتل يومئذ المسلمون بكما لهم وكانوا  
ثلاثين الفا ، وقتل فى المعركة عشرة آلاف ، وقتلوا قبل ذلك قريبا منهم . وقتل  
من المسلمين فى هذا اليوم وما قبله من الايام الفان وخمسائة رحمهم الله ) <sup>(٤)</sup> .

معركة جلولاء :

=====  
كانت هذه المعركة بين المسلمين والفرس كذلك ، وكان عدد  
المسلمين فيها اثني عشر الفا ، انتصر فيها المسلمون على الفرس ، وقتلوا منهم  
( مائة الف حتى جلولوا وجه الارض بالقتلى ، فلذلك سميت جلولاء ) <sup>(٥)</sup> .

( ١ ) البداية والنهاية لابن كثير ( ٦ / ١٧ ) .

( ٢ ، ٣ ) انظر مصنف ابن ابي شيبة ( ١٢ / ٥٦٢ - ٥٦٣ ) . والبداية والنهاية

لابن كثير ( ٧ / ٤٨ ) .

( ٤ ، ٥ ) البداية والنهاية لابن كثير ( ٧ / ٤٩ ، ٧٧ ) .

في الاندلس: ولا يدور بخلد احد ان انتصار القلة المؤمنة خاص بجيل  
 دون جيل . كلا ، انما هو خاص بجيل الايمان في كل زمان ومكان ، فاذا وقع  
 ذلك في وقت سابق ولجيل كان فيه الصحابة ، فلقد وقع مثله في وقت قريب  
 وفي جيل لم يكن فيهم من الصحابة ، وانما كانت فيهم اخلاق الصحابة فنصرهم  
 الله كما نصر الصحابة الكرام . قال القرطبي ( ووقع في تاريخ فتح الاندلس ان  
 طارقا مولى موسى بن نصير سار في الف وسبعمائة رجل الى الاندلس ، وذلك  
 في رجب سنة ثلاث وتسعين من الهجرة . فالتقى وملك الاندلس لذريق وكان  
 في سبعين الف عنان ، فزحف اليه طارق ، وصبر له فهزم الله الطاغية لذريق  
 وكان الفتح ) .<sup>(١)</sup>

واورد الامام ابو حيان الاندلسي هذه القصة في تفسيره و اضاف  
 قائلا ( وما زالت جزيرة الاندلس تلتقى الشذمة القليلة منهم بالعدد الكثير  
 من النصارى فيغلبونهم ، واخبرنا من حضر الوقعة التي كانت في الديموس  
 الصغير على اثني عشر ميلا من مدينة غرناطة سنة تسع عشرة وسبعمائة ، وكان  
 المسلمون الفا وسبعمائة فارس من الاندلسيين والبربر ، وكان النصارى مائة  
 الف راجل ، وستين الف رام ، وخمسة عشر الف فارس بين رام ومدرع ، فصبروا  
 لهم واسروا اكابرهم وقتلوا ملك قشتاله " دون جوان " ونجا اخوه " دون بطر " <sup>قلعة</sup>  
 مجروحا وكان ملوك النصارى ملك قشتاله المذكور ، وملك افرنسه وملك يوطقال  
 وملك غلسية ، وملك ارباج قد خرجوا عازمين على استئصال المسلمين من  
 الجزيرة فهزمهم الله ) .<sup>(٢)</sup>

(١) احكام القرآن للقرطبي (٧/٣٨١) .

(٢) تفسير البحر المحيط لابي حيان الاندلسي (٤/٥١٧) .



انتصارات القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة كثيرة كما اخبر القرآن فى قوله تعالى ( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله )<sup>(١)</sup> وهذه نماذج منها ، وسهبقى ذلك امرا عاما فى كل فئة مؤمنة كما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى خبر عام .

اخرج الامام احمد والترمذى وابوداود والدارمى - واللفظ له - والحاكم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> ( خير الاصحاب اربعة وخير الجيوش اربعة الآف ، وخير السرايا اربعمائة ، وما بلغ اثنا عشر الفا فصبروا وصدقوا ، فغلبوا من قلة ) . من هذا يتأكد ان الهزيمة لا تقع من قلة كما أن النصر لا يحصل بالكثرة ، كيف لا وقد انتصر المسلمون فى معارك كثيرة كما رأيت وهم قلة . وانما الاعتبار فى حصول النصر او الهزيمة هو حال اولئك المقاتلين بالنسبة لدين الله . لذا فانه لا ينبغى الاغترار بالكثرة كما لا ينبغى اليأس من القلة .

( ١ ) البقرة ( ٢٤٩ ) .

( ٢ ) اخرجه الامام احمد فى المسند ( ٢٩٤ / ١ ) . وابوداود فى الجهاد باب فيما يستحب من الجيوش . ( ٣٦ / ٣ ) . والترمذى فى السير ، باب ما جاء فى السرايا ( ١٢٥ / ٤ ) . والدارمى فى السير ، باب فى خير الاصحاب ( ١٣٥ ، ١٣٤ / ٢ ) ، والحاكم فى المناسك ( ٤٤٣ / ١ ) وفى الجهاد ( ١٠١ / ٢ ) وصححه الاستاذ / احمد شاکر فى تحقيقه على المسند ( ٢٣٧ / ٤ ) . وصححه الشيخ الالبانى كذلك فى سلسلة الاحاديث الصحيحة ( ٧١٩ / ٢ - ٧٢٠ رقم ٩٨٦ ) . قلت : الحديث صحيح ورجاله ثقات .

السبب السابع  
=====

الاتحاد في المعركة  
=====

ان تماسك الامة وتآلفها وتلاحمها ببعضها ببعض هو من مقومات بقائها ، فضلا عن كونه من ابرز اسباب تفوقها في الصراع مع الامم الاخرى . واذا قُدِّرَ لامة أن يدب في اوصالها الخلاف والفرقة فانها بهذا تكون مهددة بالزوال ، فضلا عن الهزيمة ، ذلك لان الاتحاد قوة ، والقوة تفضي الى النصر ، والتفرق ضعف ، والضعف يفضي الى الهزيمة .

الاتحاد فريضة شرعية : أمر الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز المؤمنين بالتآلف والتعاقد فقال : ( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ) (١) . بعد أن أمر سبحانه المؤمنين بالاعتصام بحبل الله ، وهو القرآن الكريم كما ذكر المفسرون (٢) ، فانه أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفرقة ( ولا تفرقوا ) ، وذكرهم بما امتن به على الأوس والخزرج حيث جعلهم اخوة بهذا الدين <sup>بعد</sup> ان كانوا اعداء تشتعل بينهم المعارك والحروب لاتفه الاسباب ، ووصف سبحانه رابطة الاخوة التي تجمعهم بانها نعمة ، وفي هذا تقدير عظيم لاهمية الاتحاد والتآلف بين المؤمنين ، وتذكير لهم بأن يحافظوا على هذه النعمة فلا يفرطوا فيها بالتنازع والاختلاف .

وترغيبا في الاتحاد اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم انه سبب في الحصول على رضى الله ، وذلك فيما اخرجه الامام مسلم بسنده عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٣) ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره - وفى رواية يسخط - لكم ثلاثا ، فيرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال ) .

(١) آل عمران (١٠٣) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣٨٨/١) وابي السعود (٦٦/٢) .

(٣) اخرجه مسلم في كتاب الاقضية ، باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة

(٣/١٣٤٠) .

قرن الرسول الاتحاد بالعبادة والتوحيد اشعارا بان الاتحاد ركن من اركان هذا الدين . قال النووي فى شرحه : ( وأما قوله صلى الله عليه وسلم ( ولا تفرقوا ) فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتآلف بعضهم ببعض ، وهذه احدى قواعد الاسلام ) .<sup>(١)</sup>

وحدث الرسول صلى الله عليه وسلم على لزوم الجماعة ، ونهى عن الفرقة وذلك فيما اخرجه الترمذى - واللفظ له - والحاكم عن ابن عمر قال :<sup>(٢)</sup> خطبنا عمر بالجابية فقال : يا ايها الناس انى قتت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال : اوصيكم باصحابى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ثم يفسدوا والكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ، ويشهد الشاهد ولا يستشهد الا لا يخلون رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان ، عليكم بالجماعة واياكم والفرقة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين ابعد ، من اراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة ، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن ) .

وحفاظا على وحدة الامة اهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دم من اراد

تفريق شملها .

أخرج الامام مسلم بسنده عن عرفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :<sup>(٣)</sup> ( من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم<sup>(٤)</sup> او يفرق جماعتكم فاقتلوه ) .

ولبيان مدى تآلف المؤمنين وتلاحمهم شبههم الرسول عليه الصلاة والسلام بالبنيان يشد بعضه بعضا . أخرج الامام مسلم بسنده عن ابي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :<sup>(٥)</sup> ( المؤمن من المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ) .

- ( ١ ) شرح النووي على صحيح مسلم ( ١١ / ١٢ ) .  
 ( ٢ ) اخرجه الترمذى فى الفتن ، باب ما جاء فى لزوم الجماعة ( ٤ / ٤٦٥ ) وقال : هذا حديث حسن صحيح . واخرجه الحاكم فى المستدرک ، كتاب العلم ( ١ / ١١٤ ) وصححه . قلت : اسناد الترمذى حسن لاجل النضر بن اسماعيل فهو صدوق . انظر التهذيب لابن حجر ( ١٠ / ٤٣٤ - ٤٣٥ ) . وبقية رجاله ثقات .  
 ( ٣ ) اخرجه مسلم فى الامارة . باب حكم من فرق امر المسلمين وهو مجتمع ( ٣ / ١٤٨٠ ) .  
 ( ٤ ) يشق عصاكم اى يفرق جماعتكم كما تفرق العصا المشقوقة ، وهو عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس . انظر شرح النووي على صحيح مسلم ( ١٢ / ٢٤٢ ) .  
 ( ٥ ) اخرجه مسلم فى كتاب البر والآداب والصلة . باب تراحم المؤمنين ( ٤ / ٩٩ - ١٩ ) :

شبه الرسول عليه الصلاة والسلام علاقة التآزر والتعاقد بين المؤمنين بالبنيان لوضوح دلالة في قوة العلاقة بين اجزائه لدرجة لا يستغنى فيها جزء عن الآخر، ولا يقوم جزء دون الآخر، فيعضد بعضه بعضا ليقوم بذلك البناء كله، ويصبح بعلاقة التعاقد والتآزر بين اجزائه بناء قويا متماسكا، فاذا فقد البناء جزءاً منه فقد بذلك قوته وتماسكه وتعرض للانهار باقل سبب يتعرض له .

ان العلاقة التي تربط بين المؤمنين في المجتمع الاسلامي ايا كانت الوانهم واجناسهم واطنانهم لعلامة عظيمة لا يصل اليها اتحاد بين البشر، انها علاقة اخوة كما وصفها الله سبحانه بقوله : ( انما المؤمنون اخوة )<sup>(١)</sup>، ومن هذه الآية وغيرها يتضح ان الآصرة التي يجتمع عليها المؤمنون هي آصرة العقيدة فقط، وهي تتقدم على غيرها من الروابط والعلاقات الارضية حتى آصرة النسب، بل وتفرض على المؤمن ان يقف في وجه اخيه من والديه وقت المعركة ان خالف عقيدة الايمان والتوحيد وتوجب عليه ان يقف بجوار اخيه المؤمن، وفي صف واحد ليدفع عنه اعداء هذه العقيدة .

وعلاقة الاخوة كما تربط بين الافراد المؤمنين فانها تربط كذلك وبنفس المستوى بين الشعوب المؤمنة ايا كانت اجناسها والوانها، ولغاتنا وايا كانت ديارها ومضاربها .

واجب الاتحاد في المعركة :-  
=====

واحد واجباً في العموم فان اتحادهم اوجب على وجه الخصوص زمن المعارك والحروب، لانها تؤثر في مصير الامم والشعوب . وهي اوجب عندما تصاب الامة بالشلل الذي يفقدها القدرة على مواجهة الشعوب الاخرى التي تستغل ضعفها لتجهز عليها . لذا فقد امر الله تبارك وتعالى المجاهدين وقت المعركة ان يجتمعوا في صف واحد ضد عدوهم فقال ( ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص )<sup>(٢)</sup> .

بين سبحانه محبته للمقاتلين في سبيله الذين يقاتلون اعداءهم ( صفا ) أي

صافين انفسهم او مصفوفين ، وشبههم في تراصهم من غير فرجة وخلل بقول الله

(١) الحجرات (١٠) .

(٢) الصف (٤) .

(٣) تفسير ابي السعود (٢٤٣/٨) .

( كأنهم بنيان مرصوص ) قال ابن عباس فى معناها : ( اى مثبتلا يزول ، ملصق  
( ١ )  
بعضه ببعض ) .

وقال جل جلاله ( وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله  
( ٢ )  
مع المتقين ) .

قال الامام الطبرى فى تفسيرها ( فانه يقول جل ثناؤه : وقاتلوا المشركين  
بالله ايها المؤمنون جميعا غير مختلفين ، مؤتلفين غير مفترقين ، كما يقاتلكم  
المشركون جميعا ، مجتمعين غير متفرقين . ) ونقل هذا المعنى عن ابن عباس  
( ٣ )  
وقتادة والسدى .

اثر الاتحاد فى احراز النصر :-  
لقد اشرت سابقا الى ان الاتحاد قوة ، والقوة  
تفضى الى النصر ، كما ان الاختلاف ضعف ، والضعف يفضى الى الهزيمة .

وندرك هذا المعنى من قوله تعالى ( يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة

فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون \* واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا

وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين ) ( ٤ )  
نبه الله سبحانه فى هاتين الآيتين

الى جملة من اسباب النصر والهزيمة ، منها اتحاد المجاهدين ، ونبه الى هذا

من خلال التحذير من الاختلاف والفرقة مع بيان انه سبب للهزيمة ( ولا تنازعوا فتفشلوا

وتذهب ريحكم ) ، ذكر سبحانه ما يترتب على التنازع ، وهما : اولاً : الفشل : وهو الجبن

فى الحرب ، وهو سبب من اسباب الهزيمة كما سأبينه قريباً فى موضوع الشجاعة .

ثانياً : ذهاب الريح : والريح هى القوة والنصر ، وقيل الريح بمعنى الدولة ، شبهت

فى نفود امرها بالريح فى هبوبها ، وقيل المراد بها زيح الصبا ، اذ كان ينصر بها

النبي صلى الله عليه وسلم . من هذا يتبين ان التنازع يوءدى الى الضعف والهزيمة .  
( ٦ )

( ١ ) تفسير ابن كثير ( ٤ / ٣٥٩ ) .

( ٢ ) التوبة ( ٣٦ ) .

( ٣ ) تفسير الطبرى ( ٦ / ١٢٨ ) .

( ٤ ) الانفال ( ٤٥ ، ٤٦ ) .

( ٥ ) انظر فتح القدير للشوكانى ( ٢ / ٣١٥ ) ، واهي السعود ( ٤ / ٢٥ ) ، وابن كثير

( ٢ / ٣١٦ ) ، والطبرى ( ٦ / ١٦ ) .

وذكر القرآن درسا من دروس معركة (أحد) ، فبين أن اختلاف بعض الصحابة يومها كان سببا في انهزامهم يقول سبحانه وتعالى ( ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسّونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ) . ( ١ )

قال الشوكاني : ( نزلت الآية لما قال بعض المسلمين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر، وذلك انه كان الظفر لهم في الابتداء ، حتى قتلوا صاحب لواء المشركين وتسعة نفر بعده ، فلما اشتغلوا بالغنيمة وترك الرماة مركزهم طلبا للغنيمة كان ذلك سبب انهزامهم ) . ( ٢ )

فالنصر وقع للمسلمين اولا ، يوئيد هذا قوله ( ولقد صدقكم الله وعده ) والوعد هنا : هو الوعد بالنصر ، اذ وفى الله لهم هذا الوعد فنصرهم ، ودلّل على هذا بقوله ( اذ تحسّونهم باذنه ) والحسّ هو الاستئصال بالقتل . ولكن ما وقع من المسلمين من اخطاء بعد ذلك كان سببا في منع النصر عنهم ، و اشار سبحانه الى هذا بقوله ( حتى اذا فشلتم ) والفشل هو الجبن ( وتنازعتم في الامر ) قال الشوكاني ( والتنازع المذكور هو ما وقع من الرماة حين قال بعضهم نلحق الغنائم ، وقال بعضهم ثبت في مكاننا كما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ) ، ( وعصيتم ) وهو عصيان كثير من الرماة بالنزول عن الجبل بعد ان امرهم بالثبات عليه وعدم مفارقتة بحال . وبين سبحانه سبب عصيان اولئك النفر من الرماة الذين نزلوا واختلفوا مع اميرهم فقال ( منكم من يريد الدنيا ) اي الغنيمة حيث نزلوا لجمع الغنائم . ومدح سبحانه من تبقى من الرماة فوق الجبل ولم ينزلوا طلباً للغنيمة ، حيث اخبر سبحانه بانهم من اهل الآخرة ، رغبوا فيما عند الله بالثبات والاستشهاد عما كان يمكنهم ان يأخذوه من الغنائم في ذلك اليوم ( ومنكم من يريد الآخرة ) .

( ١ ) آل عمران ( ١٥٢ ) .

( ٢ ) فتح القدير للشوكاني ( ٣٨٩ / ١ )

( ٣ ) انظر تفسير ابن كثير ( ٤١١ / ١ ) بوابي السعود ( ٩٨ / ٢ ) .

( ٤ ) انظر فتح القدير ( ٣٨٩ / ١ ) . والنسفي ( ١٨٧ / ١ ) .

( ٥ ) انظر هذه المعاني في تفسير النسفي ( ١٨٧ / ١ ) . وفتح القدير ( ٣٨٩ / ١ ) .

واخبر سبحانه عن حرمانه لهم الصون والنصر بشؤم معصيتهم ( ثم صرفكم عنهم ) اى كّف معونته عنكم فغلبوكم ( ليبتليكم ) اى ليمتحن صبرهم على المصائب وشيئاتهم ، ( ولقد عفا عنكم ) لما ندما على ما وقع منهم ( والله ذو فضل على المؤمنين ) بالعفو عنهم خاصة ، وفى جميع احوالهم عامة .<sup>(١)</sup>

مما مرتبين بوضوح كيف بدأت المعركة ولصالح من ، ثم كيف انقلبت حيث تراجع المسلمون ، وتبين ايضا الاسباب التى ادت الى انقلاب النتيجة من النصر الى الانهزام ، وتبين ان الاختلاف والفرقة والتنازع هو من هذه الاسباب التى ادت الى التحول السلبى . . . . .

وهو درس رائع فى النصر والهزيمة ، قصة القرآن على المؤمنين ليعلمهم متى يتم الله سبحانه وعده لهم بالنصر ومتى يمنعه عنهم ، وبأى اسباب يتم النصر وتكون الهزيمة .

الاختلاف والتنازع سلاح يستخدمه العدو ولاضعاف العالم الاسلامى :-  
=====

اما وقد تبين بالكتاب والسنة ووقائع السيرة اثر التنازع فى حصول الهزيمة ، واهمية الاتحاد فى احراز النصر ، فانى راغب فى ان اؤكد ماتقرر باقوال لاعدائنا فى العصر الحديث ، وذلك لابرار خطورة الموقف ، مع ان مامر سابقا فيه من الحجة والعبارة مايكفى .

لقد تأكد ان الاستراتيجية التى يعتمدها العدو وضدنا هى تمزيق جسد الامة الاسلامية الى كيانات مختلفة . . لتفتت قوة المسلمين . وخلاصة هذه السياسة فى العبارة المشهورة ( فرق تسد ) .

ويشهد على ذلك تقرير الكولونيل لورنس المرفوع الى المخابرات البريطانية فى كانون الثانى ١٩١٦م والذى جاء فيه : ( بأن اهدافنا الرئيسية تفتت الوحدة الاسلاميقتد حر الامبراطورية العثمانية وتدميرها ، واذا عرفنا كيف نعامل العرب

( ١ ) انظر هذه المعانى فى تفسير النسفى ( ١ / ١٨٨ ) .

فسيقون في دامة الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة متنافرة غير قابلة للتماسك (١).

ويشهد لذلك حديثا ما قاله اليهودي ( اهارون ياريف ) مدير المعهد

العالي للدراسات الاستراتيجية في تل ابيب ، والرئيس السابق للمخابرات العسكرية الاسرائيلية ، قال ( ان جيشنا الاسرائيلي لا يزال اقوى جيش في الشرق الاوسط ، ولكنني اعتقد جازما ان العدد الحالي لهذا الجيش لا يكفي لمواجهة اى خطر ، الا اذا تحقق شرطان ، اولهما : استمرار النزاعات واسباب الخلاف بين العرب انفسهم ، وثانيهما : الا يتحقق اى ائتلاف ، والا يقوم اى تحالف بين عدة دول عربية ضد اسرائيل ) (٢).

ولا احب ان اعلق على ما ذكره هؤلاء الاعداء ، ولا احب ان استرسل في ذكر الشواهد من بر وتوكلات حكماء صهيون او غيرها ، فواقع المسلمين خير شاهد على ما قول . . . ، ولكن اذكر بخطورة هذا الاسلوب العدائي في اضعاف قدرات الامة الاسلامية ، كما اذكر بخطورة الفرق الباطنية والمذاهب الهدامة ، والعصبية الاقليمية والعرقية لانها هي النواة الطبيعية لاي اختلاف او تمزق في كيان الامة الاسلامية ، كما ان مصالحها الذاتية تلتقى مع مصلحة العدو والخارجي لمذا فقد كانت وما زالت عوناً للاستعمار . (٣)

كما ويطيب لى ان اذكر ايضا بان من ابرز اسباب انتصار القائد المظفر صلاح الدين الايوبي على الصليبيين ، وظفره باسترداد بيت المقدس ، هو توحيد دويلات الاسلامية المتناحرة فيما بينها . (٤)

(١) اجنحة المكر الثلاثة / عبدالرحمن حبنكة (الميداني) (١٩٩) نقلا عن كتاب الحياة السياسية للورنس العرب .

(٢) انظر مجلة الامة ( القطرية ) عدد ٦٢ ، السنة السادسة ، صفر ١٤٠٦ هـ .

(٣) انظر اجنحة المكر الثلاثة عبدالرحمن حبنكة الميداني (٢٠٩-٢٠٧ ، ٢٦٩-٢٨٨) ،

وكتاب الله او الدمار لمؤلفه سعد جمعه ص ٧٤ وما بعدها ، وكتاب عوامل

النصر والهزيمة لشوقي ابوخليل (٨٦-٨٨) دار الفكر ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

(٤) انظر كتاب صلاح الدين الايوبي ، عبدالله ناصح علوان (١٠٦-١٠٧) دار

السلام للطباعة . الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .



السبب الثامن :  
=====

الشجاعة و ارادة القتال  
=====

معنى الشجاعة : عرف الجرجاني الشجاعة بقوله : ( هيئة حاصلة للقوة الغضبية

بين التهور والجبن ، بها يقدم على امور ينبغي ان يقدم عليها ،  
كالقتال مع الكفار ما لم يزيد وا على ضعف المسلمين ) .<sup>( ١ )</sup>

بهذا فان الشجاعة تتمثل في : ( ١ ) الرغبة الاكيدة والتصميم الجاد  
على قتال العدو .

( ٢ ) اقدام المجاهد وبلائه في المعركة .

ويتضح ايضا ان الشجاعة تتوسط امرين كلاهما متطرف احدهما فيه  
افراط والثاني فيه تفريط ، اما الذي فيه افراط فهو التهور اذ يكون  
الاقدام في غير محله ، واما الذي فيه تفريط فهو الجبن اذ يفقد  
الجبان او تضعف عنده الرغبة في الاقدام .

الشجاعة من المبادئ الاساسية للحرب :

توفر الارادة القتالية والشجاعة لدى المقاتلين مبدأ اساسي في الحرب ،  
اذ لا يمكن ان يخوض مقاتل او جيش حربا دون ان تتوفر لديه  
الارادة والشجاعة والاستبسال في القتال من اجل تحقيق الهدف العام .  
واذا حدث ان دخل جيش القتال دون ارادة ورغبة اكيدة في القتال

( ١ ) التعريفات للجرجاني ( ١٢٥ ) .

دار الكتب العلمية / بيروت . الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

ودون استبسال وصمود في المعركة فان مصير هذا الجيش هو الهزيمة والاندحار .  
 والمعركة كلها اخطار حيث يتعرض المقاتل للقتل او الاصابة سواء  
 بجروح طفيفة او بالغة ، كما ويلزمه ان يتخطى مزارع الالغام ، ويواجه عدوا  
 مزودا بكافة انواع الاسلحة من الطائرات او المدفعية او الدبابات .

وكل هذه الاخطار وغيرها مما لا حاجة للتوسع في ذكره ، يوجب على  
 المقاتل ان تتوفر لديه رغبة في دخول المعركة ومواجهة الاعداء ، ويوجب  
 عليه ان يكون شجاعا ومقداما في تحدى كل هذه الاخطار .

فاذا حصلت الرغبة في دخول القتال ، والاقدام على ما فيه من الالهوال  
 فان ذلك يقوى موقف هذا الطرف ، ويضعف موقف الطرف الاخر ، مما يعنى أن  
 الاول قد وضع اقدامه على بداية طريق النصر ، واما الثانى فاقدامه وضعت على  
 بداية طريق الهزيمة . لانه اذا لم يكن الجيش شجاعا فانه سيكون جبانا ، واذا كان  
 كذلك فليس من نتيجة سوى الفرار وهو ما يعنى الهزيمة ، بل واشنع .

وستبقى للشجاعة اهميتها الاساسية في المعارك مهما تطورت تكنولوجيا  
 الحرب ، لان الشجاعة هسى بمثابة قوة معنوية تنبع من القلب ، وتدفع المجاهد  
 للاقدام فى اداء مهامه القتالية ، فهى بذلك لا يمكن ان تصنع فى المعامل  
 لتوزع على المقاتلين .

دوافع الشجاعة فى الاسلام :  
 من الواضح ان الشجاعة فى الاصل خلق فطرى ،  
 ولكن تعاليم الكتاب والسنة تحمل فى ذاتها دوافع ايمانية تكسب المقاتل شجاعة  
 نادرة و متميزة .

ان دوافع الشجاعة عند المسلمين متميزة لانها تضرب بجذورها فى  
 العمق الايمانى ، اذ الباعث لها هو الايمان والعقيدة وليست المطامع المادية  
 والدنيوية ، ومن ثم فانها عميقة عمق تلك العقيدة ، راسخة رسوخ تلك المبادئ الايمانية ،  
 وهى قوية قوة هذا الدين ، فهى لاتهن ولا تجبن امام قوة من البشر .

هذا وسأستعرض نماذج من المبادئ الإسلامية التي تخلق روح

الشجاعة لدى المسلمين .

اولا : الايمان والعقيدة :- ان الايمان يشحذ المقاتل المؤمن في المعركة

بروح معنوية عالية ، تجعله لا يخاف الا من الله سبحانه ، يقول سبحانه

وتعالى ( انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون

( ١ )

ان كنتم مؤمنين ) .

ختمت الآية بقوله ( ان كنتم مؤمنين ) لبيان ان الايمان يقتضى مخافة

الله وحده ، وعدم الخوف ممن سواه . قال النسفى : ( فالايمن يقتضى ان يوثر

( ٢ )

العبد خوف الله على خوف غيره ) .

والايمن يجعل المقاتل المؤمن لا يخاف الهزيمة لاعتقاده بأن الناصر

هو الله . يقول سبحانه وتعالى ( وما النصر الا من عند الله ) ، ، كما ويعتقـ

بان لا قوة فى الكون تملك النصر والهزيمة من دون الله ( ان ينصركم الله فلا غالب

( ٤ )

لكم وان يخذلكم فمخذ الذى ينصركم من بعده ) .

والايمن يجعل المقاتل لا يخاف الموت لاعتقاده بان الآجال بيد الله ،

يقول سبحانه وتعالى ( ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة

( ٥ )

ولا يستقدمون ) .

( ١ ) آل عمران ( ١٧٥ ) .

( ٢ ) انظر تفسير النسفى ( ١٩٦ / ١ ) .

( ٣ ) الانفال ( ١٠ ) .

( ٤ ) آل عمران ( ١٦٠ ) .

( ٥ ) الاعراف ( ٣٤ ) .

والايمان يجعل المقاتل لا يخشى مما قد يصيبه من العدو في المعركة

لايماه بان شيئا لن يصيبه الا بتقدير الله ( قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) ( ١ )

كما ان الايمان يجعل المقاتل يشعر بالعزة والاستعلاء على غير

المؤمنين ، ولذا فان الله سبحانه عزي المؤمنين عقب ما اصابهم في ( أحسـد )

بتذكيرهم بما منحهم اياه من العزة واستعلاء الايمان ، يقول سبحانه ( ولاتهنوا

ولاتحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ) . وختتمت الآية بقوله ( ان كنتم مؤمنين ) ( ٢ )

لبيان الايمان يقتضى الاستعلاء على الكافرين ، ومن ثم فلا يهين المؤمن من أويحزن في المعركة وغيرها .

هذه بعض مبادئ العقيدة الاسلامية التي تخلق في المجاهد روح

الشجاعة والاقدام . وكنت قد ابرزت اثر العقيدة في المعركة في موضوع الايمان والعقيدة البناءة ، فيمكن الرجوع اليه للتوسع . \*

ثانيا : الجهاد في سبيل الله ، وعدالة الحرب :-

ان الاسلام يعد المجاهد للقتال في سبيل الله ، وليس من اجل نزوة

ذاتية او نزعة عرقية ، يقول سبحانه وتعالى ( الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله

والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان

كان ضعيفا ) ( ٣ )

ومن هنا فان الجهاد في سبيل الله يمثل للمجاهد باعنا قويًا

يدفعه الى التفانى في المعركة بكل شجاعة وبسالة .

---

( ١ ) التوبة ( ٥١ ) .

( ٢ ) آل عمران ( ١٣٩ ) .

( ٣ ) النساء ( ٧٦ ) .

\* انظر صفحة (١٦٤) من هذه الرسالة .

وايمانه بان الحرب التي يخوضها حربا عادلة لحماية المستضعفين من المؤمنين يستحث همته ونخوته وشجاعته في المعركة ، يقول سبحانه ( وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا )<sup>(١)</sup> . وكذا مادامت المعركة التي يخوضها المقاتل في سبيل الله لاى باعث من بواعث الجهاد فان ذلك يزوده بقوة نفسية عظيمة تخلق فيه شجاعة منقطعة النظير .

ثالثا : الثواب : ان المجاهد المؤمن يعلم ما أعد الله له من الثواب العظيم في الدنيا والآخرة ، وهذا يدفعه الى الاستبسال في المعركة ليفوز بثواب الجهاد . يقول سبحانه وتعالى ( فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما )<sup>(٢)</sup> .

معنى قوله ( يشرون ) اي يبيعون . قال ابوالسعود : ( وتعقيب القتال بأحد الامرين ) ( فيقتل او يغلب ) للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنين ، ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا ( وهو الفرار ) وتقدير القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر )<sup>(٣)</sup> .

وبين الله تبارك وتعالى ثواب الشهيد بقوله ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون \* فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون \* يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين )<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) النساء ( ٧٥ ) .  
 ( ٢ ) النساء ( ٧٤ ) .  
 ( ٣ ) تفسير ابى السعود ( ٢٠١ / ١ ) .  
 ( ٤ ) آل عمران ( ١٦٩ - ١٧١ ) .

ولاشك ان ماعده الله من ثواب للمجاهد والشهيد يعد من اقوى دوافع الشجاعة ، لان المجاهد لم يعد يخشى شيئا من عدوه ، ولم يعد هناك ما يخشى عليه ، بل لعله يوءثر الشهادة فيرمى بنفسه فى مظان الموت . وهـل من شجاعة اكثر من هذه الشجاعة .

واحـب هنا ان استشهد على قيمة الثواب الذى اعد للشهيد فى خلق روح الشجاعة عند المقاتلين بقصة عمير بن الحمام فى بدر ، اذ سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحرضهم على القتال بقوله (١) قوموا الى جنة عرضها السموات والارض . فقال عمير بن الحمام الانصارى : يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض؟ قال : نعم . قال يخ يخ . فقال رسول الله : ما حملك على قولك يخ يخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، الا رجاء ان اكون من اهلها قال : فانك من اهلها . فاخرج تمرات من قرنه ، فجعل ياكل منهن ثم قال لئن انا حييت حتى اكل تمرتى هذه ، انها لحياة طويـلة . قال : فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل .

لما سمع عمير رضى الله عنه من عظيم ثواب الشهيد لم يحتـمل ا كمال ما بيده من التمرات للزمن الذى سيعمل فيه اكلها ، فقذف بنفسه فى حمام الموت يوءثر ما عند الله من الثواب العظيم على ما فى ايدى الناس من العتـاع الرخيـص ، وبهذا فان الثواب الذى اعد للمجاهدين والشهداء هو من اقوى دوافع الشجاعة فى المعركة .

(١) بعض حديث . سياتى تخريجه فى موضوع الطاعة والانضباط (٢٨٦) ، هامش (١) .

(٢) يخ يخ : فيها لغتان اسكان الخاء وكسرهما منونا وهى كلمة تطلق لتفخيم

الامر وتعظيمه فى الخير . انظر شرح النووى على صحيح مسلم (٤٥/١٣)

ومنال الطالب لابن الاثير (٢٩٧) .

استئصال الاسلام للخوف والجبن من النفس: الخوف ظاهرة سلبية فى الانسان

تؤدى به الى الجبن فى وقت الشدائد والحروب. وعالج الاسلام هذه الظاهرة بانتزاع اسبابها واقتلاعها من النفوس. فالنفس البشرية تخاف من القتل والاصابة او الهزيمة فى المعركة ، والاسلام انتزع كل ذلك من نفس المقاتل بالايمان كما رأيت ، وبإخباره ان الموت واقع على كل حى ، وانه ان يموت موتة كريمة هو خير له فى دنياه وفى أخراه ، وان اكرم الميتات الموت فى سبيل الله عزوجل دفاعا عن العقيدة وحماية للاعراض وصيانة للاوطان ، يقول جل شأنه ( لئن قتلتم فى سبيل الله او تم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون \* ولئن تم او قتلتم لالى الله تحشرون ) (١) . وهاتان الايتان تعقيب على قول المنافقين لاخوانهم الذين سافروا للتجارة او اشتركوا فى الغزو فماتوا بسبب ذلك لو كانوا عندنا ماتوا . وقد بين الله سبحانه ان هذا القول حسرة فى قلوب المنافقين تتمزق بها قلوبهم ، وان حكم الله باحياء من يحييه واماته من يميته ماض كما اراد ، لا تغيره الاسباب الظاهرة ، فقد يميت المقيم القاعد فى بيته ويحيى المشترك فى اشد المعارك ضراوة . لذا نهى الله سبحانه المؤمنين ان يشبهوا الكافرين فى قولهم واعتقادهم ، وأن يجبنوا عن الجهاد خوفا من الموت او القتل وبين لهم ان مغفرة الله ورحمته خير مما يجمع هوءلاء المنافقون من الدنيا ، وانه يوم يحشرون الى ربهم باعمال سالحة منها الجهاد فى سبيله والاستشهاد لاجل دينه سيسعدون بذلك اتم السعادة ، بينما يتحسر المنافقون على فوات هذه الفرصة حسرة تزيد همهم ولا تجديهم نفعا ، قال تعالى ( يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض وكانوا غزى لو كانوا عندنا ماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ) .

(١) آل عمران (١٥٧، ١٥٨) .

(٢) آل عمران (١٥٦) .

قال الامام النسفي بعد تناوله لهذه الآيات ( كذب الكافرين اولا فى زعمهم ان من سافر من اخوانهم اوغزا لوكان بالمدينة لعامات ، ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ، ثم قال لهم ولئن تم عليكم ماتخافونـه من الهلاك بالموت او القتل فى سبيل الله فان ماتنالونه من المغفرة والرحمة بالموت فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ، فالدنيا زاد المعاد فاذا  
( ١ )  
وصل العبد الى المراد لم يحتج الى الزاد ) .

ويحصل الخوف ايضا بسبب الحرص على الدنيا وزينتها ، لذا فقد عمد القرآن الى تحقير الدنيا فى نظر المجاهد ، يقول سبحانه ( يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل ) .  
( ٢ )  
بين سبحانه حقيقة هذه الدنيا ، وانها لاتذكر بجانب ما عده سبحانه للمجاهدين من الثواب والنعيم المقيم ، ومن ثم فان المؤمن لا يقعد عن الجهاد رغبة فى متاع الحياة الدنيا ، بل يقدم على الجهاد بشجاعة وبسالة رغبة فيما وعده به سبحانه من الثواب .

واذا كان الاولاد والاهل والعشيرة والمال من خير متاع الدنيا فان القرآن خصهم بالتحذير ، اذا كانوا سببا لحصول الخوف والتثاقل عن الجهاد يقول سبحانه وتعالى ( قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وزواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامرہ والله لا يهدى القوم الفاسقين ) .  
( ٣ )

- ( ١ ) تفسير النسفي ( ١ / ١٩١ ) .

( ٢ ) التوبة ( ٣٨ ) .

( ٣ ) التوبة ( ٢٤ ) .



معنى قوله ( اقترفتموها ) اى اصبتموها . حذر سبحانه من هذه الاصناف الثمانية مشيرا بها الى ماعداها ، وذكرها هنا لاهميتها فى تثبيط الناس عن القتال او الطغيان بحبها على محبة الله ورسوله . وقرن الجهاد بحب الله ورسوله ( احب اليكم من الله ورسوله وجاهد فى سبيله ) ليبرز حقيقة مكانته فى هذا الدين . فاذا تسببت هذه الامور فى التثبيط عن القتال ، فان المؤمنين مهترون بعقاب الله ( فتربصوا حتى يأتى الله بامرهم ) ، قال الشوكانى ( وفى هذا وعيد شديد ، ويؤكد به ابهام الامر وعدم التصريح به لتذهب انفسهم كل مذهب ، وتتردد بين انواع العقوبات ) .<sup>(١)</sup>

بهذا فان الله سبحانه يجتث من قلوب المؤمنين جميع الاسباب المؤدية الى الخوف والجبن ، رغم شدة التصاق هذه الاسباب بمشاعر الانسان وقلبه . وليس لغير دين الله من سلطان على القلوب كهذا السلطان الذى ينزع منهم احسب امور الدنيا اليهم فيخلعون انفسهم منها وقت المعركة عن رضى وطيب خاطر . هذا وان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الجبن فى اليوم خمس مرات لينفر الصحابة من هذه الخصلة الزميمة وليسمو بهم الى خلق الشجاعة . اخرج البخارى - واللفظ له - والترمذى والنسائى عن سعد رضى الله عنه<sup>(٢)</sup> ( ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ دبر كل صلاة بقوله : اللهم انى اعوذ بك من الجبن ، واعوذ بك ان ارد الى اردل العمر ، واعوذ بك من فتنة الدنيا ، واعوذ بك من عذاب القبر ) .

( ١ ) تفسير فتح القدير للشوكانى ( ٢ / ٣٤٧ ) .

( ٢ ) اخرجه البخارى فى الجهاد ، باب ما يتعوذ من الجبن ( ٢ / ١٤١ ) .

والترمذى فى الدعوات ، باب فى دعاء النبى وتعوذه دبر كل صلاة

( ٥ / ٥٦٢ ) . والنسائى فى الاستعاذة ، باب الاستعاذه من فتنة

الدنيا ( ٨ / ٢٦٦ ) .

واضافة الى تعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم من الجبن . . فى هذا الحديث، فقد جاء فى اسناده عن عمرو بن ميمون الاودى ان سعدا رضى الله عنه كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة . وذلك حرصا منه على ان يترفع ابناؤه عن الجبن ، وليتحلوا بخلق الشجاعة .

شجاعة الرسول القدوة : =====  
لقد تميز الرسول صلى الله عليه وسلم بشجاعته كما

هو الحال فى كل شأن من شئونه .

والمسلمون يقتدون به فى شجاعته كما يقتدون به فى حسن ادارته وتخطيطه وتنظيمه للمعارك . . ونحن اذ نقتدى به افرادا وجنودا وقادة نتحلى بالاخلاق التى توهلنا للنصر ، لان النصر حليف من تخلق بأخلاق الرسول الامين واخلاق صحابته الفاضلين . ولا ننسى ان الرسول وصحابته الكرام حققوا ما نعلم من انتصارات بايمانهم وحسن اخلاقهم . ومن ذلك شجاعتهم واقدامهم فى المعارك والحروب ، لا يأبهون فى ذلك لموت او خوف ، ولا يعرفون الا نصرا او شهادة .

وقد كان الرسول القدوة عليه الصلاة والسلام شجاعا بطبعه وسجيته لا يدانيه احد فى شجاعته . اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - والترمذى وابوداود عن انس رضى الله عنه قال : ( ١ ) كان النبى صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس ، واجود الناس ، ولقد فزع اهل المدينة فكان النبى عليه الصلاة والسلام سبقهم على فرس وقال : وجدناه بحرا ) . ( ٢ )

( ١ ) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب الشجاعة فى الحرب والجبن ( ١٤١ / ٢ )

وباب الحمائل وتعليق السيف بالعنق ( ١٥٤ / ٢ ) .

ومسلم فى الفضائل ، باب فى شجاعة النبى وتقدمه للحرب ( ١٨٠٢ / ٤ ، ١٨٠٣ ) .

والترمذى فى الجهاد ، باب ما جاء فى الخروج عند الفزع ( ١٩٨ / ٤ ) .

وابوداود فى الادب ، باب ماروى فى الترخيص فى ذلك ( ٢٩٧ / ٤ ) .

( ٢ ) بحرا : اى واسع الجرى . وسعى البحر بحرا لسعته . انظر غريب الحديث

لابن الاثير ( ٩٩ / ١ ) .

وفى غزوة حنين - عندما انكشف المسلمون اول المعركة - اسرع رسول الله على بغلته لتركض قبل الكفار، واخذ العباس بلجام البغلة يريد أن يكفها عن الاسراع خوفاً عليه .<sup>(١)</sup> ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دابته خلال المعركة .<sup>(٢)</sup> وهذا وذاك يعتبر من الشجاعة النادرة التي تميز بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى احلك المواقف .

قال الامام النووى ( قال العلماء : ركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة فى مواطن الحرب ، وعند اشتداد الناس هو النهاية فى الشجاعة والشبات ، ولانه ايضا يكون معتمدا يرجع المسلمون اليه وتطمئن قلوبهم به ويمكنه وانما فعل هذا عمداً والا فقد كانت له صلى الله عليه وسلم افراس معروفة . ومما ذكره فى هذا الحديث من شجاعته انه نزل الى الأرض حين غشوه ، وهذه مبالغة فى الشبات والشجاعة والصبر ) .<sup>(٣)</sup>

وجاء فى رواية البراء قوله فى شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ( كنا والله اذا احمر البأس نتقى به ، وان الشجاع منا للذى يحاذى به )<sup>(٤)</sup> .  
يعنى النبي صلى الله عليه وسلم .  
ومثل آخر على شجاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وذلك يوم بدر اذ كان اقرب المسلمين الى العدو ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يحتمون به عند الشدة .

(١) ورد فى حديث طويل اخرجه مسلم عن العباس فى الجهاد والسير ، باب غزوة حنين ( ٣ / ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ) وانظر الحديث بتعامه فى موضوع القيادة الراشدة ( ٢٧٦ ) .

(٢) حديث فى نفس الكتاب والباب من صحيح مسلم ، ولكن من طريق البراء ( ٣ / ١٤٠١ ) .  
(٣) انظر شرح النووى على صحيح مسلم ( ١٢ / ٤ ، ١١ ، ١١٥ ) .  
(٤) انظر تخريجه فى هامش رقم ( ٢ ) من الصفحة .

( ١ )

اخرج الامام احمد عن علي رضي الله عنه قوله ( لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا <sup>الذي</sup> العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأساً ) .

شجاعة الصحابة : =====  
لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم على درجة عالية من الشجاعة يحتاج استيعابها الى مجلدات كثيرة . ولكن احب ان اذكر هنا مثلا لشجاعتهم وهم الذين تحققت على ايديهم انتصارات عظيمة وفريسة وقصدي من ذلك هو الاقتداء بهم في شجاعتهم حتى يتحقق نصر الله لنا كما تحقق لهم من خلال اخذنا بهذا السبب الذي اخذوا به ، فضلا عن غيره من الاسباب الأخرى .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخاري - والترمذي عن انس رضي الله عنه أن عمه غاب عن بدر فقال : ( ٢ ) غبت عن اول قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، لئن اشهدني الله مع النبي ليرين الله ما أجد . فلقى يوم ( أحد ) ، فهزم الناس فقال : اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين ، وابراً اليك مما جاء به المشركون ، فتقدم بسيفه فلقى سعد بن معاذ فقال : اين ياسعد اني اجد ربح الجنة دون ( أحد ) فمضى ، فقتل فمأعرف حتى عرفته اخته بشامة او ببنا نه وبه بضع وثمانون من طعنه وضربه ورمية سهم ) .

- 
- ( ١ ) اخرجه الامام احمد في المسند ( ٨٦ / ١ ) ورجاله ثقات ، ليس في اسناده الا ما ذكر من اختلاط ابي اسحاق السبيعي كما ذكر ابن حجر في التقريب ( ٧٣ / ٢ ) . ولكن أنكره الذهبي وقال : ( الا انه شاخ ونسي ولم يختلط ) انظر الميزان للذهبي ( ٢٧٠ / ٣ ) . كما واخرج له الشيخان في الصحيحين من رواية حفيده اسرائيل بن يونس بن ابي اسحاق وآخرون انظر الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات ص ٥١ ٣ لابي البركات محمد بن احمد المعروف بابن الكيال . تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي ، دار المأمون للتراث - دمشق - طبعة مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى - الاولى ( ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ) واسرائيل روى هذا الحديث عن جده ابواسحاق ، وقد اخرج له الشيخان من طريقه في الصحيحين كما اسلفت لذا فان الحديث صحيح .
- ( ٢ ) اخرجه البخاري في المغازي ، غزوة احد ( ٢١ / ٣ ) . ومسلم في الامارة باب ثبوت الجنة للشهيد ( ١٥١٢ / ٣ ) . والترمذي في التفسير سورة الاحزاب ( ٣٤٨ / ٥ ) .

يبين لنا هذا العثال مدى الرغبة الاكيدة والالاح الشديد ، والعزم الصادق  
عندهم أنس رضى الله عنه فى قتال المشركين ، بل واسفه الشديد على ما فاتته  
من قتالهم اولا - فى بدر - ويفصح عن شجاعته فى قتال العدو فى اشد  
ساعات المعركة ، ويبين ثباته واقدامه رغم ما اصابه من كل تلك الجراح ، كما  
ويبين الدافع لكل هذه الشجاعة حينما قال لسعد ( اين ياسعد ؟ انى اجد  
ريح الجنة دون أحد ) .

ولاشك ان صاحب هذه الشجاعة وامثاله هم القادرون على تحقيق النصر  
باذن الله ، وهم الحقيقون بنصر الله .

واذا كانت شجاعة الصحابة معروفة لاحتياج الى مزيد استشهاد ،  
فانه يجدر بنا ان نذكر شجاعة فتيان الصحابة ايضا .

( ١ )

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - عن عبدالرحمن بن عوف قال :

(انى لفى الصف يوم بدر اذا التفت فاذا عن يعينى وعن يسارى فتيان حديثا  
السن ، فكأنى لم آمن بمكانهما ، اذ قال لى احدهما سرا من صاحبه يا عم  
أرنى ابا جهل - فقلت يا ابن اخى : وما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله ان رأيت  
ان اقتله او اموت دونه . فقال الآخر سرا من صاحبه مثله . قال فما سرنى  
انى بين رجلين مكانهما ، فا شرت لهما اليه ، فشدوا عليه مثل الصقريين  
حتى ضرباه ، وهما ابنا عفران ) .

يتضح من هذا المثل الارادة القتالية العالية ، عند هذين الغلامين

من ابناء الصحابة التى وصلت الى مستوى ان يعاهد كل منهما الله سبحانه  
على قتل زعيم الكفر ، ويؤكد رغبته الحقيقية هذه بعزمه على ان لا يعود عن رغبته

( ١ ) اخرجه البخارى فى المغازى ، باب غزوة بدر ( ٣ / ٨ ) . ومسلم فى الجهاد

باب استحقاق القاتل سلب القتل ( ٣ / ١٣٧٢ ) .

الا اذا حال دون ذلك قتله . ومما يزيد الصورة بهاء وعظمة ذلك التنافس الشديد بينهما في ارادة كل منهما تحقيق ذلك بنفسه ، وذلك من خلال معرفته لابي جهل سرا دون ان يعلم الآخر . ويتوج ذلك كله شجاعة كل منهما في تنفيذ الامر فما ان اشار عبدالرحمن بن عوف الى ابي جهل حتى انطلق كل منهما لقتل ابي جهل . وقد كان لهما ما ارادا حيث ضربه كل منهما بسيفه حتى قتلاه كما في رواية مسلم . بهذا فانهم اسقطوا زعيم معسكر الكفر ، وساهموا في احراز النصر .

وقد كان لشجاعة المسلمين في اليرموك الاثر البالغ في انتصارهم على الروم رغم كثرة هؤلاء . وذلك انه تجمع في هذه المعركة ما يزيد على مائتي الف من الروم مقابل ست وثلاثين الفا من المسلمين ، واحتدمت المعارك بينهم فلا ترى الا مخا ساقطا ، ومعصما نادرا ، وكفا طائرة ممن ذلك الموطن ، وتجلت الشجاعة في ذلك اليوم باروع صورها ، اذ ( حمل خالد ابن الوليد بمائة فارس معه <sup>علي</sup> نحو من مائة الف من الروم ، فما وصل اليهم حتى انفض جمعهم ، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فانكشفوا ، وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم ) .<sup>(١)</sup>

بهذه الشجاعة النادرة تمكن المسلمون من احراز النصر على الروم ، وهزيمتهم وتشريدهم .

---

( ١ ) البداية والنهاية لابن كثير ( ١٣ / ٧ ) .

ويمثل هذه الشجاعة ايضا انتصر المسلمون على الفرس فى معاركهم  
ولم تحل بينهم وبين ذلك المياه التى تحجزهم عن المسلمين ، وقلة الامكانيات  
والخبرات فى ركوب البحر .

وذلك ان المسلمين لما ارادوا غزو المدائن وقفوا على نهر دجلة  
وقد هابوا خوذه لعدم وجود سفن معهم ، ولعدم اعتيادهم ركوب البحر ،  
وعندها تقدمت كتيبة الاهوال بقيادة عاصم بن عمرو ، وعددها ستون فارسا  
فخاضت النهر الى ضفته الاخرى بجرأة وشجاعة لم يصدقها الفرس .  
قال ابن كثير ( فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا : (ربوانا  
دبوانا . يقولون : مجانين ، مجانين . ثم قالوا : والله ماتقاتلون انسا  
بل تقاتلون جنا ) (١) .

هذه امثلة للشجاعة ذكرتها من خلال تاريخ العصر الاول الذى يمثل  
عصر القوة والعزة والنصر ، ومن خلال الجيل الاول ، جيل الصحابة الذى تحققت  
على يديه العزة والقوة والنصر . ولاشك ان لنا فى تاريخنا المجيد عظة وعبرة  
وفى الصحابة رضوان الله عليهم قدوة واسوة ، فاذا اردنا ان نحقق ما حققه  
اسلافنا من النصر والتمكين ، فلا بد ان نقتدى بهم فى شجاعتهم وصبرهم وثباتهم  
وفى كل ما كانوا عليه من اخلاق ومبادئ وقيم ، وبعد هذا فبشراكم النصر .

---

( ١ ) البداية والنهاية لابن كثير ( ٧٢ / ٧ ) .

السبب التاسع:

=====

التوكل على الله

=====

معنى التوكل :

( ١ )

التوكل فى اللغة اظهار العجز والاعتماد على الغير ، ومعناه هنا الثقة

( ٢ )

بما عند الله ، والياس عما فى ايدى الناس .

والتوكل امر معنوى محله القلب يفضى بالمؤمن الى تفويض الله سبحانه

فى شأنه كله . والنصر شأن من شئون المؤمنين ، فينبغى التيقن بنصر الله لهم

والثقة بكفالتة وعنايته بهم ، والاعتماد عليه فى النصر ، والتخلى عن سواه .

التوكل لا ينفى العمل باسباب النصر :

لا تعارض بين التوكل على الله ، وبين العمل باسباب النصر ، اذ أن التوكل

( ٣ )

على الله هو عمل القلب ، والعمل بالاسباب هو عمل الجوارح ، وعمل القلب وعمل

الجوارح كلاهما مأمور به .

واذا قصر المؤمن فى العمل بالاسباب فانه يكون قد خالف سنة الله الجارية

فى اتخاذ الاسباب ، واذا لم يعتمد على الله ويركن اليه فانه يكون قد خالف امره

سبحانه بالتوكل عليه ، بل ومفهوم التوكل يعنى الاعتماد على الله بعد بذل الجهد

واستنفاذ ما فى الوسع .

فالمؤمن مطالب بفعل الاسباب اولا ، ثم الاعتماد عليه سبحانه ثانيا ، والايمان

بان الله هو الناصر وليست الاسباب ، فانها فى اعتقاد المؤمن لا تقدم او تؤخر الا ان

يشاء الله .

( ١ ) انظر لسان العرب ( ٧٣٦ / ١١ ) .

( ٢ ) التعريفات للجرجاني ( ٧٠ ) .

( ٣ ) انظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى ( ٦ / ٢ ) ( ٨ ) .



وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ان المؤمن مطالب بفعل الاسباب  
ثم التوكل بعد ذلك ، وذلك فيما أخرجه ابن حبان عن عمر و بن أمية الضمرى اذ  
قال : (١) قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : ارسل ناقتى واتوكل ؟ قال :  
اعقلها وتوكل .

وقد ذهب جمهور العلماء الى ( أن حد التوكل : الثقة بالله تعالى ،  
والايقان بأن قضاءه نافذ ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فى السعى فيما  
لا بد منه من الطعام ، والمشرب ، والتحرز من العدو ، كما فعله الانبياء صلوات الله  
عليهم اجمعين ) . (٢)  
اى أن فعل الاسباب داخل فى حد التوكل ، والا فلا يصح تسميته بالتوكل وانما  
يكون تواكلا .

ولكن لا ينبغى للمؤمن أن يلتفت الى الاسباب .

نقل النووى عن القاضى عياض قوله ( ولكن لا يصح عندهم ( الجمهور ) اسم التوكل  
مع الالتفات والطمأنينه الى الاسباب ، بل فعل الاسباب سنة الله وحكمته ، والثقة  
بانه لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضراً ، والكل من الله وحده ) . (٣)

مما سبق تبين أن العمل بالاسباب هو جزء من حقيقة التوكل على الله ، فلا  
يصح التوكل الا بعد بذل ما فى الوسع ، ثم بعدها يفوض المؤمن امره الى الله  
ويستسلم لقضائه وقدره ، ليقينه بانه لن يحدث الا ما هو مقدور .

الامر بالتوكل على الله :

حث الله سبحانه عباده المؤمنين على التوكل فقال :

(٤)

( الله لا اله الا هو ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) .

(١) انظر / موارد الظمان الى زوائد ابن حبان . للحافظ/ نور الدين على بن ابي  
بكر الهيثمى . كتاب الزهد / باب ما جاء فى التوكل ( ٦٣٣ ) . تحقيق /  
محمد عبدالرزاق حمزة - دار الكتب العلمية - بيروت . قلت : حسن الامام  
العراقى اسناده . انظر تخريجاته على كتاب احياء علوم الدين للغزالي  
( ٢٧٩ / ٤ ) مكتبة زهران .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ( ٩١ / ٣ ) .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ( ٩١ / ٣ ) . وانظر مجموعة الفتاوى لابن تيمية ( ٥٢٨ / ٨ ) .

(٤) التغابن ( ١٣ ) .

فى البداية قرر الحق تفردة سبحانه بالعبودية ، ثم وجه المؤمنى الى الاعتماد عليه هو ( خاصة دون غيره ، لاستقلالاً ولا اشتراكاً ) ، وجاء هذا التوجيه فى ترتيب منطقى مع ما تقرر ابتداءً من وحدانية الله وتفردة سبحانه بالعبودية ، اذ انه سبحانه مادام هو وحده المعبود بحق فعليه وحده سبحانه الاعتماد ، وليس على احد سواه او معه سبحانه .

وفى قوله ( وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) اظهر لفظ الجلالة مع أن محله الاضمار ( للاشعار بعللة التوكل والامر به ، فان الالهية مقتضية اليه تعالى بالكلية و قطع التعلق عما سواه بالمرّة ) .

وبشرالله سبحانه عباده المتوكلين عليه انه سيكفيهم امورهم وحوائجهم فقال سبحانه وتعالى ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شىء قدراً ) .

معنى قوله ( فهو حسبه ) اى كافيه جميع امورهم ، ومعنى قوله ( ان الله بالغ امره ) بالاضافة اى منفذ له امره . وهناك قراءة ثانية بتنوين بالغ ونصب امره ، ومعناها يبلغ ما يريد فلا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب . والقراءة الثالثة برفع ( امره ) على انه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والمعنى نافذ امره ، وهناك قراءة اخرى بنصب بالغ على انه حال . <sup>(٤)</sup> والذى يهمننا من هذه القراءات هما القراءتان الاوليان حيث تفيدان بأن الله سبحانه سيبلغ المتوكل مراده ويحقق له حاجته وغايته ، وهو تأكيد لما سبق من اخبار الله عن كفايته سبحانه للمتوكل عليه وكفالتة له .

( ١ ) تفسير ابي السعود ( ٢٥٨ / ٨ ) .

( ٢ ) انظر المصدر السابق / نفس الجزء / والصفحة .

( ٣ ) الطلاق ( ٣ ) .

( ٤ ) تفسير ابي السعود ( ٢٦٢ / ٨ ) ، وانظر فتح القدير للشوكانى ،

( ٢٤٢ / ٥ ) .

وقوله تعالى ( قد جعل الله لكل شيء قدرا ) ( بيان لوجوب التوكل على

الله وتفويض الامر اليه لأنه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره  
وتوفيقه لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل على الله ) . ( ١ )

وحدث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على التوكل على الله ، وبشرهم

ان كانوا كذلك حقا بحصول مقصودهم ، وتحقيق مطلوبهم . اخرج الترمذى -

واللفظ له - وابن ماجه واحمد والحاكم عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : ( لو انكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير

تغدو وخامسا وتروح بطانا ) . ( ٣ )

التوكل على الله فى طلب النصر :

اذا كان من الواجب على المؤمن ان يتوكل على الله فى كل حوائجـه

فلا شك بان ذلك يكون أكد وقت الحاجة الى النصر . واذا كان الله سبحانه قد كفى

عباده المتوكلين عليه فى جميع حوائجهم ، وتكفل بتبليغهم مرادهم ، فانه سبحانه

اشد كفاية للمتوكلين عليه عند الحاجة الى النصر ، وهو اشد تكفلا لهم بتبليغهم اياه .

- ( ١ ) تفسير النسفى ( ٢٦٦ / ٤ ) . وانظر تفسير امي السعود ( ٢٦٢ / ٨ ) احسن  
( ٢ ) اخرج الترمذى فى كتاب الزهد / باب فى التوكل ، وقال هذا حديث صحيح  
لانعرفه الا من هذا الوجه ( ٥٧٣ / ٤ ) ، وابن ماجه فى الزهد باب فى التوكل  
واليقين ( ١٣٩٤ / ٢ ) واحمد فى المسند ( ٥٢٠٣٠ / ١ ) . والحاكم فى  
المستدرک كتاب الرقائق ( ٣١٨ / ٤ ) وصححه . والحديث حسن لانه ورد من  
طريق بكر بن عمرو المعافرى ، وهو صدوق انظر التقريب ( ١٠٦ / ١ ) والتهديب  
( ٤٨٥ / ١ ) وورد ايضا من طريق ابن لهيعة وهو صدوق خلط بعد احتراق  
كتبه ، لكن رواية ابن وهب عنه كما فى هذا الحديث مستقيمة انظر التقريب ( ٤٤٤ / ١ ) .  
( ٣ ) قال ابن الاثير ( اى تغدو وبكرة وهى جياح وتروح عشاء وهى ممتلئة الاجواف )  
انظر غريب الحديث ( ٨٠ / ٢ ) . ملاحظة : لا يتوهم احد ان هذا الحديث  
يدل على ان اسقاط الاسباب من التوكل بل هو صريح فى الاخذ بالاسباب  
وهو يهدو ومن التشبيه بالطيور حيث جاء التصريح بان الطيور تتحرك فى الغدو  
والرواح وهو سعى من اجل الرزق ، ومن ثم فانها عملت بالا سباب قال القرطبى  
عند تناوله الحديث فى تفسيره فى سياق انكاره على من يستدل به على  
اسقاط العمل بالاسباب من التوكل على الله فقال ( فغدوها ورواحها سبب  
فالعجب العجب ممن يدعى التجريد والتوكل على التحقيق ويقعد على ثنيات  
الطريق ويدع الطريق المستقيم والمنهج الواضح القويم ) احكام القرآن للقرطبى  
٠ ( ١٦ / ١٣ )

لذا فان الله سبحانه وتعالى امر الرسول عليه الصلاة والسلام - وهو امر لمن بعده من المؤمنين - بالتوكل عليه في طلب النصر، فقال سبحانه وتعالى ( فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين \* ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) . ( ١ )

امر الله سبحانه رسوله عليه الصلاة والسلام بالتوكل عليه وحده فيما اطمانت اليه نفسه بعد التشاور ( فاذا عزمتم فتوكل على الله ) والحكمة من الامر بالتوكل هنا هي تعليق الرجاء على الله وحده ، دفعا لما قد يكون من تعلق بالشورى ، سواء فيما تمخضت عنه من نتائج وآراء يعتقد صوابها ، اوفى الثقة باصحاب الشورى لما عرفوا به من الحكمة وسداد الرأي ، فان كل ذلك مهما اعتقد صوابه ووثق في حكمته وسداده فانه اعجز من ان يفعل المراد دون توفيق الله وعونه . والانسان يكون فقط سببا ، والله هو المسبب والفاعل الحقيقي فلزم الانقطاع عما سواه ، والتوجه اليه وحده سبحانه . وللحث على التوكل كشف الله سبحانه عن محبته للمتوكلين عليه ( ان الله يحب المتوكلين ) وان حب الله لعباده لمنزلة عظيمة . واذا احسب الله عبدا فلا شك انه سيفوز بمدده وتأيدده ونصره .

وبين الله سبحانه لهم ما يحملهم على تفويض الامر اليه . ودوام التوكل عليه ببيان انه وحده مالك النصر ، وانه اذا واثم به فلن يغلبهم غالب مهما كان من قوته واستعداده ، ومهما كان من ضعف وقلة عددهم وعددهم ، كما انه سبحانه اذا سلبه عنهم لا ينفعهم مغالبة في اعداء او استعداد ، يقول سبحانه وتعالى ( ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ) .

( ١ ) آل عمران ( ١٥٩ ، ١٦٠ ) .

وقوله ( فلا غالب لكم ) نفى غلبة وظهور احد عليهم ، وهو نفى جنس يعم جميع افراد الغالب ذاتا وصفة بخلاف ما اذا قيل : فلا يغلبكم احد ، اذ تدل على نفى صفة الغلبة فقط ، ولا شك بأن نفى الجنس اقوى لانه اعم حيث يشمل النفي للذات - كل ذات اطلاقا - وللصفة كذلك .

واذا كان الامر كذلك فان هذا يستوجب التوكل على الله وحده ، لذا فقد ختمت الآية بقوله ( وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) اى ان المؤمن من فى طلبه النصر والظفر يعتمد على الله ، اذ أن التوكل على الله من سمة المؤمن ومن لوازم الايمان ومقتضياته ، ( وقدم الجار والمجرور على الفعل لفادة قصره عليه تعالى ) .<sup>(٢)</sup>  
 وختم الآية كذلك بالحث على التوكل على الله بعد الاخبار بان لا ناصر الا الله يدل فى المقابل على ان النصر والظفر لا يكون الا للمؤمنين المتوكلين على الله .  
 وقد كان من اخلاق الرسول القائد عليه الصلاة والسلام فى الجهاد - كما هو فى شأنه كله - التوكل على الله والاعتماد عليه فى مغالبة الاعداء ، والاستعانة به وحده للفوز بنصره وتأبيده سبحانه .

( ٣ )

اخرج الترمذى - واللفظ له - وابوداود عن انس قال : ( كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا غزا قال : اللهم انت عضدى ، وانت نصيرى ، وبك اقاتل ) .  
 انها كلمات قليلة فى مبناها عظيمة فى معناها ، تحمل توجهها كاملا منه الى الله سبحانه بخضوع واستسلام تام ، ليطلب منه سبحانه المدد والنصر .

( ١ ) انظر تفسير ابى السعود ( ١٠٥ / ٢ ) .

( ٢ ) تفسير ابى السعود ( ١٠٦ / ٢ ) .

( ٣ ) اخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات / باب فى الدعاء اذا غزا ( ٥٧٢ / ٥ )

رقم ( ٣٥٨٤ ) وقال هذا حديث حسن غريب ، واخرجه ابوداود فى الجهاد / باب ما يدعى فى اللقاء ( ٤٢ / ٣ ) . رقم ( ٢٦٣٢ ) . واسناد الحديث صحيح ، ورجاله اخرج لهم اصحاب الكتب الستة .

ولاشك ان التوجه الى الله هو توجه الى القوة المطلقة التي تملك العزة والقوة والعصر . ولذا فان الله سبحانه لم يترك نبيه في موطن من مواطن القتال الا وقد نصره نصرا مؤزرا .

ومن الحق لامة او فئة مهما كانت قليلة قد توكل الله بها ان تنتصر، ومن الحق كذلك لمعركة توكل الله فيها بعباده المجاهدين ان يكتب لهم فيها النصر والظفر .

اخرج الامام احمد - واللفظ له - وعبدالرزاق عن سماك قال سمعت عياضا

( ١ )

الاشعري قال (شهدت اليرموك وعلينا خمسة امراء : ابو عبيدة بن الجراح ، ويزيد ابن ابي سفيان ، وابن حسنة ، وخالد بن الوليد ، وعياض ، وليس عياض هذا بالذي حدث سماكا ، قال ، وقال عمر ( رضى الله عنه ) : اذا كان قتال فعليكم ابو عبيدة ، قال : فكتبنا اليه انه قد جأش الينا الموت واستمددناه ، فكتب الينا انه قد جاءنى كتابكم تستمدوننى ، وانى ادلكم على من هو اعز نصرا واحضر جندا الله عزوجل ، فاستنصروه فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نصر فى يوم بدر فى اقل من عدتكم ، فاذا اتاكم كتابى هذا فقاتلوهم ولا تراجعونى . قال : فقاتلناهم فهزمناهم وقتلناهم اربعم فراسخ قال : واصبنا اموالا فتشاوروا ، فاشار علينا عياض أن نعطى عن كل رأس عشرة) .

( ١ ) اخرجه الامام احمد فى المسند ( ٤٩ / ١ ) وابوبكر بن ابي شيبة فى المصنف

كتاب التاريخ / باب ما حفظت فى اليرموك ( ٣٤ / ١٣ ) رقم ( ١٥٦٨٠ )

مطبعة الدار السلفية بالهند . الطبعة الاولى ( ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م )

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ٢١٣ / ٦ ) : رواه احمد ورجاله رجال

الصحيح . قلت : وصححه ابن كثير فى التفسير ( ٤٠١ / ١ ) .

هذه هي السيرة العطرة لرسول الله وصحابته الكرام، يتوجهون الى الله ، ويلجأون اليه ويتحصنون به ، ويستنصرونه على اعدائهم فهو نعم النصير، فنصرهم الله واعزهم حتى خضعت لهم رقاب الشرق والغرب.

وما احرانا اليوم - ونحن نعتمد على الشرق والغرب - ان نتخلص من عبوديتهم ونتوجه الى الله ، ونلجأ اليه ونعتمد عليه .

ونحن مدعوون لأن نستحضر قوة الله وعظمته ، وان نتوكل عليه ، ولا نخاف احدا سواه مهما بلغت قوته ، فانها تبقى معدومة امام قوة الله اذ لا حساب لقوة المخلوق مع قوة الخالق ، ولنتذكر التوجيه الرباني للمؤمنين في (أحد) بعد أن همت فرقتان من المؤمنين بالتراجع عن المعركة لانسحاب عبد الله بن ابي في ثلث الجيش. يقول جل وعلا : ( اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى

الله فليتوكل المؤمنون \* ولقد نصركم الله بيدروانتم اذ لة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ) ( ١ )

انسحب المنافق عبد الله بن ابي في ثلث الجيش يوم أحد ، فهت فرقتان من المؤمنين بالخروج من المعركة وهما بنوسلمة من الخزرج ، وبنو حارثة من الأوس ولكن الله عصمهما من ذلك . ( ٢ )

ونزل التوجيه الرباني للمؤمنين تعقيبا على هذا الموقف بلزوم التوجه الى الله والاعتماد عليه ، وعدم الالتفات الى ما سواه ، فانه متوكل بهم وكافيهم وناصرهم على من عاداهم ( وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) وذكرهم الحق تبارك وتعالى بنصره لهم يوم بدر وهم قلة مستضعفة ( ولقد نصركم بيدروانتم اذ لة ) فينبغي كذلك الاعتماد على الله وحده ، فكما نصركم الله بيدروانتم قلة فهو قادر على ان ينصركم باحد اذا قل عددكم بانسحاب احد منكم . وهكذا الحال بالنسبة لنا اليوم ، فان وصف الايمان يلزمنا بان نتوكل على الله ، وان كنا نشعر بقوة عدونا فانه يبقى لاحول له

( ١ ) آل عمران ( ١٢٢ ، ١٢٣ ) .

( ٢ ) انظر فتح القدير للشوكاني ( ١ / ٣٧٦ ) .

ولا قوة اذ القوة لله جميعا ، وكما نصر الله رسوله وصحابته وهم قلة مستضعفة فانه قادر على ان ينصرنا على ضعفنا فان النصر بيد الله ، مع يقيني بان السبب في تأخير النصر هو ليس ضعف قوتنا بل هو ضعف ايماننا واعتمادنا على غير الله وعدم احتكامنا الى منهج الله وشريعته . واذا كان كثير من المسلمين اليوم يعتذرون بصعوبة الحال ، وشدة الموقف ، وثقل الواقع ، وكثرة الاعداء ، الى غير ذلك مما يحلو لكثير من ساداتهم أن يتذرعوا به ليتهربوا من واجبهم المقدس ، فان ذلك كله لن يعذرهم .

ان عيب هؤلاء وامثالهم يتمثل في اعتمادهم على انفسهم او غيرهم فقط دون الاعتماد على الله ، وينظرون الى موازين القوى بالحساب المادى فقط . ومن ثم فانهم يرون ان لا قوة لهم بعد وهم ، ولا شك ان هذا التصور مخالف للتصور الاسلامى للمعركة .

ان التصور الاسلامى يدعو لمعرفة حسابات القوة عند العدو ، والى الارتفاع بحسابات القوة لدى المسلمين الى اقصى درجات الاستطاعة ، ويدخل العنصر الاساسى الذى يتحقق به الفاعلية والتأثير لكل تلك القوى الا وهو قوة الله سبحانه وتعالى .

وقوة الله هى القوة المطلقة فى الوجود ، ذلك انه هو الذى اوجد الوجود ومن ثم فلا قوة امام قوة الله ، واذا حدث شى فهو بارادة الله .  
ولذا فان المؤمن - بعد أن يعمل بالاسباب - يتوجه الى الله سبحانه صاحب القوة والعزة والنصر ، يتقوى ويستعين به ، ويستنصره على عدوه ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

واذكر هنا القاعدين عن الجهاد من العذريين بثقل الموقف وكثرة الاعداء اذكرهم بموقف المسلمين عقب احد ، والرسول صلى الله عليه وسلم يناديهم الى



الجهاد ، وهم قد خرجوا الساعة من الجهاد في أحد ، شقلين بالجراح ، وقد اصابهم ما اصابهم . ويخص الرسول عليه الصلاة والسلام الذين اشتركوا في أحد فقط . انه موقف شدة ولكنه موقف شهادة وجنة ، ولقد كان ذلك امل الصحابة رضوان الله عليهم فلبوا النداء واستجابوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجل القرآن هول الموقف ، وسجل كذلك سرعة الاستجابة في قوله تعالى : ( الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم \* الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل \* فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ) . ( ١ )

القرح : هو ما اصاب المسلمين في أحد ، وهو جزء من الموقف اذا ائخنت الجراح المسلمين في أحد ، ولم يسلم من ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فقد ( جرح وجه رسول الله وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه ) ( ٢ ) ( ٣ ) ( ٤ ) وازداد الموقف سوءا بعد ان رأت قريش الرجوع الى المسلمين لتجعلها المعركة الاخيرة مع المسلمين ، فاصور الرسول صلى الله عليه وسلم امره لكل من شارك في أحد بالخرج الى القتال .

وما هو موقف الصحابة من كل ذلك ؟ لم يخافوا توعدت المشركين وتهديداتهم بل ازدادوا ايمانا بقوة الله ونصره ، وقالوا ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) لجأوا الى الله واعتمدوا عليه سبحانه واطمأنوا الى كفايته لهم بالنصر ، وخرجوا جميعا حتى وصلوا حمراء الاسد رغم جراحهم .

- ( ١ ) آل عمران ( ١٧٢ - ١٧٤ ) .  
 ( ٢ ) الرباعية : بتخفيف الياء ، هي السن التي تلى الثانية من كل جانب . انظر شرح النووي على صحيح مسلم ( ١٢ / ١٤٨ ) .  
 ( ٣ ) البيضة : خوذة من الحديد توضع في رأس المقاتل لتحميه . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ١ / ١٧٢ ) .  
 ( ٤ ) فقرة من حديث اخرجه البخارى في المغازي / غزوة احد ( ٣ / ٢٦ ) .  
 ومسلم في الجهاد / والسير - غزوة احد ( ٣ / ١٤١٦ ) . كلاهما من طريق سهل بن سعد - ، واللفظ لمسلم .

وكان من ثمرة توكلهم على الله، ان كفاهم الله المشركين ، فردهم ولم يتحقق — مرادهم، ورجع المسلمون الى مدينتهم سالمين ، بل ولم تستطع قريش ان تفسى بوعدها بالعودة لقتال المسلمين ، ورجع المسلمون وقد اثبتوا قدرتهم على التحدى والمواجهة ، فرجعوا بنفسية المنتصر بعد ان خرجوا من اثر الهزيمة ، فى حين رجع المشركون بنفسية المهزوم رغم تغليبهم اولا .

ويطيب لى ان اذكر المستضعفين من المؤمنين اليوم بالفئة المؤمنة المستضعفة التى اتبعت موسى عليه السلام على خوف من بطش فرعون وتعذيبه لهم .

يقول الله عزوجل بعد ان ذكر قصة موسى والسحرة : ( فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانـه لمن المسرفين ) .<sup>(١)</sup>

وعلى نبينا الصلاة

واذكرهم بعد ذلك بتوجيه موسى عليه السلام للفئة المستضعفة عند ما كانت على خوف من بطش فرعون وجنوده ، وذلك بان يتوكلوا على الله - لمقتضى الايمان به - لينجيبهم من على فرعون وتسلطه .

يقول سبحانه وتعالى : ( وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ) .<sup>(٢)</sup>

ثم اذكرهم باجابة الفئة المؤمنة الاولى لنبيها موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ، اذ اعلنوا توكلهم على الله ( فقالوا على الله توكلنا ) ، وتضرعوا الى الله بان يحفظهم وينقذهم من بطش فرعون وتعذيبه ( ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم المظالمين \* ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ) .<sup>(٣)</sup> وكان من ثمرة توكلهم وتضرعهم ان انقذهم الله من كيد فرعون ، وأغرق فرعون وجنوده كما بينته الآيات فى سياق القصة نفسها فيمكن الرجوع اليها .

( ١ ) يونس ( ٨٣ ) .

( ٢ ) يونس ( ٨٤ ) .

( ٣ ) يونس ( ٨٥ ، ٨٦ ) .

واود ان اضرب مثلا آخر للتوكل فى المعركة ، ومايفى به المتوكلين من النصر والمعونة والتأييد . لما توجه المسلمون لفتح المدائن وهاب الصحابة عبور نهر دجلة - لقله خبرتهم بركوب البحر ، وعدم توفر السفن - امرهم القائد سعد بن ابى وقاص أن يعبروا النهر ، ويقولوا : ( نستعين بالله ، ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه احد ، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الارض حتى ملأوا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الارض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والامن ، والثوق بامر الله ووعدده ونصره وتأبيده . . فلم يفقد من المسلمين رجل واحد غير ان رجلا واحدا يقال له غرقدة البارقى ، زل عن فرس له شقراء فاخذ القعقاع ابن عمرو بلجامها ، واخذ بيد الرجل حتى عدله على فرسه وكان من الشجعان فقال عجز النساء ان يلدن مثل القعقاع بن عمرو . ولم يعدم للمسلمين شىء من امتعتهم غير قدح من خشب لرجل يقال له : مالك بن عامر كانت علاقته رثة فاخذه الموج فدعا صاحبه الله عزوجل ، وقال اللهم لاتجعلنى من بينهم يذهب متاعى ، فرده الموج الى الجانب الذى يقصدونه ، فاخذه الناس ثم رده على صاحبه بعينه وكان الفرسان اذا اعيوا وهو فى الماء ، يقيض الله له مثل النشز المرتفع <sup>(١)</sup> فيقف عليه فيستريح ، وحتى ان بعض الخيل ليسير وما يصل الماء الى حزامها ، وكان يوما عظيما وامرا هائلا ، وخطبا جليلا ، وخارقا باهرا . . . (٢)

هذا هو سلاح التوكل الذى ينبغى ان يحسن المسلمون استعماله فى معاركهم ضد اعدائهم ، وانه والله لسلاح عظيم ، خاص بالمؤمنين ، لاثورته قوة من قوى الارض ، وانما يملكه المسلمون فقط بحسن توجههم الى الله ، فهلا تنبه المسلمون الى ما يملكونه من اسلحة عظيمة تكفل لهم العزة والنصر والظفر باعدائهم .

( ١ ) النشز : المرتفع من الارض . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٥٥ / ٥ ) .

( ٢ ) البداية والنهاية لابن كثير ( ٧ / ٧٢ ، ٧٣ ) .

السبب العاشر  
=====الطاعة والانضباط في المعركة  
=====

من اسس الجندية الطاعة للقائد وشدة الانضباط في تنفيذ الاوامر العسكرية لتحقيق الاهداف العسكرية التي يقاتل من اجلها المجاهدون. ولا يستقيم الجهاد دون طاعة المجاهدين لاوامر الامراء والقادة ، ولن يتم تنفيذ الخطط المرسومة لتحقيق الاهداف المرجوة دون تنفيذ الاوامر بدقة وانضباط من قبل المجاهدين .

لذا فان الجيوش الحديثة تربي مقاتليها على الطاعة والانضباط التامين في كل الاحوال التي يكون فيها المقاتل .

طاعة الامراء واجبة على المعجذ هدين في كل حال من غير معصية :  
=====

أمر الله عزوجل المؤمنين بطاعة ولاة الامر فيهم فقال جل شأنه (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) . ولا شك ان المراد باولى الامر ، المؤمنين منهم يدل عليه قوله (منكم) فالضمير عائد على المؤمنين المخاطبين اول الآية .

قال النووي ( قال العلماء : المراد باولى الامر من اوجب الله طاعته

من الولاة والامراء ، هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء  
( ٢ )  
وغيرهم ) .

ويدخل في ذلك كل من ولى امرا من امور المؤمنين ، وولاية الشؤون العسكرية للمسلمين من اخص تلك الامور ، لاهميتها في حياة المسلمين ، فتدخل

---

( ١ ) النساء ( ٥٩ ) .

( ٢ ) شرح النووي على صحيح مسلم ( ١٢ / ٢٢٣ ) .

في الخطاب دخولا اوليا سيما وان الآية ( نزلت في عبد الله بن حذافة السهمي ،  
بعثه النبي في سرية )<sup>(١)</sup> اي في مهمة عسكرية .

وعطف طاعة ولاة الامر على طاعة الله ورسوله دون استقلالها ، يبدل  
على ان طاعة اولى الامر ليست مطلقة ، وانما هي مقيدة فيما فيه طاعة الله ورسوله .  
ولا طاعة لهم في معصية الله ورسوله . صلى الله عليه وسلم - ويبدل على ذلك ما اخرج  
الشيخان - واللفظ للبخاري - عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال<sup>(٢)</sup> ( السمع والطاعة حق مالم يؤمر بالمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ) .  
نقل العيني عن القاضي عياض قوله : ( اجمع العلماء على وجوب طاعة  
الامام في غير معصية وتحريمها في المعصية )<sup>(٣)</sup> .

من هذا يتضح ان الاسلام يربي المسلمين - وفيهم المجاهدون - على

الطاعة المبصرة المستنيرة بنور العقل وهداية الشرع .

وللحث على لزوم طاعة الامراء اخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بان طاعة

اولى الامر من طاعة الله ورسوله ، وعصيانهم من عصيان الله ورسوله ، وذلك فيما

اخرجه الشيخان - واللفظ لمسلم - عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال :<sup>(٤)</sup> ( من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن اطاع

اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني ) .

( ١ ) انظر صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن سورة النساء ( ٣ / ١٢٠ ) . وصحيح

مسلم كتاب الامارة ، باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية ( ٣ / ١٤٦٥ )  
كلاهما يرويه عن ابن عباس .

( ٢ ) اخرج البخاري كتاب الجهاد والسير باب السمع والطاعة للامام ( ٢ / ١٦٣ )

ومسلم في الامارة . باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية ( ٣ / ١٤٦٩ ) .

( ٣ ) انظر عمدة القاري ( ١٤ / ٢٢١ )

( ٤ ) اخرج البخاري في الاحكام ، باب قوله تعالى ( اطيعوا الله واطيعوا الرسول ) .

( ٤ / ٢٣٣ ) . واخرج مسلم في كتاب الامارة ، باب وجوب طاعة الامراء

في غير معصية ( ٣ / ١٤٦٦ ) .

وما دامت طاعة الامراء من طاعة الله ورسوله ، فانها تكون بعثابة عبادة يتقرب بها  
المجاهدون الى الله سبحانه ، ويرغبون بها في محبة الله ورسوله ، وهذا دافع  
لا يمكن ان تجد له مثيلا قط في ذاته واثره ، انه يدفع المجاهدين الى  
الانضباط والطاعة لامرائهم باقصى ما يتصور من درجات الطاعة والضبط .

واكد الرسول صلى الله عليه وسلم على وجوب الطاعة للامراء في الرخاء  
والشدّة ، وذلك فيما اخرجه الامام مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه  
وسلم قال ( ١ ) عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرك واثرة  
عليك ) .

قال النووي : ( قال العلماء : معناه تجب طاعة ولاة الامور فيما يشق

( ٢ )  
وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية ) .

حض المجاهدين على الطاعة والانضباط في المعركة :

=====

وحث القرآن المجاهدين على الطاعة في المعركة في قوله تعالى

( يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ،

واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ، ان الله مع

( ٣ )  
الصابرين ) .

( ١ ) اخرجه مسلم في كتاب الامارة / باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية ( ١٤٦٧ / ٣ ) .

( ٢ ) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ( ٢٢٤ / ١٢ ) .

( ٣ ) الانفال ( ٤٦ ، ٤٥ ) .

امر الله سبحانه المجاهدين وقت المعركة بامور تعد كلها من اسباب النصر وهي الصبر والثبات والذكر والطاعة والاتحاد . والامر في الآية بالطاعة لله والرسول ( واطيعوا الله ورسوله ) ، يتضمن طاعة الامراء لان طاعتهم من طاعة الله ورسوله كما تبين سابقا . وبين النبي صلى الله عليه وسلم ان طاعة الامير من شروط الجهاد الذي يوءجر عليه .

اخرج النسائي والدارمي وابوداود والحاكم - واللفظ له - عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ( <sup>١</sup> ) الغزو غزوان : فاما من ابتغى وجهه الله تعالى ، واطاع الامام ، وانفق الكريمة ، وياسر الشريك ، واجتنب الفساد ، فان نومه ونبيه اجر كله ، واما من غزا فخرا ، ورياء ، وسمعة ، وعصى الامام ، وافسد في الارض ، فانه لم يرجع بالكفاف ) .

وبشر النبي صلى الله عليه وسلم المجاهد المطيع لقائده الحريص على تنفيذ مهامه وواجباته القتالية ، حسب ما كلفه اميره ، دون تغيير او تصرف منه يخل بما كلف به ، بشره بالجنة ، وذلك فيما اخرجه البخاري عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله اشعث رأسه ، مغيرة قدماه ان كان في الحراسة كان في الحراسة ، وان كان في الساقة <sup>(٣)</sup> كان في الساقة ، ان استأذن لم يوءذن له ، وان شفع لم يشفع ) .

(١) اخرجه الحاكم في الجهاد (٢/ ٨٥) وصححه واخرجه ابوداود في الجهاد / باب في من يغزو ويلتمس الاجر (٣/ ١٣، ١٤) . والنسائي في البيعة / باب التشديد في عصيان الامام (٧/ ١٥٥) . والدارمي في الجهاد / باب الغزو غزوان (١/ ١٢٨) . والحديث رجاله ثقات الا بقية بن الوليد فقد اختلف في توثيقه واتهم ايضا بالتدليس . وتهمة التدليس مرفوعة عنه لانه صرح بالتحديث في رواية ابي داود وآخرين ، واما من جهة التوثيق فقد وثقه جماعة اذا حدث عن الشقة ووثقه آخرون اذ اروى عن اهل الشام . انظر الجرح والتعديل للامام عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي (٥/ ٤٣٥) مطبعة دار المعارف بحيدرآباد / الطبعة الاولى دار الكتب العلمية ، وانظر ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٣٣١/ ٣٣٩) وقال فيه ابن حجر : صدوق انظر التقريب (١/ ١٠٥) ولكن الأكثر وثقه بالقيود السابقة . وهو يروى في هذا الحديث عن بجير بن سعيد وهو شامي ثقة ثبت كما في التقريب (١/ ٩٣) لذا فان حديث (بقية) صحيح هنا ومن ثم فان اسناد الحديث صحيح ، والله اعلم .

(٢) اخرجه البخاري في الجهاد / باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٢/ ١٥٠، ١٥١) واول الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( تعس عبد الدينار والدرهم والقطيقة . الحديث ) .

(٣) الساقة جمع سائق وهم الذين يسوقون جيش الغزاة يكونون من ورائه يحفظونه . غريب الحديث لابن الاثير (٢/ ٤٢٤) .

( ١ )

( طوبى ) اسم الجنة وقيل هى شجرة فيها ، يشير بها النبى صلى الله عليه وسلم الى الثواب العظيم الذى اعده الله للمجاهد الذى ينفذ واجبه الجهادى<sup>فى</sup> اثناء المعركة حثا للمجاهدين على ذلك .

ومعنى قوله ( ان كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وان كان فى الساقة كان فى الساقة ) ، اى ( اثنامه لما أمر ، واقامته حيث اقيم ، لا يفقد من مكانه بحال )<sup>( ٢ )</sup> ، وهو يدل على كمال طاعته لاميره ودقة تنفيذه لمهامه وتكاليفه الجهادية بحيث لا يتحول عما كلف به ابدا .

اثر الطاعة والانضباط فى احراز النصر :  
=====

المطلع على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام يرى ماللانضباط من آثار حاسمة فى معارك المسلمين مع الكفار ، ويرى مال مخالفة القائد من نكبة تعم لمخالفين وغير المخالفين . وبرز مثال على ذلك قصة الرماة فى غزوة أحد . وسأذكر فى البداية ما اورده البخارى رحمه الله فى شأن الغزوة لبيان اثر مخالفة امر النبى صلى الله عليه وسلم فى فقدان المسلمين للنصر يومها .

اخرج البخارى - واللفظ له - وابوداود عن البراء بن عازب قال : <sup>( ٣ )</sup> جعل

النبى صلى الله عليه وسلم على الرجال يوم أحد - وكانوا خمسين رجلا - عبد الله ابن جبير ، فقال : ان رأيتونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم ، وان رأيتونا هزمتنا القوم واوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم ، فهزموهم قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اى قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون

( ١ ) انظر عمدة القارى للعيني ( ١٧٢ / ١٤ ) .

( ٢ ) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

( ٣ ) اخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير باب ما يكره من التنازع ( ١٧٥ / ٢ ) .  
وابوداود فى الجهاد / باب فى الكمناء ( ٥٢ ، ٥١ / ٣ ) .



فقال عبد الله بن جبير : انسيتم ما قال لكم رسول الله . قالوا : والله لنأتين  
الناس فلنصيبن من الغنيمة . فلما أتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين  
فذاك اذ يدعوهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى اخراهم ، فلم يبق مع  
النبي صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا ، فاصابوا منا سبعين وكان  
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة :  
سبعين اسيرا وسبعين قتيلًا . . . الحديث .

باستعراض النص يتبين الآتى :-

اولا ( ترتيب النبي صلى الله عليه وسلم لقوات المسلمين ، وصدور الامر منه لفرقة  
الرماة بالثبات فى اماكنهم وعدم التحول عنها ليحوا بذلك ظهور  
المسلمين . ولمزيد التأكيد فقد جاء مشفوعا بعدم النزول سواء انتصر  
المسلمون ام هزموا الا باذنه ، وهو امر من الصرامة والوضوح بمكان  
ويدل على ذلك قوله ( ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم  
حتى ارسل اليكم ، وان رأيتمونا هزمتنا القوم واطأناهم فلا تبرحوا  
حتى ارسل اليكم ) .

ثانيا ( تحقق النصر المؤزر للمسلمين اول المعركة ، ويدل عليه قول البراء بعد  
ذلك ( فهزموهم ) اى هزم المسلمون المشركين بوصف البراء ما شاهد  
من آثار هزيمتهم بقوله : ( فانا والله رأيت النساء ) ( اى نساء المشركين )  
يشددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن ) ويشهد  
لهذا ما اخرج البخارى عن عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها حيث  
قالت : ( هزم المشركون يوم احد هزيمة تعرف فيهم فصخ ابليس  
اى عباد الله اخراكم فرجعت اولاهم فاجتلدت هى وأخراهم . . . .  
الحديث (١) ويوضحه ايضا حديث ابن عباس وسيأتى قريبا .

(١) اخرج البخارى فى المغازى ، غزوة احد ، باب ( اذ همت طائفتان . . . )  
( ٢٣ / ٣ ) ، وفى الايمان والندور ، باب اذا حنث ناسيا فى الايمان  
( ١٥٤ / ٤ ) .

ثالثا ) وقوع المخالفة من الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ونزولهم لجمع الغنائم بعد ان رأوا هزيمة المشركين ، فعصوا امر النبي صلى الله عليه وسلم وامر قائدهم عبد الله بن جبير ، وانكشف بذلك ظهر المسلمين ، مما افاد المشركين فرالا لتفاف وتوجيه الضربة للمسلمين من الخلف .

ويدل على ذلك قول البراء : ( فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اى قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنظرون ، فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله . قالوا والله لنائين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين . . ) لقد خالف الرماة امر النبي الصريح بان لا ينزلوا وان تخطفهم الطير ، انتصروا او انهزموا الا باذنه ، ونزلوا لجمع الغنيمة وهم يعصون بذلك امر نبيهم واميرهم ، فكان ان عاقبهم الله تبارك وتعالى بسلبهم النصر الذى اعطاهم اولا بسبب العصيان . وذكر القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى ( ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ماتحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين \* اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم فى اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون ) ( ١ )

( ١ ) آل عمران ( ١٥٢ ، ١٥٣ ) .

( ١ )  
 اخرج الامام احمد والحاكم - واللفظ له - عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال :  
 ( ما نصر النبي صلى الله عليه وسلم فى موطن كما نصر يوم احد ، قال ما نكرنا  
 ذلك ، فقال ابن عباس : بينى وبين من انكر ذلك كتاب الله عزوجل ، ان الله  
 عزوجل يقول فى يوم احد ( ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه ) يقول  
 ابن عباس : والحس : القتل ، ( حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتهم  
 من بعد ما اراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم  
 عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ) وانما عنى بهذا  
 الرماة ، وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اقامهم فى موضع ثم قال احموا ظهورنا  
 فان رأيتونا نقتل فلا تنصرونا ، وان رأيتونا قد غنمنا فلا تشركونا ، فلما غنم  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وياحوا عسكر المشركين ، انكشف الرماة جميعا  
 فدخلوا فى العسكر ينتهبون ، وقد التقت صفوف اصحاب النبي صلى الله عليه  
 وسلم فهم هكذا وشبك بين اصابع يديه والتبسوا ، فلما اخل الرماة تلك الخلسة  
 التى كانوا فيها دخل الخيل من ذلك الموضع على اصحاب النبي صلى الله عليه  
 وسلم ، فضرب بعضهم بعضا والتبسوا ، وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ، اول النهار ، حتى قتل من اصحاب  
 لواء المشركين سبعة او تسعة . . الحديث . .

قال ابن كثير عند تفسيره للآية : ( فلما واجهوهم - اى المسلمين للمشركين  
 فى احد - كان الظفر والنصر اول النهار للاسلام ، فلما حصل ما حصل من عصيان  
 الرماة ، وفشل بعض المقاتلة ، تأخر الوعد الذى كان مشروطا بالثبات والطاعة ) .

( ١ ) اخرجه الحاكم فى التفسير ، وصححه ( ٢٩٦ / ٢ ، ٢٩٧ ) . واخرجه احمد فى  
 المسند ( ٢٨٧ / ١ ) . قلت الحديث اسناده حسن لاجل عبد الرحمن  
 ابن ابى الزناد ، فهو صدوق . انظر التقريب ( ٤٨٠ / ١ ) . وتهذيب  
 التهذيب ( ١٧٠ / ٦ - ١٧٣ ) ، والميزان ( ٥٧٥ / ٢ ، ٥٧٦ ) . والحديث  
 من مراسلات ابن عباس لانه لم يشهد احدا ولا ابوه . انظر تفسير ابن كثير  
 ( ٤١٢ / ١ ) .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٤١١ / ١ ، ٤١٢ ) .

وان دل هذا على شيء فانه يدل على ان طاعة القائد من اسباب النصر وعصيانه من اسباب الهزيمة، كما ويدل على ان للنصر اسبابه، وللهزيمة اسبابها، وان المسلمين حقيقون بالنصر ما تحققوا باسباب النصر، ويصابون بالهزيمة اذا ما ارتكبوا اسباب الهزيمة.

لقد كان الدرس في احد درسا قاسيا ، وذلك ليتعلم الصحابة قيمة الطاعة واثرها في احراز النصر بصورة عملية يذوقون من خلالها مرارة التجربة وعاقبة المخالفة لامر القائد فتزداد طاعتهم ، ويقوى انضباطهم في المعركة ثم هو من بعد ذلك تعليم للمؤمنين في كل حين لياخذوا باسباب النصر ويحذروا من اسباب الهزيمة.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على انضباط المجاهدين خلال المعركة كما رأينا في أحد من صراحة وصراحة او امره وتعليماته . وتبين حرصه على ذلك مما جاء في غزوة بدر فقد كان امره صريحا ( لا يقدر احد منكم الى شيء حتى اكون انا دونه ) .<sup>(١)</sup>

وهو يريد بذلك الانضباط العسكري . . . ، وذلك كله يعكس اهمية الطاعة والضبط في احراز النصر.

---

( ١ ) بعض من حديث اخرجه مسلم عن انس بن مالك في كتاب الامارة . باب ثبوت

الجنة للشهيد ، واوله ( بعث رسول الله بسيسة عينا . . ) ، ( ٣ / ١٥١٠ ) .

وفى غزوة الفتح بلغ الانضباط غايته ، وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم  
 ( عهد الى امرائه من المسلمين ، حين امرهم ان يدخلوا مكة ، ان لا يقاتلوا  
 الا من قاتلهم ، الا انه قد عهد فى نفر سماهم امر بقتلهم بان وجدوا تحسنت  
 استار الكعبة )<sup>(١)</sup> .

ودخل جيش المسلمين مكة دون حصول قتال من المسلمين الا ما كان  
 من خالد دفاعا عن نفسه<sup>(٢)</sup> ولقد كان جيش المسلمين قادرا على القتال .  
 قال ابو هريرة . . فانطلقنا فما شاء احد منا ان يقتل احدا الا قتله  
 وما احد منهم - المشركين - يوجه الينا شيئا )<sup>(٣)</sup> .

انضبط المسلمون بامر رسول الله الذى يقضى بعدم قتال اهل مكة  
 اذالم يقاتلهم ، ( وانه لا عظم انضباط فى تاريخ الدنيا كلها ، مدينة تفتح وكانت  
 محاربة ويدخلها جيش من اربع جهات ، ولم يحصل قتال الا عندما دافع خالد  
 عن نفسه )<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) انظر السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٤٠٩ ) .

( ٢ ) انظر المصدر السابق ( ٣ ، ٤ / ٤٠٧ ) .

( ٣ ) بعض من حديث اخرجه مسلم عن ابي هريرة فى كتاب الجهاد والسير ، فتح

مكة واوله قول ابي هريرة ( الا اعلمكم بحديث . . ( ٣ / ١٤٠٥ ) .

( ٤ ) اقتباس النظام العسكرى ( ٢٥٠ ) .

السبب الحادى عشر :

=====

## الذكر والدعاء فى المعركة

=====

الذكر والدعاء ومناجاة الله سبحانه هو نوع عبادة يتوجه بها المؤمنون الى الله عزوجل ، كما أنها تشكل ركنا مهما فى حياتهم ، حيث يتضرعون الى الله سبحانه يسألونه ان يكشف عنهم ما اصابهم من بلاء ، ويسألونه تيسير حوائجهم وتحقيق مطالبهم .

وما اعظم ما اصاب المسلمين اليوم من البلاء ، فما احوجهم الى الدعاء

بعد أن يجاهدوا فى سبيل الله ويتخذوا للأمر عدته .

الحث على الذكر فى المعركة :

ان سلاح الذكر والدعاء يعمل عمله فى المعركة كبقية الاسلحة القتالية

التي يتوصل بها الى هزيمة العدو ، بل وان هذا اشد واخطر على العدو

من الاسلحة المادية المعروفة ، لان الذكر والدعاء فى حقيقته اتصال

بالقوة الكبرى التي لا يعجزها شىء فى الارض ولا فى السماء ، والله هو

القادر على أن يمنح النصر لمن يشاء أو أن يمنعه ممن يشاء ، فاذا دعاه المؤمنون

فانهم يلجأون الى من بيده النصر ، وهو سبحانه سميع مجيب الدعاء .

لذا فقد امر الله تبارك وتعالى المجاهدين بالذكر ساعة اللقاء

وارشدهم الى أنه من اسباب نصرهم على عدوهم فقال سبحانه ( يا ايها الذين

( ١ )

آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ) .

امر الله تعالى المجاهدين ساعة اللقاء - اى وقت القتال - مع فئة

الكفار بالذكر للاستظهار به والاستنصار على عدوهم بالدعاء عليهم بالخذلان

والهزيمة .

قال الطبري في معنى قوله ( واذكروا الله كثيرا ) : ( وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم ، واشعر واقلوبكم والسنتكم ذكره )<sup>(١)</sup> وقال النسفي في<sup>(٢)</sup> معنى التذييل : ( لعلكم تغلحون ) : اي تظفرون بمرادكم من النصر والمثوية . وبهذا فان التذييل يتناسب مع السياق ، اذ الغاية من القتال هي احراز النصر على العدو ، فدل الله سبحانه على السبب الذي تحصل به النتيجة وهو الذكر .

وفائدة الذكر في المعركة هي استحضار قوة الله سبحانه وعزته وجلاله ، فاذا قال المجاهد ( الله اكبر ) فانه يحتقر ويستصغر كل ما دونه واولهم عدوه الذي يقف في الصف امامه لقتاله ، فانه يستصغر قوته امام قوة الله سبحانه ، كما ويطمئن الى نصر الله لوثوقه في قوة الله وقدرته المطلقة . واذا سبَّح المجاهد ربه فانه ينزهه عما لا يليق به من النقص والضعف والخذلان مما هو من حال البشر . . ، ومن ثم فان المجاهد الذاكر لا يخشى قوة عدوه وعدده وعدده ، بل يكون مطمئنا الى قوة الله وقدرته ، واثقا في تأييده ونصرته . كما وان المجاهد الذاكر يلجأ الى الله يستعين به ويستنصره على عدوه فيدعو<sup>وهو</sup> مطمئن بالاجابة ، لان الله تبارك وتعالى تكفل بالاجابة الدعاء ساعة اللقاء في المعركة .

( ١ ) تفسير الطبري ( ٦ / ٢ / ١٤٠ )

( ٢ ) تفسير النسفي ( ٢ / ٨٦ )

اخرج الامام ابوداود - واللفظ له - والدارمي والحاكم عن سهل ابن

( ١ )

سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ثنتان لا تردان او قلما

( ٣ )

( ٢ )

تردان : الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا ) .

الاستنصار بالضعفاء :

وكما امر الله سبحانه المجاهدين بالذكر والدعاء عند لقاء الاعداء

كذلك امر القاعدين من الضعفاء بالدعاء والتضرع الى الله سبحانه في مصالح

المسلمين عامة ، ونصرة المجاهدين بخاصة . وهذا جهادهم الذى اباحه

الله لهم ، ونصحهم الذى اشار اليه سبحانه بقوله ( ليس على الضعفاء

ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله

( ٤ )

ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ) . فنصحهم يكون

بالارشاد الى ما ينفع ، وبالدعاء والتوجه الى الله فى حوائج المسلمين .

اخرج البخارى - واللفظ له - والنسائى عن مصعب بن سعد قال : ( ٥ )

( رأى سعد أن له فضلا على من دونه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

هل تنصرون الا بضعفاكم ) .

وجاء الحديث فى رواية النسائى مفصلا لما أجملته رواية البخارى وشارحا

لها ، ولفظ الحديث ( انما ينصر الله هذه الامة بضعيفها ، بدعوتهم وصلاتهم

( ١ ) اخرجه ابوداود فى الجهاد / باب الدعاء عند اللقاء ( ٢١٠ / ٣ ) . والدارمي

فى الصلاة / باب الدعاء عند الاذان ( ٢١٧ / ١ ) . والحاكم فى المستدرک

( ١٩٨ / ١ ، ١١٣ / ٢ ) وصححه . قلت : وصححه الامام النووى فى الاذکار

( ١٧٩ ) طبعة دار الفكر . وقال ابن حجر : هذا حديث حسن صحيح .

انظر نتائج الافكار فى تخريج احاديث الاذکار للحافظ ابن حجر العسقلانى

( ٣٧٩ / ١ ) . تحقيق / حمدى عبدالمجيد السلفى . مطبعة الارشاد / بغداد .

منشورات مكتبة المثنى ببغداد .

( ٢ ) عند النداء : اى النداء للصلاة .

( ٣ ) قال ابن الاثير : الحم الرجل واستلحم ، اذا نشب فى الحرب فلم يجد له مخلصا ،

والملحمة هى الحرب وموضع القتال ، والجمع ملاحم ، مأخوذ من اشتباك الناس

واختلاطهم فيها وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها . انظر غريب

الحديث ( ٢٤٠ / ٤ ) . باختصار . ( ٤ ) التوبة ( ٩١ ) .

( ٥ ) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب الاستنصار بالضعيف ( ٥٢ / ٢ ) . والنسائى

فى الجهاد / باب الاستنصار بالضعيف ( ٤٥ / ٦ ) .



واخلاصهم) . اخبر الرسول عليه الصلاة والسلام في خبر عام ان هذه الامة تنصر بدعاء الضعفاء وصلاتهم واخلاصهم لله ، وبهذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم يضع ايدينا على الدعاء كسبب من اسباب النصر، خاصة اذا كان هذا الدعاء من ضعفاء الامة . وخص دعاء الضعفاء بالذكر لانهم اشد اخلاصا في الدعاء ، واكثر خشوعا في العبادة لخلاص قلوبهم عن  
( ١ )  
التعلق بزخرف الدنيا .

الدعاء سلاح اهل الايمان من الامم السابقة :

ذكر القرآن الكريم من تاريخ الامم السابقة امثلة لعصبة الايمان وهى تذكر الله فى اشد ساعات الضيق عند لقاء العدو . وتدعوه سبحانه بالصبر والثبات والنصر على الاعداء ، وذكر القرآن اجابة الله لدعائهم بالنصر . من ذلك ما حكاه القرآن من دعاء الفئة المؤمنة القليلة من بنى اسرائيل التى قاتلت جالوت وجنوده . يقول سبحانه : ( ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ) معنى قوله ( برزوا ) اى ظهروا للقتال ، وهم الفئة المؤمنة بقيادة طالوت . وواو الجماعة فى ( قالوا ) تعود عليهم ، اى انهم عند ما ظهروا لقتال اعدائهم دعوا الله سبحانه أن ينزل عليهم الصبر والثبات والنصر على اعدائهم الكافرين ، وهم جالوت وجنوده .

( ١ ) انظر عمدة القارى ( ١٧٩ / ٤ ) x وفتح البارى ( ٨٩ / ٦ ) .

( ٢ ) البقرة ( ٢٥٠ ) .

واسرع القرآن في ذكر اجابة الله لدعائهم ، وتحقيقه لمقصودهم بالنصر

على اعدائهم ، فقال تعالى ( فهزموهم باذن الله ، وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ) ( ١ ) اي : هزم طالوت واتباعه جالوت وجنوده وكسر شكوتهم ( باذن الله ) اي بنصره وتأييده ، اجابة لدعائهم ثم ذكر القرآن ما فعل بزعيم الكفر يومها ( جالوت ) حيث قتله داود عليه السلام .

وذكر الـآوسي - رحمه الله - كلاما لطيفا في دعاء طالوت وجنوده ، انقله

بنصه ، قال : ( وفي هذا الدعاء من اللطافة وحسن الاسلوب والنكات ما لا يخفى

اما اولا : فلأن فيه التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال

واما ثانيا : فلأن فيه الافراغ ، وهو يوءذن بالكثرة ، وفيه جعل الصبر بمنزلة

الماء المنصب عليهم لثلج صدورهم واغنائهم عن الماء الذي منعوا عنه ، واما

ثالثا : فلأن فيه التعبير - بعلى - المشعر بجعل ذلك كالظرف ، وجعلهم

كالمظروفين ، واما رابعا : فلأن فيه تفكير صبرا المفصح عن التفخيم ، واما خامسا :

فلأن في الطلب الثاني وهو تثبيت الاقدام ما يرشح جعل الصبر بمنزلة الماء

في الطلب الاول ، اذ مصاب الماء مزالق فيحتاج فيها الى التثبيت ، واما سادسا :

فلأن فيه حسن الترتيب حيث طلبوا اولا افراغ الصبر على قلوبهم عند اللقاء

وثانيا ثبات القدم والقوة على مقاومة العدو ، حيث إن الصبر قد يحصل لمن

لا مقاومة له ، وثالثا ، العمدة والمقصود من المحاربة وهو النصر على الخصم

حيث إن الشجاعة بدون النصر طريق عتبه عن النفع خارجة . ( ٢ ) .

( ١ ) تكلمة الاية ( ٢٥٠ ) من سورة البقرة .

( ٢ ) روح المعاني للآوسي ( ١ / ٢ / ١٧٢ ) .

وذكر القرآن نماذج اخرى من الفئات المؤمنة في الموكب التاريخي لاهل  
الايمان ، وهم يدعون الله ساعة المعركة بالمغفرة والثبات والنصر على الاعداء .  
يقول تبارك وتعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم  
فى سبيل الله ، وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم  
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا  
على القوم الكافرين ، فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب  
( ١ )  
المحسنين ) .

جاءت هذه الآيات فى سياق التعليق على غزوة (أحد ) لتسليية المؤمنين  
فى ما اصابهم يومها ، ولارشادهم الى ما كان من حال اتباع الانبياء وحواريهم  
من الصبر والثبات على ما اصابهم من اعدائهم ، والى دعائهم وتضرعهم الى  
الله . وفى هذا توجيه للمؤمنين إثر (أحد ) لكي يحذوا حذوهم فى الصبر  
على ما اصابهم ، والتضرع الى الله طالبين منه النصر .

ومعنى ( الربيون ) كما ذكر المفسرون : العلماء الاتقياء الصابرون ، وقيل  
هم الجموع الكثيرة ، وقيل : هم الاتباع والرعية . ( ٢ )

ذكر الله سبحانه المحاسن الفعلية لهؤلاء الربيين ، والتي تتمثل فى  
قتالهم مع انبيائهم دون أن يفتروا او يضعفوا أو يخضعوا لعدوهم ، وامتدح  
الله صبرهم وثباتهم مع انبيائهم . ثم ذكر الحق تبارك وتعالى محاسنهم  
القولية والتي تتمثل فى دعائهم الله عزوجل أن يغفر لهم ذنوبهم ، وأن يثبت  
اقدامهم ، وأن ينصرهم على اعدائهم .

- ( ١ ) آل عمران ( ١٤٦ - ١٤٨ ) .

( ٢ ) انظر تفسير ابن كثير ( ٤١٠ / ١ ) ، وفتح القدير للشوكاني ( ٣٨٦ / ١ ) .

وتفسير ابى السعود ( ٩٥ / ٢ ) ، وتفسير الآلوسى ( ١٠٢ / ١ / ٢ ) .

فالدعاء والذكر في المعركة هو من اخلاق المجاهدين المؤمنين في كل عصر وامة ، وذلك ليستمدوا من الله العزة والقوة والنصر . واذا كانت الآيات جاءت للتعليق على موقف الصحابة في ( أحد ) ، فما بالنا اليوم ونحن من نحن ، وأين نحن من صحابة رسول الله ، فحاجتنا الى الدعاء اولى . . . . . ، ولنطمئن الى ثمرة الدعاء . فهاهم اولئك الربيون قد اصابوا بدعائهم ( فاتابهم الله ) بسبب دعائهم ، ( ثواب الدنيا ) من النصر والغنيمة ، ( وحسن ثواب الآخرة ) بالتمتع باطاييب ما في الجنة من النعيم المقيم . . . . .

سلاح الدعاء في معارك المسلمين :

ان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم - وهو القدوة والاسوة - كان يتسلح في المعركة بسلاح الدعاء والذكر ، وكان يشهد في دعائه ربه بالنصر الى درجة بالغة تشعر بالاهمية البالغة لسلاح الدعاء في المعركة ، وكان الله يستجيب دعاء نبيه فينصره على عدوه رغم ضعفه وقلة اتباعه في عدوهم وعددهم كما في غزوة بدر .

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - والترمذي وابوداود عن عمر بن الخطاب قال : ( ١ ) لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف واصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا ، فاستقبل نبي الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لاتعبد في الارض . فما زال يهتف بربه ، مادام يديه ، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فاتاه ابو بكر فاخذ رداؤه ، فالقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله ، كفاك مناشدتك ربك ، فانه سينجز لك ما وعدك ، فانزل الله عزوجل ( اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ) فامده الله بالملائكة ، قال

( ١ ) سبق تخريجه في موضوع وجوه النصر صفحة ( ١٢٨ ) . هامش ( ١ ) .

( ١ )

ابو زميل ( هو سماك الحنفي ) ، فحدثني ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يوءمئذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه ، اذ سمع ضربة السوط فوقه ، وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم ، فنظر الى المشرك امامه فخر مستلقيا ، فنظر اليه فاذا هو قد خطم انفه ، وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع ، فجاء الانصارى فحدث بذلك رسول الله فقال : صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة ، فقتلوا سبعين واسروا سبعين ) .

لقد اشتد الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعاء - الى درجة أن سقط عنه رداؤه ، ورق عليه ابوبكر - يسأل المولى عزوجل أن ينصره على عدوه ، وذلك لعلمه أن النصر بيد الله ، ولعلمه أن الدعاء هو سبب يستوجب نزول نصر الله . واجاب الله دعاء نبيه ، فأيدته بنصره وامده بملائكته .

نقل ابن حجر عن السهيلي في سبب شدة اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم

في الدعاء ، قوله : ( لانه عليه الصلاة والسلام رأى الملائكة تنصب في القتال ( اى تجتهد ) ، والانصار يخوضون غمار الموت ، والجهاد تارة يكون بالسلاح ، وتارة بالدعاء ، ومن السنة أن يكون الامام وراء الجيش لانه لا يقاتل معهم فلم يكن ليريح نفسه ، فتشاغل باحد الامرين وهو الدعاء . ) ( ٢ )

والسبب في قوله عليه الصلاة والسلام ( اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد في الارض ) . ( هوكونه خاتم النبيين ، فلو هلك هو ومن معه حينئذ لم يبعث احد ممن يدعو الى الايمان ، ولا ستم المشركون يعبدون غير الله

( ١ ) تابعي ، احد رجال الاسناد عند مسلم :

( ٢ ) فتح البارى لابن حجر العسقلاني ( ٢٨٩ / ٧ ) .

( ١ )

فالمعنى لا يعبد في الارض بهذه الشريعة) . وهل كان ابوبكر بقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : ( يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ) أكثر ثقة بالله ونصره ؟ اجاب الخطابي على ذلك بقوله : (لا يجوز أن يتوهم احد أن ابابكر كان اوثق بربه من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحال ، بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقتة على صحابه وتقوية قلوبهم ، لانه كان أول مشهد شهده ، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهاال لتسكن نفوسهم عند ذلك ، لانهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة ، فلما قال له ابوبكر ما قال ، كف عن ذلك ، وعلم أنه استجيب له لما وجد ابوبكر في نفسه من القوة والطمأنينة ، فلهذا عقب بقوله ( سيهزم الجمع ) . وقال غيره : وكان النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة في مقام الخوف ، وهو اكمل حالات الصلاة ، وجاز عنده أن لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معيناً لتلك الواقعة ، وانما كان مجملاً . ) وهذا ما رجحه ابن حجر .<sup>( ٢ )</sup> ونقل النووي عن طائفة من العلماء بان الحامل على شدة الدعاء هو تقوية قلوب الصحابة من رؤيتهم له وهو يشتد في الدعاء والضراعة ، وكذلك سوء ال تعجيل وعده بالنصر ، وانجازه من غير اذى يلحق بالمسلمين ، حيث إن الله وعده العير او الجيش ، وافلتت العير فكان على ثقة من الاخرى .<sup>( ٣ )</sup>

وفي غزوة الخندق اجتمعت قريش ، ومن مالأها من قبائل العرب من بنى فزارة

( ٤ )

وبنى مرة وطفان ، فضلا عن اليهود الذين حرضوهم على قتال المسلمين . اجتمع هؤلاء الاحزاب جميعا لقتال المسلمين ، وواجه الرسول صلى الله عليه وسلم الموقف بكل متطلباته العسكرية كحفر الخندق ، وتأمين الحراسات . . . ، وتوجه ايضا الى الله بالدعاء وطلب النصر على الاعداء .

( ١ ، ٢ ) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ( ٧ / ٢٨٩ ) .

( ٣ ) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ( ١٢ / ٨٥ ) .

( ٤ ) السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٢١٥ ) .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - والترمذى عن عبد الله بن ابي اوفى قال : ( ١ ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب على المشركين فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اللهم اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم ) ، واجاب الله سبحانه دعاء نبيه فنصره ، وهزم الاحزاب وسخر عليهم الريح وجنودا اخرى جعلتهم يلوذون بالفرار من ارض المعركة مذعورين .

يقول سبحانه وتعالى ( يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعلمون بصيرا ) . ( ٢ )

واضافة الى رجوع المشركين دون ان ينالوا شيئا مما ارادوا ، فقد فتح الله للمسلمين ديار يهود بنى قريظة الذين تأمروا مع المشركين ، ومنحهم ديارهم واموالهم واولادهم . يقول سبحانه وتعالى : ( ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطوؤها وكان الله على كل شىء قديرا ) . ( ٣ )

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا الله دائما وفى عامة احواله بالنصر والعون .

اخرج الترمذى - واللفظ له - وابوداود وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس قال : ( كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : رب اعنى ولا تعن علي ، وانصرني

( ١ ) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ( ٢ / ١٥٨ ) ، ومسلم فى الجهاد / باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ( ٣ / ١٣٦٣ ) ، والترمذى فى فضائل الجهاد / باب ماجاء فى الدعاء عند القتال ( ٤ / ١٩٥ ) رقم ( ١٦٧٨ ) .

( ٢ ) الاحزاب ( ٩ ) .

( ٣ ) الاحزاب ( ٢٥ - ٢٧ ) .

ولا تنصر علي ، وامكر لي ولا تمكر علي ، واهدني ويسر الهدى لي ، وانصري  
علي من بغى علي . . الحديث (١) .

واقتردى الصحابة الكرام ( رضوان الله عليهم ) برسول الله فكانوا  
يتضرعون الى الله في معاركهم يطلبون منه العون والنصر والمدد ، وكان  
دعاءهم وتضرعهم سببا من اسباب نصرهم على عدوهم ، بل وكان اهم  
من كثير من اسباب النصر الاخرى .

روى ابن<sup>عبد</sup>الحكم عن زيد بن اسلم انه قال : ( ٢ ) لما ابطأ علي عمر بن الخطاب  
فتح مصر كتب الي عمرو بن العاص : اما بعد ، فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر  
تقاتلونهم منذ سنين ، وما ذاك الا لما احدثتم وما احببتم من الدنيا ما احب  
عدوكم ، وان الله تعالى لا ينصر قوما الا يصدق نياتهم ، وقد كنت وجهت  
اليك اربعة نفر ، واعلمت ان الرجل منهم مقام الف رجل علي ما عرف  
( وهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن الاسود ، وعبادة بن الصامت  
ومسلمة بن مخلد ) الا أن يكون غيرهم ما غير غيرهم ، فاذا اتاك كتابي هذا  
فاخطب في الناس وحضهم علي قتال عدوهم ، ورغبهم في الصبر والنية

( ١ ) اخرجه الترمذي في كتاب الدعوات / باب في دعاء النبي صلى  
الله عليه وسلم ( ٥٥٤ / ٥ ) وقال : هذا حديث حسن صحيح .  
قلت : اسناده صحيح ورجاله ثقات . واخرجه ابوداود في الصلاة  
باب ما يقول الرجل اذا اسلم ( ٨٣ / ٢ ) واخرجه ابن ماجة في الدعاء  
باب دعاء رسول الله ( ١٢٥٩ / ٢ ) والحاكم في المستدرک کتاب  
الدعاء ( ٥١٧ / ١ - ٥١٨ ) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد  
ولم يخرجاه .

( ٢ ) اورده الامام علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي  
في كنز العمال ، وعزاه لابن عبدالحكم . انظر كنز العمال ( ٧٠٦ ، ٧٠٥ / ٥ )  
مطبعة البلاغة - الطبعة الاولى ( ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م ) نشر وتوزيع  
مكتبة التراث الاسلامي - حلب .



وقدّم اولئك الاربعة فى صدور الناس بوامر الناس ان يكونوا لهم صدمة رجل واحد<sup>(١)</sup> وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فانها ساعة تنزل فيها الرحمة ، ووقفت الاجابة ، وليعج الناس الى الله ، وليسألوه النصر على عدوهم . فلما أتى<sup>(٢)</sup> عمرو الكتاب جمع الناس وقرأه عليهم ، ثم دعا اولئك النفر فقدّمهم امام الناس وامر الناس ان يتطهروا ويصلوا ركعتين ، ثم يرغبون الى الله ويسألونه النصر ، ففتح الله عليهم ) .

لقد ادرك الفاروق رضى الله عنه اسباب تأخير النصر فحذر منها ، وارشد الى اسباب النصر ومنها الدعاء والضراعة الى الله . وقد كان لهذا السبب بالغ الاثر فى احراز النصر على الاعداء بعد أن تأخر عنهم سنين ، ولم ينتصروا الا بعد ان تضرعوا الى الله بالنصر ، واخلصوا قلوبهم لله . والمسلمون اليوم ينبغي ان يقفوا امام هذه القصة وقفة تأمل ، فاذا كان النصر قد تأخر عنهم فى هذا الزمان ، بل واصابهم ما اصابهم من شر الهزيمة فان من واجبهم ان يدققوا النظر ويعملوا لفكر ليجتنبوا عن الاسباب التى وقعتهم فى الهزيمة واخرت عنهم النصر ، ومن اهم هذه الاسباب بعد هم عن الله سبحانه وعدم الاعتماد عليه ، وعدم اللجوء اليه بالدعاء والضراعة فى معاركهم بعد أن يأخذوا ما بوسعهم من الاسباب المادية .

وسلاح الدعاء والذكر ليس خاصا بالرسول ( عليه الصلاة والسلام ) وصحابته الكرام ( رضوان الله عليهم ) ، وانما هو سلاح لكل المسلمين ، وهو سبب من اسباب نصر الامة الاسلامية فى كل زمان ومكان وهما هو الرسول صلى الله عليه وسلم

( ١ ) صدمة رجل واحد : اى قوة رجل واحد . انظر غريب الحديث لابن الاثير

٠ ( ١٩ / ٣ )

( ٢ ) العج : رفع الصوت ، والمعنى : يرفعوا اصواتهم بالدعاء . انظر غريب

: الحديث لابن الاثير ( ٣ / ١٨٤ ) .

يذكر فئة من المسلمين - في آخر الزمان - تنتصر على عدوها بمجرد التكبير و دون سلاح وعتاد . اخرج الامام مسلم بسنده عن ابي هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (١) سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر، قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : لاتقوم الساعة حتى يغزوها سبعون الفا من بنى اسحاق ، فاذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ، ولم يرموا بسهم ، قالوا لا اله الا الله والله اكبر ، فيسقط احد جانبيها ، قال شور : لا اعلمه الا قال الذى فى البحر ، ثم يقولوا الثانية : لا اله الا الله والله اكبر فيسقط جانبها الآخر ، ثم يقولوا الثالثة : لا اله الا الله والله اكبر فيخرج لهم فيدخلوها فيغنموا ، فبينما هم يقتسمون المغنم اذ جاءهم الصرخ فقال : ان الدجال قد خرج فيتركون كل شىء ويرجعون ) .

من هذا يعلم ان القلوب المؤمنة اذا استقامت على منهج الله واخلصت التوجه الى الله ، وشغلت سنتها بذكر الله ، وتضرعت الى الله ، واستبسلت فى سبيل الله فانها ستفوز بنصر الله مهما كان ضعفها وقوة عدوها . وان الذكر فى المعركة يكون اشد على العدو من اشد سبب مادي بشرى ، لان الذكر يستوجب نزول المدد الرباني ، بينما السبب المادي سبب بشرى ، وانى البشر مهما اوتي من قوة ومنعة ان يقف فى وجه جنود الله التى يتنزل بها فى المعركة .

---

( ١ ) اخرجه مسلم فى الفتن / باب لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بتغير الرجل فيتمنى ان يكون مكان الميت من البلاء ( ٤ / ٢٢٣٨ ) .  
 ( ٢ ) قال النووى فى شرحه : قال القاضي كذا هو فى جميع اصول صحيح مسلم من بنى اسحاق ، قال : بعضهم المعروف المحفوظ من بنى اسماعيل ، وهو الذى يدل عليه الحديث وسياقه لانه انما اراد العرب ، وهذه المدينة هى القسطنطينية . انتهى . انظر شرح النووى على صحيح مسلم ( ٤٥ / ١٨ ) .

السبب الثاني عشر  
=====الصبر والثبات فى المعركة  
=====

معنى الصبر والثبات : ===== الصبر هو حبس النفس عن الجزع، <sup>(١)</sup> لتحمل المشاق والشدائد .

وإذا اضيف الى المعركة فالمقصود بالمشاق والشدائد اى الناتجة عن القتال ،  
والمعنى حبس النفس على القتال .

والثبات هو عدم المفارقة ، فاذا اضيف الى المعركة فالمقصود به عدم مفارقة ساحة

المعركة . والثبت والثبوت : الفارس الشجاع ( ٢ )

النصر مع الصبر : ===== اذا ثبت المقاتلون فى المعركة فان العاقبة ستكون للأثبت ، واذا

جزعوا ولم يثبتوا فان هذا سيؤدى بهم الى الفرار والاستسلام ، وهذا وذاك هزيمة  
لهم . فالصبر يترتب عليه النصر او الهزيمة وجودا وعدما . وقد اشار القرآن الكريم

الى الصبر كسبب من اسباب النصر فقال تعالى : ( يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم

فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون \* واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا

<sup>(٣)</sup>

فتفشلوا وتذهب ريحكم و اصبروا ان الله مع الصابرين ) .

الخطاب فى الآيتين للمؤمنين ، صدر بحرفى النداء والتنبيه لظاهر

كمال الاعتناء بضمون ما بعده .

والمراد بالفئة هنا : الجماعة من الكفار ، ولم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون

الا الكفرة . والمراد باللقاء : الحرب . <sup>(٤)</sup> وتشتمل الآيتان على جملة من اسباب النصر

منها الصبر والثبات ، يدل على هذا ختام الآية الأولى بقوله ( لعلكم تفلحون )

( ١ ) انظر لسان العرب ( ٤٣٨ / ٤ ) .

( ٢ ) انظر لسان العرب ( ١٩ / ٢ ) .

( ٣ ) الانفال ( ٤٦ ، ٤٥ ) .

( ٤ ) انظر تفسير ابي السعود ( ٢٥ / ٤ ) .

بعد الامر بالثبات والذكر . والفلاح : هو الفوز بالمرام ، ولا شك ان المرام

مما سبق هو احراز النصر على العدو . قال ابو السعود : ( ١ )

( لعلكم تفلحون ) : اى ( تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصره والثوبه ) ،

وقال الطبري : ( كيما تنجحوا فتظفروا بعددكم ) ،

ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم . ( ٢ )

وختام الآيه الثانية بقوله ( ان الله مع الصابرين ) بعد الحث على

الصبر فى المعركة ، يدل ايضا على ان الصبر سبب للنصر ، فالله سبحانه كشف

عن معيته للمجاهدين الصابرين ، وهى معية نصر وعون وتأيد كما فسرهما ابو

السعود وغيره ، و اضاف ابو السعود قائلا ( وما يفهم من كلمة ( مع ) من اصالتهم

انما هى من حيث انهم المباشرى للصبر ، فهم متبعون من تلك الحيثية ، ومعيته

تعالى انما هى من حيث الإمداد والاعانة ) . ( ٣ )

وجعل سبحانه النصر قرين الصبر ، فقال جل شأنه : ( يا أيها النبى

حرز المؤمنى على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن

منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون \* الآن خفف الله

عنكم و علم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم

ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين ) . ( ٤ )

قيد سبحانه فى هاتين الآيتين تحقيق النصر للمؤمنين بتحقيقهم

بالصبر ، سواء فى حالة القوة ام الضعف . قال النسفى : ( هذه عدة من الله

( ١ ) المصدر السابق ( ٤ / ٢٥ ) .

( ٢ ) تفسير الطبرى ( ٦ / ٢ / ١٤ ) .

( ٣ ) تفسير ابى السعود ( ٤ / ٢٥ ) .

( ٤ ) الانفال ( ٦٥ ، ٦٦ ) .

وبشارة بان الجماعة من المؤمنین ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأییده (١) . وختمت الآية بقوله ( والله مع الصابرين ) وهو ختام لتقرير المضمون السابق ، اذ المراد بالمعیه هنا معیه النصر والتأیید .

وحكى القرآن الكريم عن نصر الله وتمكينه لبني اسرائيل ، فكشف عن ان صبرهم هو سبب نصر الله لهم ، يقول تبارك وتعالى : ( وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ) . (٢)

المراد بالقوم المستضعفين هنا : بنو اسرائيل . ومشارق الارض ومغاربها الشام ، قاله الحسن البصرى وقادة (٣) ، وقال عبدالله بن شاذب : هي فلسطين (٤) . والمراد بكلمة الله الحسنى الواردة في قوله ( وتمت كلمة ربك الحسنى ) هي وعده لهم بالنصر والتمكين ، الوارد في قوله تعالى ( ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ) ، قاله مجاهد وابن جرير . (٥) (٦)

ومعنى قوله ( بما صبروا ) أى بسبب صبرهم ، ويؤيد هذا قوله تعالى ( وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ) . (٧) من هذا يتبين ان الصبر سبب من اسباب النصر الربانى للمؤمنين .

وذكر القرآن الكريم - خلال قصة طالوت مع جالوت - ان النصر بيد الله ، وذكر معية الله بالنصر للصابرين ، يقول تعالى ( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ) . (٨)

- 
- (١) تفسير النسفى (٢/١١٠) .  
 (٢) الاعراف (١٣٧) .  
 (٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/٢٤٢) .  
 (٤) انظر تفسير فتح القدير (٢/٢٤١) .  
 (٥) القصص (٦٥) .  
 (٦) انظر تفسير ابن كثير (٢/٢٤٢) .  
 (٧) السجدة (٢٤) .  
 (٨) البقرة (٢٤٩) .

قال ابوالسعود فى المراد بمعية الله هنا : معية نصره وتوفيقه حتماً (١)  
 ثم حكى القرآن دعاء طالوت ومن معه بالصبر والثبات والنصر ، يقول  
 تبارك وتعالى : ( ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت  
 اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ) (٢)

معنى قوله ( لما برزوا ) اى لما ظهر طالوت ومن معه من المؤمنيين  
 لجالوت وجنوده فى ساحة الحرب . هنا دعا طالوت ومن معه من المؤمنيين  
 بالصبر على مقاساة شدائد الحرب ، والثبات برسوخ اقدامهم فى وجه عدوهم  
 والنصر عليهم بقهرهم ، ( ومن روعة التعبير هنا انهم لم يسألوا الله اى قدر  
 من الصبر ، بل سألوه أن يفرغ عليهم افراغا ، اى يصبه عليهم صبا كأنه  
 ماء يفرغ عليهم ليتطهروا به ويغتسلوا ) (٣)

وذكر سبحانه وتعالى نتيجة هذه المعركة - التى كان مدارها على  
 الصبر والثبات كما صورها القرآن - فقال جل شأنه ( فهزموهم بإذن الله وقتل  
 داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ) (٤) لقد كانت النتيجة  
 هى انتصار طالوت واتباعه على جالوت وجنوده .

وفى هذه المعركة التى تعد حلقة من حلقات الصراع بين الايمان  
 والكفر أخذ موضوع الصبر حيزا كبيرا خلال عرض القرآن لهذه المعركة ، وذلك  
 لتعليم المؤمنيين أهمية الصبر فى المعركة ، ولإرشادهم بأنه من الاسباب  
 المهمة للنصر . والقرآن الكريم عندما يتعرض لهذه المعركة وأمثالها انما  
 يتعرض له ليستفيد المسلمون منه فى صراعهم مع أعدائهم ، وليأخذوا من ذلك  
 دروسا فى النصر والهزيمة .

( ١ ) تفسير ابى السعود ( ١ / ٢٤٣ ) .

( ٢ ) البقرة ( ٢٥٠ ) .

( ٣ ) الصبر فى القرآن الكريم / يوسف القرضاوى ص ٥٥ مؤسسة الرسالة - الطبعة  
 الثانية ، ١٤٠٤ هـ .

( ٤ ) البقرة ( ٢٥١ ) .

ولأهمية الصبر والثبات في المعركة فقد أوجبها الشارع على المقاتلين وحرّم عليهم الفرار - كما سيأتي - والغاية من هذا كله هي أن يتحلّى المسلمون بالصبر كي يفوزوا بالنصر والظفر .

الأمر بالصبر في المعركة : ===== إذا كان الصبر مطلوباً في جميع الأحوال وعلى وجه العموم ، فإنه يتأكد طلبه على وجه الخصوص في المعارك والحروب ، وتزداد أهميته ساعة اللقاء ، لان المقاتلين يتعرضون حينذاك إلى أقسى الظروف والمواقف يواجهون الأهوال والخاطر ، ويرون الجرحى والقتلى والدماء والأشلاء يبل ويرون الموت الزؤام امام أعينهم . . فهم أحوج الناس إلى الصبر .

لذا فقد حث القرآن المؤمنين على الصبر والمصابرة عند قتال الأعداء وذلك في قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ) . ( ١ )

قال المفسرون في المراد بالصبر هنا : أي على مشاق الطاعات وفيمر ذلك من المكاره والشدائد . وقالوا : اما المصابرة : فهي مغالبة أعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب . ( ٢ )

ومدح الله تبارك وتعالى الصابرين وقت الشدة وفي مواطن القتال مدحا خاصا في قوله : ( والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ) . ( ٣ )

( ١ ) آل عمران ( ٢٠٠ ) .

( ٢ ) انظر تفسير ابي السعود ( ١٣٦ / ٢ ) . وفتح القدير ( ٤١٤ / ١ ) . وروح المعاني

( ١٧٥ / ٢ / ٢ ) .

( ٣ ) البقرة ( ١٧٧ ) .

معنى قوله ( فى البأساء ) اى الفقر والشدة ، ( والضراء ) اى العرض  
والزمانة ، ( وحين البأس ) اى وقت القتال<sup>(١)</sup> ، ووصف سبحانه من صبر فى هذه  
المواطن على وجه الخصوص بالصدق والتقوى ، وذلك بسبب ما قدموا من الصبر .  
وحدث النبى صلى الله عليه وسلم المجاهدين على الصبر فى المعركة  
وذلك فيما أخرجه الشيخان - واللفظ لمسلم - عن عبد الله بن ابي اوفى  
( ٢ ) ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى بعض ايامه التى لقي فيها العدو ينتظر  
حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال : ( يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو  
واسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف )  
البيعة على الصبر والثبات فى المعركة :  
=====

ولأهمية الصبر فى المعركة فإنه يستحب للإمام أو القائد أن يطلب البيعة  
من المجاهدين على الصبر كما طلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية  
من الصحابة ، لأن فى ذلك مزيد توطين لنفوسهم على مشاق الجهاد واعبائه .  
أخرج البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :<sup>(٣)</sup> (رجعنا من  
العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها ، كانت رحمة  
من الله . فسألت نافعاً: على اى شىء بايعهم ؟ على الموت ؟ قال : لا ، بايعهم  
على الصبر) .

(١) انظر تفسير الطبرى (١٠١/٢) .

(٢) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب الصبر عند القتال (١٤٣/٢) ، ومسلم

فى الجهاد / باب الصبر عند اللقاء (١٣٦٢، ١٣٦٣) .

(٣) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب البيعة فى الحرب على ان لا يفرؤا (١٦٣/٢) .



واخرج الامام مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله قال : ( ١ ) كنا يوم الحديبية  
الفا واربعمائة بايعناه ، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة ، وقال : بايعناه  
على ان لانفر ، ولم نبايعه على الموت . وجاء فى حديث لمسلم والبخارى عن سلمة  
انهم بايعوه يومئذ على الموت . ( ٣ )

واجاب العلماء عما قد بيد و من تعارض بين هذه الرواية المثبتة للبيعة  
على الموت والروايات السابقة النافية له ، فقالوا المراد بالبيعة على الموت : الصبر  
وان آل بهم ذلك الى الموت ، لان الموت مقصود فى نفسه . ( ٤ ) وقال السيوطى :  
( لان الموت ليس فى اختيار احد فالبيعة عليه لا تتصور ) ، وحمل ما جاء فى الروايتين  
على المعنى المذكور سابقا ، و اضاف قائلا ( وعلى هذا فمؤدى البيعة على الموت  
والبيعة على عدم الفرار واحد ، فوجه الجمع بين الروايتين ان بعضهم بايعوا  
بلفظ الموت ، وبعضهم بلفظ عدم الفرار ، ومراد جابر بما ذكره تعيين اللفظ  
الذى بايع به هو واصحابه ) . ( ٥ )

والحكمة من اخذ البيعة من المجاهدين على الصبر وعدم الفرار حتى الموت  
هى لكون النفوس تجزع عند اللقاء لشدة ما تجد من مشاق وشدائد تتطلب من  
المجاهد مزيدا من الصبر والثبات . وتغليظ العقد بالبيعة يوطن النفوس ويشحذ  
الايمان والعزيمة بما يزيد فى صبر المجاهدين وشبائهم .

- 
- ( ١ ) مسلم فى الامارة / باب استحباب مبايعة الامام الجيش عند ارادة القتال ( ٣ / ١٤٨٣ ) .  
( ٢ ) سمرة : هى شجرة من ضرب شجر الطلح . انظر غريب الحديث لابن الاثير  
( ٢ / ٣٩٩ ) .  
( ٣ ) صحيح البخارى ، كتاب الجهاد / باب البيعة فى الحرب على ان لا يفروا  
( ٢ / ١٦٣ ) وصحيح مسلم كتاب الامارة . باب استحباب مبايعة الامام  
الجيش عند ارادة القتال ( ٣ / ١٤٨٣ ) .  
( ٤ ) انظر فتح البارى لابن حجر ( ٦ / ١١٨ ) ، وشرح النووى على مسلم ( ١٣ / ٣ ) .  
( ٥ ) انظر سنن النسائى بشرح السيوطى ( ٧ / ١٤١ ) بتصرف يسير جدا .

تحريم الفرار من المعركة: ===== سبق وان ذكرت في موضوع ( حكم الجهاد ) أن الجهاد يصبح فرض عين على من حضر من المقاتلين ساعة اللقاء بالعدو فلا يجوز لهم الخروج من ارض المعركة ، وذلك لقوله تعالى ( يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا )<sup>(١)</sup> . الخطاب فى الآيه للمؤمنين ، والمراد باللقاء الحرب ، والمراد بالفئة : اى الجماعة من الكفار ، الفاء فى قوله ( فاثبتوا ) للترتيب ، اى لترتيب حكم على المقدمات السابقة ، وقوله ( اثبتوا ) امر بالثبات ، والضمير عائد على المخاطبين فى الآيه وهم المؤمنون الذين اتقوا مع الكفار فى المعركة ، وهذا يدل على وجوب الثبات على من حضر القتال ساعة اللقاء مع العدو .

ويدل على تحريم الفرار من المعركة قوله جل شأنه ( يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار \* ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير )<sup>(٢)</sup> .

الخطاب فى الآيتين للمؤمنين ، يفيد حكم الفرار من العدو وساعة اللقاء بهم فى المعركة . والزحف : هو الدنو قليلا قليلا ، واصله الاندفاع على الالية وسمى به الجيش الدايم المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف ، وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل ، فيحس حركته بالقياس اليه فى غاية البطء ، وان كانت فى نفس الامر على غاية السرعة<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) الانفال ( ٤٥ ) .

( ٢ ) الانفال ( ١٥ ، ١٦ ) .

( ٣ ) انظر تفسير ابي السعود ( ١٢ / ٤ ) . واحكام القرآن للقرطبي ( ٣٨٠ / ٧ ) .

واضح سبحانه عن المراد بالخطاب بقوله ( فلا تولوهم الادبار ) وهو نهى ظاهر صريح يدل على تحريم الفرار من العدو . والتقى النهى عن الفرار فى هذه الآية بالامر بالثبات فى الآية السابقة بما يقطع بوجوب الثبات وحرمة الفرار من المعركة .

وعبر القران بلفظ ( الادبار ) و ( دبره ) وهو مؤخرة الرجل ، زيادة فى الذم للفرار من المعركة والتشجيع به . وتوعده سبحانه بالغضب ، ودخول النار . وهذا وذاك يدل على تغليظ جرم الفرار من المعركة . واستثنى الله جل ثناؤه من ذلك حالتين ، هما :  
الاولى : ( الا متحرفا لقتال ) ، ويكون ذلك اما بالتوجه لقتال فرقة اخرى من العدو و غير الفرقة المشغل بها لكون تلك اهم من هذه ، او بايهام عدوه بالفرار منه لخداعه بالكر عليه هو أو أعوانه ، أو لانتقال من جهة مكشوفة الى موضع آخر يستتره ، وهكذا .

الثانية : ( او متحيزا الى فئة ) اى بأن ينضم الى جماعة اخرى من المسلمين .  
واختلف العلماء فى الآية<sup>(١)</sup> ، هل هى خاصة باهل بدر ام عامة فى كل المؤمنين الى يوم القيامة ؟

الرأى الاول : ان الآية خاصة بتحريم الفرار يوم الزحف لاهل بدر ، ذهب اليه جماعة من الأئمة منهم نافع والحسن وقتادة ، ووافقهم ابو حنيفة رحمهم الله . ادلتهم : اولاً : قالوا إن الفرار يوم الزحف خاص باهل بدر فلم يكن لهم ان ينحازوا ولو انحازوا لانحازوا للمشركين ، ولم يكن فى الارض يومئذ مسلمون غيرهم ولا للمسلمين فئة الا النبى صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : واحتجوا بأن الآية منسوخة بآية الضعف ( الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً . . الآية )<sup>(٢)</sup> .

ثالثاً : واحتجوا بقوله تعالى ( يومئذ ) فقالوا هو اشارة الى يوم بدر .

( ١ ) انظر احكام القرآن للقرطبي ( ٧ / ٣٨١ ، ٣٨٢ ) . واحكام القرآن لابن العربي ( ٢ / ٨٤٣ ، ٨٤٤ ) . وفتح القدير للشوكاني ( ٢ / ٢٩٤ ) .  
( ٢ ) الانفال ( ٦٦ ) .

رضى الله عنهما .

الرأى الثانى : ان الآية عامة فى جميع المؤمنى الى يوم القيامة ، وهو مروى عن ابن عباس <sup>رضى الله عنهما</sup>

وجمهور العلماء ، وهو رأى مالك والشافعى رحمهم الله .

واجابوا عن ادلة الفريق الآخر بما أتى : اليها صلى الله عليه وسلم

اولا : قولكم انه لم يكن لاهل بدر فئة ينحازون غير النبى <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> فيه نظر ، لانه كان

بالمدينة خلق كثير من الانصار لم يأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم

بالخروج ولم يكونوا يرون انه قتال وانما ظنوا انها العير فخرج رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيمن خف معه .

ثانيا : ردوا على قولهم ان الآية منسوخة بآية <sup>الضعف</sup> بانه لامنافاة بين هذه الآية

وآية الضعف ، بل هذه الآية مقيدة بها ، فيكون الفرار من الزحف محرما

بشروط ما بينه الله فى آية الضعف .

ثالثا : اجابوا عن اعادتهم للضمير فى قوله ( يومئذ ) الى يوم بدر ، فقالوا

بل هو عائد الى يوم الزحف الذى يتضمنه قوله تعالى ( اذا القيتم ) .

ويرجح رأى الجمهور بأن الآية عامة فى حرمة الفرار من الزحف ، ماخرجه الشيخان -

واللفظ لمسلم عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال <sup>(١)</sup> اجتنبوا السبع الموبقات

قيل يارسول الله : وماهن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله

الا بالحق ، واكل مال اليتيم ، واكل الربا ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات

الغافلات المؤمنات ) ، يفيد هذا الحديث حكم التولى يوم الزحف عموما بانه من الكبائر ،

مما يؤيد رأى الجمهور .

(١) اخرجه البخارى فى الوصايا ، باب قول الله تعالى ( ان الذين يأكلون اموال

اليتامى ) . ( ١٣١ / ٢ ) .

ومسلم فى الايمان ، باب اكبر الكبائر ( ٩٢ / ١ ) .

الفرار من المثليين :

تقدم انه يحرم الفرار<sup>في</sup> اثناء الزحف ، وأن هذا من الكبائر ، وانه لا يجوز التولى الا في احدى حالتين : التحرف لقتال ، او التحيز الى فئة .  
وبقيت مسألة جواز الفرار اثناء الحرب اذا كان العدو يزيد عن ضعف المسلمين ، اخذا من قوله تعالى ( الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ) . ( ١ )

اختلف العلماء في الاعتبار عند مراعاة المثليين هل مجرد العدد ، من

غير مراعاة القوة والضعف ، ام يراعى مع العدد القوة والضعف ؟

الرأى الاول : الجمهور يرى مراعاة مجرد العدد دون النظر الى القوة والضعف ،

اي انه اذا كان عدد العدو وضعف عدد المسلمين فلا يجوز لاحد منهم الفرار .

قال القرطبي : ( واما على قول الجمهور فلا يحل فرار مائة الا مما زاد على

المائتين ، فهما كان في مقابلة مسلم اكثر من اثنين فيجوز الانهزام ، والصبر

( ٢ )  
أحسن .

واستدل الجمهور بما اخرج البخارى - واللفظ له - وابوداود عن ابن عباس

رضى الله عنهما حيث قال : ( ٣ ) لما نزلت " ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين "

شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ، فجاء التخفيف

فقال " الان خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا .

( ١ ) الانفال ( ٦٦ ) .

( ٢ ) احكام القرآن للقرطبي ( ٧ / ٣٨٠ ، ٣٨١ ) . وانظر المجموع شرح المذهب

بتكلمته ( ١٩ / ٢٩٠ ) ، وشرح النووى على مسلم ( ١٣ / ٣ ، ٤٠ ) .

( ٣ ) اخرج البخارى في التفسير / سورة الانفال ( ٣ / ١٣٣ ) . وابوداود فى

الجهاد / باب فى التولى يوم الزحف ( ٣ / ٤٦ ) .

مائتين " قال فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم) .  
 واستثنى الأحناف من ذلك اذا كان عدد جيش المسلمين اثني عشر  
 الفا فزيادة ، وحرموا عليهم الفرار مهما بلغ عدد عدوهم الا تحرفا لقتالهم  
 او تحييزا الى فئة اخرى منهم . قال الامام ابوبكر الجصاص : ( . . وهذا الحكم  
 عندنا ثابت ما لم يبلغ عدد جيش المسلمين اثني عشر الفا لا يجوز لهم ان يتهزموا  
 عن مثلهم الا متحرفين لقتال . . . او متحييزين الى فئة من المسلمين يقاتلونهم  
 معهم ، فاذا بلغوا اثني عشر الفا فان محمد بن الحسن ذكر ان الجيش اذا  
 بلغوا كذلك فليس لهم ان يفروا من عدوهم وان كثر عدوهم ، ولم يذكر خلافا بين  
 اصحابنا فيه ) .<sup>(١)</sup>

واحتجوا بما اخرجہ الدارمی وغيره عن ابن عباس رضی اللہ عنہما قال ، قال  
 رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم : <sup>(٢)</sup> خير الاصحاب اربعة ، وخير الجيوش اربعة  
 آلاف ، وخير السرايا اربعمائة ، وما بلغ اثنا عشر الفا فصبروا وصدقوا ، فغلبوا من قلة) .  
الرأى الثانى : ومقابل رأى الجمهور ، ذهب جماعة من العلماء الى أن المراعى  
 الضعف والقوة وليس مجرد العدد . قال القرطبي رحمه الله ( وقالت فرقة  
 منهم ابن الماجشون فى الواضحة انه يراعى الضعف والقوة والعدة ، فيجوز  
 على قولهم ان يفر مائة فارس من مائة فارس اذا علموا أن ما عند المشركين من النجدة  
 والبسالة ضعف ما عندهم ) .<sup>(٣)</sup>

ما سبق عرضه يتبين تأكيد الاسلام على عنصر الصبر والثبات وذلك لما له

من الاهمية البالغة فى المعركة .

نماذج من صبر جيش النصر :

- ان جيل الصحابة ( رضوان الله عليهم ) هم الجيل الامثل للمسلمين اليوم
- ( ١ ) احكام القرآن للامام احمد بن على الرازى الجصاص ( ٤٨ / ٣ ) ، طبعة دار الكتاب  
 العربى ، بيروت .
- ( ٢ ) انظر تخريجه فى موضوع الاغترار بالكثرة او اليأس للقلة . صفحة ( ٢٤٣ ) هامش ( ٢ ) .
- ( ٣ ) احكام القرآن للقرطبي ( ٣٨٠ / ٧ ) .

وفى كل يوم ، وذلك لما حواه تاريخهم من جهاد طويل ومعارك كثيرة حققوا فيها انتصارات عظيمة . وهذه الانتصارات ينبغي ان نقف عندها كثيرا لنستقي منها دروسا فى جهادنا الحاضر والمستقبل ، ومن هذه الدروس درس الصبر على تكاليف الجهاد وابعائه .

لقد بلغ الجهد بفرقة من جيش المسلمين على رأسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة " ذات الرقاع " غاية ، حيث كانوا يقطعون الارض بجبالها وصحاريها وسهولها ، ووديانها على الاقدام ، لعدم توفر وسيلة الحمل التى تبلغهم الى مقصدهم ، إلا دابة واحدة كانوا يتعاقبون عليها . وليس من وصف ابلغ من وصف ابي موسى ( رضى الله عنه ) ، وذلك لانه رأى بأمر عينيه ما اصابه واخوانه ، وذاق بنفسه مشقة الخروج فى سبيل الله ، واكتوى برمضاء الصحراء .

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن ابي موسى رضى الله عنه قال : ( ١ )  
 ( خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة ونحن ستة نفر ، بيننا بعير نعتقه ، قال فنقبت اقدامنا وسقطت اظفارى ، فكنا نلف على ارجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب ارجلنا من الخرق . قال ابو بردة ( راو فى الاسناد ) فحدث ابو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك ، كأنه كره ان يكون شيئا من عمله افشاه ) . رقت اقدام الصحابة من شدة رمضاء الصحراء ، وقرحت من الحفاء ، وسقطت اظافرهم ، كل ذلك وهم صابرون فى سبيل الله ، فكافأهم الله بالنصر والتأييد والتمكين . ولا شك ان هذا المثل

( ١ ) اخرجه البخارى فى المغازى / غزوة ذات الرقاع ( ٣ / ٣٥ ) . ومسلم فى الجهاد والسير / غزوة ذات الرقاع ( ٣ / ١٤٤٩ ) .  
 ( ٢ ) نقبت : اى رقت جلودها ، وتنظفت من المشى . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ١٠٢ / ٥ ) .

فى الصبر على اعباء المعركة يفصح لنا عن واحد من جملة اسباب انتصار الصحابة فى جهادهم ضد اعدائهم .

وفى غزوة الاحزاب بقى المسلمون ثلاثة ايام لا يذوقون الطعام ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وتهم فى الصبر على ذلك حتى انه ربت على بطنه حجرا من شدة ما به من الجوع ، ويزاد الامر شدة لما كان يرافقه من عمل مضن فى حفر الخندق لتأمين المدينة من المشركين .

اخرج البخارى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : <sup>(١)</sup> ( انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة ، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق . فقال : انا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، وليثنا ثلاثة ايام لانذوق ذواقا ، فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول ف ضرب فعاد كثيبا اهيل اهيم . . . الحديث ) <sup>(٣)</sup> .

وفى غزوة سيف البحر كان زاد المسلمين جرابا من تمر ، لم يجد لهم رسول الله غيره .

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن جابر رضى الله عنه قال : <sup>(٤)</sup> ( بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر علينا اباعبيدة ، نتلقى غير القريش ، وزودنا جرابا من تمر ، لم نجد لنا غيره ، فكان ابو عبيدة يعطينا تمر تمر . قال فقلت : كيف تصنعون بها ؟ قال : نمصها كما يمص الصبي ، ثم نشرب عليها من الماء ، فتكفينا يومنا الى الليل ، وكنا نضرب بعصانا الخبط <sup>(٥)</sup> ، ثم نبله فنأكله . . . . الحديث ) .

- 
- ( ١ ) اخرجه البخارى فى المغازى ، / باب غزوة الخندق ( ٣ / ٣١ ) .  
 ( ٢ ) الكدية : قطعة غليظة صلبة لاتعمل فيها الفأس . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٤ / ١٥٦ ) .  
 ( ٣ ) كثيبا اهيل : اى رملا سائلا . واهيم : اى الرمل الذى لا يرتوى . انظر المصدر السابق ( ٥ / ٢٨٩ ) .  
 ( ٤ ) اخرجه البخارى فى المغازى ، غزوة سيف البحر ( ٣ / ٧٦ ) ، ومسلم فى كتاب الصيد والذبايح / باب اباحة ميتة البحر ( ٣ / ١٥٣٥ ) .  
 ( ٥ ) الخبط : ورق الشجر . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٢ / ٧ ) .



يبين لنا هذا الحديث صورة واقعية للصبر والتحمل عند الصحابة ( رضوان الله عليهم ) ، فقد كان زادهم فى هذه الغزوة جراباً من تمر فقط - وهم ثلاثمائة مجاهد كما فى رواية البخارى - ثم فنى هذا الجراب ، وجمع ابو عبيدة ازوادهم الخاصة ، فكان يعطى المجاهد ثمرة واحدة ، اذا جاع شرب عليها قليلاً من الماء ، يم يمصها مصاً حتى تكفيه بقية يومه ، واكل المجاهدون اوراق الشجر الجافة - بعد ان فتتت ازوادهم - بعد ان يبيلوها بالماء وذلك من شدة الجوع ، فما اعظمه من صبر هذا .

وفى غزوة العسرة خرج المسلمون صيفاً فصبروا على طول الطريق ، وشدة

الحر ، وهجير الصحراء ، وقلة الماء ، ولم يفت ذلك فى عضدهم او يشن من عزمهم .  
 اخرج البزار بسنده عن ابن عباس قال <sup>(١)</sup> ، ( قيل لعمر بن الخطاب : حدثنا عن شأن العسرة ، فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى قيظ شديد

فنزلنا منزلاً اصابنا فيه عطش شديد ، حتى ظننا ان رقابنا ستقطع ، حتى ان كان احدنا يذهب يلتمس الخلاء فلا يرجع حتى يظن ان رقبتة تنقطع ، وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيسعمر فرثه فيشربه ، ويضعه على بطنه ، فقال ابوبكر الصديق : يارسول الله ، ان الله قد عودك فى الدنيا خيراً فادع ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اتحب ذلك يا ابا بكر ؟ قال نعم ، قال : فرفع رسول الله يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء <sup>(٢)</sup> ، فأظلت ، ثم سكبت فملاًوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت عن العسكر ) .

هذه بعض نماذج صبر الصحابة رضوان الله عليهم وهى نماذج اصيلة تدل على قوتهم وشدتهم فى الحق ، وتفانيهم فى سبيل الله . وان هذا الصبر لا يكاد يبلغه الا من عرف دين الله ، واخلص الجهاد فى سبيل الله .

( ١ ) كشف الاستار عن زوائد البزار للامام ابوبكر الهيثمى ، كتاب الهجرة والمغازى

باب غزوة تبوك ( ٣٥٤ / ٢ ) . قال الهيثمى : ( رواه البزار والطبرانى

فى الاوسط ، ورجال البزار ثقات ) مجمع الزوائد ( ١٩٥ / ٦ ) قلت : هو

كما قال ، الا ان عمر بن الخطاب ( شيخ البزار ) ذكر ابن حجر انه

صدوق ، ونقل فى التهذيب توثيق ابن حبان له فقط . لذا فالحديث حسن الاسناد .

انظر التقريب ( ٥٤ / ٢ ) . وتهذيب التهذيب ( ٤٤١ / ٧ - ٤٤٢ ) .

( ٢ ) اى تقلبت السماء . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ١٢٤ / ٤ ) .

وقد يعجب البعض من شدة تحمل الصحابة وصبرهم. ولكن الاعجب من ذلك هو كيف أمكنهم تحقيق الانتصارات المذهلة رغم كل تلك المصاعب والمتاعب التي واجهوها مع قلة امكاناتهم المادية.

لقد تذلت كل تلك المصاعب والمتاعب امام ايمان الصحابة ، الذي كان يزودهم بالعزيمة والنصر والثبات في المعركة معايسر لهم النصر.

# الباب الثالث

الأسباب المادية للتصرو والهزيمة  
في الكتاب والسنة

ويشتمل على تمهيد وسبعة أسباب :

- ١- القيادة الراشدة .
- ٢- الإعداد والعبئة العامة .
- ٣- التخطيط والتنظيم العسكري .
- ٤- الأمن العسكري .
- ٥- نبذ المنافقين والمخذلين والحدرد منهم .
- ٦- الخداع في المعركة .
- ٧- المباغرة .

### تمهيد

النوع الثاني من أسباب النصر والهزيمة هو الأسباب المادية .  
وهذه الأسباب كثيرة جدا ، تدخل جميعا ضمن دائرة القوة المأمور بها في  
قوله تعالى : ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون  
به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ) .  
وسأكتفي بتفصيل اهم الأسباب المادية ، لتعذر جمع كل الأسباب المادية  
على سبيل الحصر والتفصيل . ولكن الأسباب التي سأفعلها في هذا الباب  
هي أسباب رئيسية ، تغطي جميع احتياجات المبركة سواء من حيث القيادة أو من  
حيث الجنود ، أو من حيث الضرورات المادية كالمال و السلاح ، أو من حيث الضرورات  
الإدارية كالتنظيم والتخطيط ، أو من حيث الفن القتالي كالخداع والمباغلة .  
والأسباب المادية - والمعنوية أيضا - هي من أسباب النصر باعتبار وجودها ،  
وهي من أسباب الهزيمة باعتبار فقدانها ، لذا فإنها أسباب للنصر والهزيمة  
بهدين الاعتبارين .

ومن واجب المسلمين أن يعدوا كل ما في وسعهم من الأسباب المادية - فضلا عن  
المعنوية - ولكن لا يمح في حقم ان يعتمدوا عليها ، فان النصر لا يقع بمجرد وقوع  
هذه الأسباب ، بل هو متوقف على تقدير الله عز وجل . ولا ينبغي للمسلمين أن ييأسوا  
من النصر بسبب ما يفوتهم من أسباب مادية ليست في استطاعتهم ، وذلك لأن الله  
سبحانه وعندهم بالنصر على أعدائهم اذا أعدوا ما في استطاعتهم .  
والأسباب المادية هي في اعتقاد المؤمنين - أسباب لحصول قدر الله . فاذا قدر  
الله سبحانه نصر عباده المؤمنين - وهذا وعده القاطع وسنته الثابتة - فإنه  
سبحانه ييسر لهم من الأسباب ما يكفي لحصول قدره ، أو يملئ لعدوهم كي يفعلوا  
أسبابا تفضي الى نزول قدره فيهم بالهزيمة ، وانتمار المؤمنين عليهم ، أو  
يعد عباده بأسباب من عنده - وما يعلم جنود ربك الا هو - تكفيهم مونة النصر .  
ولكن لا يتحقق ذلك الا للمؤمنين الذين تحلوا بأخلاق المحاربة (رضوان الله عليهم ) ،  
أحببت ان أشير الى ما ذكرت هنا - من عدم الاعتماد على الأسباب المادية في  
احراز النصر - قبل ان يبدأ القارئ الكريم في قراءة هذه الأسباب حتى لا يقيس قلوب  
النصر وعنده عن المسلمين من خلال هذه الأسباب فقط . وأردت ان يقف على حقيقة هذه  
الأسباب وانها لا توحى شمارها الا بتقدير الله سبحانه ، وان قدر الله بنصر عباده  
منوط بنصرهم اياه اولا .

السبب الاول :

=====

## القيادة الراشدة

=====

اهمية القيادة واثرها في احراز النصر:

قيادة الجيش بمثابة الرأس للجسد في الانسان ، فاذا ذهب الرأس ذهب

كل شىء تقريبا .

وهكذا اذا تم السيطرة على القيادة بتوجيه ضربة قاضية لها ، فانه يتم للعدو والسيطرة على المعركة ، لان القيادة فيها غرفة العمليات التي من خلالها تتلقى المعلومات عن القوات والتحركات ، وعن قوات العدو وتجمعاته وتحركاته ، ومن خلالها يتم رسم الخطط وتوزيع المهمات القتالية على قطاعات الجيش ، ومن خلالها يتم التنسيق بين القطاعات العسكرية ، لذلك فان العدو ويحرص على الوصول الى القيادة لاختصار طريق النصر .

والقيادة المؤهلة لادارة المعركة ، والقادرة على استغلال طاقات المقاتلين وكسب ثقتهم لها اثرها في احراز النصر . بخلاف القيادة العاجزة والفاقة لثقة جنودها فانها تسبب الهزيمة .

والنصر بالنسبة للقائد يكون منوطا بكفايته، واهليته، ومدى ثقبه . لذلك فقد اهتمت الدراسات العسكرية - قديما وحديثا - بابرار الصفات التي ينبغي ان يتحلى بها القادة .

قال صاحب مستند الاجناد ( ينبغي ان يكون الامير المقدم على طائفة من الجند شجاع النفس ، ثابت الجأش ، صارم القلب ، ثبت الجنان ، ذا بسالة ونخوة واقدام ، وجرأة ، قد توسط الحروب ، ومارس الرجال وقارع الابطال ، ونال الاقران ، عارفا بترتيب المصاف ومظان الكمناء ، ومواطن الحذر ، فان انتخاب الامير من اهم الامور . ( ١ )

( ١ ) مستند الاجناد في آلات الجهاد ، ومختصر في فضل الجهاد / لابن جماعة الحموي / تحقيق اسامة النقشبندي ص ١١٣ / دار الحرية للطباعة ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ١٩٨٣ م .

( ١ )

وأهتتمت الدراسات العسكرية الحديثة الشرقية والغربية بتحديد صفات القائد .  
يقول القائد الانجليزي مونتجمرى : ( فالقادة من جميع الرتب يجب ان يكونوا اهلا  
للقيادة . يجب ان تكون لديهم روح المبادرة ، ويتحلوا بالصلافة وبالاخلاق والطاقات  
التي توحى الى مروءة وسيهم بالثقة . ولكن يجب ان تكون لديهم قبل كل شىء الشجاعة  
المعنوية اى ذلك العزم وذلك التصميم اللذان يجعلانهم قادرين على الاستمرار  
فى رباطة جأشهم حين تكون نتيجة القتال غير اكيده ) .

( ٢ )

- 
- ( ١ ) للاطلاع، انظر: اصول الادارة/ د . محمود عساف ( ٢٦٤ - ٢٦٦ ) طبع بمصر ١٩٨٢ م  
( ٢ ) مذكرات مونتجمرى / ترجمة / اليعلبكي ص ٨٦ دار القلم، بيروت .  
الطبعة الثانية .

واعتمدت الدراسات العسكرية الحديثة في تحديد صفات القائد

المثالي على دراسة تاريخ عدد من القادة العسكريين الذين حققوا

انتصارات باهرة لشعوبهم .

وقد استخلص اللواء الركن / محمود شيت خطاب من تلك الدراسات مجمل

صفات القائد المثالي حيث يقول : ( ان الصفات المثالية للقائد اذن هي :

( ١ ) القابلية على اعطاء القرار السريع الصحيح ( ٢ ) الارادة القوية الثابتة

( ٣ ) تحمل المسؤولية بلا تردد ( ٤ ) معرفة مبادئ الحرب ( ٥ ) نفسية لا تتبدل

في حالتى النصر والاندحار ( ٦ ) سبق النظر ( ٧ ) معرفة نفسيات مروءة وسيه

وقابليتهم ( ٨ ) ثقة قطعته به وثقته بقطعته ( ٩ ) المحبة المتبادلة بينه وبين

قواته ( ١٠ ) شخصية قوية نافذه ( ١١ ) قابلية بدنية ( ١٢ ) ما ض ناصع مجيد ( ١ )

والجدير بالذكر ان مجموع هذه الصفات لم يتحقق في قائد واحد<sup>بل</sup> هي

مأخوذه من مجموعة قادة كل واحد منهم برز في بعضها، وليس كلها .

ولاشك في ان النبي صلى الله عليه وسلم - وهو مثال القيادة الراشدة

لدى المسلمين - قد اتصف بكل هذه الصفات واكثر منها الى درجة لا يصل

اليها قائد من البشر العاديين .

( ١ ) انظر الرسول القائد ( ٢٣٤ ) ، وانظر تطبيق هذه الصفات على قيادة النبي

( ٤٣٥ - ٤٦٠ ) من نفس المرجع . وانظر ايضا اقتباس النظام

العسكرى ( ١٢٦ - ١٣٣ ) .

ففي القيادة النبوية نموذج القيادة الراشدة التي ينبغي ان يهتدى  
 بها القائد المسلم . والرسول صلى الله عليه وسلم قاد ثمانيا وعشرين  
 (١)  
 غزوة بنفسه في سبع سنوات فقط ، لان اول غزوة قادها بنفسه هي غزوة (ودان )

(١) وقع عند البخارى في اول غزوة العشيرة في كتاب المغازى / (٢/٣) ،  
 وفي صحيح مسلم / كتاب الجهاد باب عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم  
 (١٤٤٧/٣) باسنادهما عن ابي اسحاق قال : (كنت الى جنب زيد  
 ابن ارقم ، فقبل له : كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة ؟  
 قال تسع عشرة . قال : كم غزوت انت معه ؟ قال سبع عشرة .  
 قلت فايهم كانت اول ؟ قال : العشير . او العشيرة . فذكرت لقتادة  
 فقال : (العشيرة) اللفظ للبخارى . ووقع عند مسلم في نفس الباب  
 (١٤٤٨/٣) من حديث جابر انها احدى وعشرون غزوة . قال ابن  
 حجر : ( فعلى هذا ففات زيد بن ارقم ذكر اثنتين منهما ولعلمهما  
 الابواء وبواط ، وكان ذلك خفى عليه لصغره . . او عد الغزوتين غزوة ) .  
 فتح البارى (٢٨١/٧) . وحمل النووى حديث زيد بن ارقم على معنى  
 ان منها تسع عشرة غزوة ، مستدلا بحديث جابر ، مؤيدا ذلك بما ورد  
 فى السيرة عند ابن سعد وابن اسحاق من انها سبع وعشرون غزوة .  
 انظر شرح النووى على صحيح مسلم (١٩٥/١٢ ، ١٩٦) . ويؤيد ذلك  
 ما نقله ابن حجر عن عبد الرزاق باسناده عن سعيد بن المسيب قال :  
 ( غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعا وعشرين ) وصح ابن حجر  
 اسناده انظر فتح البارى (٢٨١/٧) . ولعل سبب اختلاف العدد هو  
 تداخل بعض الغزوات ببعض كعد قريظة والخندق غزوة واحدة او حنين  
 والطائف او ان كل عدد هو باعتبار ماغزاه كل واحد منهم مع النبي  
 صلى الله عليه وسلم ، وليس عدد غزوات النبي كلها . واغفل ابن اسحاق  
 غزوة بنى قينقاع من اليهود حيث نقضوا العهد فسار اليهم الرسول  
 صلى الله عليه وسلم وحاصرهم حتى نزلوا على حكمه بأن يجلووا عن  
 المدينة . وبهذا يصبح عدد الغزوات التي قادها النبي ثمانيا وعشرين  
 غزوة . انظر الدرر فى اختصار المغازى (١٥٠ ، ١٥١) والرسول  
 القائد (٤٣١) .



( ١ )  
 فى صفر من السنة الثانية للهجرة ، وآخر غزوة قادها هى غزوة تبوك وهى  
 فى شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة . ( ٢ )

وقاتل المسلمون بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم المشركين او اليهود  
 فى تسع غزوات منها ، وهى : بدر، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق  
 وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، ( ٣ ) وفر المشركون فى تسع عشرة غزوة

- ( ١ ) انظر سيرة ابن هشام ( ١ ، ٢ / ١٧٠-١٧١ ) قال البخارى فى صحيحه : قال ابن اسحاق : ( اول ما غزا النبى صلى الله عليه وسلم الالبواء ، ثم بواط ثم العشيرة ) . كتاب المغازى / غزوة العشيرة ( ٣ / ٢ ) وظاهر هذا الخلاف مع ما ذكره ابن هشام عن ابن اسحاق فى سيرته من ان اول غزوة غزاها هى ( ودان ) . واجاب ابن حجر بما يدفع توهم الاختلاف فقال : ( وليس بين ما وقع فى السيرة وبين ما نقله البخارى عن ابن اسحاق اختلاف لان " الالبواء " و " ودان " مكانان متقاربان بينهما ستة اميال او ثمانية ولهذا وقع فى حديث الصعب بن جثامة " وهو بالالبواء او بودان " كما تقدم فى كتاب الحج ) واحتج ابن حجر لذلك بادلة كثيرة . انظر فتح البارى ( ٧ / ٢٧٩ ) .
- ويبدو من حديث البخارى المتقدم فى هامش رقم ( ١ ) خلاف آخر فى اول غزوة غزاها النبى صلى الله عليه وسلم ، فظاهر حديث البخارى ان اول غزوة هى العشيرة كما اجاب زيد بن ارقم وهو خلاف ما نقل اصحاب السير والمغازى من انها " ودان " . واجاب ابن التين عن ذلك بقوله : ( يحمل قول زيد بن ارقم على ان العشيرة اول ما غزا هو ، اى زيد بن ارقم والتقدير : فقلت ما اول غزوة غزاها اى وانت معه . قال : العشيرة ) . انظر فتح البارى ( ٧ / ٢٨١ ) .
- ( ٢ ) انظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى ( ٨ / ١١١ ) .
- ( ٣ ) انظر السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٦٠٩ ) .

منها بدون قتال . ومع ذلك لم يخفق الرسول صلى الله عليه وسلم  
 فى اية معركة خاضها المسلمون بقيادته ، حتى غزوة ( أحد )  
 لم تكن اندحارا للمسلمين من الناحية العسكرية (١) .  
 ولم يكن انتصار النبي صلى الله عليه وسلم فى غزواته بالخوارق  
 والمعجزات فحسب ، وإنما تجلت فيه مهارة القائد وحكمته وحنكته  
 العسكرية ، وشجاعته وصبره واحتماله ، وتطبيقه لمبادئ الحرب .  
 والصفات التى يجب ان يتحلى بها القائد تنقسم الى قسمين :

القسم الاول : ويخص صفات القائد من جهة اهليته وكفايته فى التخطيط  
 والتنظيم ، وادارة المعركة ، وما يلزم ذلك من اخلاق الشجاعة ، وقوة  
 الشخصية والصبر ، وسبق النظر ، والحكمة والتدبر ، والتوازن النفسى مع  
 تطبيق مبادئ الحرب المعروفة .

القسم الثانى : صفات القائد من جهة علاقته مع جنوده وضباطه  
 كمشاورتهم ورعايتهم والاهتمام بهم ، وتواضعه لهم ومشاركتهم اعباء الجهاد  
 دون ترفع عنها ، وما ينشأ عن ذلك من ثقتهم بقيادتهم ، ودفاعهم عنها .

---

( ١ ) الرسول القائد / اللواء الركن محمود شيت خطاب ( ٤٣١ ) .

وهذه الصفات وتلك لها اثرها الواضح كما سترى فى احراز النصر فى المعركة (١).  
ولان الاحاطة بالصفات القيادية وتطبيقاتها فى شخصية الرسول القائد يحتاج  
الى دراسة خاصة لسعته ، فسأمثل لبعض الصفات من القسمين من خلال شخصية  
الرسول القائد مع بيان اثرها فى المعركة .

وقصدى هنا التأكيد على اهمية القائد ، وعلى ان احرازه للنصر ينشأ من  
خلال كفايته واهليته ، ولذلك فان التمثيل لبعض الصفات يكفى فى التدليل  
لتقرير المقصود وتكون الاحاطة حينئذ مقصوداً آخر ليس من اهداف البحث .  
ولا يفوتنى التنويه الى ان كثيراً من معالم شخصية الرسول القيادية التى تمثل  
القيادة الراشدة تجدها فى كثير من مباحث هذه الرسالة .

---

( ١ ) ليس المراد من ذكر هذه الصفات هو الحصر ، بل هناك صفات اساسية  
ينبغي ان يتحلى بها كل مسلم ، والقائد المسلم على وجه الخصوص وذلك  
كالتقوى ومراقبة الله ، والمعرفة بدينه واحكام شريعته وخاصة احكام الجهاد ،  
وان يكون جهاده فى سبيل الله ، وان يلتزم ويلزم جنوده بأداب الجهاد  
فى الاسلام من عدم الغلول والنهب والغدر والتمثيل الى غير ذلك من  
الاداب والصفات .  
اخرج الامام مسلم - واللفظ له - والترمذى وابن ماجه وابوداود عن بريدة  
انه قال : ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر اميراً على جيش  
او سرية اوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم  
قال : ( اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا  
ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم  
الى ثلاث خصال . . الحديث ) سبق تخريجه فى بواعث الجهاد ص (٧٢) ،  
هامش رقم ( ١ ) .

وان لهذه الصفات الاهمية القصوى فى احراز النصر . ولم اتعرض لها هنا  
لانها هى مدار البحث فى الباب الثانى حيث ان من جملة اسباب النصر  
المعنوية : الايمان والعقيدة البناءة ، والتقوى ، والتوكل . . . وهذه  
الاسباب ينبغي ان يلتزم بها القادة قبل الافراد ، بل ويكونوا قدوة لهم  
فى ذلك .  
وما حوج قادتنا اليوم الذين يقودون جهوشنا لان يلتزموا بهذه الاخلاق لان  
فيها نصرهم وفلاحهم وخلصهم مما اصابهم من هزائم وتكبات . . . . .

أمثله للقسم الأول من صفات القائد :-

( ١ ) الشجاعة :

إذا كانت الشجاعة ضرورية للمقاتلين فإنها أشد ضرورة للقائد ، إذ هو قد وتهم ومحط أنظارهم ، وتبعته اضعاف تبعاتهم ، لذا ينبغي أن يتميز بالجرأة والشجاعة الفائقة ليواجه المواقف الصعبة والحاسمة في المعركة ببسالة . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالا في الشجاعة ، يحتمى به الصحابة ساعة الشدة لجرأته وشجاعته في القتال . أخرج الامام مسلم بسنده عن البراء قال : ( كنا والله اذا احمر البأس نتقى به ، وان الشجاع منا للذي يحاذى به يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ) . ( ١ )

وبرزت شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم في كل موطن من مواطن القتال ، ونذكر موقفه في حنين مثالا على ذلك .

( ٢ )  
أخرج الامام مسلم عن كثير بن عباس بن عبدالمطلب قال ، قال عباس :  
( شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان ابن الحارث بن عبدالمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ، ورسول الله على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولي المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله يركض بغلته قبل الكفار . قال عباس : وانا آخذ بلجام بغلة رسول الله اكفها ارادة ان لاتسرع ، وابوسفیان آخذ بركاب رسول الله ، فقال رسول الله : اي عباس ، ناد اصحاب السمرة ، ( ٣ )

( ١ ) اخرجه مسلم في الجهاد والسير / غزوة حنين ( ٣ / ١٤٠١ ) .

( ٢ ) المصدر السابق نفس الكتاب والباب ( ٣ / ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ) .

( ٣ ) السمرة : هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان . ومعناه ناد اهل بيعة الرضوان يوم الحديبية . انظر شرح النووى على صحيح مسلم ( ١٢ / ١١٥ ) .

قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها ، فقالوا:  
ياالبيك ، ياالبيك ، قال : فاقتتلوا والكفار ، والدعوة في الانصار يقولون  
يامعشر الانصار يامعشر الانصار ، قال ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن  
الخرزج ، فقالوا : يا بنى الحارث بن الخرزج ، يا بنى الحارث بن الخرزج ،  
فنظر رسول الله وهو على بغلته كالمطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله  
هذا حين حمى الوطيس ، قال ثم اخذ رسول الله حصيات فرمى بهن  
وجوه الكفار ، ثم قال : انهزموا ورب محمد . قال فذهبت انظر فاذا  
القتال على هيئته فيما ارى ، قال فوالله ما هو الا أن رماهم بحصياته فما  
زلت ارى حدهم قليلا <sup>(١)</sup> وامرهم مدبرا .

قال النووي: قال العلماء : ( ركوبه عليه الصلاة والسلام البغلة فى  
موطن الحرب وعند اشتداد الناس هو النهاية فى الشجاعة والثبات ، ولانه  
ايضا يكون معتمدا ( قدوة ) يرجع المسلمون اليه وتطمئن قلوبهم به وبمكانه ،  
وانما فعل هذا عمدا والا فقد كانت له صلى الله عليه وسلم افراس معروفة ،  
ومما ذكره فى هذا الحديث من شجاعته عليه الصلاة والسلام تقدمه يركض  
بغلته الى جمع المشركين وقد فر الناس عنه ، وفى الرواية الاخرى ( عند  
مسلم كذلك ) انه نزل الى الارض حين غشوه وهذه مبالغة فى الثبات والشجاعة  
والصبر ) . <sup>(٢)</sup>

(١) حدهم قليلا : هو بفتح الحاء المهملة ، اى ما زلت ارى قوتهم ضعيفة المصدر

السابق ( ١١٧ / ١٢ ) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ( ١١٤ / ١٢ ، ١١٥ ) .

ولولا ما كان من شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم يومها وثباته في المعركة لما تمكن المسلمون من النصر، بل وان شجاعته وثباته قفزت بالمسلمين من الهزيمة الى النصر، فقد عاد المسلمون الى قائدهم بعدما رأوا من شجاعته وثباته واقتدوا به حتى نصرهم الله .

وبرزت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم القيادية في حنين، فها هو يقف في مقدمة قواته يقاتل معهم، وها هو يدير المعركة ويأمر العباس بعد أن تراجع المسلمون لينادي بهم ويستنفرك ايمانهم وعزيمتهم، لتجميعهم ثم الانطلاق بهم لخوض المعركة مرة اخرى. وكان له ذلك حتى حقق النصر بفضل شجاعته وثباته، وحكمته وحسن تصرفه في المعركة، وتوكله على الله. ولولا ذلك لما انتصر. والامثلة على شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم <sup>وما كان لها</sup> من عظيم الاثر كثيرة في سيرته، كما في غزوتي الاحزاب وأحد، وغيرهما .

## ( ٢ ) التوازن النفسى :

ينبغي ان تكون نفسية القائد هادئة ومترنة، تستطيع ان تتخذ القرارات المناسبة دون ان يملها عليه العدو ومن خلال التأثير على نفسيته بأحداث تخل من اتزانه. وينبغي على القائد ان يسيطر على اعصابه سواء في حالة النصر او الهزيمة، ولا يغتر بسبب النصر، او ييأس للهزيمة. وللاتزان اثره في سلامة سير المعركة مما يعنى تأثيره في نتيجة المعركة .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيادته العسكرية في قمة التوازن النفسى كما رأيت في غزوة حنين، اذ لما انهزم عنه المسلمون يومها تملك اعصابه في موقف يكاد يطير بالعقل، واتخذ قراره السليم حينها باعادة تجميع القوات ثم الانطلاق ثانية نحو الهدف، ولم يتأثر بما طرأ على قواته في البداية، ولم يوتر ذلك في سلوكه وقراراته العسكرية، بل كانت في غاية

الحكمة والسداد والتوفيق بما يدل على التوازن النفسى . وواضح اثر ذلك فى نتيجة المعركة من انتصار المسلمين بعد ان كادوا يفقدونه .

ويوم احد كان يوما عصيبا بالمسلمين عامة ورسول الله خاصة ، اذ انهزم المسلمون بعد ان نزل الرماة عن الجبل وتمكن منه المشركون بقيادة خالد ابن الوليد ، وانكشف المسلمون حتى خلس السعد و الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى نفر قليل من صحابته ، ( وكسرت ربايعيته وجرح وجهه

وكسرت البيضة على رأسه ) <sup>(١)</sup> رغم هذا فانه لم يستكن بل كان يقاتل حتى رمى

أبي بن خلف بالحربة فاصابه ( وتقلب عدو الله عن فرسه فجعل يتدحرج ) <sup>(٢)</sup>

وكان يحرض من لزمه من الصحابة على القتال فيقول لسعد : ( ارم فداك ابي وامى ) <sup>(٣)</sup>

واستطاع الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ان يتخطى المرحلة الحرجية

فى المعركة دون ان تتأثر نفسيته وسلوكه العسكرى ، ولم يؤثر ذلك فى قراره

العسكرى ، بل كان على سبيل المثال - قراره بملاحقة المشركين الى حمراء الاسد

فى غاية الحكمة والسداد ، وذلك انه لما بلغه ارادة المشركين العودة لقتال

المسلمين أمر <sup>(٤)</sup> بخروج من قاتل <sup>من</sup> المسلمين فى احد فى طلب العدو وفخرجوا

حتى وصلوا الى حمراء الاسد <sup>(٥)</sup> ، ولما علم المشركون بقدم المسلمين رجعوا

عن رأيهم واسرعوا فى مسيرهم الى مكة خوفا من لقاء المسلمين <sup>(٦)</sup> .

( ٢ ) انظر السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٨٤ ) .

( ١ ) بعض حديث اخرجه البخارى فى المغازى / غزوة احد واللفظ له ( ٣ / ٢٦ ) .  
واخرجه مسلم فى الجهاد / باب غزوة احد ( ٣ / ١٤١٦ ) كلاهما عن سهل

ابن سعد

( ٣ ) اخرجه البخارى واللفظ - له فى المغازى / غزوة احد / باب اذ همت طائفتان منكم ان تغشلا . ( ٣ / ٢٢ ، ٢٣ ) واخرجه مسلم فى فضائل الصحابة باب فى فضل سعد بن ابي وقاص ( ٤ / ١٨٧٦ ) كلاهما عن ابي طالب .

( ٤ ) انظر السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ١٠٣ ) .

( ٥ ) انظر المصدر السابق ( ٣ ، ٤ / ١٠١ ) وانظر صحيح البخارى كتاب المغازى

باب الذين استجابوا لله والرسول ( ٣ / ٢٦ ) حديث السيدة عائشة .

( ٦ ) انظر السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ١٠٥ ) .

ولقد كان لهذا القرار آثاره الرائعة سواء على نفسية المسلمين او الكفار، اذ رفع من معنويات المسلمين ، واعاد للمقاتلين منهم الثقة فى انفسهم ، واعاد لباقي المسلمين الثقة فى مقاتليهم وازال عنهم ما قد يسمى بآثار الهزيمة . فى حين افقد المشركين نشوة النصر الذى ظنوا انهم حققوه وافقدتهم الثقة فى قدرتهم على مواجهة المسلمين ، والا لما رجعوا عن رأيهم، واخرس المنافقين واليهود . وهذا يدل على حكمة وسداد موقف النبى صلى الله عليه وسلم من ملاحقة المشركين الى حمراء الاسد ، مما يدل على كمال التوازن النفسى لدى الرسول القائد ، اذ لم يتأثر قراره ولم يتبدل موقفه العسكرى عما ينبغى ان يكون عليه بسبب ما حدث للمسلمين فى أحد .

يقول اللواء الركن / محمود شيت خطاب : ( واشهد اننى لم اقرأ فى تاريخ الحرب لكل الامم موقفا صعبا يائسا كالذى كان فيه المسلمون يوم أحد ، فاستطاع الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام بقيادته الفذة ان يتخلص من هذا الموقف العصيب ، وينقذ قواته من فناء اكيد ، ثم يعيد اليها ثقتها بنفسها ويعيد اليها قوتها المادية والمعنوية بشكل لم يسبق له نظير ، وخلال فترة زمنية محدودة جدا ) . ( ١ )

وفى غزوة الاحزاب تبين بجلاء التوازن النفسى والهدوء والاستقرار فى شخصية الرسول القائد رغم صعوبة الموقف ، فقد كان التحدى عنيفا يوما ، اذ اجتمعت الاحزاب جميعها : قريش ، وغطفان ، وبنو فزارة ، وبنو مرة ، وناس من اشجع ، ونقض يهود بنى قريظة عهدهم مع رسول الله ، وانحازوا مع الاحزاب ، وانخذل المنافقون عن المسلمين معتذرين بأن بيوتهم عورة ، وماهى بعورة وانما رغبوا فى الفرار ، وبقي الحصار قريبا من شهر . ( ٢ )

( ١ ) الرسول القائد / محمود شيت خطاب ( ١٩١ ) .  
 ( ٢ ) انظر السيرة لابن هشام / ( ٣ ، ٤ / ٢١٥ ، ٢١٦ ) . والدرر فى اختصار المغازى والسيرة لابن عبد البر ( ١٩٠ - ١٩٥ ) .



وصور القرآن الموقف يومها في قوله تعالى : ( يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا \* اذ جاءكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا \* هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا \* واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ) (١) . ولا شك بانها صورة مذهلة ، تكاد تذهب بالعقول لهولها ، حتى ان الله سبحانه وصفها بالزلزال الشديد ، لشدة ما واجهه المسلمون يومها . كل هذا لم يفت في عضد الرسول القائد ، ولم يخرج عن طور الهدوء والحكمة ولم يدفعه الى اليأس ، ولم يثن عزمه ، وانما زاده <sup>تصميماً</sup> على قتالهم في عقر دارهم فقال عليه الصلاة والسلام ( الان نغزوهم ولا يغزونا ، نحن نسير اليهم ) (٢) .

### ( ٣ ) معرفة القائد بجنوده :

ان القائد الناجح هو الذى يكون عارفا بجنوده ومقاتليه وقواده ، يختار منهم الرجل المناسب ليضعه في المعركة المناسبة ، فيقاتل نوع قتال يناسب رغبتهم ومهارته . يقول القائد الانجليزى مونتجمرى : ( ومن المهم ان يدرك القائد ان جميع الرجال مختلفون . . . بعض الجنود يفضلون القتال نهارا ، وبعضهم يوثرون القتال ليلا . بعضهم افضل في معركة متحركة سريعة ، وبعضهم ذو مزاج انسب للقتال في ميدان محدود . . . ، الامر عينه ينطبق على القادة . فجميعهم مختلفون . بعضهم مهياً للقتال المتحرك ، وبعضهم مهياً <sup>للقتال</sup> الثابت . والقادة هم ايضا يجب ان يتم اختيارهم حسب المهمة التى يكلفون بتأديتها ) (٣) ، وهذا يلزم منه معرفة القائد لجنوده وقواده وقدرات كل منهم ومواهبه العسكرية .

( ١ ) سورة الاحزاب ( ٩ - ١٢ ) .  
( ٢ ) اخرج في البخارى في المغازى / غزوة الخندق ( ٣ / ٣٣ ) من حديث سليمان ابن

سرد .

( ٣ ) مذكرات منتجمرى ( ٨٤ ، ٨٥ ) ترجمة ن . البعلبكي / دار القلم - بيروت

الطبعة الثانية ١٩٧١ م .

والرسول صلى الله عليه وسلم كان عارفاً بجنوده ومقاتليه ، حريصاً على تكليف كل منهم بالمهمة التي في استطاعته .

ففي غزوة ( ذى قرد ) لما اغار خيل من غطفان على ابل لرسول الله قرب المدينة صرخ سلمة بن الاكوع في المسلمين ينبههم الى الخطر ، فتداعت الخيول ، وجاء ابو عياش على فرس له ، فقال له رسول الله : ( يا ابا عياش لو اعطيت هذا الفرس رجلاً هو افرس منك فلحق بالقوم ؟ قال ابو عياش : فقلت يا رسول الله انا افرس الناس ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني ، فعجبت ان رسول الله يقول : لو اعطيت افرس منك . وانا اقول : انا افرس الناس ) . ( ١ )

وفي غزوة احد اعطى الرسول صلى الله عليه وسلم السيف لابي دجانة ومنعه عن آخرين لان الرسول كان يعلم شدة ابي دجانة وقوته وبلاؤه في المعركة بما يميزه عن منع عنهم السيف ، وهو من تمام معرفة القائد برجاله .

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - واحمد عن انس : ( ٢ ) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ سيفاً يوم احد فقال : من يأخذ مني هذا السيف ؟ فبسطوا ايديهم كل انسان منهم يقول : انا ، انا ، قال فمن ياخذ به حقه ؟ قال فاحجم القوم ، فقال سمك ابن خرشة انا اخذه بحقه . قال فاخذه ففلق به هام المشركين ) . وكان ممن امسك عنهم الرسول سيفه الزبير مع ما عرف عنه من الشجاعة ، فوجد في نفسه اولاً ثم عرف ان ابادجانة اخذها بحقها حقاً .

قال ابن هشام : حدثني غير واحد من اهل العلم ، ان الزبير بن العوام قال : ( ٣ ) وجدت في نفسي حين سألت رسول الله السيف فمنعني واعطاه ابادجانة وقلت انا ابن صفية عمته ، ومن قريش ، وقد قمت اليه فسألته اياه قبله ، فاعطاه اياه وتركني ، والله لانظرن ما يصنع ، فاتبعته ، فاخرج عصاة له حمراء ، فعصب بها رأسه فقالت الا - نصار : اخرج ابودجانة عصاة الموت .

( ١ ) السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٢٨٢ ) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : ( ٦ / ١٠٤٤ ) : رواه الطبراني وفيه موسى بن محمد بن ابراهيم التميمي وهو ضعيف . ( ٢ ) اخرجه مسلم في فضائل ابي دجانة ( ٤ / ٧ / ١٩١ ) واحمد في المسند ( ٣ / ١٢٣ ) .

( ٣ ) السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٦٨ ، ٦٩ ) . وردت القصة مختصرة عند الحاكم والبيزار . انظر المستدرک ( ٣ / ٢٣٠ ، ٢٣١ ) قال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وانظر كشف الاستار عن زوائد البيزار ( ٢ / ٣٢٢ ، ٣٢٣ ) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٦ / ١٠٩ ) رواه البيزار ورجاله ثقات .

وهكذا كانت تقول له اذا تعصب بها فخرج وهو يقول :

انا الذى عاهدنى خليلي \* ونحن بالسفح لى النخيل

الا اقوم الدهر فى الكيول<sup>(١)</sup> \* اضرب بسيف الله والرسول

قال ابن اسحاق : فجعل لا يلقي احدا الا قتله . وكان فى المشركين رجلا

لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه .

فدعوت الله ان يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك اباد جانة

فاتقاه بدرقته ، فعضت بسيفه ، وضربه ابو دجانة فقتله . ثم رأيت قد حمل السيف

على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها ( اكراما لسيف رسول الله

من ان تضرب به امرأة ) قال الزبير ، فقلت : الله ورسوله اعلم .

قال الزبير رضى الله عنه ( الله ورسوله اعلم ) لما رأى من شدة بلاء

ابى دجانة فى المعركة فأيقن حقا ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما قدمه عليه

الا لزيادة فضله وشدة بلاءه فى القتال . وهذا يبين دقة معرفة الرسول

صلى الله عليه وسلم بجنوده وقواده ، حتى انه ليكون اعرف لنفوسهم منهم انفسهم .

والرسول القائد عليه الصلاة والسلام قال فى ابى طلحة :<sup>(٢)</sup> لصوت ابى

طلحة اشهد على المشركين من فئة ) وذلك لما عرف من شدة بلاء ابى طلحة

وشجاعته فى المعركة ) .  
هذا

ويظهر فى غزوة " احد " حيث ثبت ابو طلحة مع رسول الله ، ودافع عنه

( ١ ) الكيول : آخر الصفوف فى الحرب . وقيل الجبان . انظر غريب الحديث

لابن الاثير ( ٢١٩ / ٤ ) .

( ٢ ) اخرجه الامام احمد فى المسند من طريق حما دبن سلمة ( ٢٠٣ / ٣ ) واسناده

صحيح ، ورجاله ثقات . واخرجه الامام احمد ايضا ، ولكن من طريق على ابن

زيد بن جدعان ( ٣ / ١١١ ، ١١٢ ، ٢٤٩ ، ٢٦١ ) . والحاكم فى المستدرک

من هذا الطريق ( ٣ / ٣٥٣ ) . قلت : وهذا الاسناد ضعيف لضعف " على "

انظر التقريب لابن حجر ( ٢ / ٣٧ ) ، والتهديب ( ٧ / ٣٢٢ ) ، والميزان للذهبي

( ٣ / ١٢٧ ) .

دفاعا مستميتا حتى حماه من خطر المشركين ، ولم يكن مع رسول الله فى ذلك الوقت الا النفر القليل منهم ابو طلحة . فكان ابو طلحة ومن بقى معه يقومون مقام الجيش فى مواجهة المشركين وحماية رسول الله ، وتميز ابو طلحة يومها فى شدة دفاعه واستبساله فى القتال لدفع المشركين وحماية الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انه جعل من نفسه ترسا له ليقه سلاح الكفار .

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن انس بن مالك<sup>(١)</sup> . قال : ( لما كان يوم احد انهزم ناس من الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم . و ابو طلحة بين يدي النبى صلى الله عليه وسلم محبوب عليه بحجفة . قال : وكان ابو طلحة رجلا راميا شديدا النزع . وكسر يومئذ قوسين او ثلاثا . قال فكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل . فيقول . انثرها لابي طلحة . قال : ويشرف نبى الله ينظر الى القوم . فيقول ابو طلحة : يا نبى الله ، يا بى انت وامى لاتشرف ، لا يصبك سهم من سهام القوم . نحرى دون نحرى . . الحديث ) .

وكان اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لحذيفة يوم الاحزاب من اجل استطلاع اخبار المشركين دليل على كمال معرفة القائد بجنوده ومميزات كل منهم ، ذلك لان حذيفة كانت فيه مميزات رجل الاستخبار حيث كان يتمتع بالكتمان الشديد ، وسرعة البديهة ، مع الدقة والانضباط الشديدين اللذين تقتضيهما المهمة الاستخبارية .<sup>(٥)</sup>

- 
- ( ٢ ) محبوب عليه بحجفة : اى مترس عليه يقيه بها . والحجفة الترس ، ويقال لها ايضا جوبة . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٣١١ / ١ ، ٣٤٥ ) .
- ( ٣ ) شديد النزع : اى شديد الرمى بالسهم . والنزع فى الاصل : الجذب والقلع . يقال : نزع القوس اذا جذبها . انظر المصدر السابق ( ٤١ / ٥ ) .
- ( ٤ ) الجعبة : الكنانة التى تجعل فيها السهام . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٢٧٤ / ١ ) .
- ( ٥ ) انظر تفصيل ذلك كما ورد فى الحديث الذى يبين تنفيذ حذيفة للمهمة فى مبحث الاستخبار من موضوع الامن العسكرى ص ٤٢٦ .
- ( ١ ) سبق تخريجه صفحة ( ٣٥ ) ، هامش ( ١ ) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض مآلدى حسان من موهبة الشعر،  
(١)

لذا فقد استفاد منه فى شن حرب نفسية على المشركين فأمره بهجائهم.

ومن جملة معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم لجنوده ، معرفته لما يتمتع به بعضهم من صفات ومواهب قيادية . والمتتبع للقيادات التى كان يرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزواته وسراياه يجد ان هذه القيادات كانت تتمتع بالكفاءة التامة لقيادة السرايا والبعوث، ولخوض المعارك والحروب . وحسبهم الانتصارات التى شهد بها التاريخ لتشهد لهم بالكفاءة والتفوق فى مجال القيادة العسكرية . ويكفى ان اذكر باسماء بارزة من قادة الرسول مثل خالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وابى عبيدة بن الجراح وعلى بن ابى طالب واسامة بن زيد وغيرهم كثير، وبعض هؤلاء لا زالت خططهم وتحركاتهم واساليبهم العسكرية موضع دراسة وبحث وتدرىس حتى عند الغرب . والشاهد فى ذلك ان هؤلاء القادة هم الذين اختارهم رسول الله ليقودوا سراياه وبعوثه - وهم من هم فى الكفاءة القيادية - مما يبين معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم لهؤلاء القادة، <sup>ولما</sup> يتمتعون به من صفات قيادية .

---

(١) انظر تفصيل دور حسان فى هجاء المشركين والرد عليهم فى موضوع الحرب

النفسية ص (٢١٧ ، ٢١٨) .

فاختبار الرسول لهم يدل على كمال معرفته بهم .

واود ان اقف على نماذج من القيادات التي اختارها رسول الله

صلى الله عليه وسلم للاستئناس بها في بيان الكفاءة التي امثا زبها هؤلاء

القادة مما يساعد على تأكيد وتفصيل معرفة الرسول لهؤلاء القادة ولما

يتمتعون به من صفات قياديه ، مع العلم ايضا ان الرسول صلى الله عليه وسلم

ينزل عليه الوحي في شئون المسلمين العامة والخاصة . . بما يمكنه من المعرفة

بالناس التي لا يصل اليها الا من اوحى اليه من الانبياء والرسل .

في غزوة مؤتة اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من القادة

العسكريين المغاوير لقيادة جيش المسلمين ومحاربة الروم وهم : زيد بن حارثة ،

وجعفر بن ابى طالب ، وعبد الله بن رواحة .

اخرج البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : ( ١ ) امر رسول الله

صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال : ان قتل زيد فجعفر وان

قتل جعفر فعبد الله بن رواحة . قال عبد الله : كنت فيهم في تلك الغزوة

فالتمسنا جعفر بن ابى طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا ما في جسده بضعا

وتسعين من طعنه ورمية ) .

ان هؤلاء القادة الذين اختارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانوا اسودا في المعركة ، فها هو جعفر رضى الله عنه وجد مستشهدا وبه بضع

وتسعون من طعنة او رمية ، ( ليس منها شىء في دبره ) كما هو عند البخارى

في رواية اخرى ( ٢ ) ، وهذا يدل على انه انغمس في القوم والتحم معهم في القتال

واستشهد وهو مقبل على قتالهم .

( ١ ) اخرجه البخارى في المغازى / باب غزوة مؤتة من ارض الشام ( ٣ / ٥٨ )

( ٢ ) انظر المصدر السابق . نفس المواضع .

وقد نقل ابن هشام صورة للمعركة تلخص اوار البطولة والشجاعة التي قام بها هؤلاء القادة جاء فيها : تقدم زيد بن حارثة لم ترهبه جموع الروم فقاتل حتى استشهد ، واخذ الراية بعده جعفر فقاتل بها ، حتى اذا الحمه القتال اقتحم عن فرسه وعقرها ، وقاتل قتال الابطال . . . وقطعت يمينه التي تحمل اللواء فاخذه بشماله ، فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل ، وكان ينشد :

يا حبذا الجنة واقترابها      طيبةً وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها      كافرة بعيدة انسابها

على اذ لا قيتها ضرابها

فلما قتل جعفر اخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه فقاتل حتى استشهد وكان ينشد :

يا نفس الاتقتلى تموتى      هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد اعطيت      ان تفعلنى فعلهما هديت

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرًا

وتناول الراية من بعده ثابت بن أقرم ، فاصطلح المسلمون على أن يقودهم خالد بن الوليد ، فاستلم خالد الراية ، وأوهم العدو وبمجيء المدد للمسلمين ثم انسحب بالمسلمين انسحاباً منظماً .  
( ١ )

ان هؤلاء القادة قاتلوا قتال الأبطال فكانوا حقا خير قادة ، وان أحدا من القادة اليوم - من غير المسلمين - لا اظنهم يقاتلون قتالهم طوعا ورجبة وهم في مثل حالهم ، لان عدد جيشهم كان ثلاثة آلاف مجاهد ، في حين كان عدد الروم مائتى ألف مقاتل .  
( ٢ )  
( ٣ )

والقائد زيد بن حارثة كان من ولده اسامه ، وهو قائد كآبيه ، طعن البعض في كفايته كما طعنوا في كفاية أبيه ، فرد الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو العارف بجنوده وقواده - بما يشهد بكفائتهما للامارة والقيادة ، وكشف عن محبته لهما .  
أخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : ( ٤ ) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة على قوم فطعنوا في امارته ، فقال : ان تطعنوا في امارته فقد طعنتم في اماره أبيه من قبله ، وايم الله ، لقد كان خليقا للامارة ، وان كان من احب الناس الى ، وان هذا لمن احب الناس الى بعده ) .

وبلغت البعوث والسرايا التي قادها زيد بن حارثة سبع غزوات . قال ابن حجر ( وقد تتبع ما ذكره اهل المغازى من سرايا زيد بن حارثة فبلغت ( ٥ ) سبعاً )  
وذكر ابن حجر زمنها وجهتها .

- 
- ( ١ ) انظر السيرة لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٣٧٨ - ٣٨٠ ) باختصار وتصرف .  
( ٢ ) المصدر السابق ( ٣ ، ٤ / ٣٧٣ ) .  
( ٣ ) المصدر السابق ( ٣ ، ٤ / ٣٧٥ ) .  
( ٤ ) اخرج البخارى في المغازى / باب غزوة زيد بن حارثة ( ٣ / ٥٦ ) . با ب بعث النبي أسامة بن زيد في مرضه الذي توفي فيه ( ٣ / ٩٦ ) .  
( ٥ ) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ( ٧ / ٤٩٨ ) .



وأما أسامة فقد قاد عددا من السرايا والبعوث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرج البخارى بسنده عن يزيد بن ابى عبيد قال : ( ١ ) سمعت سلمة ابن الاكوع يقول : غزوت مع النبى سبع غزوات ، وخرجت فيما بعث من البعث تسع غزوات : مرة علينا ابوبكر ، ومرة علينا أسامة ) .

وهذا وذاك شهادة من الواقع للقائدين بكفائتهما واهليتهما للقيادة تضاف الى شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ، وهو ما يؤكد معرفة الرسول القائد بجنوده وقواده وكفاية كل منهم .

#### ( ٤ ) المعرفة بمبادئ الحرب :

على القائد ان يكون ملما بمبادئ الحرب المعروفة ، ليطبقها فى قتاله مع عدوه ، وينبغى ان يكون له رصيد وافر من التجربة القتالية لتمنحه الخبرة والمعرفة . ولذلك أثره الاكيد فى نتيجة المعركة نصرا وهزيمة .  
والرسول عليه الصلاة والسلام طبق المبادئ الحربية المعروفة فى زمنه و اضاف عليها مبادئ اخرى ما عرفت الا فى زمن قريب .  
لقد كان رآب الرسول القائد عليه الصلاة والسلام فى غزواته ارسال الطلائع والعيون ليجمع الاخبار عن عدد العدو وعدده وتحركاته ، والاخذ بمبادئ الحراسة والامن العسكرى والكتهان ، والتورية فى اتسجاه الغزوة حتى انه لم يخرج فى غزوة الا ورى فيها - الا غزوة تبوك لشدة المشقة فيها بسبب طول السفر ، وقلة الزاد ، وشدة الحرارة - وتنظيم القوات ، وتوزيع الألوية والرايات ، واتخاذ الشعار للمقاتلين يعرفون به اذا تكلموا . . الى غير ذلك من مبادئ الحرب ، مما كان له الاثر البالغ فى احراز الانتصارات فى تلك الغزوات .

( ١ ) اخرجه البخارى فى المغازى / باب بعث اسامة بن زيد الى الحرقات من جهة

وحسبى هنا أن اشير الى هذه المبادئ ، وانوه الى أن تفصيلها  
مع ايراد الامثلة التطبيقية سيرد في <sup>هذا</sup> الباب .

أمثلة للقسم الثانى من الصفات :  
=====

( ١ ) مشاورة القائد لاتباعه : مشاورة القائد لاتباعه تفيد القائد بالاطلاع

على اكبر عدد من الآراء والتجارب، وبذلك تساهم فى اثرء تجربة القائد ، وتساعده  
فى اتخاذ القرارات السليمة لاحراز النصر .

وتنعكس مشاورة القائد على الاتباع بالثقة فى قيادتهم فيحبونها رغبا وينفذون اوامرها  
بدقة مما يساهم فى احراز النصر .

والرسول صلى الله عليه وسلم كان يشاروا اصحابه ، ويقبل المشورة منهم ، ويلتزم  
نفسه بما تمخضت به الشورى . والامثلة كثيرة فى بدر وأحد والاحزاب وغيرها ،  
وحسبى هنا أن اشير الى ذلك فقط ، مكتفيا بما ذكرته فى موضوع الشورى ، <sup>(١)</sup> تجنبيا  
للتكرار .

( ٢ ) اهتمام القائد بالجنود : ان من واجب القائد ان ييرعى جنوده ، وأن

يسهر على سلامتهم . ولذلك اثره فى تنمية علاقة المحبة والعودة بين القادة  
والقيادة ، مما ينعكس بالتالى على سلوك الجنود ، ودرجة ضبطهم وسمعهم وطاعتهم  
لقيادتهم .

---

( ١ ) انظر ص ١٩٦-٢٠١ من هذه الرسالة .

والرسول القائد عليه الصلاة والسلام كان يرعى جنوده تماما ، فها هو  
فى بدر يسهر واصحابه نائمون - ليحرسهم ويؤم من سلامتهم ، ويعطيهم  
فرصة كافية للراحة والاستجمام استعدادا للمعركة التى يقبلون عليها فى  
صباحهم الباكر .

اخرج الامام احمد - واللفظ له - والبخاري عن على بن ابي طالب قال : (١) لقد  
رأيتنا يوم بدر وما معنا الا نائم الا رسول الله فانه كان يصلى الى شجرة ويدعو  
حتى اصبح . . ثم انه اصابنا من الليل طش من مطر ، فانطلقنا تحت الشجرة  
والحجف نستظل تحتها من المطر ، ويات رسول الله يدعوربه ويقول : ( اللهم  
انك ان تهلك هذه الفئة لاتعبد ) . فلما طلع الفجر نادى : ( الصلاة عباد  
الله ) فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله وحرص على  
القتال ) .

المطر والليل يخيم على الرسول القائد عليه الصلاة والسلام وعينه ساهرة  
حارسة للصحابة . يصلى ويدعوربه ان يحفظ دينه وجنوده من شر الاعداء .  
انه مثل رائع لمن يريد ان يتعلم هذا الخلق القويم من الرسول القائد عليه  
الصلاة والسلام .

( ٣ ) مشاركة القائد جنوده فى مهماتهم : عندما يجد المقاتلون قائدهم

بينهم ، يشاركونهم مهامهم العسكرية ، ويقف معهم ان اقتضى الامر فى الخطوط

( ١ ) اخرجه الامام احمد فى المسند ( ١١٧ / ١ ) . والبخاري . انظر كشف الاستار  
( ٣١١ / ٢ ) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ٧٦ / ٦ ) : رواه احمد  
والبخاري ، ورجال احمد رجال الصحيح غير حارث بن مضرب وهو وثقة .  
قلت : اسناد الامام احمد صحيح ، وهو كما قال الهيثمى .  
( ٢ ) الحجف : مفردا حجفة ، وهى الترس الذى يتقى به فى الحرب .  
انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٣٤٥ / ١ ) .

الامامية من الجبهة يندفع المقاتلون حينها لاداء واجباتهم بحماس ودقة  
وفعالية وبروح معنوية مرتفعة . وهذا له قيمته في المعركة<sup>(١)</sup>.

والرسول القائد عليه الصلاة والسلام كان يشارك الصحابة في الجهاد ،  
فها هو يوم الاحزاب يحفر الخندق مع الصحابة ، وينقل التراب مثلهم حتى  
وارى التراب بطنه ( عليه السلام ) .

( ٢ )  
اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - عن البراء قال : ( لما كان يوم  
الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأيتُه ينقل من تراب الخندق  
حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه - وكان كثير الشعر - فسمعتُه يرتجز  
بكلمات ابن رواحة وهو ينقل<sup>من</sup> التراب يقول :

|                         |                          |
|-------------------------|--------------------------|
| ولا تصدقنا ولا صلينا    | اللهم لولا أنت ما هتدينا |
| وثبت الاقدام ان لا قينا | فانزلن سكينه علينا       |
| وان ارادوا فتنه ابينا   | ان الاولى قد بغوا علينا  |

قال : ثم يمد صوته بأخرها ) .

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يحمل التراب فقط ، بل كان ينشد  
مع جنوده ليخفف عنهم من وعاء العمل والتعب . وكان يشاركهم الجوع كما  
يشاركهم العمل . وكان ملجأ لهم يرجعون اليه ليزيل الصعاب في العمل .  
أخرج البخارى بسنده عن جابر قال : ( ٣ ) أنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت

كدية شديدة ، فجاءوا النبي ، فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق . فقال  
انا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة ايام لاندوق ذواتها . فاخذ  
النبي المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل اهيم<sup>(٤)</sup> فقلت يا رسول الله : ائذن لى

- ( ١ ) انظر مذكرات مونتجمرى ( ٨٤ ) .  
( ٢ ) اخرجه البخارى في المغازى / باب غزوة الخندق ( ٣ / ٣٢ ) .  
ومسلم في الجهاد / باب غزوة الخندق ( ٣ / ١٤٣٠ ) .  
( ٣ ) اخرجه البخارى في المغازى / غزوة الخندق ( ٣ / ٣١ ) .  
( ٤ ) كثيبا اهيل اهيم : اى رملا سائلا . والرمال الهيم : هى التى لاتروى .  
انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٥ / ٢٨٩ ) .

الى البيت فقلت لا مرأتى : رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان فى ذلك  
ضير فعندك شىء . قالت : عندى شعير وعناق . فذبحت العناق ، وطحننتُ  
الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم  
والعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافى قد كادت ان تنضج ، فقلت : طعييم  
لى، فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان . قال كم هو ؟ فذكرت له قال : كثير  
طيب . قال : قل لها لاتنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى اتى . فقال : قوموا  
فقام المهاجرون والانصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحك ، جاء النبي صلى  
الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت نعم .  
فقال : ادخلوا ولا تضغطوا . فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة  
والتنور اذا اخذ منه ، ويقرب الى اصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى  
شبعوا ، وبقي بقية . قال : كلنى هذا واهدى ، فان الناس اصابتهم مجاعة .  
وكان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام يابى ان يميز عن اصحابه . ففى  
بدر كان مع المسلمين سبعون بغيرا يتعاقبون على ركوبها ، وكان الرسول صلى  
الله عليه وسلم وابولبابة وعلى بن ابى طالب يتعاقبون على بغير واحد <sup>(١)</sup> ، فأراد ان  
ان يوءثراه بالركوب فقال : ( ما أنتما باقوى منى ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما ) <sup>(٢)</sup> .  
رفض ان يميز عنهم رغم أنه قائد هم بل ورسولهم عليه الصلاة والسلام ،  
فما أعظمه من قائد ورسول .

هذه بعض صفات القيادة الراشدة نقتبسها من شخصية الرسول القائد  
عليه الصلاة والسلام ، الذى كان له الفضل فى إحراز إنتصارات مذهلة أخضع بها

( ١ ) انظر جوامع السيرة لابن حزم ( ٨٥ ) . وزاد المعاد لابن القيم ( ٢ / ٢١٧ ) .  
( ٢ ) اخرج الامام احمد فى المسند ( ٤١١ / ١ ، ٤١٨ ) واللفظ له . والحاكم  
فى المستدرک ( ٩١ / ٢ ، ٢٠ / ٣ ) وصححه . والبزار . انظر كشف الاستار  
( ٣١٠ / ٢ ) . كلهم يرويه من طريق عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش عن ابن مسعود .  
قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ٦ / ٩٦ ) : فيه عاصم بن بهدلة ، وحديثه  
حسن ، وبقية رجال احمد رجال الصحيح . قلت : الحديث حسن لاجل عاصم  
فهو صدوق . انظر التقريب ( ٣٨٣ / ١ ) وبقية رجال الامام احمد من رجال مسلم .  
وعاصم اخرج له الشيخان مقرونا .

جزيرة العرب للاسلام . وهكذا فان للقائد دوره الرئيسى فى احراز الانتصارات  
وتجنب الهزائم والنكبات من خلال ما يتمتع به من الصفات .  
ان القائد يؤثر على المعركة ، تأثيرا مباشرا وفعالا ، بل هو الذى يحرك  
المعركة ويقودها ، فاذا اتصف القائد بالكفاية والاهلية فان هذا ينعكس اثره  
المباشر على المعركة بشكل ايجابى يساهم فى احراز النصر ، واذا لم يكن  
اهلا للقيادة فان هذا سيؤثر على المعركة بشكل سلبى يؤدى الى الهزيمة .

## الاعداد والتعبئة العامة

=====

تمهيد

شرع الله سبحانه وتعالى اعداد القوة وسيلة لارهاب العدو وترويعه للظفر  
به في المعركة .

يقول سبحانه وتعالى : ( واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل  
ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا  
من شيء في سبيل الله يُوف اليكم وانتم لاتظلمون ) ( ١ ) .

الخطاب في الآية لعموم المؤمنين لما أن الأمر به من وظائف الكل ،  
وهو بصيغة الامر ( اعدوا ) ليفيد وجوب الاعداد وانه فريضة ملازمة للجهاد .  
والمراد بقوله ( لهم ) اى الكفار ، ومعنى قوله ( ما استطعتم ) اى استفراغ الجهد  
وبذل ما فى الوسع من اعداد القوة .

قال المفسرون فى معنى القوة هنا : كل ما يتقوى به فى الحرب كائنا

ما كان .

وقال ابن عباس : القوة هاهنا السلاح والقسى .

والرباط فى قوله ( ومن رباط الخيل ) اسم للخيل<sup>التي</sup> لتربط فى سبيل الله . وعطفها  
على القوة مع كونها من جملتها هو من باب عطف الخاص على العام ايذانا بفضلها  
على بقية افرادها . وكانت الخيل فى زمن نزول القرآن ، اى سلاح الفرسان  
بمثابة السلاح الضارب فى المعركة ، فامر الله باعدادها ، وخصه بالذكر ليرشد  
المؤمنين الى اعداد اعنى واشد وا قوى سلاح كل بحسب زمنه ، فاذا كان الصاروخ  
والقنبلة الذرية اقوى سلاح فالواجب على المسلمين اعداد ذلك وتحضيره اليوم .

ومعنى قوله ( ترهبون به عدو الله وعدوكم ) اى تخيفون اعداءكم وهم قريش ، ( وآخريين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ) هم اليهود والمنافقون بالمدينة والروم واهل فارس وسائر ملل الكفار مما لا يعلمون الى يوم القيامة . فقد جعل الله سبحانه اعداد القوة سبيلا لمنع عدوان العدو على المسلم وللظفر بهم فى المعركة . فالغاية من الاعداد اذا هى ارباب العدو للظفر به واحراز النصر عليه ساعة المعركة .

وهذا يدلنا على وجوب الاعداد فى السلم والحرب ، وان ذلك سبب للنصر والظفر .

وقوله سبحانه ( وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله . . ) حث على الانفاق لاعداد العتاد<sup>(١)</sup> والسلاح وما يلزم للانفاق العسكرى .

هذه الآية الكريمة اجملت امورا كثيرة ، فى الفاظ قليلة ويسيرة ، واذا

دقت النظر تدرك سعة وشمول ماتقتضيه تلك الالفاظ اليسيرة .

لفظة ( واعدوا ) تعنى الاعداد المادى بكل وسائله وانواعه والاسباب المغضية

اليه من زراعة وتجارة وصناعة وانشطة بشرية اخرى . ولفظة ( ما استطعتم ) تفيد

بذل غاية ما فى الوسع كما اشرت سابقا . ولفظ ( قوة ) نكرة ، والنكرة تعميم ،

مما يدل على ان المراد اعداد غاية ما فى الوسع من جميع انواع واسباب القوة .

يقول د / محمد محمود حجازى فى تفسيره : ( والآية الكريمة على

اختصارها جمعت انواع الاعداد للجيش التى تتلاءم مع كل عصر وزمن ( ما استطعتم )

من قوة ) . فالاعداد الادبى والادارى ، والفنى ، والمالى ، مع الحث على ذلك

كله بالشواذب الجزيل والعطاء الكثير كل ذلك فى الآية الشريفة ) .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) انظر المعانى السابقة فى التفاسير الآتية : القرطبى ( ٣٥ / ٨ - ٤٧ ) .

ابى السعود ( ٣٢ / ٤ ) . فتح القدير للشوكانى ( ٣٢٠ / ٢ - ٣٢١ )

النسفى ( ١١٠ / ٢ ) .

( ٢ ) المجلد الاول الجزء العاشر ص ١٣ دار الجيل . الطبعة السادسة

( ١٣٨٩ - ١٩٦٩ ) مطبعة الاستقلال الكبرى / القاهرة .



من هنا فان المسلمين مأمورون باعداد كل مافى وسعهم من وسائل القوة  
وتعبئة كل طاقات الامة وحشدتها وتهيئتها لحرب اجماعية ضد العدو . وهذا  
المبدأ فى الحرب هو من المبادئ التى ادركها اعداؤنا اخيرا لان الحروب  
الحديثة فرضت على اهلها تعبئة كل مافى وسعهم من اسباب القوة المعنوية  
والمادية . يقول لودندروف - وهو قائد عسكري : ( ان الحرب الحديثة لم تبق  
حرب جيوش وقوى عسكرية فقط ، وانما هى حرب جماعية تقوم على حرب الأمم  
ضد الامم ، ولهذا يجب ان تضع الامة كل قواها العقلية والادبية والمادية  
فى خدمة الحرب ، وان تكون هذه القوة مخصصة للحرب التالية ) (١)  
من هنا ندرك <sup>الامر</sup> سر باعداد مافى الوسع لكل انواع القوة .

ولا يريد ان افصل فى مبدأ الحرب الاجماعية ، واجمع لها من الشواهد ،

وانما جاء ذلك فى سياق ما افادته الآية التى بين يدي ، والذى اود بيانه هو  
ان الله سبحانه امر باعداد كل مافى الوسع مما يتقى به فى الحرب ، ولذا فساتناول  
بعض انواع القوى الواجب اعدادها للمعركة مع بيان اثرها فى احراز النصر وهى :-

اولا : اعداد المقاتلين الأكفاء .

ثانيا : اعداد السلاح والعتاد .

ثالثا : اعداد المال للانفاق العسكرى .

---

( ١ ) انظر الرسول القائد / اللواء الركن محمود شيت خطاب ( ٤٠٧ ) .

### اولا اعداد المقاتلين الأكفاء =====

المعركة عبارة عن مواجهة عسكرية بين جيشين من المقاتلين ، على رأس كل منهما قيادة ، ومن وراء كل منهما أمة، لتحقيق اهداف خاصة لكل منهما .  
والمقاتلون هم الذين يخوضون غمار المعركة ، وينفذون الخطط والتعليمات العسكرية، ويصمدون في وجه زحف العدو، ويواجهونه بزحف مضاد لإبادته وهزيمته في المعركة .  
ولا يمكن لمعركة عسكرية ان تكون بدون مقاتلين ، ولا يمكن ان تقاتل امة بدون جيش .

من هذه المقدمة البسيطة التي هي من بديهيات الحرب - نعلم أن الجنود هم ركن المعركة ، وهم اداة القتال ، وعدة النصر . وللجنود قيمتهم في احراز النصر بقدر قيمتهم في المعركة ، فاذا كانوا ركنا للمعركة فهم بلا شك من اركان النصر واسبابه المهمة .

ويتوقف مدى احراز النصر بهم على مدى كفايتهم - فضلا عن مدى استفادة القيادة من طاقاتهم وجهادهم - وذلك لان العبرة ليست بمجرد العدد ، وانما العبرة بما في نفوسهم من ايمان ، وما لديهم من كفاية وتدريب على القتال .  
وعلى ضوء ما تقدم أُبينُ المراد باعداد المقاتلين الاكفاء كما يأتي :

اولا : الاعداد الكمي : اي استنفار وجمع وتعبئة المجاهدين من اجل المعركة . وهو ما اهتم به القرآن الكريم ، ودعت اليه السنة المطهرة . وقد مر معنا في موضوع ( فضل الجهاد ) جملة من توجيهات الكتاب والسنة التي تحث المسلمين على الجهاد وترغبهم فيه ، من خلال بيان ما عده الله للمجاهدين والشهداء من عظيم الاجر والثواب . وهذا يساهم في استنفار اكبر عدد من المؤمنين للمعركة عن ايمان واقتناع .

ويحسن في هذا المقام التذكير بقوله سبحانه وتعالى : ( انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ) ( ١ )  
امر الله تبارك وتعالى المؤمنين بالنفير لقتال اعدائهم على أي حال كانوا ( خفافا وثقالا ) ، وذكر المفسرون في معناهما عشرة اقوال متقاربة ، اذكر منها ( ٢ )  
قولهم : ( ١ ) شبانا وشيبا ، ( ٢ ) في اليسر والعسر ، ( ٣ ) في الفراغ والشغل ( ٤ ) مع الكسل والنشاط ، ( ٥ ) رجالا وركبانا .

والامر بالخروج للقتال على كل حال هو بمثابة الاستنفار العام للجهاد .  
من هذا التوجيه الرباني ندرك ضرورة الاعداد البشرية للمعركة باستنفار جميع المؤمنين القادرين على القتال لكي يكونوا جنودا في المعركة .

( ٣ )  
ويختلف مستوى النفير باعتبار فرضية الجهاد ، كما اسلفت في موضوع حكم الجهاد :

اولا : النفير العام : وذلك في حال ما اذا غزى بلد من بلاد المسلمين فان الجهاد يكون فرض عين على كل مسلم ومسلمة في هذا البلد وفرض كفاية على سائر المسلمين ، فان لم يكف أهل تلك البلد فانه يكون فرض عين على من يليهم من بلاد المسلمين ، فان لم يكفوا فهو فرض عين على المسلمين في جميع الاقطار والبلدان .

ثانيا : النفير الخاص : وذلك في حال ما اذا كان الجهاد لحماية نشر الدعوة ، خارج بلاد المسلمين ، حيث يكون الجهاد فرض كفاية يسقط عن عامة المسلمين اذا قام به من يكفى منهم .

من هذا يتبين ان كل مسلم جندي في الجيش الاسلامي ، وان المجتمع الاسلامي يكون بأسره في الجيش الاسلامي - اذا دعت الضرورة - ، كما ان كل مسلم

( ١ ) التوبة ( ٤١ ) .  
( ٢ ) انظر احكام القرآن لابن العربي ( ٢ / ٩٥٤ ) . وفتح القدير للشوكاني ( ٢ / ٣٦٢ ، ٣٦٣ ) .  
( ٣ ) انظر صفحـة ( ٢٢ ) من هذا البحث .

يكون مهياً للجنديّة ، جاهزاً للقتال ، مستعداً له إذا امره الامام ، او اذا لم تحصل الكفاية من المقاتلين .

بهذا فانك لاتجد مبدأ في الارض يستنفر معتنقيه للقتال كاستنفار الاسلام للمؤمنين ، مع التأكيد هنا على ان صفة استنفار الاسلام للمؤمنين لاتظاهيها صفة اخرى للاستنفار ، وذلك لان الامر بالنفير والخروج للجهاد في اصله امر رباني وليس بشريا ، لان الله سبحانه هو الذي شرعه بالكتاب والسنة ، كما انه يحمل صفة الحكم الشرعي الذي لا يمكن التهرب منه باعذار غير مبيحة لانه ان لم يحاسب قضاء فسيحاسب ديانة ، ومن ثم فان الوازع للفعل والمانع من الترك ليس له مثيل ، حيث ان الحكم الوضعي حكم دنيوي من سلطة دنيوية يمكن التحايل عليها . كما أن الثواب والجزاء المترتب على الامر هو امر خاص بشريعة الله ودينه .

لذلك فان المسلم يلبي داعي النفير برضى وعن طيب خاطر رغبة فيما عند الله .

وسياتى\* أن المهاجرين والانصار خرجوا جميعاً في غزوة الفتح ولم يتخلف منهم احد ، (١) وفي غزوة تبوك استنفر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين فنفر معه ثلاثون الفا ، (٢) ولما لم يجد بعض المسلمين وسيلة تحملهم الى المعركة حزنوا حزناً شديداً على عدم تمكنهم من الخروج مع المسلمين ، ونزل فيهم قوله سبحانه وتعالى : ( ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم\* ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزناً الا يجدوا ما ينفقون ) . (٣)

(١) انظر صفحة ( ٣٩٩ ) من هذه الرسالة .  
 (٢) انظر المغازي ( ٩٩٦ / ٣ ) تأليف محمد بن عمر بن واقد ( الواقدي ) عالم الكتبيروت  
 (٣) التوبة ( ٩١ ، ٩٢ ) .

\* انظر موضوع التخطيط والتنظيم / مفعلة ٣٩٨ من هذه الرسالة .

فقد نقل لنا القرآن حزنهم الذى بلغ بهم حد البكاء ، بل وفيضان الدموع

تحرقا ولهفة للجهاد فى سبيل الله وحزنا على عدم توفر مايركبون عليه .

ولم يتخلف من المسلمين الصادقين فى هذه الغزوة سوى ثلاثة نفر

هم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع العمرى ، وهلال بن امية الواقفى . واعترف

هوؤلاء الثلاثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم تخلفوا بغير عذر، فنهى

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامهم ، وامثل المسلمون لامر رسول الله فقاطعوهم

خمسین ليلة واعتزلتهم نساءهم<sup>(١)</sup> حتى تاب الله عليهم من<sup>فوق</sup> سبع سماوات حيث نزل

فيهم قوله تعالى : ( وعلى الثلاثة الذين خَلَفُوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما

رحبت وضاقت عليهم انفسهم ووطنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا

ان الله هو التواب الرحيم ) .<sup>(٢)</sup>

ومقاطعة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين للثلاثة الذين خَلَفُوا بوضوح

الله سبحانه وتعالى المنافقين فى سورة التوبة - الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوالم

وتعذروا باعذار واهية كل ذلك مما لا يسعنى تفصيله فى هذا المقام يرشد الى

مدى تشديد الاسلام على استنفار المقاتلين ، ويؤكد على جدية وصرامة امر

الاسلام بالنفير ، وذلك من اجل حشد اكبر قدر من الطاقات والقدرات القتالية للمعركة .

وتأكيدا على وجوب النفير اذا اعلن الاستنفار للمعركة فقد حذر الله سبحانه

المؤمنين من التثاقل والقيود عن الجهاد ، وبين ان مايتثاقلون بسببه من متاع

الحياة الدنيا وزينتها لا يذكر بجانب مااعده لهم من المتاع فى الحياة الآخرة ،

وبين لهم أن التخلف عن الجهاد يورث المذلة والهوان من الاعداء ، ويستوجب

( ١ ) انظر الحديث الذى يفصل القصة فى صحيح البخارى / كتاب المغازى

غزوة تبوك / باب حديث كعب بن مالك ( ٨٦ / ٣ ) .

( ٢ ) التوبة ( ١١٨ ) .

حلول العذاب من الله ، حيث اخبر عن ذلك بقوله : ( يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اناقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل \* الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شىء قدير ) .<sup>(١)</sup>

ولاشك ان استنفار كافة القوى البشرية - العسكرية والمدنية - وحشدها يعتبر من ضرورات المعركة ومن الاسباب الاولية للنصر ، لان الرجال - جنودا وقادة ، ومن ورائهم فئات الامة كافة - هم الذين يخوضون غمار المعركة بارواحهم واجسادهم وعقولهم لكي يحققوا النصر .

ولاشك ان كثرة الاعداء وتعدد هم وتآلبهم جميعا على الامة الاسلامية يستوجب من الامة ان تستنفذ كل طاقاتها - كما امر الله سبحانه - ، وان تستنفذ كل مذكورها لحشده فى وجه اعدائها ، سيما ونحن نرى اليوم ان الاعداء المختلفين ينسئون او يتناسون عداواتهم الخاصة ليجتمعوا جميعا فى وجه المسلمين . وفى اعتقادى ان اهم ما يشغل العالم الشيوعى والعالم الرأسمالى اليوم هو كيفية تكبيل العالم الاسلامى بالقيود وتفتيته وتأميل الانقسام بين شعوبه ليسهل بذلك ابتلاعه . ولاشك ان كلتا الكتلتين تخاف من ان يستيقظ العالم الاسلامى فيحطم تلك القيود والاغلال ، ويتسلم زمام البشرية من جديد . وانى لواطق فى ان الاسلام هو المرشح لان ينقذ البشرية ويقودها الى دروب الهداية والسعادة . ولهذه الثقة مايوءكدها من الادلة النقلية والعقلية والواقعية ، والتي ليس هنا مجال بسطها .

ثانيا : الاعداد الكيفى ( النوعى ) : كما ان المعركة تقتضى حشد اكبر عدد من

المقاتلين فانها تقتضى كذلك التركيز على نوعية المقاتلين ، لان العدد وحده لا يكسب الجيش التأثير والفاعلية اذا لم يكن معدا اعدادا سليما للمعركة ، بل وقد يشكل عبءا عسكريا فى المعركة ، وقد تأتى الهزيمة بسببهم لخصال او اخلاق ذميمة فيهم

(١) التوبة ( ٣٨ ، ٣٩ ) .

او لعدم كفايتهم وقد رتبهم على القتال .

والاعداد النوعى ينبغى ان يشمل جميع جوانب شخصية المقاتل : العقلية والروحية والجسمية والعسكرية . واهتم الاسلام بذلك ايّما اهتمام ، ولا يسعنى فى هذا البحث تفصيل كل ذلك وانما سأكتفى بالايجاز فى بعضها او الاحالة الى مواضع اخرى فى هذا البحث حيث سبق لى وأن تعرضت فيها لبعض جوانب شخصية المجاهد ، وسأفصل جانب الاعداد والتدريب العسكرى للمقاتل فقط .

( ١ ) الاعداد الايمانى : الاعداد الايمانى للمقاتل أهم جوانب الاعداد على

الاطلاق ، وذلك لان الايمان والعقيدة الاسلامية تجعل المقاتل يبذل روحه وماله ونفسه رخيصة ابتغاء مرضات الله ، ورغبة فيما عنده من ثواب ، واملا فى الفوز بالشهادة . وتجعله يؤمن بأن النصر من عند الله ، وان الآجال بيد الله ، وأن ما يصيبه فهو بقدر الله .

وسلاح الايمان والعقيدة الذى يتسلح به المقاتل المؤمن سلاح خطير لاتقوى على مواجهته اسلحة البشر ، ولاتقف امامه قوة من الناس ، ويجعل من المقاتلين جيشا لا يقهر .

ولقد استعرضت أثر الايمان فى اعداد المقاتلين الكفاء ، واحراز النصر على الاعداء فى فصل ( الايمان والعقيدة البناءة ) فيستحسن الرجوع اليه للاطلاع على تفصيل ما أجملته هنا .

( ٢ ) الاعداد الخلقى للمقاتلين : وثانى جوانب الاعداد النوعى للمقاتل الاهتمام

بالجانب الخلقى فى شخصيته ، وذلك بتحليلته بالاخلاق الحميدة وتخليته من الاخلاق الذميمة .

ومعلوم ان المسلم يتحلى بالاخلاق الاساسية من كرم وايثار وصدق واخلاص ووفاء . . . ، فينبغى على الجندى المسلم - من باب اولى - ان يأخذ بالحظ الاوفر من هذه الصفات .

كما وينبغي له ان يتحلى باخلاق الجهاد الخاصة التي تقتضيها المعركة .  
لذا فقد حث القرآن المجاهدين على التحلى بالصبر والثبات والذكر وطاعة القائد  
وعدم الاختلاف فى المعركة فقال سبحانه : ( يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة  
فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون \* وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا  
وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ) . ( ١ )

وحتهم على التحلى بالتقوى فقال سبحانه : ( ولقد نصركم<sup>الله</sup> ليبيد وأنتم اذلة  
فاتقوا الله لعلكم تشكرون ) ، وحذرهم من العجب والغرور فقال سبحانه ( ويوم حنين  
اذ اعجبتكم كثيرتم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ) . ( ٢ )  
من هذه الصفات التي ذكرها القرآن وامثالها مما لم اذكرها خوف الاطالة  
يتبين ان القرآن الكريم يأمر باعداد المجاهدين اعدادا خلقيا يمكنهم من خوض  
المعركة واحراز النصر .

( ٣ ) الإعداد المعنوى : وذلك بالعمل على رفع معنويات المقاتل لكي يقدم على  
أداء مهامه القتالية بشجاعة وتحفز ، وكذلك بحمايته من اسباب الحرب النفسية  
التي يثيرها العدو والتي تستهدف تحطيم معنوياته القتالية .

والاعداد المعنوى هو ثمرة للاعداد الايمانى والخلقى ، لان الاعداد الايمانى  
يسمو بالمقاتل الى اعلى درجات التحفز للقتال كما مر سابقا ، والايمان مستقره القلب  
ومن ثم فان كل الاحاسيس والمشاعر والعواطف القلبية تكون مشبعة بالايمان ، فالإيمان  
يكون بذلك الغذاء الرئيس الذى تتغذى عليه روح المقاتل وتستمد منه معانى  
العزة والقوة والثبات .

( ١ ) الأنفال ( ٤٥ ، ٤٦ ) .

( ٢ ) آل عمران ( ١٢٣ ) .

( ٣ ) التوبة ( ٢٥ ) .



والاعداد الخلقى يساهم . كذلك فى اعداد معنويات المقاتل ، من خلال غرس مبادئ الشجاعة والتضحية فى نفسه ، وتعليمه الاعتماد على الله وحده وعدم الخوف مما سواه . . . ، وكذلك تدريبه على مواجهة الشائعات والحرب النفسية التى يبثها العدو .

واكتفى هنا بهذا الايجاز مخافة التكرار . ولمزيد الاطلاع يمكن مراجعة مباحث الايمان والعقيدة البناءة ، والشجاعة ، والحرب النفسية .

( ٤ ) الاعداد العلمى : ينبغى ان يعد المقاتل المؤمن اعدادا فكريا متميزا

ينهل فيه من علوم الكتاب والسنة ليكون المقاتل المؤمن عالما بدينه واحكام شريعته ، خاصة احكام الجهاد .

وينبغى لهم دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه وسراياه وبعوثة ، وتاريخ جهاد الصحابة والتابعين للاطلاع على دروس فى العسكرية الاسلامية والاستفادة من دروس النصر والهزيمة فى التاريخ الاسلامى .

وينبغى لهم اخذ قدر مناسب من الثقافة المعاصرة كى يستفيدوا من معطيات هذا العصر ونتاجه ومعارفه وعلومه فى جهادهم لاعدائهم .

وينبغى الاهتمام بالدراسات العسكرية كلها القديم منها والجديد للاطلاع على تجارب الامم واساليب القتال وعلوم وفنون الحرب . كما وينبغى للمقاتل ان يأخذ بنصيب اوفر فى الجانب العسكرى الذى يتخصص فيه ليكتسب بذلك مهارة خاصة تمكنه من اداء مهامه القتالية ، والتفوق فى ذلك ما امكن .

( ٥ ) الاعداد العسكرى : واقصد به تدريب الجندى على القتال وفنونه واساليبه

وما يلزم ذلك من تدريب بدنى .

وقد اهتم الاسلام بذلك ايما اهتمام . ولما يلايس هذا الموضوع من غموض لدى كثير من الناس . لذا سأحرص على تفصيل ذلك ، مع ضرب الامثلة العملية من جيل الصحابة رضوان الله عليهم لنطلع على مدى الكفاءة العسكرية لديهم لتتضح الصورة ، وتحصل بهم القدوة .

لقد امتدح الرسول صلى الله عليه وسلم الرجال الاقوياء ، وفضلهم على الضعفاء ليرشد المؤمن الى تحصيل القوة بالتدريب والممارسة والتمرين .  
اخرج الامام مسلم بسنده عن ابي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( المؤمن من القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير . . . الحديث ) .<sup>( ١ )</sup>

وانما فضل الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن من القوى لما يحصل من الانتفاع بالقوة في شئون الفرد خاصة والجماعة عامة . والقوة مفضلة بكل انواعها سواء العقلية او القلبية او البدنية .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشجع المقاتلين على التنافس فيما يزيد من قوتهم ولياقتهم البدنية من خلال السباق في العدو .

<sup>( ٢ )</sup>  
اخرج الامام مسلم بسنده عن اياس بن سلمة قال حدثني ابي قال : ( قد منا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال فبينما نحن نسير قال وكان رجل من الانصار لايسبق شداً ، قال فجعل يقول : الا مسابق الى المدينة هل من مسابق ؟ فجعل يعيد ذلك قال : فلما سمعت كلامه قلت : اما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً قال : لا ، الا ان يكون رسول الله . قال قلت : يا رسول الله يا ابي وامى ذرنى فلاسابق الرجل ، قال : ان شئت ، قال قلت : اذهب اليك

( ١ ) اخرجه مسلم في كتاب القدر / باب في الامر بالقوة وترك العجز ( ٤ / ٢٠٥٢ ) .  
( ٢ ) انظر الحديث بتمامه في صحيح مسلم / كتاب الجهاد والسير / باب غزوة ذي قرد ( ٣ / ١٤٣٣ - ١٤٤١ ) .  
( ٣ ) لايسبق شداً : يعنى عدواً على الرجلين . انظر شرح النووي على صحيح مسلم ( ١٢ / ١٨٣ ) .

وشئت رجلى فطعرت فعدوت، قال : فربطت عليه شرفا او شرفين استبقى نفسى<sup>(٢)</sup>،  
ثم عدوت فى اثره فربطت عليه شرفا او شرفين ، ثم انى رفعت حتى الحقه قال  
فاصكه بين كتفيه ، قال قلت : قد سبقت والله ، قال : انا اظن . قال فسبقته  
الى المدينة . . الحديث ) .

واباح الرسول صلى الله عليه وسلم السباق بعوض فيما يكون عدة للجهاد  
من الخيل والابل والرمى بالسهام . والترمذى

اخرج الامام ابوداود - واللفظ له - والنسائى واحمد وغيرهم عن ابى هريرة  
قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لاسبق الا فى خوف او حافر أو نصل ) .<sup>(٣)</sup>  
والمعنى لا يحل اخذ المال بالمسابقة الا فى حال السباق بذى خوف كالبعير  
او بذى حافر كالخيل ، او بالرمى بالسهام .

وخص الرسول صلى الله عليه وسلم هذه بالذكر لانها عدة لقتال العدو ،  
ويدخل فى معناها كل ما تحصل به المنفعة فى القتال من وسائل القوة الحديثة ،  
كل عصر بحسبه .

نقل السيوطى عن الخطابى فى معنى قوله ( لاسبق ) قوله (الصحيح رواية  
الفتح ، اى لا يحل اخذ المال بالمسابقة الا فى هذه الثلاث وهى السهام والخيل  
والابل ، وقد الحق بها ما بمعناها من آلة الحرب لان فى الجعل عليها ترغيبا  
فى الجهاد وتحريضا عليه ) .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) فطعرت : اى وثبت وقفزت . انظر المصدر السابق نفس المواضع .  
( ٢ ) فربطت عليه شرفا او شرفين استبقى نفسى : ربطت ، حبست نفسى عن الجرى  
الشديد . والشرف : ما ارتفع من الارض . وقوله : استبقى نفسى : بفتح  
الفاء اى احفظ نفسى من الانقطاع بسبب التعب . انظر المصدر السابق ،  
نفس المواضع . وانظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٤٦٢ / ٢ ) .  
( ٣ ) اخرجه ابوداود فى الجهاد / باب فى السبق ( ٢٩ / ٣ ) . والنسائى فى الخيل  
باب السبق ( ٢٢٦ / ٦ ) . والترمذى فى الجهاد / باب ما جاء فى الرهان  
والسبق ( ٢٠٥ / ٤ ) وحسنه . واخرجه الامام<sup>الترمذى</sup> فى المسند ( ٤٧٤ / ٢ ) .  
قال ابن حجر فى التلخيص ( ١٦١ / ٤ ) . رواه احمد واصحاب السنن والشافعى  
والحاكم من طرق ، وصححه ابن القطان وابن دقيق العيد ، واعل الدارقطنى  
بعضها بالوقف . قلت : الحديث صحيح ، ورجاله ثقات .  
( ٤ ) شرح السيوطى على سنن النسائى ( ٢٢٦ / ٦ ، ٢٢٧ ) . طبعة دار الفكر  
بيروت / الطبعة الاولى ( ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م ) .

وبالتسابق في هذه الامور يتمكن المقاتل من التدريب على الوسائل القتالية، بل ويتمكن من التجويد والتفوق في استخدامها للمعركة . وبالمسابقة تحصل المنافسة بين المتسابقين لكي يتفوق كل منهم في قيادته او استخدامه وسيلة القتال .

واباحة الرسول صلى الله عليه وسلم اخذ المال في هذه الامور هو تشجيع للمسلمين على ارتيادها والتنافس والتفوق فيها . وهذا كله يشير الى اهتمام الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بتدريب المقاتلين على وسائل القتال .

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فريقا من بنى اسلم يرمون بالسهم فشجعهم

على الرماية وشاركهم بنفسه ليشعرهم باهمية تعلم الرمي والتدريب عليه .

( ١ )  
اخرج البخارى بسنده عن سلعة بن الاكوع قال : ( مر النبي صلى الله عليه

وسلم على نفر من اسلم ينتضلون ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ارموا بنى

اسماعيل ، فان اباكم كان راميا ارموا وانامع بنى فلان . قال فامسك احد الفريقين

بايديهم فقال رسول الله : مالكم لا ترمون ؟ قالوا كيف نرمي وانت معهم ؟ فقال

النبي : ارموا فانا معكم كلكم ) .

ولشدة اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بتدريب المقاتلين على استعمال

السلاح فقد سمح للحبشة باللعب بالحراب ، وحشهم عليه .

وكان الحبشة وقتها يلعبون في المسجد ، فسمح الرسول صلى الله عليه وسلم

لهم بذلك في مسجده ليعلم المسلمون ان هذا من صميم الدين ، وان التدريب على

القتال واستعمال السلاح هو من صميم رسالة المسجد .

( ١ ) اخرجه البخارى في الجهاد / باب التحريض على الرمي ( ١٥٣ / ٢ ) .

( ٢ ) ينتضلون : اى يترامون . والتناضل الترامي للسبق . انظر فتح الباري

لابن حجر العسقلاني ( ٩١ / ٦ ) .

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن عائشة قالت: (١) والله لقد رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي . والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . يسترني بردائه ، لكي انظر الى لعبهم ثم يقوم من اجلى حتى اكون انا التي انصرف ، فاقدروا قدر الجارية الخديثة السن حريصة على اللهو) .

قال النووي : ( فيه جواز اللعب بالسلاح ونحوه من الآت الحرب فـ

المسجد ويلتحق به ما في معناه من الاسباب المعينة على الجهاد وانواع البر) . (٢)

ولعب الحبشة بالحرب كان في يوم العيد كما جاء في لفظ البخاري ، ولفظ

آخر لمسلم من طريق عائشة ام المؤمنين كذلك . (٣) فاباح الرسول صلى الله عليه وسلم

لهم ذلك لكي يتميز المسلمون في اعيادهم ومناسباتهم عموما بالروح الجهادية ، وليستفيدوا منها في التدريب العسكري وتنمية القدرات القتالية للمسلمين .

ولما اراد عمر بن الخطاب منع الحبشة من فعل ذلك - ظنا منه بانهم

من اللهو غير البياح ، او انه لا يليق بالمسجد - نهاه الرسول صلى الله عليه وسلم

عن ذلك .

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن ابي هريرة قال: (٤) بينما الحبشة

يلعبون عند رسول الله بحرابهم اذ دخل عمر بن الخطاب فاهوى الى الحصباء

يحصبهم بها فقال له رسول الله : دعهم يا عمر) .

(١) اخرجه البخاري في الجهاد / باب الدرق (١٥٤/٢) .

ومسلم في كتاب صلاة العيدين / باب الرخصة في اللعب يوم العيد (٦٠٩/٢) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٤/٦) .

(٣) سبق في هامش (١) . نفس المواضع .

(٤) اخرجه البخاري في الجهاد / باب اللهو بالحرب ونحوها (١٥٣/٢ ، ١٥٤) .

ومسلم في كتاب صلاة العيدين / باب الرخصة في اللعب يوم العيد (٦١٠/٢) .

ونبه الرسول صلى الله عليه وسلم الى ضرورة التدريب المتواصل على استخدام السلاح وعدم ترك ذلك حتى فى اوقات السلم .

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - والترمذى عن عقبه بن عامر قال ، سمعت رسول الله يقول : <sup>(١)</sup> (ستفتح عليكم ارضون ويكيفكم الله ، فلا يعجز احدكم أن يلهمه بأسهمه) .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى ممارسة الرمي بالسهم - وهو فن قتالى فى وقتيكفى الله المسلمين فيه القتال ، فان دعوته الى ذلك وقت الحرب اشد من باب اولى .

وقد كان الصحابى الجليل عقبه بن عامر راوى الحديث السابق يحرص على الرمي بالسهم حتى بعد أن اصبح شيخا - رغم أن ذلك يشق عليه لكبر سنه - امثالاً لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخوفاً من عصيانه بترك الرمي .

اخرج الامام مسلم بسنده عن عبد الرحمن بن شماسه ان فُقَيْمًا اللخمي قال لعقبه بن عامر : <sup>(٢)</sup> (تختلف بين هذين الغرضين ، وانت كبير يشق عليك . قال عقبه لولا كلام سمعته من رسول الله لم اعانه . قال الحارث : فقلت لابن شماسه : وما ذاك قال : انه قال : من علم الرمي ثم تركه فليس منا أوقد عصى ) .

قال النووى : ( هذا تشديد عظيم فى نسيان الرمي بعد علمه ، وهو مكروه

كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر ) <sup>(٣)</sup> . يدل  
وتشديد الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك على ضرورة تعلم المسلم الرمي وعدم نسيان المتعلم له لكى يكون المسلم معداً اعداداً عسكرياً يجعله جاهزاً للقتال فى كل وقت .

( ١ ) اخرجه مسلم فى كتاب الامارة / باب فضل الرمي والحث عليه ، وذم من علمه

ثم نسيه ( ١٥٢٢ / ٣ ) .

والترمذى فى التفسير / باب " ومن سورة الانفال " ( ٢٧٠ / ٥ ) .

( ٢ ) اخرجه مسلم فى الامارة / باب فضل الرمي والحث عليه ، وذم من علمه ثم نسيه

( ١٥٢٣ ، ١٥٢٢ / ٣ ) .

( ٣ ) انظر شرح النووى على صحيح مسلم ( ٦٥ / ١٣ ) .

مما سبق تبين حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تعلم المسلمين لفن القتال . ومعلوم أن ذلك كله مسوق في شأن المسلمين عامة لكي يكونوا على استعداد للقتال ، وهو ما يعنى ضرورة اعدادهم عامة وجنود الجيش الاسلامى خاصة ، اعدادا عسكريا كافيا بالتعليم والتدريب على فنون واساليب القتال .

من ذلك كله يتضح اعداد الاسلام للمقاتل المسلم اعدادا يشمل كل جوانب شخصيته ، ليخرج بذلك مقاتلا قوى العقيدة والايمان ، شجاع القلب ثابت الجنان ، ناصع العقل والفكر ، قوى الجسم والبنيان .

وبهذا الاعداد الشامل للمقاتل يمكن تعبئة وتفجير كل طاقاته العقلية والروحية والجسمانية ليقا تل بعد ذلك بقلبه وعقله وفكره وروحه وجسمه .

ان اهم ما ينبغى ان يراعى فى اعداد المقاتل الاعداد الايمانية ليصبح مقاتلا مؤمنا ، ينطلق من عقيدة راسخة تحفزه على القتال والاستشهاد فى سبيل الله . والعقيدة كفيلة بأن تجعل من المجاهد انسانا فريدا فى خلقه وروحه ومعنوياته وشجاعته .

بهذا النوع من الاعداد الخلقى تتحقق الكفاءة فى المقاتلين . وبأمثال هؤلاء المقاتلين تتحقق الانتصارات .

ومن يريد نصرا بأيدي مقاتلين مجردين من الايمان والعقيدة ، او مهزومين فى العقل والفكر ، او مجردين من الخلق والدين فلن يجد الا الذل والهزيمة .

### ثانيا : اعداد السلاح والعتاد

=====

لقد مر بنا قوله سبحانه وتعالى : ( واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم - الآية ) .

ومعلوم ان السلاح والعتاد من اسباب القوة المأمور بها فى الآية ، اذ ان ذلك مما يتقوى به فى الحرب ، بل مما لا يستغنى عنه .

وخصت الآية الخيل بالذكر لما لها من الاهمية القصوى فى المعركة باعتبارها السلاح الضارب وقت نزول الآية . وقياسا عليه فان كل ما يمكن اعداده وارتباطه فى سبيل الله من اسباب القوة العادية من سلاح وعتاد وطائرات وبوارج ومدركات هو واجب فى حق المسلمين ، وهو من اسباب النصر على الاعداء ، ومن اسباب فرض هيبة المسلمين عليهم .

والذى يبدولى من الآية الكريمة أن المأمور به اكثر من جمع السلاح وشراؤه وتخزينه للمعركة . لان التعبير بقوله ( واعدوا ) يرشد الى ما بعد ذلك ، حيث تصنيع السلاح وانتاجه بايدي المسلمين ، وذلك لان الاعداد يحتاج الى تفكير وتأمل ودقة وحسن تدبير ، ونبىء كذلك عن ضرورة انشاء المسلمين لما يحتاجونه بانفسهم . هذا ما يوحى به قوله ( واعدوا ) .

ولعل قوله تعالى ( ترهبون به عدو الله وعدوكم ) يؤيد المعنى السابق اذ جعل الله الغاية من الاعداد ارباب العدو . وشراء السلاح وتخزينه - سيما فى أيامنا هذه - لا تحصل منه الرهبة للعدو بقدر ما يحصل ذلك من انتاج السلاح الوطنى . وذلك لان شراء السلاح من غيرنا - وهو فى الحقيقة عدو لنا ، لاننا لانشرى غالبا الا من الكفار - يعنى اننا عالة على غيرنا ، ولم نعتد على ذاتنا مما يعرض امتنا للخطر ، اذ قد تمتنع الدولة المباحة للسلاح من بيعه او بيع قطع غياره ، ويمكن للعدو وكذلك من خلال عملية البيع والشراء اكتشاف مالى المسلمين



من اسلحة . وسرية الاسلحة . من الامور المهمة في المعركة ، اذ بمفاجأة العدو  
بسلح لا يعرفه يمكن القضاء عليه . وهذا لا يتحقق بكما له الا اذا انتج بايـدى  
المسلمين وبقي في طي الكتمان . وبهذا تتحقق الرهبة في نفوس الاعداء ، وهو  
مايوءيد ان معنى الاعداد تصنيع السلاح وليس مجرد شرائه .<sup>(١)</sup>

وارشد القرآن الكريم المؤمنين إلى الحديد باعتباره المادة الاساسية  
الاولى لصناعة الاسلحة والادوات والآليات الحربية المختلفة على مر العصور  
ونبه الى انه من عناصر القوة والشدة . فقال سبحانه وتعالى : ( وأنزلنا الحديد  
فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز )<sup>(٢)</sup>  
قال ابو السعود في معنى قوله ( فيه بأس شديد ) : لان آلات الحرب انما تتخذ  
منه ومعنى قوله ( و منافع للناس ) اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد  
آلتها .<sup>(٣)</sup>

ارشدت الآية الى الامور المستفادة من الحديد وهى :-

اولا : الاستفادة من مادة الحديد في اعداد آلات واسلحة الحرب ، والتنويه  
الى انها من مصادر القوة والشدة على الاعداء . يدل عليه قوله تعالى  
في الحديد ( فيه بأس شديد ) .

ثانيا : الانتفاع به في كثير من الامور التي يحتاجها الناس في حياتهم المدنية .  
يدل عليه قوله تعالى ( ومنافع للناس ) .

ثالثا : والحديد بما يتخذ منه من اسلحة وادوات حربية يعد من اسباب النصر .  
يدل عليه قوله سبحانه : ( وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ) حيث  
جعل تبارك وتعالى الحديد - بتلك الحالة - وسيلة لكي ينصر بها المؤمنون  
الله ورسوله .

( ١ ) انظر آيات الجهاد في القرآن / د / كامل الدقس ( ١١١ ) .

( ٢ ) الحديد ( ٢٥ ) .

( ٣ ) انظر تفسير ابي السعود ( ٢١٢ / ٨ ) .

قال الآلوسى فى معناها : ( وليعلم الله تعالى علما يتعلق به الجزاء

من ينصره ورسله باستعمال آلات الحرب<sup>من</sup> الحديد فى مجاهدة اعدائه (١) .

وذكر القرآن صناعة داود للدروع فى سياق امتنان الله عليه بتليين

الحديد له عند قوله تعالى : ( ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبى معه

والطير والناس له الحديد \* ان اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا

انى بما تعملون بصير ) . (٢)

قال الحسن البصرى وقتادة والاعمش وغيرهم فى قوله ( والناس له الحديد )

قالوا : كان لا يحتاج ان يدخله نارا ولا يضربه بعطرفة ، بل كان يفتله بيده مثل

الخيوط . (٣) ومعنى قوله ( اعمل سابغات ) اى الدروع . قاله قتادة . وقوله (٤)

( قدر فى السرد ) هو تعليم لداود صناعة الدروع ، وقال ابن عباس فى المعنى

اى اجعل حلقها على مقادير متناسبة ، وقال ابن زيد : لاتعملها صغيرة

فتضعف فلا يقوى الدرع على الدفاع ، ولا كبيرة فينال صاحبها من خلالها .

وقال مجاهد : اى قدر مساميرها فلا تعملها دقاقا ولا غلاظا . (٥)

وتسجيل القرآن لصناعة داود الدروع من الحديد مع تعليم الله له

هو اعلام للمؤمنين المخاطبين بهذا القرآن ، وتنبيه لهم بالاستفادة من

الحديد فى صناعة الاسلحة وآلات القتال كما استفاد منه داود عليه السلام

فى صناعة الدروع التى تستعمل للقتال .

(١) روح المعانى للآلوسى (١٨٩/٣/٩) .

(٢) سبأ (١١، ١٠) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٥٢٧/٣) .

(٤) انظر المصدر السابق ، نفس المواضع .

(٥) انظر روح المعانى للآلوسى (١١٥/١/٨) .

ولغت القرآن انظار المؤمنين الى فائدة السلاح فى التحصن ضد الاعداء .  
 وذلك من خلال ما ذكره من صناعة داود للدروع ليحتمى بها من بأس الاعداء .  
 يقول تبارك وتعالى : ( وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير <sup>وكننا</sup> فاعلين \* وعلماه  
 صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون ) . ( ١ )  
 معنى قوله ( علمناه صنعة لبوس ) اى عمل الدروع . ومعنى قوله ( لتحصنكم )  
 اى لتحركم . ومعنى قوله ( من بأسكم ) اى من حربكم ، قاله الضحاك ، وقال ابن  
 عباس : من سلاحكم ، والمعنى واحد . ( ٣ ) والكلام وان كان متصلا بـ داود عليه  
 السلام الا أننا نحن المقصودون به ، ولذا أمرنا الله سبحانه بشكره على هذه  
 النعمة ابلغ الامر فقال ( فهل انتم شاكرون ) فهو استفهام بمعنى الامر لأننا عرفنا  
 أن صنع السلاح والاستعداد للاعداء من اخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام  
 ولنا بهم القدوة وفيهم الاسوة .

قال القرطبي : ( هذه الآية أصل فى اتخاذ الصنائع والاسباب وهو قول اهل  
 العقول والالباب لا قول الجهلة الاغبياء القائلين بان ذلك انما شرع للضعفاء ) . ( ٤ )  
 من هنا نطلع على التوجيهات القرآنية التى تحض المؤمنين من اجل اعداد  
 السلاح وتصنيعه ، للاستفادة منه فى قتال الاعداء والتحرز به من عدوانهم .  
 وبهذا نطلع على قيمة السلاح والعتاد فى المعركة باعتباره واحدا من اسباب  
 النصر والهزيمة .

فاذا اعد المسلمون للمعركة السلاح والعتاد فانهم يكونون قد اخذوا بواحد  
 من اسباب النصر . واذا فرطوا بذلك فانهم يكونون قد وقعوا فى واحد من اسباب

( ١ ) الانبياء ( ٧٩ ، ٨٠ ) .

( ٢ ) انظر تفسير ابن السعود ( ٦ / ٨٠ ) .

( ٣ ، ٤ ) انظر احكام القرآن للقرطبي ( ١١ / ٣٢٠ ، ٣٢١ ) .

الهزيمة . والا فكيف ينتصرون على عدوهم وهم غير متحصنين منهم ، وغير مسلحين لقتالهم . ان هذا مما يخالف سنة الله في النصر والهزيمة القائمة على اتخاذ الاسباب ، ومنها اتخاذ الاسلحة والعتاد .

واذا نظرنا في السنة العظيمة والسيرة المباركة لسيد المرسلين عليه افضل الصلاة واتم التسليم وجدنا اهتماما بالغاً باعداد السلاح والعتاد من اجل الجهاد . والنصوص في ذلك كثيرة تحتاج الى بحث خاص حتى يستوعبها ، ولكن يكفى هنا الاقتصار على بعضها ليحصل بذلك بيان ضرورة اتخاذ السلاح والعتاد للمعركة ، مع بيان قيمته في النصر والهزيمة .

مرّ قريبا تخصيص الله سبحانه للخيل بالذكر من اجل اعدادها للحرب ، وبينت وجه هذا التخصيص والحكمة منه باعتبارها من اعظم انواع القوة والبأس في الحرب آنذاك . وقد اهتمت السنة بالحث على ارتباط الخيل في سبيل الله ، ورغبت في ذلك بالاخبار عن عظيم أجر المجاهد الذي يربط فرسا في سبيل الله وجعلت له ثوابا في اطعامه واسقائه ، وفيما يخرج من بول او روث ، وذلك كله حرصا على ارتباط الخيل من اجل الجهاد .

اخرج البخارى - واللفظ له - والنسائي عن ابي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ١ ) من احتبس فرسا في سبيل الله ايماناً بالله وتصديقا بوعده فان شيعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة ) .  
ووعده الرسول صلى الله عليه وسلم بالاجر والثوبة لمن اتخذ الخيل في سبيل الله ، واخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عما تجلبه الخيل من الخير للحض على اقتنائها .

( ١ ) اخرجه البخارى في الجهاد / باب من احتبس فرسا في سبيل الله ( ١٤٦ / ٢ ) .

والنسائي في الخيل / باب علف الخيل ( ٢٢٥ / ٦ ) .

اخرج الامام مسلم عن جرير بن عبد الله قال: (١) رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوى ناصية فرس باصبغه وهو يقول: الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والمغنم) .

ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ان خير الخيل هو الاجر والمغنم وذلك لان الفارس يوءجر على اقتنائه للخيل وعلى ركوبه وقت الجهاد كما انه ياخذ الغنيمة على ذلك، وهى سهيمان لفرسه وسهم ثالث له على جهاده .

اخرج البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: (٢) ان رسول الله جعل للفرس سهمين ولصاحبه سهما) .

قال ابن حجر ( وفى الحديث حض على اكتساب الخيل واتخاذها للغزو ولما فيها من البركة واعلاء الكلمة واعظام الشوكة ) (٣) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسابق بين الخيل لترويضها واعدادها للحرب .

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - وابن ماجه عن ابن عمر: (٤) ان رسول الله سابق بالخيل التى قد اضمزت (٥) من الحفياء وكان امدها ثنية الوداع ، وسابق بين الخيل التى لم تضر من الثنية الى مسجد بنى زريق وكان ابن عمر فيمن سابق بها ) .

- 
- (١) اخرجه الامام مسلم فى الامارة / باب الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (١٤٩٣/٣) .
- (٢) اخرجه الامام البخارى فى الجهاد / باب سهام الفرس (١٤٧/٢) .
- (٣) فتح البارى لابن حجر العسقلانى (٦٩/٦) .
- (٤) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب السبق بين الخيل (١٤٨/٢) .
- ومسلم فى الامارة / باب المسابقة بين الخيل وتضميرها (١٤٩١/٣) .
- وابن ماجه فى الجهاد / باب السبق والرهان (٩٦٠/٢) .
- (٥) اضمزت: بضم اوله ، والمراد به ان تعلف الخيل حتى تسمن وتقوى ، ثم يقلل علفها بقدر القوت وتدخل بيتا وتغشى بالجلال حتى تحمى فتعرق فاذا جف عرقها خف لحمها وقويت على الجرى . انظر فتح البارى (٧٢/٦) .

نقل ابن حجر عن القرطبي قوله : ( لا خلاف في جواز المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب وعلى الاقدام ، وكذا الترامي بالسهم واستعمال الاسلحة لما في ذلك من التدريب على الحرب ، وفيه جواز اضرار الخيل ولا يخفى اختصاص استحبابها بالخيل المعدة للغزو ) .<sup>(١)</sup>

ونبه الرسول صلى الله عليه وسلم الى اهمية سلاح الرماة في المعركة وارشد اليه لما فيه من عظيم الشدة والقوة على الاعداء .

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - وابوداود والترمذى وابن ماجه عن عقبه بن عامر : سمعت رسول الله وهو على المنبر يقول : ( <sup>(٢)</sup> "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة " الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي ) . فارشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاهتمام باعداد الرماة ووسائل الرمي ، وكشف عما فيه من شدة وبأس . وكرر ذلك ثلاثا للتأكيد على ضرورة الاعتناء به .

نقل ابن حجر عن القرطبي : ( انما فسر - الرسول صلى الله عليه وسلم - القوة بالرمي وان كانت القوة تظهر باعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو واسهل مؤنة . لانه قد يرمى رأس الكتيبة فيصاب فينهزم من خلفه ) <sup>(٣)</sup> ويدخل في معنى الرمي ، الرمي بالسهم او بكل ما استحدث من وسائل الرمي العسكرية في زمننا هذا .

- 
- (١) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٧٢/٦) .  
 (٢) اخبره الامام مسلم في الامارة / باب فضل الرمي والحث عليه . (١٥٢٢/٣) .  
 والترمذى في التفسير / باب " ومن سورة الانفال " (٢٧٠/٥) .  
 وابوداود في الجهاد / باب في الرمي (١٣/٣) وابن ماجه في الجهاد باب الرمي في سبيل الله (٩٤٠/٢) .  
 (٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٩١/٦) .

قال الساعاتى رحمه الله : ( وان كان المراد بالرمى فى زمنه عليه السلام الرمى بالسهم لكن يدخل فى معناه ما استحدث الآن : من الرمى بالبنادق والمدافع والقنابل ونحوها وكل ما يحدث من آلات القتال فى كل زمان ومكان لان الآيه تدل على وجوب صنع الآلات الحربية مطلقا فى كل زمان ، وفى زماننا هذا يكون الاستعداد بصنع المدافع والدبابات والطائرات والسفن الحربية المدرعة والغواصات ، وتدلل ايضا على وجوب تعلم العلوم والفنون والصناعات التى يتوقف عليها ذلك . . . ) (١)

وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ثواب من يصنع السهم ويمده ويرمى به .  
اخرج الامام احمد وابن الجارود والدارمى والحاكم والاربعه - واللفظ لابي داود عن عقبه بن عامر قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (٢) ان الله عزوجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب فى صنعيته الخير ، والرامي به ، ومنيله . . . ) .

وبيان الرسول صلى الله عليه وسلم ثواب من يصنع السهم هو من قبيل حث المسلمين آنذاك ودعوتهم من اجل صناعتها ، وفيه حث للمسلمين اليوم من اجل تصنيع السلاح كله والمؤثر منه على وجه الخصوص . وبهذا يتبين اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم باعداد السلاح الوطنى وتصنيعه وليس مجرد جمعه وشراؤه .  
وفى زمنه عليه الصلاة والسلام ارسل عروة بن مسعود وغيد بن سلمة الى جرش ليتعلما صناعة الدبابات والمجانيق

(١) الفتح الربانى ترتيب مسند الامام احمد / للامام احمد بن عبدالرحمن البنا (١٤/١٣٠، ١٣١) دار الشهاب/ القاهرة .

(٢) اخرجه الامام احمد فى المسند (٤/١٤٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٤) .  
والحاكم فى المستدرک (٥/٩٥) . وصححه .

وابن الجارود فى المنتقى (٣٥٥) . والترمذى فى فضائل الجهاد / باب ما جاء فى فضل الرمى فى سبيل الله (٤/١٧٤) . وحسنه . والنسائى فى الجهاد / باب ثواب من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى (٦/٢٨) .  
وابوداود فى الجهاد / باب فى الرمى (٣/١٣) . والدارمى فى الجهاد باب فى فضل الرمى والامر به (٢/١٢٤) . وابن ماجه فى الجهاد / باب الرمى فى سبيل الله (٢/٩٤٠) . قلت : رجال الحديث ثقات سوى خالد بن زيد فهو مقبول . انظر التقريب (١/٢١٣) . ولكن تابعه عبد الله ابن الازرق . لذا فالحديث حسن .

## والضَّبُّورُ (١)

واستعمل الرسول صلى الله عليه وسلم الدبابات والمجانيق عند حصاره للطائف.

اخرج ابوداود فى مراسيله عن مكرمة : ( ان النبى صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على اهل الطائف ) (٢)

وقال ابن هشام فى السيرة، عند حصار الرسول للطائف : ( ورواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق . حدثنى من اثق به ان رسول الله اول من رمى فى الاسلام بالمنجنيق روى اهل الطائف ) (٣)

واما بالنسبة لاستعمال الرسول صلى الله عليه وسلم للدبابة فقد نقل ابن هشام عن ابن اسحاق قوله : ( حتى اذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف ، دخل نفر من اصحاب رسول الله تحت دبابة ، ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليحرقوه ، فارسلت عليهم ثقيف سلك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها غرمتهم بالنبل ، فقتلوا منهم رجالا ، فامر رسول الله بقطع اعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون ) (٤)

من خلال ما مر من توجيهات الكتاب والسنة ندرك الاهمية القصوى لاعداد السلاح والعتاد للمعركة، وضرورة انتاجه وتصنيعه داخل بلاد المسلمين وبأيدٍ اسلامية لضمان الأيمن والسرية.

ويتأكد لنا بان ذلك كله من ضرورات المعركة، ومن الفروض الواجبة على المسلمين التى لا تسقط عنهم الا ببذل ما فى الوسع لتحصل للمسلمين الكفاية منها .

وبهذا ندرك القيمة الاساسية للسلاح والعتاد فى المعركة، ونطلع على

اثره وفعالته فى احراز النصر.

والضَّبُّورُ هو الرِّبَابُ جمع ضَبْرٌ، وهو عبارة عن جلود يخبس بها الخشب،  
(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٤٧٨) تستخدم للوعاءة من الخشب عند ازالة نقيب الحصون .  
(٢) المراسيل لابي داود . ص (٣٧) مطبعة محمد صبيح - مصر .  
المصدر السابق . نفس الموضع .

قال ابن حجر: اخرجه ابوداود فى المراسيل ، ورجاله ثقات . ووصله العقيلي باسناد ضعيف عن على رضى الله عنه . انظر بلوغ المرام من جمع ادلة الاحكام لابن حجر العسقلانى (٣٢٣) دار الجيل للطباعة / مصر .  
(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٤٨٣) . وانظر تاريخ الطبرى (٣ / ٨٣ / ٨٤٠) .



### ثالثا : اعداد المال للانفاق العسكرى

=====

المجهود الحربى يعتمد بدرجة اساسية على المال . وكل شئون الاعداد العادى للمعركة من سلاح وعتاد يحتاج الى المال لاعداده وصيانته .  
ويد هى القول بان المال هو من الضرورات الالوية للمعركة ، ومن ثم فهو من الاسباب الرئيسة للانتصار فى المعركة . وان لم يتوفر المال فلا يمكن توفير الامور الضرورية للقتال والمواجهة من سلاح وعتاد . . ، مما يؤدى الى مردود عكسى على المعركة .

لذا فقد امر الله تبارك وتعالى المؤمنين بالانفاق فقال سبحانه : ( وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين ) .  
( ١ )  
وقال تبارك وتعالى : ( انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ) .  
( ٢ )

قال ابو السعود فى معنى قوله ( وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ) ( ايجاب للجهاد بهما ان امكن ، وباحدهما عند امكانه واعواز الآخر حتى ان من ساعده النفس واما لى يجاهد بهما ، ومن ساعده المال دون النفس يغزى مكانه من حاله على عكس حاله . الى هذا ذهب كثير من العلماء ) .  
( ٣ )  
ورغب الحق تبارك وتعالى فى انفاق المال فى سبيله ، وذلك من خلال وعده بان يوفى المؤمنين على انفاقهم المال فى سبيله اجزل الاجر .

فقال سبحانه : ( وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوفى اليكم وانتم لاتظلمون ) .  
( ٤ )  
وقال سبحانه : ( وما تنفقوا من خير يوفى اليكم وانتم لاتظلمون ) .  
( ٥ )

- 
- ( ١ ) البقرة ( ١٩٥ ) .
  - ( ٢ ) التوبة ( ٤١ ) .
  - ( ٣ ) انظر تفسير ابي السعود ( ٦٧ / ٤ ) .
  - ( ٤ ) الانفال ( ٦٠ ) .
  - ( ٥ ) البقرة ( ٢٧٢ ) .

ومزيديا في الترغيب بين القرآن تفصيل هذا الوعد ، وكشف عن مضعفة  
الله ثواب النفقة في سبيله اضعافا كثيرة . فقال سبحانه ( مثل الذين ينفقون  
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة  
والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ) . ( ١ )

قال القرطبي : ( ورد القرآن بان الحسنه في جميع اعمال البر بعشر

امثالها واقتضت هذه الآية ان نفقة الجهاد حسنتها بسبعمائة ضعف ) . ( ٢ )

وقرن الحق تبارك وتعالى بين الانفاق على المعركة وبين الجهاد بالنفس  
واطلق لفظ الجهاد على الامرين معا ، مما يدل على ان الانفاق في المعركة  
هو صنو القتال بالنفس ، بل وقدم ذكر الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس  
في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ( يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة  
تنجيكم من عذاب اليم \* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله  
باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ) . ( ٣ )

وقوله تعالى : ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا  
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون ) . ( ٤ )

وقوله تعالى : ( ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل  
الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض ) . ( ٥ )

وقوله تعالى : ( الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم  
اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون ) . ( ٦ )

والحكمة في تقديم ذكر الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس هي الاشعار  
باهميته المستمدة من كون الجهاد بالنفس مرتباً عليه ( ٧ ) في الواقع ولا يقوم بدونه .

( ١ ) البقرة ( ٢٦١ ) .

( ٢ ) احكام القرآن للقرطبي ( ٣ / ٣٠٥ ) .

( ٣ ) الصف ( ١٠ ، ١١ ) .

( ٤ ) الحجرات ( ١٥ ) . ( ٥ ) الانفال ( ٧٢ ) . ( ٦ ) التوبة ( ٢٠ ) .

( ٧ ) انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ( ٨ / ١٥٣ ) .

وامر الرسول عليه الصلاة والسلام بالانفاق على المعركة ، وسمى ذلك جهادا

وجعله قرين الجهاد بالنفس ، واذاف اليهما الجهاد باللسان .

اخرج الدارمي - واللفظ له - وابو داود والنسائي واحمد والحاكم عن انس

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ( جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم ) (١)

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ثواب الصدقة المضاعف ، للحث عليها من

اجل توفير ماتقتضيه المعركة .

(٢)

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - والنسائي عن ابي مسعود الانصاري قال :

( جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله فقال هذه في سبيل الله . فقال رسول الله

(٣)

لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة ) .

قال النووي في معنى قوله : ( لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة . . ) : ( قيل

يحتمل ان المراد له اجر سبعمائة ناقة ، ويحتمل ان يكون على ظاهره ويكون له في

الجنة بها سبعمائة كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه كما جاء

(٤)

في خيل الجنة ونجبها وهذا الاحتمال اظهر والله اعلم ) .

وحدث الرسول صلى الله عليه وسلم على الانفاق في سبيل الله بتجهيز المجاهد

بجهاز القتال من السلاح والركوبة وغيرهما .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخاري - عن زيد بن خالد ان رسول الله قال :

( من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير

(٥)

فقد غزا ) .

( ١ ) سبق تخريجه في موضوع الحرب النفسية ص ( ٢١٤ ) .

( ٢ ) اخرجه الامام مسلم / باب فضل الصدقة في سبيل الله ، وتضعيفها ( ٣ / ١٥٠٥ ) .

والنسائي في الجهاد / باب فضل الصدقة في سبيل الله عزوجل ( ٦ / ٤٩ ) .

( ٣ ) مخطومة : اي بها خطام ، وهو حبل يجعل في أحد طرفيه حلقة ثم يشد فيه

الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة ، ثم يقاد به الناقة او البعير . انظر غريب

الحديث لابن الاثير ( ٢ / ٥٠ ) .

( ٤ ) شرح النووي على صحيح مسلم ( ١٣ / ٣٨ ) .

( ٥ ) اخرجه البخاري / في الجهاد ، باب فضل من جهز غازيا او خلفه بخير ( ٢ / ١٤٥ ) .

ومسلم في الامارة / باب فضل اعانة الغازي في سبيل الله بعركوب وغيره ( ٣ / ١٥٠٧ ) .

وَعَدَّ لِرَسُولٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمُنْفَقَ عَلَى الْغَازِي سِوَاهُ فِي تَجْهِيزِهِ لَهُ  
بِالسَّلَاحِ وَالرُّكُوبَةِ وَمَا يَلْزَمُ لِلْغَزْوِ، أَوْ فِي عِيَالَةِ أَهْلِهِ وَالانْفَاقِ عَلَيْهِمْ وَمُسَاعَدَتِهِمْ  
مِنْ خَلْفِهِ، <sup>(١)</sup> وَعَدَّهُمَا بِأَجْرٍ يَمِثُلُ أَجْرِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

نقل ابن حجر عن ابن حبان في معنى قوله عليه السلام ( فقد غزوا )  
أنه قال : ( معناه انه مثله في الاجر وان لم يغز حقيقة ) . <sup>(٢)</sup>

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة للمسلمين في الانفاق في  
سبيل الله ، وبخاصة ما ينفقه على مستلزمات الجهاد من السلاح والعتاد . ففي  
غزوة بني النضير افاء الله سبحانه على رسوله اموال بني النضير له خاصة ،  
فانفقها جميعها في سبيل الله من اجل توفير السلاح والعتاد للجهاد ، واستبقى  
منها نفقة سنة فقط لاهله .

اخرج الامام مسلم بسنده عن عمر رضى الله عنه قال : <sup>(٣)</sup> كانت اموال بنى  
النضير مما افاء الله على رسوله معالم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت  
لرسول الله خاصة ، وكان ينفق على اهله نفقة سنة ، <sup>(٤)</sup> ثم يجعل مابقى في السلاح  
والكراع عدة في سبيل الله . <sup>(٥)</sup>

وفي غزوة تبوك حث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على الانفاق في  
سبيل الله لاعداد وتوفير ما يحتاج اليه في هذه الغزوة ، فانفق عثمان بن عفان وحده  
رضى الله عنه ثلاثمائة بعير .

- 
- ( ١ ) انظر شرح النووى على صحيح مسلم ( ٤٠ / ١٣ ) .  
( ٢ ) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ( ٥٠ / ٦ ) .  
( ٣ ) اخرجه الامام مسلم في الجهاد / باب حكم الفى " ( ٣ / ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ) .  
( ٤ ) فائدة : قال النووى في شرحه : ( وقوله " ينفق على اهله نفقة سنة " اى يعزل  
لهم نفقة سنة ، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان ينفقه قبل انقضاء السنة في  
وجوه الخير فلا تتم عليه السنة ، ولهذا توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه  
مرهونة على شعير استدانه لاهله ، ولم يشبع ثلاثة ايام تباعا . وقد تظاهرت  
الاحاديث الصحيحة بكثرة جوعه صلى الله عليه وسلم وجوع عياله ) . انظر  
شرح صحيح مسلم للنووى ( ٧٠ / ١٢ ) .  
( ٥ ) الكراع : اسم لجميع الخيل . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٤ / ١٦٥ ) .

اخرج الامام احمد - واللفظ له - والترمذى عن عبد الرحمن بن خباب السلمى قال: (١) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة ، فقال عثمان ابن عفان . على مائة بغير باحلاسها (٢) واقتابها (٣) قال ثم حث فقال عثمان : على مائة اخرى باحلاسها واقتابها قال : ثم نزل مرقة من المنبر ثم حث فقال عثمان ابن عفان . على مائة اخرى باحلاسها واقتابها ، قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها ، واخرج عبد الصمد يده كالعجب : ما على عثمان ما عمل بعد هذا ) .

واخرج الامام احمد - واللفظ له - والترمذى والحاكم عن عبد الرحمن بن سموة قال : ( جاء عثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بألف دينار فى ثوبه حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة ، قال : فصبها فى حجر النبي فجعل النبي يقلبها بيده ، ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم . يرددها مرارا ) . (٤)

- 
- (١) اخرجه الامام احمد فى المسند (٧٥/٤) . والترمذى فى المناقب / باب فى مناقب عثمان بن عفان رضى الله عنه . (٦٢٦، ٦٢٥/٥) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه لانعرفه الا من حديث السكن بن المغيرة . قلت : اسناد الحديث ضعيف لاجل " فرقد ابوظلحة " فهو مجهول ، انظر التهذيب لابن حجر (٢٦٤/٨) ، وميزان الاعتدال للذهبي (٣٤٧/٣) ولكن الحديث الذي بعده يشهد له .
- (٢) الأحلاس : جمع جلس ، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب . انظر غريباً لحديث لابن الاثير (٤٢٣/١ ، ٤٢٤) .
- (٣) الاقتاب : واحدها جلس . انظر جامع الاصول لابن الاثير ، تحقيق / عبد القادر الارناؤوط (٦٣٧/٨) .
- (٤) اخرجه الامام احمد (٦٣/٥) . والترمذى فى المناقب / باب فى مناقب عثمان بن عفان (٦٢٦/٥) وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه واخرجه الحاكم فى المستدرک (١٠٢/٣) وصححه . قلت : اسناد الحديث فيه " كثير بن ابى كثير " مولى عبد الرحمن بن سمرة ، قال فيه ابن حجر فى التقريب (١٣٣/٢) : مقبول . وعده ابن عدى فى الضعفاء . انظر الضعفاء الكبير (٣/٤) . ونقل الذهبي فى الميزان (٤١٠/٣) توثيق العجلي وابن حبان له . وهما متساهلان . قال الدكتور / اكرم ضياء العمرى فى الحكم على الحديث : ( ويبدو أن الحديث صالح للاعتبار ويقوى بغيره الى الحسن ) . انظر / المجتمع المدنى فى عهد النبوة (٢٣٠) . قلت : الحديث كما قال الدكتور اكرم العمرى . وان لم يتقو بمتابع او شاهد فهو ضعيف .

من هذا يتبين شدة اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم، والمسلمين كذلك  
بالانفاق في سبيل الله، لاعداد ما يلزم من السلاح والعتاد وتغطية  
نفقات المجهود الحربى .

وهذا الحرص هو من قبيل اتخاذ الاسباب الواجبة للمعركة لاجل احراز  
النصر على العدو .

السبب الثالث :

=====

## التخطيط والتنظيم العسكرى

=====

اهمية التخطيط والتنظيم العسكرى فى احراز النصر :-

الإدارة السليمة هى من مقتضيات النجاح لأى عمل من الأعمال  
المدنية أو العسكرية .

والحاجة اليها تزداد شدة والحاحاً فى الاعمال العسكرية لاتساعها  
وأهميتها وخطورتها على الأمة .

واحراز النصر على العدو فى المعركة ، يحتاج الى إدارة سليمة

تحسن التخطيط للمعركة وتحسن تنظيم شئون الجهاد والمجاهدين .

فالإدارة عنصر هام له دوره الرئيس الذى ينعكس على المعركة سلباً وإيجاباً .

وتزداد أهميتها وشدة الحاجة إليها فى عصرنا بعد أن اتسعت

الجيوش وتعددت قطاعاتها ونشاطاتها العسكرية ، وبعد أن تطورت الاسلحة

القتالية . لذا فإن الإدارة تعد ركنا اساسياً من أركان هذه الجيوش ،

و ضرورة لازمة من أجل التخطيط للمعركة وحسن تنظيم القوات .

ولاحاجة للتفصيل فى ذلك لانه أمر بد هى لا يخفى على أحد ،

وتأخذ به الجيوش كافة فى زمننا هذا، وهو من أبرز أسباب انتصاراتها .

يقول الأستاذ / أحمد نار : ( إدارة الجيش أمر خطير ، ويتوقف

نصره فى مواقفه الى حد بعيد . على حسن نظامه وتجهيزه وادارته وكفاءة

( ١ )

قاداته .

( ١ ) القتال فى الاسلام / احمد نار ( ١٠٩ ) الطبعة الثانية ( ١٣٨٨ - ١٩٦٨ )  
نشر وتوزيع المكتبة الاسلامية - حمص .

وتفوق فريق على الآخر فى الإدارة وحسن التخطيط للمعركة يكسب هذا الفريق النصر على عدوه ، لأن العبرة ليست بكثرة القوات والسلاح والذخائر ، وإنما العبرة بمدى استغلال هذه القوات والأسلحة فى أداء مهامها وأهدافها على أكمل وجه . ، والإدارة السليمة هى التى تقوم بواجب استغلال الطاقات وتنظيم القوات .

ويضرب روبرت مكنمارا مثلاً على ذلك ببروسيا وأمريكا اليوم فيقول :

( إن الولايات المتحدة تمتلك تكنولوجيا عالية جداً ، وكذلك الاتحاد

السوفيتى ، ولكن الذى سوف يحسم المعركة هو الإدارة السليمة ) ( ١ ) .

وقول "روبرت" هذا ، مبنى على ان الذى يحسم الصراع بين قوتين

متكافئتين هو الإدارة السليمة ، وهو صحيح من جهة بيان أهمية الإدارة فى

المعركة ، وهو ما نقصده ، ولكنه غير صحيح من جهة أخرى ، وهى قصوره

أسباب النصر والغلبة على التكنولوجيا والقوة العسكرية وحسن الإدارة

فقط ، وإهماله الجانب الإيماني ، وهو من أبرز أسباب النصر على الاطلاق

كما يعتقد المسلمون وكما بينا فى أول هذه الرسالة .

ومن أبرز مقومات الإدارة السليمة التخطيط والتنظيم فى المعركة ،

وهو ما سأتولى بيانه فى الصفحات القليلة القادمة من خلال استقراء

التخطيط والتنظيم فى جهاد الرسول القائد والصحابة الكرام .

إن ما يقابل التخطيط هو العفوية ، ولا يمكن لعمل عفوى أن ينجح

فى وجه عمل مخطط له ، كذلك لا يمكن لعمل فوضى غير منظم أن ينجح

على عمل منظم . وهذا ما يصدق قوله فى كل الأعمال ، وفى الحروب

والمعارك خاصة ، إذ يكون النصر بإذن الله حليفاً لمن أخذ بأسباب

التخطيط والتنظيم الدقيق .

( ١ ) انظر مجلة الامة القطرية - العدد السابع والخمسون - السنة الخامسة

من مقال اللواء الركن / محمد جمال الدين محفوظ .



ولا يعنى هذا أن عدونا إذا تفوق علينا فى الإدارة وحسن التخطيط والتنظيم سيتفوق علينا فى المعركة ، حاشا لله ، فإن وعد الله عباده المؤمنين بالنصر على عدوهم هو الحق المبين ، وهو الذى سيتحقق . ولكن بشرط عدم الإهمال أو التفريط فى الأخذ بأسباب النصر التى منها التخطيط وحسن الإدارة . وحسبنا فى ذلك أن نعد ما أمكننا ونستفرغ ما بوسعنا ، ثم نكسر الأمور إلى ربنا ، وهو ناصرنا .

وهل كان مستوى المسلمين فى العهد الأول بمستوى الفرس والروم فى هذا الجانب حتى ينتصروا عليهم ؟ لقد نصرهم الله عزوجل رغم تدنى مستواهم عنهم لإيمانهم وحسن توكلهم ، ولبذلهم كل ما فى وسعهم من حسن التخطيط للمعركة وحسن تنظيم المجاهدين فيها كما سترى .  
وإذا فرط المسلمون فى هذا السبب فإنهم مفرطون فى واحد من أسباب النصر ويخالفون بهذا سنة الله فى النصر ، مما يجعل فقدانهم النصر وشيكاً .

#### التخطيط فى جهاد الرسول القائد :

كل خطة لها هدف عام يمكن تقسيمه إلى أهداف مجزأة حسب كل مرحلة من مراحل الخطة . ولها كذلك وسائل مقررّة تؤدى إلى تحقيق الأهداف المنشودة .

والخطط أيضاً تنقسم إلى قسمين باعتبار تقسيم الأهداف : الخطة العامة وهى المرتبطة بالهدف العام ، ويطلق عليها ( الاستراتيجية ) ، والخطة الخاصة : وتكون متعلقة بأهداف خاصة تندرج كلها تحت الهدف العام .  
وتطبيق ذلك فى جهاد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام كما يلى :-

أولاً : الهدف العام : إعلاء كلمة الله فى الأرض .

ثانيا / الأهداف الخاصة : مثل :-

- ( ١ ) الجهاد لإقامة دولة إسلامية تكون نقطة إنطلاق لإعلاء كلمة الله فى الأرض . وانتهت بقيام الدولة بالمدينة المنورة .
- ( ٢ ) الجهاد لتأمين استقرار المدينة ( الدولة الجديدة ) من خلال طرد اليهود .
- ( ٣ ) تأديب القبائل العربية ، وفرض هيبية المسلمين عليها .
- ( ٤ ) فرض الحصار الاقتصادى على قريش .
- ( ٥ ) فتح مكة واسترداد بيت الله الحرام فى حى دين الاسلام والدولة الاسلامية . الى غير ذلك من الاهداف .

ثالثا / الوسائل : استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم لتحقيق هذه الأغراض

وسائل كثيرة منها :-

- ( ١ ) الدعوة والتبليغ بين الناس .
- ( ٢ ) إرسال الرسائل والوفود الى القبائل والملوك .
- ( ٣ ) القتال ، وتوجيه سرايا والبعوث .
- ( ٤ ) الضغط الاقتصادى .
- ( ٥ ) الضغط المعنوى والنفسى . ( ١ )

رابعا / الخطة العامة : ارتبطت الخطة العامة عند الرسول صلى الله عليه

وسلم بالهدف العام وهو إعلاء كلمة الله .

وسارت بتدرج طبيعى حسب القدرة القتالية للمسلمين وحسب

الظروف المحيطة بهم .

---

( ١ ) انظر هذه الوسائل . ووسائل اخرى كذلك مفصله فى كتاب / استراتيجية الفتوحات الاسلامية . تأليف الرائد/ وليد جرادات ( ٢٧ - ٣٥ ) .

( ١ )

ويمكن القول ان الخطة العامة عند الرسول صلى الله عليه وسلم مرت بثلاث مراحل .

### المرحلة الاولى : دور الحشد :

وهو يبدأ من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم الى هجرته الى المدينة .  
وهذه المرحلة تتميز بأنها مرحلة جهاد دعوة ( لا قتال فيه ) . وتمكن الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المرحلة من اعداد خميرة الجيش الاسلامى ليكونوا بذلك نواة الجهاد وطلائع الفتح . وانتهت هذه المرحلة بتكوين الدولة التى تمثل نقطة التجمع والانطلاق لهذه الطلائع .  
المرحلة الثانية : دور الدفاع عن العقيدة :-

ويبدأ من السنة الاولى للهجرة بعد أن نزل الاذن بالقتال . يقول سبحانه وتعالى : ( اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ) ( ٢ ) .

وانتهت هذه المرحلة بانتهاء غزوة الاحزاب حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم عقبها : ( الآن نغزوهم ولا يغزونا ) ( ٣ ) اى نغزو المشركين فى عقد دارهم . وهو ما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يسير وفق خطة واضحة المعالم ، فاراد أن ينتقل من مرحلة الدفاع ، او اراد أن يطور خطة الدفاع الى خطة هجوم .

( ١ ) استعرت هذه المراحل من حيث الترتيب من اللواء الركن / محمود شيت خطاب ، وقد اوردها فى كتاب اقتباس النظام العسكرى ( ٢٩ - ٣١ ) باعتبارها الادوار التى مربها الجيش الاسلامى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . ورأيت انها تنطبق على مراحل الخطة العامة للرسول صلى الله عليه وسلم فنقلتها ، وتصرفت فيها كثيرا .

( ٢ ) الحج ( ٣٩ ) .

( ٣ ) سبق تخريجه فى موضوع القيادة الراشدة ص ( ٣٣١ ) ، هامش ( ٢ ) .

المرحلة الثالثة : دور التعرض والهجوم :

من بعد غزوة الخندق الى غزوة تبوك فى رجب من السنة التاسعة  
 (١) للهجرة . وتمكن الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المرحلة من اخضاع  
 الجزيرة العربية للاسلام ، ومناوشة الروم فى الشام كما فى غزوة تبوك .  
 هذه هى مراحل الخطة العامة فى جهاد الرسول القائد  
 وقد سار بها سيراً تدريجياً يتوازن مع قدرات المسلمين .  
ملاح التخطيط العسكرى فى جهاد الرسول القائد صلى الله عليه وسلم :

لقد كان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم يحسب للمعركة  
 الحسابات العسكرية اللازمة ويعد لها ماتقضيه من امور ، ويتخذ من  
 التدابير العسكرية مايدل على تخطيطه للمعركة . وهذه بعض ملامح  
 خطة المعركة لدى الرسول صلى الله عليه وسلم . :-

(١) تحديد الهدف من العملية العسكرية : فمثلاً غزوة بنى

المصطلق كان الهدف منها القضاء على تجمعات وحشود  
 بنى المصطلق التى كانت تنوى التحرش بالمسلمين  
 فى المدينة . (٢)

(٢) استنفار المسلمين للقتال : وهذه الخطوة تعنى اعلان

النفير العام للمسلمين للخروج الى القتال - كما حدث  
 فى فتح مكة حيث خرج معه عشرة آلاف مجاهد ، وفى حنين (٣)

(١) انظر الدرر فى اختصار المغازى والسير / لابن عبد البر (٢٨٦) .

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٣ / ٤٠٢) .

(٣) انظر المصدر السابق (٣ / ٤٠٠) .

( ١ ) اثنا عشر الفا ، وفي تبوك ثلاثون الفا - او النفير الخاص بخروج بعض المقاتلين  
كما كان في غزوة بدر .

و ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر باحصاء المقاتلين وكتابة  
أسمائهم ، وذلك في مرحلة مبكرة من مراحل نمو عدد الجيش الاسلامي .  
وهذا يدل على اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالتخطيط البشرى  
للاستفادة من هذه الاعداد والطاقات البشرية في معاركه مع العدو .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال  
النبي صلى الله عليه وسلم : ( ٣ ) اكتبوا لى من تلفظ بالاسلام من الناس . فكتبنا  
له الفا وخمسمائة رجل ، فقلنا نخاف ونحن الف وخمسمائة ؟ فلقد رأيتنا ابتلينا  
حتى ان الرجل ليصلى وحده وهو خائف ) .

نقل ابن حجر عن ابن التين ان ذلك كان في غزوة الخندق ، ونقل  
ايضا عن الداودى احتمال ان ذلك في الحديبية . ( ٤ )

و ثبت بالنص الصريح الصحيح ان الصحابة كانوا يكتبون للغزوات اى  
يسجلون اسماءهم من اجل الغزو والجهاد .

اخرج البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سمع النبى  
صلى الله عليه وسلم يقول : ( ٥ ) لا يخلون رجل بامرأة ، ولا تسافرن امرأة الا ومعها  
محرم . فقام رجل فقال : يا رسول الله اكتبته في غزوة كذا وكذا ، وخرجت امرأتى  
حاجة . قال : اذهب فحج مع امرأتك ) .

( ١ ) انظر المصدر السابق ( ٤٤٠ / ٤٤٣ ) .

( ٢ ) انظر المغازى للواقدي ( ٩٩٦ / ٣ ) .

( ٣ ) اخرجه البخارى في الجهاد / باب كتابة الامام الناس ( ١٨٠ / ٢ ) .  
ومسلم في الايمان / باب الاستسرار بالايمان للخائف / ( ١٣٢٠ ، ١٣١ / ١ ) .

( ٤ ) انظر فتح البارى ( ١٧٨ / ٦ ) .

( ٥ ) اخرجه البخارى في الجهاد / باب من اكتب في جيش . ( ١٧٠ / ٢ ) .

وباب كتابة الامام الناس ( ١٨٠ / ٢ ) .

( ٣ ) تقدير قوات العدو وجمع ما يمكن الحصول عليه من المعلومات من خلال عيونه .  
والامثلة على هذا كثيرة ، سيرد بعضها في موضوع الاستخبار .

( ٤ ) استطلاع ارض المعركة للاطلاع على الموارد الطبيعية ، والطبيعة التضاريسية للاستفادة منها في المعركة . ومثال ذلك غزوة " أحد " اذ استفاد الرسول صلى الله عليه وسلم من جبل صغير في ارض المعركة فوضع عليه فرقة الرماة لحماية المسلمين من حركة التفاف قد يقوم بها العدو ، واستفاد كذلك من جبل أحد فجعل ظهور المسلمين الى الجبل ليحميهم <sup>(١)</sup> من تلك الجهة اذ لا يستطيع العدو ومقاتلة المسلمين من جهة الجبل لانه مانع طبيعي يمنع العدو من القدوم من تلك الجهة .

( ٥ ) تقدير الجانب المعنوي في المعركة وممارسة الحرب النفسية على العدو وجنبا الى جنب مع المواجهة العسكرية . والامثلة كثيرة كما سبق في موضوع الحرب النفسية .

( ٦ ) تنظيم القوات وتعبئتها للمعركة ، وسيأتى تفصيله قريبا .

( ٧ ) وضع الخطوط العامة او التفصيلية للعمليات القتالية قبل أن تبدأ المعركة ، وسأذكر امثلة على ذلك عند بيان نماذج التخطيط للمعركة .

هذه بعض ملامح التخطيط العسكري لدى الرسول القائد عليه الصلاة والسلام . وقد تختلف هذه الملامح <sup>من معركة الى</sup> أخرى ، وذلك حسب هدف العملية العسكرية وحسب الظروف المحيطة بها .

وقد يتم التعديل على الخطة او تطويرها وذلك على ضوء ما يجد من معطيات كما حدث في معركة بدر ، وسيأتى بيان ذلك عند ذكر النماذج العملية .

( ١ ) انظر سيرة ابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٦٥ ) . وتاريخ الطبري ( ٢ / ٥٧٠ ) .

ملاح التنظيم العسكري لدى الرسول القائد :

كما كان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم<sup>يهتم</sup> بالتخطيط العسكري فقد كان يهتم ايضا بالتنظيم العسكري . وهذه بعض ملاح التنظيم العسكري لدى الرسول صلى الله عليه وسلم .

الاول : اتخاذ الامراء على السرايا والبعوث وعلى مجموعات المجاهدين :

ان من لوازم تدبير شئون الجماعة من الناس أن يكون من بينهم امير عليهم يصرف امورهم ، وتجتمع عليه كلمتهم . لذا فقد امر الرسول صلى الله عليه وسلم الجماعة من الناس فى السفر اتخاذ امير لهم من بينهم فقال عليه الصلاة والسلام : ( اذا كان ثلاثة فى سفر فليؤمروا احدهم )<sup>(١)</sup> ، واتخاذ الامير على الفئة من المعاتلين هو من باب اولى .، لذا فقد كانت عادة الرسول صلى الله عليه وسلم تأمير الامراء على السرايا والبعوث .

اخرج البخارى باسناده عن سلمة قوله : ( غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، وخرجت فيما يبعث من البعث تسع غزوات مرة علينا ابوبكر ومرة علينا اسامة )<sup>(٢)</sup> .

وربما كان يوم الرسول صلى الله عليه وسلم فى الغزوة الواحدة اكثر من امير ليكون بدلا من الآخر اذا استشهد فى المعركة ، وهو تفوق من الرسول صلى الله عليه وسلم فى تنظيم المعركة ، اذ بتعيين القيادات البديلة يحفظ الجيش نظامه وتماسكه اذا استشهد احد القادة .

(١) اخرجه ابوداود فى الجهاد / باب فى القوم يسافرون يومرون احدهم

(٣/٣٦) . رواه باسناد واحد مرة عن ابى سعيد الخدرى ومرة عن ابى هريرة .

قلت : اسناده حسن ، لاجل حاتم بن اسماعيل : صدوق ، انظر التقريب

(١/١٣٧) . والتهذيب (١/١٢٨) . والميزان (١/٤٢٨) ، ولاجل

محمد بن عجلان : صدوق . انظر التقريب (٢/١٩٠) . والميزان (٣/٦٤٤) .  
وبقية رجاله ثقات .

(٢) سبق تخريجه فى موضوع القيادة الراشدة ( ٣٢١ ) .

ومثال ذلك فى تعيينه ثلاثة امراء على المسلمين فى غزوة مؤتة . وسمى الجيش يومها جيش الامراء .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - عن عبد الله بن عمر قال : ( امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان قتل زيد فجعفر ، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال عبد الله : كنت فيهم فى تلك الغزوة فا لتعسنا جعفر بن ابى طالب فوجدناه فى القتل - ما فى جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية ليس منها شىء فى دبره يعنى فى ظهره ) . ( ١ )  
واستشهد فى هذه الغزوة الامراء الثلاثة ، الواحد تلو الآخر بعد أن استلم كل منهم الراية ممن سبقه وقاد المسلمين فترة من المعركة ، واستلم الراية بعدهم خالد بن الوليد حيث أمره المسلمون عليهم .

وكما ان للجيش او السرية اميراً مأمّاناً للوحدات الصغيرة التى يتكون منها الجيش او السرية امراء يمثلون صلة الوصل بين وحداتهم والامير العام للجيش .  
والامثلة على ذلك كثيرة ، وسأكتفى بذكر واحد منها ، مع انه سترد نماذج اخرى فى سياق عرض الملامح الاخرى للتنظيم فى المعركة .

لما غنم المسلمون فى حنين من هوازن ، جاءهم مسلمين يطلبون السبي والمال فخيرهم الرسول صلى الله عليه وسلم احدهما ، واختاروا السبي ( فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين فاشنى على الله بما هو اهله ثم قال : اما بعد فان اخوانكم قد جاءوا تائبين ، وانى قد رأيت ان ارد اليهم سبيهم ، فمن احب منكم ان يطيب ذلك فليفعل ، ومن احب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيها اياه من اول ما يفيء الله علينا فليفعل ، فقال الناس : قد طيبنا ذلك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا لاندري من اذن منكم فى ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس ، فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم طيبوا واذنوا ) . ( ٢ )

( ١ ) سبق تخريجه فى موضوع القيادة الراشدة ( ٢٨٦ ) .  
( ٢ ) اخرجه البخارى فى المغازى «باب قوله تعالى : ( ويوم حنين اذ اعجبتكم )» عن مروان و لمسور بن مخرمة . ( ٦٦/٣ )



انزاً فـجيش المسلمين كان مقسماً الى وحدات كل وحدة عليها عريف  
ينقل اوامر القيادة لوحده ، وينقل رأى وحدته الى القيادة كذلك .  
وتنظيم العلاقة بين القائد والجنود من جهة الحقوق والواجبات لكل منهما  
امر نظمه الا سلام ، ولن اتعرض الى تفصيل ذلك هنا ، واكتفى بما ذكرته فى  
موضوعي الطاعة ، والقيادة الراشدة .  
الثانى : التعبئة وتوزيع القوات :

ومن اشكال التنظيم العسكرى الذى عمل به الرسول صلى الله عليه وسلم  
توزيعه الجيش الى فرق ووحدات وكتائب كل واحدة منها بامرة مسئول . ولا يخفى  
على احد اهمية هذا التوزيع فى المعركة ، وسيأتى التمثيل لذلك عند ذكر  
نموذج التنظيم فى غزوة الفتح .

ويعتمد توزيع الكتائب احياناً على نوع اسلحة المقاتلين فيجعل سلاح  
الرماة مثلاً فرقة واحدة بامرة مسئول كما كان ذلك فى أحد اذ كان فريق الرماة  
بامرة عبد الله بن جبير ، وحدد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم نوع المهمة القتالية  
المكلفين بها ، وهى حماية المسلمين من حركة التغاب المشركين .

وكذا الحال بالنسبة لسلاح الفرسان ، ومثال ذلك ان خالد بن الوليد  
رضى الله عنه كان قائد فرقة الخيالة فى غزوة حنين . وكذلك ايضا سلاح المشاة  
اذ كان ابو عبيدة رضى الله عنه امير فرقة ا لرجال فى غزوة الفتح .  
( ٣ )

- 
- ( ١ ) ورد فى حديث سبق تخريجه فى موضوع الطاعة ( ٣٨٢ ) هامش ( ٣ ) .  
( ٢ ) ورد فى حديث اخرجہ الامام مسلم عن انس بن مالك فى كتاب الزكاة  
باب اعطاء الموءلفة قلوبهم على الاسلام . ( ٢ / ٧٣٦ ، ٧٣٧ ) .  
( ٣ ) سيأتى بيانه قريباً عند ذكر نماذج التخطيط والتنظيم فى المعارك ، فغزوة الفتح .

(١) واما تعبئة الجيش فالمراد بها ترتيب مواضعهم وهيئاتهم للحرب .

استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم فى المعارك نظامين للتعبئة هما :

الاول : تنظيم الصفوف :

و يكون بترتيب المقاتلين كل مجموعة فى صف ، وكل صف يتلو الآخر ،

وتكون الصفوف الامامية من المسلحين بالرماح لصد وكسر هجمات العدو ،

وتكون الصفوف المتعاقبة الاخرى من المسلحين بالنبال لتسديدها على

المهاجمين <sup>من</sup> الاعداء (٢) .

واستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النظام من التعبئة عند غزوه

لنجـد .

اخرج البخارى بسنده عن ابن عمر قوله : ( غزوت مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم قبل نجد فوازيننا العدو و فاصفنا لهم ) (٣)

واستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا فى غزوة بدر ، وسيأتى ذكرها

قريبا .

الثانى : والتنظيم الآخر :

يقوم على توزيع القوات الى مقدمة تكون فى مقدمة الجيش والامير ، والساقة

تكون خلف الامير ، وعن يمينه الميمنة ، وعن يساره العيسرة ، ويقف الامير وقسم مسن

الجيش فى القلب (٤) . ومثال ذلك تعبئة المسلمين فى غزوة الفتح وسيأتى بيانها قريبا .

(١) انظر غريب الحديث لابن الاثير (٣ / ١٦٨) .

(٢) انظر الرسول القائد . تأليف اللواء الركن محمود شيبست خطاب (١١٦) .

(٣) اخرجه البخارى فى المغازى / باب غزوة ذات الرقاع (٣ / ٣٦) .

(٤) انظر مقدمة ابن خلدون (٢٧٢) .

### الثالث / اتخاذ الرايات والالوية للجيش والكتائب:

ومن ملاح تنظيم الجيش تميزه باتخاذ لواء خاص به ، وتميز كل فرقة منه براية خاصتها .

- اخرج الترمذى - واللفظ له - وابوداود عن يونس بن عبيد مولى محمد ابن القاسم قال : (١) بعثنى محمد بن القاسم الى البراء بن عازب اسأله عن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت سوداء مربعة من نمرة . (٢)
- اخرج الترمذى - واللفظ له - وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس قوله (٣) (كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه ابيض) . (٤)

- (١) اخرجه الترمذى فى الجهاد / باب ماجاء فى الرايات (٤/١٩٦) . قال الترمذى : وهذا حديث حسن غريب . واخرجه ابوداود فى الجهاد باب فى الرايات والالوية (٣/٣٢) . قلت : حسن الذهبى هذا الحديث . انظر الميزان (٤/٤٨٢) .
- (٢) نمرة : بفتح فكسر هى بردة من صوف يلبسها الاعراب ، فيها خطوط من بياض وسواد . انظر تحفة الاحوذى (٥/٣٢٨) .
- (٣) اخرجه الترمذى فى الجهاد / باب ماجاء فى الرايات (٤/١٩٦) . قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس . واخرجه ابن ماجه فى الجهاد / باب الرايات والالوية (٢/٩٤١) . واخرجه الحاكم فى المستدرک (٢/١٠٥) . قلت : اسناده ضعيف لاجل يزيد بن حبان "ضعفه الذهبى فى تذييله على المستدرک (٢/١٠٥) . وقال ابن حجر : صدوق يخطئ . انظر التقريب (٢/٣٦٤) ، وانظر التهذيب (١١/٣٢٢) .
- (٤) قال صاحب تحفة الاحوذى : (الالوية جمع لواء بكسر اللام والمد يقال فى المغرب اللواء علم الجيش وهو دون الراية ، لانه شقة ثوب يلوى ، ويشد الى عود الرمح ، والراية علم الجيش ويكنى ام الحرب وهو فوق اللواء) . وقال ابوبكر ابن العري : اللواء غير الراية . فاللواء ما يعقد فى طرف الرمح ويلوى عليه . والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح . وقال التوريشى : الراية هى التى يتولاها صاحب الحرب ويقاوم عليها وتميل المعاتلة اليها . واللواء علامة ككبكية الامير تدور معه حيث دار . وفى شرح مسلم الراية العلم الصغير واللواء العلم الكبير) انظر تحفة الاحوذى (٥/٣٢٦) .

وفى غزوة مؤتة كانت للمسلمين راية حملها قائدهم زيد حتى استشهد ، ثم حملها قائدهم الثانى جعفر حتى استشهد فحملها قائدهم الثالث عبد الله بن رواحة حتى استشهد ثم حملها خالد بن الوليد بعد أن اختاروه اميرا عليهم (١) .  
وفى غزوة خيبر كان على بن ابي طالب قائد الجيش يحمل الراية العامة لجيش المسلمين .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - عن سهل بن سعد رضى الله عنه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر : ( لا عطين الراية رجلا يفتح الله على يديه . قال فقاموا يرجون لذلك ايهم يعطى فغدوا كلهم يرجوا ان يعطى فقال : اين على ؟ الحديث ) (٢) .

ولاشك ان اتخاذ اللواء والراية فى المعركة يفيد فى تمييز الجيش الاسلامى عن جيش الكفار فيكون بذلك وسيلة للتعرف عليه ، كما انه يبعث فى نفوس المجاهدين روح العزة والاستعلاء على اعداء الله ويزيد فى حماسهم من اجل الدفاع عن دين الله ، كى تبقى راية الاسلام عالية خفاقة .

#### الرابع / اتخاذ الشعار فى المعركة :

ومن الوسائل التنظيمية التى اتبعها الرسول القائد صلى الله عليه وسلم فى المعركة اتخاذ الشعار او كلمة السر ، وهى كلمة يومية متجددة عند القتال وفى اثناء الليل ، الهدف منها :

( ١ ) ان تكون كلمة تعارف بين المجاهدين حتى لا يختلط بعضهم ببعض فيقتل احدهم الآخر ، وحتى لا يتمكن احد من الاعداء من اختراق صفوفهم والانغماس فيهم .

( ١ ) انظر ذلك فى صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، غزوة مؤتة ( ٥٨ / ٣ ) بيرويه انس رضى الله عنه .

( ٢ ) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب دعاء النبى الى الاسلام والنبوة . ( ١٦١ / ٢ ) .  
ومسلم فى فضائل الصحابة / باب فضائل على بن ابي طالب ( ١٨٧٢ / ٤ ) .

( ٢ ) اذكاء روح الجهاد والتضحية والفداء من خلال شعار يلهم حماساً للمجاهدين .

( ٣ ) ارباب العدو من خلال اطلاق شعار يدق لهم اجراس الموت وينذرهم بالويل والهزيمة مما يحطم معنوياتهم فى المعركة .  
وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ التنظيمى فى جهاده لعدوه .

اخرج الامام احمد - واللفظ له - وابن الجارود وابوداود والترمذى والحاكم عن البراء بن عازب قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( انكم ستلقون العدو وغدا وان شعاركم حم لا ينصرون ) .

قال الخطابى فى معنى شعار الجيش ( حم لا ينصرون ) قال : ( معناه الخبر ، ولو كان بمعنى الدعاء لكان مجزوما اى لا ينصروا ، وانما هو اخبار كانسه قال : والله انهم لا ينصرون ، واذف : وقد روى عن ابن عباس انه قال حم اسم من اسماء الله فكأنه حلف بالله انهم لا ينصرون ) . ( ٢ )

واذا كان هذا الشعار خبها فانه يحمل بشارة النصر، وهو ما يزيد فى حماسة المجاهدين ويرفع من معنوياتهم الجهادية . وعند غزو ابى بكر رضى الله عنه هوازن كان شعار المسلمين : أمت ، أمت .

( ١ ) اخرجه الامام احمد فى المسند ( ٦٥/٤ ، ٣٧٧ / ٥ ) . وابن الجارود فى المنتقى / كتاب الجهاد / باب ما جاء فى الشعار فى الحرب ( ٣٥٥ ) والترمذى فى الجهاد / باب ما جاء فى الشعار ( ١٩٧ / ٤ ) .  
وابوداود فى الجهاد / باب فى الرجل ينادى بالشعار ( ٣٣ / ٣ ) .  
والحاكم فى المستدرک ( ١٠٧ / ٢ ) وصححه . قلت : صحح ابن كثير الحديث فى التفسير / تفسير سورة غافر ( ٦٩ / ٤ ) .  
( ٢ ) انظر عون المعبود شرح سنن ابى داود ( ٢٥٨ / ٧ ) .  
وتحفة الاحوذى ( ٣٣٠ / ٥ ) .

اخرج الامام احمد وابوداود-واللفظ له- وابن ماجة والدارمي والحاكم عن اياس  
(١)  
ابن سلمة عن ابيه قال : ( امر رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ابا بكر رضى الله  
عنه فغزونا ناسا من المشركين فيقتناهم نقتلهم ، وكان شعارنا تلك الليلة : أمت . أمت ،  
قال سلمة : فقتلت بيدي تلك الليلة سبعة اهل ابيات من المشركين ) .

قال ابن الاثير فى معنى الشعار ( أمت أمت ) : ( هو أمر بالموت ، والمراد  
به التفاؤل بالنصر بعد الامر بالامانة مع حصول الغرض للشعار ، فانهم جعلوا  
هذه الكلمة علامة بينهم يتعارفون بها لاجل ظلمة الليل ) . (٢)

هذه بعض ملامح التنظيم القتالى للجيش وقت المعركة كما طبقها الرسول القائد  
عليه الصلاة والسلام فى جهاده ، يرى فيها الدارس الابتكار والدقة العسكرية .  
وهذا درس للمسلمين اليوم كى يطلعوا على اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم  
بالاساليب العسكرية المختلفة ، واخذه بها كى ينتصر على عدوه ، فهو درس للمسلمين  
فى اسباب النصر والهزيمة .

نماذج من تخطيط المسلمين وتنظيمهم للمعارك :

بعد ان ابرزت اهم ملامح التخطيط والتنظيم العسكرى لدى الرسول القائد  
عليه الصلاة والسلام ، سأتناول غزوتين من غزواته عليه الصلاة والسلام للاطلاع  
على نموذج التخطيط والتنظيم فى الغزوة الواحدة ، ثم سأذكر نماذج اخرى  
من تاريخ جهاد الصحابة رضوان الله عليهم .

- (١) اخرجه الامام احمد فى المسند (٤٦/٤) . وابوداود فى الجهاد  
باب فى الرجل ينادى بالشعار (٣٣/٣) ، وباب فى البيات (٤٤٠، ٤٣/٣) .  
وابن ماجة فى الجهاد / باب الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان  
(٩٤٧/٢) . والدارمي فى الجهاد / باب الشعار (١٣٨/٢) .  
والحاكم فى المستدرک (١٠٧/٢) وصححه . قلت : اسناد الدارمي  
صحيح ورجاله ثقات . واسناد الاخرين حسن لاجل عكرمة بن عمار  
فهو صدوق يخطئ كما فى التقريب (٣٠/٢) ، وقال الامام احمد : وكان  
حديثه عن اياس بن سلمة صالحا . انظر الميزان للذهبي (٩١/٣) .  
وحسن الالبانى اسناد ابي داود فى مشكاة المصابيح (١١٥٥/٢) .  
(٢) انظر جامع الاصول لابن الاثير (٥٧٣/٢) بتصرف .

التنظيم والتخطيط في معركة بدر :

- اولا : ارسل الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بسياسة عينا ينظر ما صنعت  
عير ابي سفيان <sup>(١)</sup> فجاءته الاخبار بذلك . وعلى ضوء المعلومات المتوفرة تحرك  
الرسول بمن حضر معه من المسلمين ، وكانت القافلة هي الهدف .
- ثانيا : ولما علم المسلمون بانحراف القافلة عن مسارها للافلات من قبضة  
المسلمين ، تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال التحقيق مع بعض اسرى  
قريش من معرفة النوايا الجديدة لقريش وعزمها على قتال المسلمين ، وتمكن من  
معرفة عدد العدو وقادته <sup>(٢)</sup> .
- ثالثا : بعد ان تغير الهدف الذي قدم من اجله المسلمون وبرزت معطيات  
جديدة في الصراع مع المشركين ، بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم في تغيير خطته  
لتكون قائمة على قتال قريش وهزيمتها ، وبناءً عليه فقد اتخذت التدابير الآتية :
- ( ١ ) مشاوره الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين في قتال المشركين  
وموافقة المسلمين على ذلك <sup>(٣)</sup> .
- ( ٢ ) التحرك السريع لقوات المسلمين لكي يستولوا على عيون الماء ببدر  
وتغوير العيون الاخرى لمنع العدو من الاستفادة منها .
- ( ٣ ) تعبئة الرسول صلى الله عليه وسلم للمقاتلين : ليلا  
لقد عبأ الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين في بدر لكي يكونوا  
على اهبة الاستعداد لقتال المشركين .

---

( ١ ) ورد في حديث سيأتي بيانه وتخرجه في موضوع الامن العسكرى / الاستطلاع  
ص ٤٣١ ، فيمكن الاطلاع عليه .

( ٢ ) انظر ذلك ايضا في موضوع الاستطلاع في غزوة بدر من موضوع الامن العسكرى  
ص ( ٤٣٢ ، ٤٣٣ ) .

( ٣ ) انظر موضوع الشورى - غزوة بدر ص ( ١٩٦ ، ١٩٧ ) .

اخرج الامام الترمذى عن عبدالرحمن بن عوف قال : ( ١ ) عبأنا رسول الله  
ببدر ليلا .

وكان من تعبئة المسلمين آنذاك اتباع نظام الصفوف ، وهو تنظيم جديد على  
قريش التي كانت تعتمد اسلوب الكر والغر .

اخرج الامام احمد عن ابى ايوب رضى الله عنه قال : ( ٢ ) صفنا يوم بدر فبدرت  
منا بادرة امام الصف فنظر اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : معي معي .  
واتباع المسلمين لا سلوب الصف اكسبهم المزايا الآتية :

( أ ) تأمين ترتيب القوات بالعمق مما يبقى للقائد احتياطاً من القوة لمعالجة  
المواقف الطارئة كأن يصد هجوماً مضاداً للعدو ، او يضرب كميناً  
أو أن يستخدم هذا الاحتياط فى حماية أجنحة الجيش من هجمات العدو أو أن  
يستثمره فى الانقضاض على الخصم فى هجوم من منطقة ضعف لدى العدو أو من  
خلال حركة التفاف حوله .

( ب ) تأمين سيطرة القائد على القوات باكملها فى حين ان اسلوب الكر  
والغر الذى اتبعه المشركون لا يتحقق فيه ذلك لانه يعتمد على  
الحركة الفردية للمقاتلين .

( ١ ) اخرجه الترمذى فى فضائل الجهاد / باب ما جاء فى الصف والتعبئة عند القتال  
( ١٩٤ / ٤ ) . قال الترمذى : وهذا حديث غريب لانعرفه الا من هذا  
الوجه ، وسألت محمد بن اسماعيل ( البخارى ) عن هذا الحديث فلم يعرفه  
وقال : محمد بن اسحاق سمع من عكرمة ، وحين رأته كان حسن الرأى فى  
محمد بن حميد الرازى ثم ضعفه بعد . قلت : الحديث ضعيف ، لاجل محمد  
ابن حميد الرازى ضعفه البخارى كما نقل الترمذى ، وابن حجر فى التقريب  
( ١٥٦ / ٢ ) . والذهبى فى الميزان ( ٥٣٠ / ٣ ) ، ولاجل تدليس ابن اسحاق  
اذ لم يصرح بالسماع من عكرمة فى هذا الحديث .  
( ٢ ) اخرجه الامام احمد فى المسند ( ٤٢٠ / ٥ ) .

قلت : قال ابن كثير فى تاريخه ( ٣ / ٢٧١ ) : تفرد به احمد ، وهذا اسناد حسن .



( ج ) كما أن اسلوب الصفوف يصح للدفاع وللهجوم فى وقت واحد .

( د ) استخدام اسلوب الصف فيه مباغته للعدو لان المشركين لم يعرفوا

هذا الاسلوب من القتال ، يقول اللواء / محمود شيت خطاب :

( ان تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم لاسلوب الصفوف فى معركة بدر عامل

مهم من عوامل انتصاره على المشركين ، والتاريخ العسكرى يحدثنا بان سر انتصار

القادة العظام . . هو انهم طبقوا اسلوبا جديدا فى القتال غير معروف اوقاتلوا

باسلحة جديدة غير معروفة ) .<sup>( ١ )</sup>

( ٤ ) ووزع الرسول صلى الله عليه وسلم الرايات فاعطى اللواء - وكان ابيض - الى

مصعب بن عمير ، واعطى رايتين سوداوين لعلى بن ابي طالب وسعد

( ٢ ) ( ٣ )

ابن معاذ ، وجعل على الساقة قيس بن ابي صعصعة .

( ٥ ) وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمهاجرين شعارا وللأنصار شعارا

يتعارفون به .

( ٤ )

اخرج ابوداود بسنده عن سموة بن جندب قال : ( كان شعار المهاجرين

عبدالله وشعار الأنصار عبد الرحمن ) .

( ٦ ) حراسة المسلمين وقتالليل ، وقد قام الرسول بنفسه على حراستهم .<sup>( ٥ )</sup>

( ١ ) الرسول القائد / اللواء الركن محمود شيت خطاب ( ١١٧ ) .

( ٢ ) الساقة : جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ، ويكونون من ورائه

يحفظونه . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٢ / ٤٢٤ ) .

( ٣ ) انظر البداية والنهاية لابن كثير ( ٣ / ٢٦٠ ) . وزاد المعاد لابن القيم

( ٢ / ٢١٧ ) .

( ٤ ) اخرجه ابوداود فى الجهاد / باب الرجل ينادى فى الشعار ( ٣ / ٣٢ ، ٣٣ ) .

قلت : اسناده ضعيف لاجل الحجاج بن ارطأة فهو صدوق كثير الخطأ ومدلس

من الطبقة الرابعة ، الذين لا يحتج بحديثهم الا اذا صرحوا بالسماع . والحديث

رواه بالعنعنة انظر التقريب لابن حجر ( ١ / ١٥٢ ) . والميزان للذهبي

( ١ / ٤٥٨ - ٤٦٠ ) . وضعه الالبانى فى مشكاة المصابيح ( ٢ / ١١٥٥ ) .

( ٥ ) ورد ذلك فى حديث سبق ذكره وتخريجه فى موضوع القيادة الراشدة فيمكن الرجوع

اليه ص ( ٢٤١ ) .

( ٧ ) تنظيم عملية استخدام الاسلحة ضد العدو .

لقد اعطى الرسول القائد عليه الصلاة والسلام تعليماته للمجاهدين بما يحقق تنظيم عملية استخدام الاسلحة وحسن الاستفادة منها في المعركة .

اخرج البخارى - واللفظه - وابوداود عن ابى اسيد قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : ( ١ ) اذا اكتبوكم فارموهم واستبقوا نيلكم ) .

ومعنى قوله ( اذا اكتبوكم ) اي اذا قربوا منكم . وقوله ( فارموهم واستبقوا نيلكم ) امر بالاستبقاء اي طلب الابقاء . ومعنى قوله ( واستبقوا نيلكم ) لا يتعلق بقوله ( ارموهم ) وانما هو كالبیان للمراد بالامر بتأخير الرمي حتى يقربوا منهم ، اي انهم اذا كانوا بعيدا لاتصيبهم السهام غالبا ، فالمعنى استبقوا نيلكم في الحالة التي اذا رميتم بها لاتصيب غالبا ، واذا صاروا الى الحالة التي يمكن فيها الاصابة غالبا فارموا . ( ٢ )

وتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم المذكور - للمقاتلين يستهدف تأخير اطلاق النبل حتى مظنة اصابته للهدف ، وذلك حرصا على الاستفادة من النبل لتصيب اهدافها مباشرة ولا تضع سد .

( ١ ) اخرجه البخارى فى المغازى - غزوة بدر / باب فضل من شهد بدرا . ( ٨٠٧ / ٣ ) .

وابوداود فى الجهاد / باب فى الصفوف ( ٥٢ / ٣ ) وباب فى سبل السيوف ( ٥٢ / ٣ ) .

( ٢ ) انظر فتح البارى لابن حجر ( ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦ / ٧ ) ، ( ٩٢ / ٦ ) .

يقول اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ : ( والمد هـش أن هذا الامر ( واستبقوا نبلكم ) هو بعينه قاعدة يتعلمها العسكريون اليوم فى الدفاع ويطلقون عليها ( كبت او حبس النيران ) فرصا البنادق اليوم يصل مداه الى عدة مئات من الامتار، لكن اصول الرمي فى الدفاع تقضى بأن " يحبس " المدافعون نيران بنادقهم حتى يصل العدو المهاجم الى مدى ( ١٠٠ ) متراً أو أقل حتى يضمنوا دقة الاصابة مع الاقتصاد فى استهلاك الذخيرة فى الوقت نفسه ) (١).

وبالاطلاع على رواية ابي داود ندر ك زيادة جديدة تضيف توجيها آخر فى عملية تنظيم استعمال الاسلحة .

فقد جاء فيها : ( اذا اكثبوكم فارموهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم ) .

والزيادة هى قوله ( لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم ) اى يكونوا مواجهين لكم مباشرة قريبين من ايديكم .

• فى البداية امر باستخدام سلاح النبل عند ما يكون العدو على مسافة الاصابة المباشرة ثم امر باستخدام سلاح السيف عندما يقرب منهم العدو وويكونون فى متناول الايدى والسيوف .

( ١ ) انظر مجلة الامة / عدد ٧ / السنة الخامسة .

البداية  
استخدام سلاح النبيل <sup>نبي</sup> / مهم لعالمه من الاثر في ارباك العدو و  
وتحطيم هجومه ، وبالمقابل يحفظ اتزان الجيش وقدراته وطاقاته، كما يحفظه  
على نفس التعبئة التي كان عليها، ويسهل على القيادة تحريكه لمتطلبات جديدة  
تقتضيها المعركة . ويأتى بعد ذلك استخدام السيوف بعد أن يكون هجوم  
العدو قد انكسر ، في حين يكون المسلمون بكامل قوتهم اذ لم يبذلوا جهدا  
كبيراً فيتمكنون بهذا من تصفية العدو .

هذه مجموعة من التدابير العسكرية التي اتخذها الرسول القائد  
صلى الله عليه وسلم في بدر ، والتي تعبر عن حسن تخطيطه وتنظيمه للمعركة ،  
وهي من الاسباب التي مكنت المسلمين من الانتصار على المشركين في بدر  
بفضل الله وتوفيقه .

#### التخطيط والتنظيم في غزوة الفتح :

تعدُّ غزوة الفتح من اهم الغزوات في تاريخ الدعوة الاسلامية لاسباب كثيرة  
اهمها أن مكة فيها اهم مقدسات المسلمين حيث البيت الحرام والمناطق  
التي تؤدى فيها مشاعر الحج والعمرة، كما أن في مكة أعتى قوة في شبه  
الجزيرة العربية فباستسلامها يسهل السيطرة على باقى انحاء شبه الجزيرة  
وكافة قبائل العرب .

ولذا فان فتح مكة كان من الاهداف الاساسية التي استهدفها الرسول  
القائد صلى الله عليه وسلم بجهاده . ودارت جولات جهادية مع قريش لكنها  
لم تكن لتحسم الامر معهم . ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين طويلة  
يعدُّ لفتح مكة فكون ذلك جيشا ضاربا من الانصار والمهاجرين والمسلمين الاعراب،

واستعمال كثيرا من القبائل العربية ، وتدريب جيش المسلمين مرات للقتال ضد ذلك العدو وفي بدر واحد والاحزاب، واذهب بذلك هيبة قريش وكبرياءها وافقدتها الثقة في قدرتها على مواجهة ذلك الجيش.

واتاح صلح الحديبية الفرصة للمسلمين لتطوير قوتهم وتشديد قبضتهم على باقى المشركين من القبائل العربية . . ولما نقضت قريش الصلح ، تحققت للمسلمين فرصة توجيه الضربة القاضية لقريش فى عقر دارها ليتحقق بذلك الهدف الرئيسى الذى طالما جاهد المسلمون من اجله .

وقد اعد الرسول القائد لهذه الضربة اعدادا مسبقا طويل المدى كما ذكرت سابقا ، ثم لما حانت الفرصة اتخذ قراره بتوجيه الضربة ، واعد خطة الهجوم ونظم الجيش ، وتمثل ذلك فى اتخاذ مجموعة التدابير الآتية :

اولا : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نقض قريش الصلح تجهز للقتال ( واوجب مع رسول الله المهاجرون والانصار فلم يتخلف عنه )<sup>(١)</sup> ، واستنفر القبائل التى حول المدينة فخرجت قبيلة اسلم وغفار ومزينة وجهينة واشجع وسليم .<sup>(٢)</sup>

و بلغ عدد جيش المسلمين فى هذه الغزوة عشرة آلاف مقاتل .<sup>(٣)</sup>

أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما : ( ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج فى رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف وذلك على رأس ثمانين سنين ونصف من مقدمه المدينة . . . ) .

( ١ ) فقرة من حديث طويل سبق تخريجه فى موضوع الحسب النفسية صفحة ( ٣١٩ ) ، هامش ( ١ ) .

( ٢ ) ورد ذلك فى حديث سبق تخريجه فى موضوع الحرب النفسية صفحة ( ٢١٩ ) هامش ( ٢ ) فليراجع هناك .

( ٣ ) اخرجه البخارى فى المغازى / باب غزوة الفتح فى رمضان ( ٦٠ / ٣ ) .

ثانيا : حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على كتمان خبر تحرك المسلمين الى مكة ، لباغت القوم في ديارهم .  
( ١ )

ثالثا : تعبئة الجيش : عبأ الرسول صلى الله عليه وسلم الجيش الى ميمنة وميسرة وقلب و مؤخرة وهم الرجال .

رابعا : اختيار القادة الاكفاء : جعل رسول الله على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة الزبير وعلى الرجال ابا عبيدة ، وكان رسول الله قائدا لكتيبة اخرى .  
( ٢ )

أخرج الامام مسلم بسنده عن ابي هريرة قال : ( كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى ، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى ، وجعل ابا عبيدة على البياذقة و بطن  
( ٣ )  
( ٤ )

الوادى . . الحديث ) .  
( ٥ )

وفى رواية اخرى لمسلم : ( ورسول الله فى كتيبة ) .

خامسا : توزيع الجيش الى كتائب : كان جيش المسلمين ينقسم الى كتائب ، كبل قبيلة تعد كتيبة على حدة .

أخرج البخارى بسنده عن هشام عن ابيه قال : قال عليه الصلاة والسلام  
( ٦ )  
للعباس : ( احبس ابا سفيان عند حطم الخيل حتى ينظر الى المسلمين .

( ١ ) انظر السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٣٩٠ ) .

( ٢ ) اخرج الامام مسلم فى الجهاد والسير / باب فتح مكة ( ٣ / ١٤٠٧ ) .

( ٣ ) المجنبة : قال ابن الاثير : مجنبة الجيش هى التى تكون فى الميمنة والميسرة وهما مجنبتان ، والنون مكسورة . وقيل هى الكتيبة التى تأخذ احدى

ناحيتى الطريق ، والاوّل اصح . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ١ / ٣٠٣ ) .

( ٤ ) البياذقة : قال ابن الاثير : هم الرجال . واللفظه فارسية معربة . وقيل

سموا بذلك لخفة حركتهم وانهم ليس معهم ما يثقلهم . انظر غريب الحديث

لابن الاثير ( ١ / ١٧١ ) .

( ٥ ) سبق تخريجه فى هامش ( ٢ ) من هذه الصفحة وهو عند مسلم ( ٣ / ١٤٠٥ ) .

( ٦ ) سبق تخريجه فى موضوع الحرب النفسية صفحة ( ٢١٩ ) هامش ( ٢ ) .

فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة —  
 كتيبة على ابي سفيان ، فمرت كتيبة قال يا عباس : ماهذه ؟ قال : هذه غفار ،  
 قال : مالى ولغفار ، ثم مرت جهينة قال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم  
 فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك ، حتى اقبلت كتيبة لم ير مثلها قال :  
 من هذه ؟ قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية . . ، ثم  
 جاءت كتيبة وهى اقل الكتائب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه  
 وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام . . الحديث ) .

سادسا : اتخاذ الرايات والألوية فى الجيش : مرفى حديث البخارى السابق  
 ان سعد بن عبادة كان يحمل راية الانصار ، والزبير بن العوام كان يحمل  
 راية النبي صلى الله عليه وسلم .

سابعا : الاخذ بمبدأ الحراسة : ويظهر ذلك من تمكن حراس المعسكر الاسلامى  
 الذى كان نازلا بمر الظهران من القبض على ابي سفيان وحكيم بن حزام  
 وبديل بن ورقاء حيث كانوا يتلمسون الخبر كما جاء فى صحيح البخارى عن  
 هشام عن ابيه ( خرج ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء  
 يلتمسون الخبر عن رسول الله . . فرآهم ناس من حرس رسول الله فادركوهم  
 فاخذوهم فأتوا بهم رسول الله . . ) .  
 ( ١ )

ثامنا : ممارسة الحرب النفسية على ابي سفيان زعيم قريش آنذاك لدفع قريش  
 الى الاستسلام .  
 ( ٢ )

( ١ ) فقرة من حديث سبق تخريجه فى موضوع الحرب النفسية صفحة ( ٢١٩ ) هامش

( ٢ ) .

( ٢ ) راجع الحرب النفسية صفحة ( ٢١٩ ، ٢٢٠ ) .

تاسعا : تحديد خطة اقتحام الجيش لمكة : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
(١)  
من اعلى مكة من جهة كداء ، وامر الزبير ان يدخل بخيل المهاجرين من هذه  
الجهة وامره ان يركز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه وجعل الانصار  
من امامه ، وامر خالدا أن يدخل من اسفل مكة ، وامر ابا عبيدة وهو على  
الرجالة ان يدخل من بطن الوادي كما سيأتى فى حديث مسلم قريبا  
من طريق ابي هريرة .

عاشرا : تحديد موعد المعركة ونقطة الالتقاء فى مكة :

امر الرسول صلى الله عليه وسلم كتائب المسلمين بدخول مكة فى اليوم التالى  
وامر الزبير بان يغرز الراية بالحجون وينتظر حتى يلتقى به رسول الله ،  
وضرب للانصار موعدا للقاء بهم على الصفا ، وهو ما يدل على التخطيط المسبق  
وحسن التنظيم فى المعركة .

(٣)  
اخرج الامام مسلم عن ابي هريرة قال : ( كنا مع رسول الله يوم الفتح فجعل  
خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى ، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى ،  
وجعل ابا عبيدة على البياذقة وبطن الوادي ، فقال يا ابا هريرة ادع لى  
الانصار . فدعوتهم ، فجاءوا بيهرولون فقال : يا معشر الانصار هل ترون  
اوباش قريش ؟ قالوا : نعم . قال : انظروا اذا لقيتموهم غدا أن تحصدوهم  
حصدا ، واخفى بيده ووضع يمينه على شماله وقال موعدكم الصفا . قال : فما  
اشرف يومئذ لهم احد الا اناموه .

(١) انظر ذلك فى صحيح البخارى / كتاب المغازى / غزوة الفتح - باب دخول  
النبي من اعلى مكة (٦٢/٣) روته السيدة عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها .  
(٢) انظر فتح البارى لابن حجر (١٠/٨) .  
(٣) سبق تخريجه فى الصفحة (٤٠٠) ، هامش (٢) .



قال : وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا ، وجاءت الانصار فاطافوا  
بالصفا فجاء ابو سفيان فقال : يا رسول الله ابديت خضراء قريش . لا قريش  
بعد اليوم . قال ابو سفيان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن القى السلاح فهو آمن ، ومن اغلق  
بابه فهو آمن . . . الحديث ) .

خادى عشر : الهيمنة على مكة بعد دخولها ، ونزع كل الظواهر الحربية منها  
بعد تأمين من لم يحمل السلاح منهم ، واستمالة زعيم قريش آفذاك ابي سفيان  
بتأمين من دخل بيته .

مجموعة التدابير العسكرية هذه تفصح عن براعة الرسول القائد عليه الصلاة والسلام  
فى حسن التخطيط ودقة التنظيم للمعركة ، وهو ما يفصح عن واحد من اسباب  
انتصارات الرسول القائد عليه الصلاة والسلام على عدوه .

واستفاد الصحابة رضوان الله عليهم من براعة الرسول القائد عليه الصلاة والسلام  
فى التخطيط والتنظيم ، وطبقوا ما تعلموه من المبادئ خلال قيادتهم لبعض  
الغزوات والمعارك ابان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، وتفوق  
الصحابة فى ذلك ايما تفوق ، ويطيب لى ان استشهد على ذلك بمعركة  
اليرموك التى هى من اهم معارك المسلمين ضد الروم لنستمد منها درسا  
فى النصر . التخطيط والتنظيم فى معركة اليرموك :

لقد كانت معركة اليرموك من المعارك الفاصلة فى تاريخ الامة الاسلامية ، اذ اجتمع  
فيها ما يقرب من مائتى واربعين الفا من الروم ، وقابلهم ستة وثلاثون الى الاربعين  
الفا من المسلمين (١) ، وانتصر عليهم المسلمون نصرا عزيزا .

( ١ ) انظر موضوع عدم الاعجاب بالكثرة او اليأس للقلة صفحة ( ٢٤٠ ) هامش ( ١ ) .

وقد اخذ المسلمون في هذه المعركة باسباب النصر ومن ذلك ما نحن بصدده الآن وهو حسن التخطيط ودقة التنظيم في المعركة، وسألخص مجمل اجراءات التخطيط والتنظيم عند المسلمين دون استرسال او تطويل ، وهي كالآتي : ( ١ )  
 اولاً : توحيد فصائل الجيش المتفرقة في انحاء الشام في جيش واحد وذلك لما وصل خالد بن الوليد من العراق الى الشام لنجدة المسلمين هناك بامر الخليفة الصديق رضى الله عنه ( وجد خالد الجيوش متفرقة فجيش ابي عبيدة وعمرو بن العاص ناحية ، وجيش يزيد وشرحبيل ناحية . فقام خالد في الناس خطيباً فامرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف ، فاجتمع الناس وتضافوا مع عدوهم في اول جمادى الآخرة ) .

ثانياً : توحيد القيادة العسكرية : طلب خالد بن الوليد الى قادة فصائل الجيش : ابي عبيدة وعمرو بن العاص ويزيد وشرحبيل ان ينضوا جميعاً تحت قيادة واحدة بالتناوب يومياً .

وقال في ذلك : ( فلنتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غداً ، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ، ودعوني اليوم ، أليكم فأمره عليهم وهم يظنون ان الامر يطول جداً ) .

ثالثاً : عبأ خالد الجيش تعبئة حديثة ( لم تعبها العرب قبل ذلك فخرج في ستة وثلاثين كردوساً الى الاربعةين ، كل كردوس الف رجل عليهم امير ، وجعل ابا عبيدة في القلب ، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة وعلى الميسرة يزيد بن ابي سفيان ) .

( ١ ) مصدر المعلومات التي سترد هنا هو البداية والنهاية لابن كثير ( ٧ / ٩٠٨ ) .

وتاريخ الطبرى ( ٣ / ٣٩٤ - ٣٩٧ ) .

وما بين الاقواس هو من لفظ ابن كثير مع تصرف يسير منى .

وجعل خالد ( عكرمة بن ابي جهل والقعقاع بن عمرو على مجنبتى القلب ) .

رابعاً : فرقة الطليعة فى الجيش: كون خالد بن الوليد فرقة الطلائع

وامر عليها قباث بن اشيم .

خامساً : فرقة الرجال : واميرها هاشم بن عتبة بن ابي وقاص .

سادساً : فرقة الخيالة : بقيادة خالد بن الوليد وهو القائد العام للجيش .

سابعاً : فرقة لجمع الغنائم : واميرها عبد الله بن مسعود .

ثامناً : اختيار امراء الفرق العسكرية ، وعدّ هم الطبرى باسمائهم فبلغوا عنده

اثنين واربعين اميراً .

تاسعاً : توزيع الرايات على الفرق المختلفة ، وخروج كل فرقة براية .

عاشراً : وجعل خالد للجيش قاضيا وهو ابو الدرداء ، وقارئاً يقرأ على الجند

سورة الانفال وآيات الجهاد وهو المقداد بن الاسود ، وقاصا يعظهم ويحثهم

على القتال وهو ابوسفيان رضى الله عنهم .

حادى عشر : تطوير خطة المواجهة باستحكامات جديدة : لما اقبلت الروم فى

خيلائها وفخرها قد سدّت اقطار تلك البقعة سهلها ووعرها ، كأنها غمامة

سوداء . . رأى خالد تعزيز خطة المواجهة واستشار ابا عبيدة وقال له ( انى مشير

بامر فقال : قل ما امرك الله ، اسمع لك واطيع . فقال له خالد : ان هؤلاء القوم

لا بد لهم من حملة عظيمة لا محيد لهم عنها وانى اخشى على الميمنة والميسرة

وقد رأيت ان افرق الخيل فرقتين واجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى اذا

صد موهم كانوا لهم رداً فأناتيهم من ورائهم . فقال له نعم ما رأيت . فكان

خالد فى أحد الخيلين من وراء الميمنة . وجعل قيس بن هبيرة فى الخيل

الآخري ، وامر ابا عبيدة ان يتأخر عن القلب الى وراء الجيش كله لكي اذا رآه  
المنهزم استحيى منه ورجع الى القتال ، فجعل ابو عبيدة مكانه في القلب  
سعيد بن زيد احد العشرة .

من خلال ما مر من وسائل التخطيط والتنظيم في معركة اليرموك ندرك اهتمام  
المسلمين الاوائل بالاعداد الاداري للمعركة ، ونطلع من هذا النموذج وما سبقه  
من نماذج اخرى على اهمية التخطيط والتنظيم في احراز النصر ، ونؤكد على  
ان هذا السبب هو من اسباب انتصارات المسلمين الاوائل في معاركهم  
مع اعدائهم .

السبب الرابع:  
=====الأمّن العسكري  
=====

تمهيد : تعد الأسرار العسكرية من أخطر ما يؤثر على الجيش في المعركة ، لأن هذه الأسرار تحتوى على عدد الجيش وقدراته و مخططاته وتنظيماته وتحركاته ، فإذا وقعت أو وقع جزء منها في يد العدو فإنها تعتبر سلاحاً مؤثراً يمكن من خلاله احباط مخططاته ، وضرب نقاط الضعف عنده ، او مباغتته بضربة قوية تشل قدراته العسكرية وتضطره الى الرضوخ والاستسلام . لذا فان الدول الحديثة تعتنى باجهزة مخابراتها اشد العناية وتنفق عليها بغير حدود ، لتجمع لها المعلومات المهمة عن العدو ، ولتقاوم مخابرات العدو وفي المقابل . واصبحت هذه الاجهزة من الاركان الاساسية للجيش والدولة .

وحرب المعلومات لا تتوقف بين الخصوم والاعداء كل يحرص على جمع اكبر قدر من المعلومات عن خصمه لم يتمكن بناءً <sup>على</sup> هذه المعلومات من ترتيب خطته العسكرية للظفر به في المعركة .

يقول اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ : ( ويقرر العلم العسكري مبدأ يقول : يؤسس القائد خطته في الميدان على ما لديه من معلومات ، وكلما كانت المعلومات وافية ودقيقة كان الامل في نجاح الخطة كبيراً ، لذلك فمن الواجبات الضرورية لجميع القادة اتخاذ كل ما من شأنه ان يزودهم بالمعلومات عن العدو ونواياه وحركاته الى غير ذلك من المعلومات ) (١) .

( ١ ) النظرية الاسلامية في الاستطلاع والامن ومقاومة الجاسوسية تأليف اللواء الركن / محمد جمال الدين محفوظ ( ٢١ ، ٢٢ ) .

وبهذا فان الاسرار والمعلومات العسكرية هي سلاح قوى وفعال فى المعركة يسبب النصر لمن حفظ اسراره عن عدوه وعرف فى المقابل اسراره ، ويسبب الهزيمة للآخر لعدم توفر امن المعلومات والتحركات العسكرية لديه .  
وعنى الاسلام بعبداً الامن العسكرى اشد العناية ، وطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم فى جهاده كما سترى ، فكان من ابرز اسباب انتصاراته على الاعداء .

يقول اللواء الركن / محمد جمال الدين محفوظ : ( ولقد اثبت تاريخ صد ر الاسلام ان من اسباب انتصار المسلمين على اعدائهم الكثيرين ان اسرار النبي صلى الله عليه وسلم واسرار المسلمين كانت مصونة وبعبدة عن تناول الاعداء ، فى الوقت الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلع على نيات اعدائه العدوانية عن طريق عيونهم وارصاده قبل وقت مبكر فيعمل من جانبه على احباط ما يبيتونه للاسلام من غدر وخيانة ودسائس ) ( ١ )

ويقوم الامن العسكرى على اربعة قواعد هي : الكتمان ، والاستخبار والاستطلاع ، والحراسة . وسأفصل الثلاثة الاول منها هنا مع تطبيقاتها من السيرة لابراز اثرها فى احراز النصر ، وسأتعرض للعبداً الرابع = الحراسة فى موضوع المباغته لانه <sup>جزء</sup> منه لا يمكن فصله عنه .  
هذا وليس مقصودى ذكر كل قواعد واصول ومبادئ واساليب الامن فى العسكرية الاسلامية وانما التمثيل لتلك الاصول والقواعد لابراز اهميتها فى المعركة واثرها فى احراز النصر .

( ١ ) اقتباس النظام العسكرى ( ١٧٤ ) .

## اولا : الكتمان

ان من اول اركان الامن العسكرى كتمان الاسرار والمعلومات عن العدو . والمحافظة على سرية التحركات العسكرية ، وتضليل العدو بالمعلومات الخاطئة ، ليحصل بذلك المباغته له فى كل شىء حسب الخطط المرسومة ، وهو ما يساهم فى احراز النصر على العدو .

وخلاف ذلك افشاء الاسرار وتسريبها للعدو فانه يؤدى الى احباط الخطط المرسومة ويمكن العدو من الاستفادة من نقاط الضعف . ، ويمكنه من معاجلته بضربة قاضية فيكون افشاء الاسرار سببا لكل ما يصيبهم من هزيمة واندحار .  
حض الاسلام على كتمان السر عامة ، واسرار الجهاد خاصة :

لقد اشار القرآن الكريم الى ان حفظ الاسرار سبب للفوز وبلوغ المرام واجتناب اذى الخصم . فقد ذكر القرآن وصية اصحاب الكهف لمن ذهب منهم لشراء الطعام بان يكتم امرهم ولا يفشى سرهم حتى لا يصيبهم اذى الحاكم اذا علم بهم .  
يقول سبحانه : ( قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه السبي المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعروا بكم احدا \*  
( ١ )  
انهم ان يظهروا عليكم يرجعوكم او يعيدوكم فى ملتهم ولن تغلحوا اذا ابدا ) .  
لقد كانت الوصية لمن ذهب لشراء الطعام بالتلطف وعدم اشعار احد بهم اى كتمان امرهم ، قال الالوسى فى معنى قوله ( وليتلطف ) : اى وليتكلف اللطف فى المعاملة كى لا تقع خصومة تجر الى معرفته ، او ليتكلف اللطف فى الاستخفاء دخولا وخروجا ، وقال فى معنى قوله ( ولا يشعروا بكم احدا ) : اى لا يفعلن ما يؤدى الى شعور احد من اهل العدو بكم .  
( ٢ )

( ١ ) سورة الكهف ( ١٩ ، ٢٠ ) .

( ٢ ) انظر روح المعانى للالوسى ( ٢٣١ / ٣ / ٥ ) . وتفسير النسفى ( ٦ / ٣ ) .

واردف القرآن في بيان ما يترتب على اكتشاف السر ومعرفة اهل القرية امرهم فقال سبحانه ( انهم ان يظهروا عليكم ) اي يطلعوا عليكم ( يجرمكم او يعيدوكم في ملتهم ) فالذى يترتب هو حصول الاذى سواء بالقتل على اخبث قتله . او بالاكراه للرجوع الى ملة الكفر التي يدين بها اهل القرية <sup>(١)</sup> .

وبهذا فان القرآن يوجه انظار المسلمين الى كتمان امورهم عن عدوهم . لا سيما الامور العسكرية حيث تكتسب اهمية خاصة لما يترتب عليها من عظيم المنفعة او المضررة .

لذا فان الكتمان على العدو يعد من اسباب النصر والظفر بهم ، اذ لا يتيح لهم فرصة التعرف على احوال المسلمين <sup>من</sup> جوانب القوة والضعف عندهم فلا يتمكن من الوصول اليهم .

نماذج من الكتمان في جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم :

ان من جملة اسباب انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم على اعدائه كتمانهم اخباره عنهم . وقد اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم اساليب مختلفة من اجل كتمان هذه الاخبار ، وفي غزوات كثيرة سأعرض لبعضها الآن .

كتمان تحركات جيش المسلمين بالمسير الليلي :

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته يتحرك بالمسلمين ليلا حتى يحول دون انكشاف نيته واتجاه حركة قواته مما يمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من مباغتة عدوه واخذه على حين غرة .

(١) انظر روح المعاني للآلوسي (٢٣١/٣/٥) وتفسير النسفي (٦/٣) .



اخرج الامام احمد - واللفظ له - والحاكم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير له : ( ١ ) انا مدلجون فلا يدلجن مصعب ولا مضعب . . ( ٢ ) الحديث ) .

قال ابن الاثير فى معنى الدلجة : هى سير الليل . يقال ادلج بالتخفيف اذا سار اول الليل ، وادلج - بالتشديد - اذا سار من آخره . والاسم منهما الدُّلجة والدَّلجة ، بالضم والفتح . ( ٣ )

ولما عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على قتال يهود خيبر امر المسلمين بالتحرك ليلا ليستفيد من ظلام الليل فى كتمان تحركاته العسكرية فتمكن بذلك من مباغطة اليهود .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - عن انس قال : ( ٤ ) كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غزا قوما لم يُغز حتى يصبح فان سمع اذانا أمسك وان لم يسمع اذانا أغار بعدما يصبح ، فنزلنا خيبر ليلا . وتمكن الرسول حقا من مباغطة اليهود ، اذ لما خرجوا فى الصباح الباكر خرجوا وهم يحملون ادوات الزراعة والفلاحة فوجهوا بهجوم المسلمين عليهم ، فسقطوا فى ايدى المسلمين ، وكان لتحرك المسلمين ليلا اثره الكبير فى اخفاء اخبار الهجوم عن اعين اليهود .

- 
- ( ١ ) اخرجه الامام احمد فى المسند ( ٢٧٥ / ٢ ) . والحاكم فى المستدرک ( ١٤٥ / ٢ ) وصححه . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ٤١ / ٣ ) : رواه احمد والطبرانى فى الكبير ، واسناد احمد حسن . قلت : الحديث حسن لاجل اسماعيل ابن عياش فهو صدوق فى روايته عن اهل بلده مخلط فى غيرهم . انظر التقريب ( ٧٣ / ١ ) . وقد روى الحديث عن راشد بن داود الصنعانى وهو شامى من بلده . ولاجل راشد ايضا فانه صدوق له اوهام كما قال ابن حجر فى التقريب ( ٢٤٠ / ١ ) . وثقه دحيم وابن معين . وقال البخارى : فيه نظر ، وضعفه الدارقطنى . انظر الميزان ( ٣٥ / ٢ ) .
- ( ٢ ) مصعب : من كان بعيه صعبا غير منقاد ولا ذلول . والمضعف من كانت دابته ضعيفه . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٢٩ / ٣ ) .
- ( ٣ ) انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ١٢٩ / ٢ ) .
- ( ٤ ) اخرجه البخارى فى المغازى / باب غزوة خيبر ( ٤٩ / ٣ ) ، وفى الجهاد / باب التكبير بالحرب ( ١٦٨ / ٢ ) ، وباب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ( ١٦١ / ٢ ) . ومسلم فى الجهاد والسير / باب غزوة خيبر ( ١٤٢٦ / ٣ ، ١٤٢٧ ) .

والمسير الليليهم اروع اساليب كتمان التحركات العسكرية .

الرسائل السرية : ومن اساليب الكتمان التي ابتكرها الرسول القائد صلى الله

عليه وسلم اسلوب ( الرسائل المكتومة ) ، وكان ذلك في السرية التي بعثها

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة عبد الله بن جحش حيث كتب له كتابا

وامره ان لا يفتحه الا بعد ان يسير يومين ، فلما مضى يومان فتح عبد الله بن جحش

الكتاب وقراه ، فاذا فيه : ( اذا نظرت في كتابي هذا فسر حتى تنزل نخلة بين

مكة والطائف فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من اخبارهم ) (٢) فلما قرأ الكتاب قال :

سمعا وطاعة . . . .

والحكمة من استخدام الرسائل السرية هي كتمان التحركات العسكرية

والجهة المرادة من حركة السرية او الجيش لتأمين سلامته ، ولا صابة العدو وعلى

حين غرة .

ولم يعرف هذا الاسلوب الا اخيرا في الحرب العالمية الثانية حين فطن

اليه الالمان (٣) ، ولكن تبين مما سبق سبق المسلمين الى ذلك منذ اربعة عشر قرنا

من الزمان .

(١) نخلة : موضع على ليلة من مكة . انظر معجم ما استعجم : الامام عبد الله ابن عبد العزيز البكري (١٣٠٤ / ٢) .

(٢) انظر تاريخ الامم والملوك للطبري (٤١١ / ٢) والقصة من طريق ابن اسحاق عن الزهري عن عروة . وهذا اسناد فيه ارسال لان عروة ولد في اوائل خلافة عمر كما في التقريب (١٩ / ٢) . ولكن روى الطبري القصة من طريق ابي السوار عن جندب ابن عبد الله البجلي ، وايضا رواها الطبراني من هذا الطريق كما نقل ابن حجر في الاصابة (٢٧٨ / ٢) . و ابو السوار ، ثقة من الثانية كما في التقريب (٤٣٢ / ٢) ، وجندب له صحبة . انظر التقريب (١٣٤ / ١) . بهذا يتصل الاسناد . قال ابن كثير في البداية (٢٥١ / ٣) . وقد ذكرنا في التفسير لما اورده ابن اسحاق شواهد مسندة فمن ذلك ما رواه الحافظ ابن ابي حاتم . عن ابي السوار عن جندب ابن عبد الله . . . بهذا يتصل اسناد القصة ويرتقي ايضا الى مرتبة الحسن .

(٣) انظر الرسول القائد . لواء الركن : محمود شيت خطاب / صفحة ٩٤ .

التورية في الغزوات :

ومن اساليب الكتمان التي يتبعها الرسول القائد عليه الصلاة والسلام التورية بأن يظهر للناس انه يريد غز و قبيلة كذا من خلال سوءاله عن طرقها ومياهمها . ، وهو في حقيقة الامر يريد غزو قبيلة اخرى ، وذلك من اجل تضليل العدو والذي يريد غزوه . وبهذا الاسلوب يتمكن الرسول القائد من كتمان نياته وتحركاته العسكرية فلا يعلم به العدو والا وهو واقف بيايهه .<sup>(١)</sup>

الحذر من عيون العدو وجواسيسه :

وحرصا على الكتمان والسرية ينبغي الحذر من عيون العدو وجواسيسه الذين يترصدون لالتقاط الاخبار . وهو ما اهتم به الرسول القائد عليه الصلاة والسلام في جهاده .

اخرج البخارى - واللفظ له - ومسلم وابوداود وابن ماجة واحمد والدارمى عن اياس ابن سلعة بن الاكوع عن ابيه قال :<sup>(٢)</sup> اتى النبي صلى الله عليه وسلم عين من المشركين وهو في سفر فجلس عند اصحابه يتحدث ثم انفتل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اطلبوه واقتلوه . فقتله فنقله سلبه . وكان ذلك في غزوة هوازن كما بينته رواية مسلم .

قال ابن حجر : ( وسمى الجاسوس عينا لان جل عمله بعينه ، اولشدة اهتمامه بالروية واستغراقه فيها كأن جميع بدنه صار عينا ) .<sup>(٣)</sup>

- (١) انظر موضوع الخداع . صفحة ( ٤٦٠ - ٤٦٩ ) .  
 (٢) اخرجه البخارى في الجهاد / باب الحربى اذا دخل دارا لاسلام يغير امان ( ١٧٨ / ٢ ) . ومسلم في الجهاد والسير ، باب استحقاق القاتل سلب القتيل ( ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ) . وابوداود في الجهاد / باب فى الجاسوس المستأمن ( ٤٨ ، ٤٩ ) . وابن ماجة فى الجهاد / باب المبارزة والسلب ( ٩٤٦ / ٢ ) . والدارمى فى السير / باب الشعار ( ١٣٨ / ٢ ، ١٣٩ )  
 واحمد فى المسند ( ٤٥ / ٤ ، ٥١٠ ) .  
 (٣) فتح البارى ( ١٦٨ / ٦ ) .

امر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين باللاحاق بالجاسوس وقتله  
حتى لا ينقل لقومه ما اطلع عليه من اسرار المسلمين .  
كتمان مسير المسلمين لفتح مكة :

لما نقضت قريش صلح الحديبية بمؤازرتها بنى بكر على خزاعة بامدادهم  
بالسلاح والقتال معهم سرا<sup>(١)</sup> ، تجهز الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال قريش  
وامر المسلمين بالاستعداد ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا  
على ان لاتعلم قريش بمسيره اليهم حتى يأخذهم على غرة . يدل على ذلك  
دعاؤه بقوله :

( ٢ )

( اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ) .

ولما علم الرسول صلى الله عليه وسلم - بطريق الوحي - بكتاب حاطب  
ابن ابى بلتعة الذى ارسله لقريش يعلمها فيه نية المسلمين قتالهم ، امر  
الرسول بادراك المرأة التى تحمل الكتاب واخذه منها للحفاظ على سرية  
تحركات المسلمين .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - وابوداود والترمذى عن ابى رافع  
قال : سمعت عليا رضى الله عنه يقول :<sup>(٣)</sup> (بعثنى رسول الله انا والزبير والمقداد

ز

(١) انظر سيرة ابن هشام ( ٣ ، ٤٠ / ٣٩٠ ) وفتح البارى لابن حجر  
( ٧ / ٥١٩ ، ٥٢٠ ) .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ( ٣ ، ٤٠ / ٣٩٧ ) .

(٣) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب الجاسوس ( ٢ / ١٧٠ ) وباب اذا

اضطر الرجل الى النظر فى شعور اهل الذمة والمؤمنات اذا عصين

الله وتجريدهن ( ٢ / ١٨٣ ) وفى المغازى / باب غزوة الفتح ( ٣ / ٥٩ )

. باب فضل من شهد بدرا ( ٣ / ٧ ) ، وفى التفسير باب سورة الممتحنة ( ٣ / ٢٠٠ ) .

واخرجه مسلم فى فضائل الصحابة / باب من فضائل اهل بدر ، وقصة حاطب

ابن ابى بلتعة ( ٤ / ١٩٤١ ) .

. وابوداود فى الجهاد / باب فى حكم الجاسوس اذا كان مسلما ( ٣ / ٤٧ ) .

. والترمذى فى التفسير / باب " ومن سورة الممتحنة " ( ٥ / ٤٠٩ ، ٤١٠ ) .

ابن الاسود قال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها ، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا الى الروضة فاذا نحن بالظعينة ومعها كتاب فقلنا : اخرجى الكتاب فقالت : مامعى من كتاب . فقلنا : لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب. فاخرجته من عقاصها ، فاتينا به رسول الله فاذا فيه : من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين من اهل مكة، يخبرهم ببعض امر رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب، ما هذا ؟ قال : يا رسول الله لا تعجل علىّ ، انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم اكن من انفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بعكة يحمون بها اهلهم واموالهم فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد صدقكم . قال عمر: يا رسول الله، دعنى اضرب عنق هذا المنافق . قال : انه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله ان يكون قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

بهذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم كتم تحركه الى مكة لئلا يعلم المشركون بمسيره اليهم فيتجهزوا للقتال ، او يستنفروا معهم قبائل العرب . وتمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من اخفاء الجهة التى يريد ها حتى وصل الى مَرَّ الظهران ، ولم يعلم المشركون حتى تلك اللحظة بمسيره اليهم .  
 اخرج البخارى عن هشام عن ابيه قال : ( ٢ ) ( خرج ابو سفيان بن حرب وحكيم ابن حزام وبيديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

( ١ ) ملصقا : اى حليفا . انظر فتح البارى ( ٢ / ٥٢٠ ) .

( ٢ ) سبق تخريجه فى موضوع الحرب النفسية صفحة ( ٢١٩ ) ، هامش ( ٢ ) .

فاقبلوا يسبيرون حتى اتوا مرّ الظهران، فاذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال ابوسفيان : ما هذه، لكانها نيران عرفة. فقال بديل بن ورقاء : نيران بنى عمر و فقال ابوسفيان : عمر واقل من ذلك. فرآهم ناس من حرس رسول الله فادركوهم فاخذوهم فاتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ابوسفيان ، فلما سار قال للعباس : احبس ابا سفيان عند حطم الخيل . . الحديث .

وحوار ابى سفيان مع بديل بن ورقاء يفيد بانهم لم يكونوا على علم بمسير الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وصولهم الى مرّ الظهران ، ولما قربوا من المسلمين تمكن الحراس من القبض عليهم ، وهذا يدل على شدة الكتمان والحذر لدى المسلمين .

بل وظنت هوازن انها هى المقصودة من تحرك المسلمين، وهو يدل على شدة كتمان المسلمين لجهة المسير كذلك. يقول د / اكرم ضياء العمرى :

( ولعل عدم نجدة هوازن وثقيف لقريش وهما على علاقة متينة يرجع الى نجاح المسلمين فى كتمان هدف تحركهم . كما كانت هوازن تخشى على ديارها منهم، لذلك لم تبادر للدفاع عن مكة . . . . . ويشير الواقدي الى انهم ارسلوا عينا لهم لمعرفة ان كان المسلمون سيتوجهون الى قريش ام هوازن، بل ان هوازن اتخذت موقف الاستعداد للمواجهة بجمع جموعها منذ ان تحرك المسلمون من المدينة<sup>(١)</sup>، وقد تصورت انها المقصودة<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر تاريخ الطبرى (٣/٧٠) .

(٢) المجتمع المدني فى عهد النبوة تأليف الدكتور / اكرم ضياء العمرى (١٩٢) .  
الطبعة الاولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

من هذا الدرس يتضح حرص رسول الله على مبدأ الكتمان ، واهميته باعتبار ه  
واحدًا من الاسباب التي ساهمت في انتصار المسلمين في غزوة الفتح .

حكم الجاسوس: وصيانة الاسرار المسلمين الحربية فلا يجوز لمسلم او

لرعية من رعايا الدولة الاسلامية من اهل الذمة ان يتجسس على المسلمين  
لصالح الاعداء ، فضلاً <sup>عن</sup> الجاسوس الحربي ، وسأبين حكم كل منهم :-

#### اولا : حكم الجاسوس الحربي :

اذا تجسس الحربي على عورات المسلمين فانه يقتل . يدل على ذلك قول  
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي سلمة الاكوع - المتقدم في هذا المبحث -  
( ١ ) : ( اطلبوه واقتلوه فقتله فنقله سلبه ) .

فامر الرسول بقتل الجاسوس الحربي الذي جاء ليطلع على عورات المسلمين  
في غزوة هوازن .

قال النووي في استنباطه لاحكام هذا الحديث في شرحه على صحيح مسلم:  
( وفيه قتل الجاسوس الكافر الحربي ، وهو كذلك باجماع المسلمين ) . ( ٢ )

#### ثانيا : حكم الجاسوس المعاهد والذمي : فيه قولان :

الاول = ينتقض عهده لتجسسه على المسلمين ، ويقتل . وجوز الامام مالك  
والاوزاعي ان يسترقه الامام ان رأى ذلك والا فيقتل ( ٣ ) ، ووافقه الامام احمد  
في احد قوليه . ( ٤ )

( ١ ) سبق تخريجه في صفحة ( ٤١٣ ) هامش ( ٢ ) .

( ٢ ) شرح النووي لصحيح مسلم ( ١٢ / ٦٧ ) .

( ٣ ) انظر المصدر السابق ، نفس المواضع واحكام القرآن للقرطبي ( ٨ / ٥٣ ) والفتاوى ( ٦٤١ / ٢٨ ) .

( ٤ ) انظر المقنع لابن قدامة ( ١ / ٥٣٤ ) .

الثانى : لا ينتقض عهده بالتجسس الا اذا شرط عليه انتقاض العهد بذلك ،  
 ويعاقب بسبب تجسسه على المسلمين ، وهو ما ذهب <sup>اليه</sup> بعض الشافعية واحمد فى  
 قوله الآخر . - ( ٢ )

والراجح هو جواز قتل الجاسوس الذمى ، وذلك لما اخرج ابن الجارود  
 واحمد وابوداود - واللفظه - عن حارثة بن مضرب عن فرات بن حيان أن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ( <sup>٣</sup> ) امر بقتله وكان عينا لابي سفيان وكان حليفا  
 لرجل من الانصار ، فمر بحلقه من الانصار فقال : انى مسلم ، فقال رجل  
 من الانصار : يا رسول الله انه يقول اننى مسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم : ان منكم رجالا نكلهم الى ايمانهم منهم فرات بن حيان ) .

امر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل فرات بن حيان لتجسسه على المسلمين ،  
 وكان فرات ذميا ، فلما ادعى الاسلام اخذ بظاهر قوله ، وتوقف عن قتله مما  
 يفيد ان الامر بقتله على تجسسه كان مخصوصا بكونه ذميا ، مما يفيد جواز  
 قتل الذمى .

قال الامام الشوكانى رحمه الله : ( وحديث فرات المذكور فى الباب يدل

- 
- ( ١ ) انظر المجموع شرح المذهب للنووى مع تكملة للمطيعى ( ٣٤٢ / ١٩ ) .  
 ( ٢ ) انظر المقنع لابن قدامة ( ٥٣٤ / ١ ) .  
 ( ٣ ) اخرج ابن الجارود فى المنتقى ( ٣٥٣ - ٣٥٤ ) . والامام احمد فى  
 المسند ( ٦٢ / ٤ ) . وابوداود فى الجهاد / باب فى الجاسوس الذمى  
 ( ٤٨ / ٣ ) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ٣٨١ / ٩ ) : رواه احمد  
 ورجالاه رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة . قلت : هو كما قال  
 الهيثمى . وقال الشوكانى فى الدرارى المضيئة ( ٢٩٣ / ٢ ) : ( وفى اسناده  
 ( ابن الجارود وابوداود ) ابوهام الدلال محمد بن محب ، ولا يحتج  
 بحديثه وهو يرويه عن سفيان ، ولكنه قد روى الحديث المذكور عن سفيان  
 بشر بن السرى البصرى وهو ممن اتفق على الاحتجاج به البخارى ومسلم  
 رحمهما الله ، ورواه عن الثورى ايضا عباد بن الازرق العبادانى وهو ثقة ) .  
 قلت : محمد بن محب ابوهام الدلال وثقة ابوحاتم وابوداود والحاكم  
 ومسلمة بن قاسم وغيرهم انظر التهذيب ( ٤٢٨ / ٩ ) وثقه ابن حجر فى  
 التقريب ( ٢٠٤ / ٢ ) والذهيبى فى الميزان ( ٢٥ / ٤ )



ثالثا : حكم الجاسوس المسلم :

اختلف العلماء في حكم المسلم الذي يتجسس لصالح الكفار والمشركين على رأيين .

الرأى الاول : وهو قتل الجاسوس المسلم اذا تجسس للعدو على المسلمين .

ذهب الى هذا جماعة من العلماء والائمة منهم الامام مالك وبعض الحنابلة كابن عقيل<sup>(٢)</sup> ، ومال اليه ابن العربي بقوله : ( وقد قال مالك : يقتل الجاسوس . وهو صحيح لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض )<sup>(٣)</sup> . ووافق القرطبي على قوله ، ووافقهم ابن حجر في ذلك<sup>(٥)</sup> .

الرأى الثانى : تعزيره بما يرى الامام من الضرب والحبس ونحوهما ، ولا يجوز

قتله .

قال الامام النووى رحمه الله : ( واما الجاسوس المسلم فقال الشافعى والاوزاعى

وابو حنيفة وبعض المالكية وجماهير العلماء رحمهم الله تعالى يعززه الامام بما يرى من ضرب وحبس ونحوهما ولا يجوز قتله )<sup>(٦)</sup> .

واحتج الفريقان بقصة حاطب بن ابى بلتعنة السالفة الذكر . وموضع احتجاج الفريق<sup>(٧)</sup>

الاول هو قول عمر رضى الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلم : ( دعنى اضرب عنق هذا المنافق ) وجواب الرسول صلى الله عليه وسلم له بقوله : ( انه قد شهد

تابع == ولكن اخشى ان يكون الامام الشوكانى رحمه الله جعل محمد بن مجيب بدل محمد بن محبوب سهوا ، والاول متروك كما فى التقريب ( ٢٠٤ / ٢ ) وليس له رواية فى الكتب الستة ، كما انه لم يرو عن سفيان الثورى راوى الحديث . انظر التهذيب لابن حجر العسقلانى ( ٤٢٨ / ٩ - ٤٣٠ ) . والحديث صحيح ، ورجاله ثقات .

( ١ ) نيل الاوطار / للشوكانى ( ١٥٥ / ٨ ) .

( ٢ ) انظر الفتاوى لابن تيمية ( ٣٤٥ / ٢٨ ) .

( ٣ ) انظر احكام القرآن لابن العربي ( ١٧٨٣ / ٤ ) .

( ٤ ) انظر احكام القرآن للقرطبي ( ٥٣ / ١٨ ) . ( ٥ ) انظر فتح البارى ( ٦٣٥ / ٨ ) .

( ٦ ) شرح النووى على صحيح مسلم ( ٦٧ / ١٢ ) . وانظر المجموع شرح المهدب مع

تكملة للطيبى ( ٣٤٠ / ١٩ - ٣٤٣ ) . والفتاوى لابن تيمية ( ٣٤٥ / ٢٨ ) .

( ٧ ) سبق ذكرها وتخرجها فى صفحة ( ٤١٥ ، ٤١٤ ) ، هامش ( ٦ ) .

بدرًا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ) .

فقد منع الرسول صلى الله عليه وسلم عمر من قتله ، وبين علة المنع وهي كونه بدرًا ، فدل ذلك على جواز قتل كل جاسوس ليس له مثل هذا المانع . ولا يمنع كونه مسلمًا من قتله لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر اسلام حاطب علة لمنع قتله بل ذكر امرا خاصا ، وهو كونه من أهل بدر . قال ابن حجر : ( ووجه الدلالة على مشروعية قتل الجاسوس المسلم انه صلى الله عليه وسلم اقر عمر على ارادة القتل لولا المانع ، وبين المانع هو كون حاطب شهد بدرًا وهذا منتفٍ في غير حاطب ، فلو كان الاسلام مانعا من قتله لما علل باخص منه ) (١) .  
واما الفريق الثاني فقد احتج بظاهر القصة ، اذ لم يقتل النبي صلى الله عليه عليه وسلم حاطبا لافشائه سر المسلمين ، ومنع عمر من قتله ، ولو جاز القتل لما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى غيره .

ورجح ابن القيم الرأي القائل بقتل الجاسوس المسلم ، ولكن رجح امر قتله الى الامام حيث قال - بعد ذكره لآراء العلماء : ( والصحيح ان قتله راجع الى رأى الامام فان رأى فى قتله مصلحة للمسلمين قتله وان كان بقاؤه اصلح استبقاه ) (٢) .

وسبقه الطبرى الى ذلك اذ يقول : ( اذا ظهر للامام رجل من أهل البدر انه قد كاتب عدوا من المشركين ينذره مما اسره المسلمون فيهم من عزم ولم يكن معروفا بالغش للاسلام واهله وكان ذلك من فعله هفوة وزلة من غير ان يكون لها اخوات يجوز العفو عنه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاطب من عفو عن جرمه بعد ما اطلع عليه من فعله ) (٣) .

(١) فتح البارى لابن حجر (٦٣٥/٨) .

(٢) زاد المعاد (٤٠٤/٢) .

(٣) عمدة القارى للعيني (٢٥٧/١٤) .

و الذى ارجحه هو جواز قتل الجاسوس المسلم لان استدلال النافى للقتل بعدم قتل حاطب هو فى حقيقة الامر استدلال بحالة حاطب المخصوصة-لكونه من اهل بدر كما صرح الرسول صلى الله عليه وسلم- على احوال انتفت فيها هذه الخصوصية ، اذ الحكم العتاول خارج عن اهل بدر لانتفاء الامر بزمن الصحابة . بالاضافة الى حسن قصد حاطب وحسن نية . ومن هنا فان تعدية الحكم المخصوص باهل بدر على بقية المسلمين يحتاج الى اثبات وتدليل على وجود الخصوصية المصرح بها فى الحديث والتي تفرق بينهما ، ومن ثم فان هناك فارقاً فى الحكم بينهما . ولو كان ( الاسلام ) هو المانع من القتل لجازت التعدية لاتحاد العلة ومن ثم كان الحكم واحداً ، ولكن العلة خاصة وقد انتهت بوفاة اهل بدر . ولكنى فى نفس الوقت أميل الى رأى الطبرى وابن القيم فى ارجاعهما امر القتل الى الحاكم لان دافع التجسس قد تختلف ، والتجسس نفسه قد يختلف فى قلته وكثرته ، والخطورة المترتبة عليه ، واخلاق المتجسسين تختلف من واحد الى آخر . ومن هنا ارى اعادة الامر الى الحاكم لينظر فى كل ذلك ويبرى ما فيه مصلحة المسلمين . وسؤال النبى صلى الله عليه وسلم حاطب ان كان فعل ذلك ام لا ؟ وعن الدافع من فعله له ؟ واطمئنان الرسول صلى الله عليه وسلم الى صدق حاطب وان لم يوافقه على فعله يفيد ارجاع الامر الى الامام ، والاخذ بتقدير الامام للموقف . قال النووى فى استنباطه لاحكام حديث حاطب : ( وفيه انه لا يحد العاصى ولا يعزرا الا باذن الامام . ) ( ١ )

( ١ ) شرح النووى على صحيح مسلم ( ٥٥ / ١٦ ) .

من خلال هذا العرض يتأكد مدى حرص الاسلام على صيانة اسرار المسلمين عامة والاسرار العسكرية منها خاصة، لكي يتمكن المسلمون من تنفيذ خططهم، وتحقيق اغراضهم للظفر باعدائهم. واحراز النصر عليهم. ويظهر من ذلك اهمية الكتمان في المعركة وأثره في النصر والهزيمة.

## ثانيا : الاستخبارات

فى مقابل كتمان المعلومات عن العدو ويلزم الاستخبار بجمع المعلومات عنه ، لان أمن القتال يقتضى معرفة اكبر قدر ممكن عن عدد قوات العدو وتشكيلاته واسلحته وخططه القتالية . . . ، ليتمكن القائد - على ضوء هذه المعلومات - من رسم الخطط المضادة وليوزع تشكيلاته العسكرية المناسبة ، وليجنب قواته اسباب الخطر ، حتى يحرز النصر باقل التكاليف .

فالمخابرات تساهم فى كشف نقاط الضعف والقوة عند العدو ، ليأتى دور القيادة والجيش بعد ذلك لتوجيه ضربات قوية وسريعة لمراكز الضعف عند العدو لمصم المعركة باسرع وقت ، ثم تجنب القوات من خطر مراكز القوة ، والاكتفاء بمشاغلتها فقط لحرمان العدو من الاستفادة منها .

ولا تكتفى المخابرات بجمع المعلومات فقط ، بل تقوم بفحصها وتقييمها وتقدير مدى صحتها ، ثم تفسير هذه المعلومات واستخلاص النتائج المفيدة منها ، وامداد المسئولين بالمعلومات والنتائج المستخلصة للاستفادة منها فى التخطيط وادارة المعركة .

وباعتبار اهمية معرفة المعلومات عن العدو ، وكذلك صيانة الاسرار والمعلومات الهامة عنه فقد انقسمت المخابرات الى قسمين : كل قسم يتخصص فى واحد منهما ، وسمى القسم المختص بجمع المعلومات بالمخابرات الايجابية ، وسمى القسم المختص بصيانة الاسرار والمعلومات بالمخابرات السلبية ، او الوقائية ، او المضادة . وكلا القسمين له اهميته القصوى فى تحقيق الامن العسكرى .

( ٢ ) انظر النظرية الاسلامية فى الاستطلاع والامن ومقاومة الجاسوسية / اللواء الركن / محمد جمال الدين محفوظ ( ٤٤ - ٥٠ ) .

وغنى عن الذكر ان اجهزة المخابرات هى من اهم اجهزة الدولة والجيش سيما فى هذا الزمان، لان وسائل القوة العسكرية تطورت اليوم واصبحت قادرة على تحقيق اغراضها العسكرية فى لحظات محدودة مما يعنى ان الطرف الثانى ليس لديه وقت من التفكير واتخاذ القرار سوى تلك اللحظات ، فان لم تكن لديه المعلومات الجاهزة والمبرمجة والدقيقة عن العدو وقدراته . . . فسيتحطم فى لحظات ، بينما توفر المعلومات لديه يساعده فى اخذ الاحتياطات المضادة ، ويمكنه من سرعة الرد المباشر والمؤثر فى خصمه ، او مباغتته قبل ان تقع به الكارثة على يد خصمه . وبناء على هذه الاهمية القصوى للمعلومات ، تبرز أهمية الاستخبارات فى احراز النصر . والمطلع على الجهاد النبوى يدرك مدى اهتمام الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بجمع المعلومات عن عدوه من خلال عيونه المرسلين من قبله خصيصا لهذه المهمة ، وهذا يدلنا على تقدم المسلمين العسكرى حيث عملوا بمبدأ الاستخبار منذ اربعة عشر قرناً ، ويضع ايدينا على واحد من اسباب النصر التى عمل بها الرسول القائد صلى الله عليه وسلم لينتصر على اعدائه .

( ١ ) الاستخبارات فى غزوة الخندق : لقد كان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم

فى هذه الغزوة - كما هو الحال فى غيرها من الغزوات - حريصا على جمع المعلومات عن العدو ومعرفة نياته وتحركاته ليتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم - على ضوء ذلك - التدابير العسكرية اللازمة .

لقد ارسل الرسول القائد صلى الله عليه وسلم العيون لتأتيه باخبار الاحزاب

المشركين وغطفان ، ويهود بنى قريظة .

اولا : متابعة اخبار تحركات يهود قريظة : كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمن

غدر يهود قريظة وتحالفهم مع المشركين ضد المسلمين ، لذا فقد ارسل الزبير ليأتيه

بخبرهم .

( ١ )

اخرج البخارى بسنده عن عبد الله بن الزبير قال : ( كنت يوم الاحزاب ، جعلت انا وعمر بن ابي سلمة فى النساء ، فنظرت فاذا انا بالزبير على فرسه يختلف الى بنى قريظة مرتين او ثلاثا . فلما رجعت قلت : يا أبت رأيتك تختلف ، قال : أوهل رأيتنى يا بنى ؟ قلت نعم . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم ؟ فانطلقت ، فلما رجعت جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه فقال : فداك ابي وامى ) .

( ٢ )

واخرجه البخارى من طريق جابر قال : ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : انا ثم قال : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير انا . ثم قال : ان لكل نبي حواريا ، وان حوارى الزبير ) .

لقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على متابعة اخبار قريظة من وقت لآخر ، لذا فانه لم يكتف بارسال الزبير مرة واحدة بل انتدبه بعد ذلك مرتين لانه كان يتوقع ان تنقض قريظة العهد وتغدر بالمسلمين . ولما بلغه غدرهم ارسل سعد بن عباد ة وسعد بن معاذ و عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير ليتأكدوا من الخبر بصفة رسمية .

ثانيا : معرفة اخبار قريش / اثناء الحصار : ومثلما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتابع اخبار يهود قريظة / اثناء الحصار ، فقد كان يعرف اخبار قريش ويطلع على نواياهم ومعنوياتهم وتحركاتهم من خلال احد عيونه الذين تسللوا الى قلب مضارب العدو .

- 
- ( ١ ) اخرجه البخارى فى فضائل الصحابة / باب مناقب الزبير بن العوام ( ٣٠٢ / ٢ ) .  
 ( ٢ ) اخرجه البخارى فى المغازى / باب غزوة الخندق ( ٣٣ / ٣ ) وكتاب الجهاد  
 باب فضل الطليعة ( ١٤٥ / ٢ ) . وباب هل يبعث الطليعة وحده ( ١٤٥ / ٢ ) .  
 ( ٣ ) انظر موضوع الحرب النفسية ( ٢٢٨ ) .

اخرج الامام مسلم عن ابراهيم التميمي عن ابيه قال : <sup>(١)</sup> (كنا عند حذيفة فقال رجل : لو ادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وابليت . فقال حذيفة : انت كنت تفعل ذلك ، لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب واخذتنا ريح شديدة <sup>(٢)</sup> وقرَّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الارجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة . فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، ثم قال : الارجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة . فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال : الارجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد . فقال : قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم . فلم اجد بدا اذ د عانى باسمى ان اقوم . قال : اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعهم على . فلما وليت من عنده جعلت كأنما امشى فى حمام حتى اتيتهم فرأيت اباسفيان يصلى ظهره بالنار <sup>(٤)</sup> ، فوضعت سهما فى كبد القوس ، فاردت ان ارميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولا تذعهم على ، ولو رميته لاصيته ، فرجعت وانا امشى فى مثل الحمام ، فلما اتيته فاخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فالبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عبادة كانت عليه يصلى فيها ، فلم ازل نائما حتى اصبحت ، فلما اصبحت قال قم يا نومان ) .

- 
- (١) اخرجه الامام مسلم فى الجهاد والسير/باب غزوة الاحزاب (٣/١٤١٤، ١٤١٥) .  
(٢) القر: بضم القاف وتشديد الراء هو البرد ، وقوله بعد ذلك " قررت " معناه بردت . انظر غريب الحديث لابن الاثير (٤/٤٨) .  
(٣) كأنما امشى فى حمام : يعنى انه لم يجد البرد الذى يجده الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئا ، بل اعفاه الله منه . والحمام مذكر مشتق من الحميم وهو الماء الحار . انظر شرح النووى على صحيح مسلم (١٢/١٤٥) .  
(٤) يصلى ظهره : اى يدفئه . انظر غريب الحديث لابن الاثير (٣/٥١) .  
(٥) كبد القوس : هو مقبضها . وكبد كل شىء وسطه . انظر غريب الحديث لابن الاثير (٤/١٣٩) . وشرح النووى على صحيح مسلم (١٢/١٤٥) .



قال الامام النووى-رحمه الله - فى شرحه لهذا الحديث : ( وفى هذا الحديث انه ينبغى للامام وامير الجيش بعث الجواسيس والطلائع لكشف العدو ) .<sup>(١)</sup>

وفى رواية للامام احمد قال حذيفة<sup>(٢)</sup> : ( قد خلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل ماتفعل لاتقر لهم قدر ولا نار ولا بناء ، فقام ابو سفيان بن حرب فقال : يامعشر قريش لينظر امرؤ من جلسه ، فقال حذيفة : فاخذت بيد الرجل الذى الى جنبى فقلت : من أنت ؟ قال : انا فلان بن فلان ، ثم قال ابو سفيان : يامعشر قريش ، انكم والله ما اصبحتم بدار مقام : لقد هلك الكراع واخلفتنا بنو قريظة ، بلغنا منهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون ، والله ماتطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فانى مرتحل ، ثم قام الى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما اطلق عقله الا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحدث شيئا حتى تأتيني ، ثم شئت لقتلته بسهم . . . ) .<sup>(٣)</sup>

لقد اكد الرسول القائد صلى الله عليه وسلم لحذيفة بان مهمته استخباريية

فقط وحذره من اى سلوك يتجاوز به اطار هذه المهمة .

وكان حذيفة رضى الله عنه مثالا رائعا لرجل الاستخبار لما عرف عنه من الكتمان الشديد ،

والالتزام وشدة الانضباط باوامر الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ، وعدم تجاوزه

حدود المهمة المكلف بها ، مع انه كان بإمكانه قتل ابي سفيان زعيم المشركين يوم الاحزاب .

( ١ ) شرح النووى على صحيح مسلم ( ١٢ / ١٤٦ ) .

( ٢ ) مسند الامام احمد بن حنبل ( ٥ / ٣٩٢ ، ٣٩٣ ) .

( ٣ ) الكراع : بالضم اسم لجميع الخيل . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٤ / ١٦٥ )

( ٤ ) اى ثم شئت قتله لقتلته .

كما ويلاحظ ذكاؤه وشدة انتباهه مع حكمته وسرعة تصرفه فى الامور . ويظهر ذلك من مبادرته لمن هو بجواره السؤال عن اسمه ، وتولى زمام الحديث حتى لا يدع الفرصة لخصمه فيكتشف امره ، وهذا ما ساهم فى نجاح حذيفة فى اداء مهمته الاستخبارية رغم صعوبتها ودقتها .

وكانت المعلومات التى حصل عليها حذيفة بالغة الاهمية للرسول القائد صلى الله عليه وسلم وللمسلمين اذ دلت على نجاح خطة المسلمين فى التفريق بين الاحزاب . يدل عليه قول ابى سفيان ( واخلفتنا بنوقريظة ، بلغنا منهم الذى نكره ) ومكنت كذلك من الاطلاع على نوايا المشركين وتحركاتهم التى صرح بها ابو سفيان فى دعوته قومه للرحيل ، ومبادرته بركوب جملة ، ومتابعة قومه له فى ذلك ، وهو ما يعنى فك الحصار عن المسلمين وانتهاء هذه الجولة بين قريش والمسلمين دون أن تتمكن قريش من احراز اى شىء ، بل وعودتها واليأس بملأ قلوب رجالها مع كل خطوة يخطونها فى طريق عودتهم .

( ٢ ) الاستخبار فى غزوة حنين : لما اتم الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم فتح مكة تجهز مالك بن عوف النصرى فى جمع كبير من ثقيف وبنى مالك وبنى هلال وبنى نصر وجشم لقتال المسلمين فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ( فبعث عبد الرحمن بن ابى حذرر الاسلمى فقال : اذهب فادخل بالقوم حتى تعلم لنا من علمهم ، فدخل فمكث فيهم يوماً او يومين ثم اقبل فاخبره الخبر . . . ) ( ١ )

( ١ ) اخرج الحاكم فى المستدرک عن جابر بن عبد الله . وصححه ( ٤٨ / ٣ ) ( ٤٩٤ ) .

قلت : اسناده حسن لاجل يونس بن بكير : صدوق . انظر الميزان ( ٤ / ٤٧٧ ، ٤٧٨ ) ،

ولاجل محمد بن اسحاق : صدوق يدللس . انظر التقريب ( ٢ / ١٤٤ ) .

وروايته هنا بصيغة التحديث .

## ( ٣ ) الاستخبار فى غزوة الحديبية :

اخرج البخارى - واللفظ له - وابوداود عن عروة بن الزبير عن المسورابن  
 مخزومة ومروان بن الحكم يزيد احدهما على صاحبه قالا : ( ١ )  
 و سلم عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من اصحابه ، فلما اتى ذا الحليفة قلد الهدى  
 واشعره واحرم منها بعمرة ، وبعث عينا له من خزاعة ، وسار النبى صلى الله عليه وسلم  
 حتى كان بغدير الاشطاط اتاه عينه قال : ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا  
 لك الاحابيش وهم مقاتلون وصادوك عن البيت ومانعوك ، فقال : اشيروا ايها الناس  
 على ، اترؤن ان اميل الى عيالهم وذراى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن  
 البيت فان يأتونا كان الله عزوجل قد قطع عينا من المشركين والا تركناهم محروبين  
 قال ابوبكر : يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لاتريد قتل احد ولا حرب احد  
 فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله ) .

لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يتحرك الا ويرسل عيونته لتأتيه باخبار عدوه  
 كما فعل هنا ، اذ تمكن من معرفة نية قريش فى منع المسلمين من دخول مكة وزيارة  
 البيت وهو الغرض الذى جاءوا من اجله ، وبناء على المعلومات التى وصلتته درس  
 مع الصحابة رضوان الله عليهم الموقف الواجب اتخاذه ، فساعدت هذه المعلومات  
 على تدبير الموقف والنظر فى الاجراءات اللازمة ، بخلاف ما لو أهمل جانب المعلومات  
 وسار المسلمون دون علم باخبار المشركين ، فمن المتوقع ان يفاجأوا بالقوم وهم  
 يستعدون لقتالهم مما يعرض امن المسلمين للخطر .

بهذه الامثلة ندرك اهمية الاستخبار فى المعركة باعتباره ركيزة من ركائز الجهاد  
 النبوى ، وندرك اثره فى احراز النصر لمن اخذ به ، واثره فى الاضرار بالجيش وحصول  
 الهزيمة لمن غفل عنه .

( ١ ) انظر تخريجه فى موضوع الشورى صفحة ( ٢٠٠ ) ، هامش ( ١ ) .

ثالثا : الاستطلاع

الاستطلاع هو الركن الثالث للامن العسكرى ، ويتفق مع الاستخبار لكون الهدف الرئيسى منهما هو جمع المعلومات عن العدو ، الا أن الاستخبار فى الغالب يكون من داخل صفوف وتجمعات العدو وبينما الاستطلاع يكون من خلال وحدات متخصصة فى ذلك تتقدم الفرق والكتائب لجمع المعلومات من ارض المعركة .

(١) وتتركز مهام وحدات الاستطلاع فى امرين : الاول : جمع المعلومات عن العدو وكالاتى :

( ١ ) الاستطلاع لمعرفة مواقع العدو وتجمعاته ، والطرق المؤدية اليها وخطوط مواصلاته .

( ٢ ) استطلاع قوات العدو ومن حيث نوعيتها وحجمها واسلحتها ومعداتها .

( ٣ ) التوغل ان امكن داخل خطوط العدو لتحديد اماكن القيادة والسيطرة ،

ومواقع الدفاعات الجوية وكذلك مواقع المدفعية ومواقع قوة الاحتياط .

الثانى : القيام باعمال الامن التى تتطلبها المعركة وهى كما يلى :

( ١ ) استطلاع طبيعة الارض واختيار افضل الامكن لمواقع الرادارات واجهزة الكشف ،

واختيار طرق المواصلات والانسحاب .

( ٢ ) مراقبة وحدات استطلاع العدو ، وتقديم الانذار المبكر ، او تدبيرها واعاقبتها

عن كشف المواقع والتحركات .

( ٣ ) توجيه نيران القوات الصديقة - من الخطوط الامامية - لتدمير قوات العدو

ومواقعه مع التبليغ عن ردود الفعل المعادية كالانسحاب او الهجوم المعاكس

او التعزيز من قبل وحدات اخرى معادية .

( ١ ) انظر مجلة الحرس الوطنى السنة السادسة / العدد السادس والثلاثون

صفر ١٤٠٦ هـ / موضوع : فصيل الاستطلاع فى المعركة . بقلم النقيب / محمد فيصل

ابوساق . صفحة ( ٨٦ ) .

( ٤ ) استطلاع بعض المناطق التي يحتمل ان يكون بها كمائن معادية .  
ومن خلال هذه المهمات تتضح اهمية الاستطلاع في تحقيق الامن للقوات ،  
وتتبين قيمته في ادارة المعركة والتأثير في نتائجها .  
وليس من حاجة الى بيان ما يترتب على ترك مبدأ الاستطلاع في المعركة  
لانه اصبح اليوم امرا بدهيا ولا يخلو جيش في تشكيله من وحدات استطلاعية بل وليس  
هناك من كتيبة الا ولها وحدة او وحدات استطلاعية خاصة .  
ولكن ما أريد بيانه هنا هو صور ونماذج الاستطلاع في جهاد الرسول القائد صلى الله  
عليه وسلم من الكتاب والسنة للتأكيد على موضعه في العسكرية الاسلامية ، ولا يرازه  
باعتباره سببا من اسباب انتصارات الرسول القائد صلى الله عليه وسلم والمسلمين  
من بعده .

( ١ ) الاستطلاع في غزوة بدر : لقد ارسل الرسول القائد عليه الصلاة والسلام في  
بدر طليعة ، وخرج على رأس طليعة ثانية ، واستجوب اسرى للمشركين حرصا منه  
على جمع المعلومات عن العدو .

( أ ) الطليعة الاولى : وقوامها بسيس بن عمرو ، وعدى بن ابي الزغباء .

هدفها : استطلاع اخبار القافلة التي كان على رأسها ابي سفيان .

النتيجة : نجاح عملية الاستطلاع في التعرف على اخبار القافلة .

اخرج الامام مسلم عن انس رضى الله عنه قال : ( ١ ) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسياسة عينا ينظر ما صنعت غير ابي سفيان ، فجاء وما في البيت احد غيرى وغير رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لا ادري ما استثنى بعض نساءه قال : فحدثه الحديث

( ١ ) - اخرجه الامام مسلم في الامارة / باب ثبوت الجنة للشهيد ( ٣ / ١٥١٠ ) . وسبق

الاستشهاد بفقرة منه في موضوع الانضباط صفحة ( ٢٨٦ ) ، هامش ( ١ ) .

( ٢ ) وقع في كتاب السير ان اسمه بسيس ، وعند مسلم بسيسه . قال النووي :

( يجوز ان يكون احد اللفظين اسما له والاخر لقباً ) انظر شرح النووي

على صحيح مسلم ( ١٣ / ٤٤ ) .

( ١ )

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فقال : ان لنا طلبة فمن كان ظهره حاضرا فليركب معنا . فجعل رجال يستأذنون في ظهرانهم في علو المدينة فقال : لا الا من كان ظهره حاضرا . فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى سبقوا المشركين الى بدر . . الحديث ) .

امر الرسول عليه الصلاة والسلام بالتحرك بناء على ما بلغه من اخبار القافلة ونجح الاستطلاع في الحصول على اخبار دقيقة عن مكان القافلة وموعد وصولها ، ووضعت خطة التحرك بناء على هذه المعلومات .

( ٢ )

اخرج ابن سعد في الطبقات باسناده عن عكرمة : ( ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عدى بن ابى الزغباء وبسيس بن عمرو طليعة يوم بدر ، فأتيا الماء فسألا عن ابى سفيان ، فاخبرا بمكانه فرجعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالا : يارسول الله نزل بماء كذا يوم كذا ، وننزل نحن ماء كذا يوم كذا ، وينزل هو ماء كذا يوم كذا ، وننزل نحن ماء كذا حتى نلتقى نحن وهو على الماء ) .

( ب ) الاستطلاع باستجواب الاسرى في بدر : ولما وصل المسلمون الى عيون بدر ،

حسب خطة التحرك لم يجدوا القافلة ، وذلك لان اباسفيان لما احس بتحركات المسلمين تحول بالقافلة عن الطريق المعتادة لينجوبها ، ولكن المسلمين تمكنوا من اسر غلام لقريش وهو على الماء فاستجوبوه لمعرفة اخبار القافلة . ومن خلال الاستجواب عرف المسلمون معلومات جديدة عن تحركات قريش من اجل حماية القافلة وقتال المسلمين .

( ١ ) الظهر : الدابة التي تتركب . وقال ابن الاثير : الابل التي تحمل عليها وتتركب ، وظهرانهم بضم الظاء واسكان الهاء اى مركوباتهم . انظر شرح النووي على

صحيح مسلم ( ٤٥ / ١٣ ) . وغريب الحديث لابن الاثير ( ١٦٦ / ٣ ) .

( ٢ ) الطبقات الكبرى / للامام محمد بن سعد ( ٢٤ / ٢ )

دار صادر - بيروت

قلت : اسناد ابن سعد صحيح ورجاله ثقات ، الا انه مرسل .

( ١ )

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - وابوداود عن انس: ( ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه اقبال ابي سفيان . . ، قال فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا ، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام اسود لبني الحجاج فاخذوه ، فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن ابي سفيان واصحابه فيقول : مالى علم بابي سفيان ، ولكن هذا ابوجهل وعتبة وشيبة وامية بن خلف . فاذا قال ذلك ضربه فقال : نعم، انا اخبركم، هذا ابو سفيان ، فاذا تركوه فسألوه فقال : مالى بابي سفيان علم ، ولكن هذا ابوجهل وعتبة وشيبة وامية ابن خلف فى الناس ، فاذا قال هذا ايضا ضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فلما رأى ذلك انصرف . قال : والذى نفسى بيده لتضربونه اذا صدقكم وتتركونه اذا كذبكم ) .

من هنا فقد تأكد للمسلمين امر جديد ينبغى ان يعدوا له عدته ، الا وهو افلات القافلة ، ووصول قريش لقتال المسلمين ، وتمكن المسلمون من خلال الاستجواب المذكور فى هذه الرواية معرفة قادة المشركين كذلك .

ويدلنا طريق آخر للحديث على ان المسلمين قد تمكنوا باستجواب الغلام <sup>من</sup> معرفة عدد المشركين بطريق الاستتار ج .

اخرج الامام احمد - واللفظ له - والبيزار عن على رضى الله عنه قال : ( فلما بلغنا ان المشركين قد اقبلوا سار الرسول صلى الله عليه وسلم الى بدر ويدر بئرا - فسبقنا المشركون اليها فوجدنا فيها رجلين منهم رجلا من قريش ، ومولى لعقبة ابن ابي معيط ، فاما القرشى فانفلت ، واما مولى عقبة فاخذناه فجعلنا نقول له : كم القوم؟

( ١ ) سبق تخريجه فى موضوع الشورى . صفحة ( ١٩٧ ) ، هامش ( ١ ) .

( ٢ ) سبق تخريجه فى موضوع القيادة الراشدة . صفحة ( ٣٤١ ) ، هامش ( ١ ) .

فيقول هم والله كثير عدد هم شديد باسهم ، فجعل المسلمون اذ قال ذلك ضربه حتى انتهوا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كم القوم ؟ فقال هم والله كثير عدد هم شديد باسهم ، فجهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم فابى ، ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم سأله كم ينحرون من الجزور ؟ فقال :عشرا كل يوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم الف كل جزور لمائة . . (الحديث) .  
ويظهر من استجواب الرسول القائد صلى الله عليه وسلم للغلام براعته فى استنطاقه واخذ الجواب منه بطريق غير مباشر رغم شدة تكتمه اولعدم معرفته بعدد القوم .

( ٢ ) سرية عاصم بن ثابت الاستطلاعية :  
ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم طليعة من عشرة رجال يرأسهم عاصم بن ثابت لاستطلاع اخبار قريش . ( ١ )  
ولكن خرج عليهم فى الطريق ما يقرب من مائة رجل من بنى لحيان ، فاشتبكوا معهم ، وقتل من الطليعة ثمانية واسراثنان .

اخرج البخارى - واللفظ له - وابوداود عن ابى هريرة قال : ( ٢ ) بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كان بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة<sup>رام</sup> فاقتصوا آثارهم . . (الحديث) .  
وفى لفظ آخر للبخارى ايضا ( بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا . . الحديث) .

( ١ ) انظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى ( ٣٨٠ / ٧ ) .  
( ٢ ) اخرجه البخارى فى المغازى / باب غزوة الرجيع ( ٢٧ / ٣ ) ، وفى الجهاد / باب هل يستأسر الرجل ( ١٧٧ / ٢ ) . واخرجه ابوداود فى الجهاد / باب فى الرجل يستأسر ( ٥١ / ٣ ) .



## ( ٣ ) سرية عبد الله بن جحش الاستطلاعية :

تقدم ذكر هذه السرية فى الكتمان تحت عنوان الرسائل السرية ، وكانت مهمة السرية استطلاع اخبار قريش يبينها كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله أمير السرية حيث جاء فيه : ( اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلية بين مكة والطائف فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من اخبارهم ) .<sup>( ١ )</sup>

وعلق الاستاذ عباس العقاد على هذه السرية بقوله : ( اماغرض البعثة كلها وهو الاستطلاع ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم بمزاياه معنيا به غاية العناية بحسب العدو والمجهول كالعدو المستتر باسوار الحصون ، فى حفى من الجهل به قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية فى الوقت الضرورى ، ويحول من ثم دون الانتصار عليه والحرب الروسية تذكرنا كيف اصيب نابليون فى هذا الميدان حين اصيب فى وسائل الاستطلاع ، ثم تذكرنا كيف تكررت هذه الغلطة بعينها على نوع من المشابهة بين غزوة نابليون فى روسيا امس وغزوة هتلر لتلك البلاد اليوم فمن اسباب هزيمة نابليون اهماله النصائح التى سمعها فى مجلس الحرب من بعض الثقات قبل التوغل فى الحرب الروسية ، لاعتقاده خطأ أن القيصر سيطلب صلحاً بعد اسابيع . ومن اسباب تلك الهزيمة ان الروس كانوا يتراجعون امامه تحت جنح الظلام ويخلون المدن والطرقات حتى لا يرى فيها ديارا يسأله عن مكان الجيش المتراجع او يلتقط من خلال اجوبته ما يعينه على الاستطلاع الذى كان شديد التعويل عليه .

( ١ ) انظر ذلك فى موضوع الكتمان صفحة ( ٤١٢ ) .

اما هتلر فقد اتى من قبل هذين النقصين كما اتى من قبله من هو اعظم منه واولى بالتحرز والاناة . فقد اشتهر انه كان فى مجلس الحرب على خلاف مع قوادس الثقات الذين علموا من شأن الروس ما ليس له به علم . واشتهر انه اخطأ فى استطلاع اخبار القوم اذ خيل اليه ان الشعب الروسى يتحفز للشورة ويتربص الاغارة عليه لنصرة المغير كائنا من كان ، ولوجاءت الغارة من عنصر معاد للعنصر السلافى وهو عنصر الجرمان . . .

ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ما تعلمه هتلر ونابليون ، ولكنه لم يخطئ قط مثل هذا الخطأ فى جميع غزواته وكشوفه ، ولعلنا نفهم - كلما درسنا زمانه الحافل بالعبر والامثال الباقية - أن دراسته ضرب من دراسة العصر الحديث (١) والقادة المحدثين . . . . .

من خلال ما سبق من نماذج الاستطلاع ندرك حرص الرسول القاد عليه افضل الصلاة واتم التسليم على مبدأ الاستطلاع فى المعركة لجمع المعلومات عن العدو ، وندرك اهمية ذلك فى رسم الخطط والتحركات واتخاذ القرارات العسكرية وما يترتب على ذلك من آثار حاسمة فى المعركة باحراز النصر . . . . .

---

(١) عبقرية محمد ص (٤٣، ٤٤) للاستاذ عباس محمود العقاد . طبعة دار الهلال .

السبب الخامس:  
=====

نبذ المنافقين والمخذلين، والحذر من مكائدهم  
=====

المنافقون من اخطر الناس على المجتمع الاسلامى . وقد يفوق خطرهم خطر  
العد والخارجى ، لانهم يعيشون داخل المجتمع يعرفون طبيعته ويطلعون على  
اخباره ، ويتمكنون من معرفة مكان القوة والضعف عند المسلمين ، فاذا جاء ت  
الضربة منهم فانهما تأتى فى موضع الخطر وبايدى ظاهرها الاسلام وحقيقتها  
الكفر .

ويعد المنافقون طابورا آخر يتبع طوابير جيش الكفار والمشركين ، اذ يتولونهم  
ويتآمرون معهم على المسلمين ، ويترصدون الاخبار والاسرار وينقلونها اليهم .  
وخطر المنافقين على المسلمين لا يكون فى زمن الحرب كما هو الحال مع  
الاعداء غالبا ، وانما يكون فى زمن الحرب والسلام على السواء مستعينين فى ذلك  
بكل وسيلة وحيلة وباساليب ظاهرها الخير وباطنها الشر والسوء ، وما امر مسجد  
الضرار بيعيـــــد .

وخطرهم على المسلمين عند الحرب خطر عظيم اكبر من ان تحويه صفحات  
كهنده ، وسجل المنافقين<sup>حتى</sup> فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم سجل حافل  
بالخزى والعار والتثبيط والتخذيل ، وليس من معركة من معارك المسلمين تقريبا  
الا وتجد فيها صفحة للمنافقين او صفحات سوداء كسواد قلوبهم .

لذا فقد تعقبهم القرآن الكريم فى آيات وسور كثيرة وبين طبيعتهم النفسية

الملتوية ، وحقيقة كفرهم وحقدهم على المسلمين ، وكشف عن مواقفهم المتخاذلة  
تجاه المسلمين/اوقات الشدة والحروب . وفصل القرآن خطرهم واساليب مكرهم وكيدهم  
للمسلمين التى منها تثبيط المسلمين ، واثارة الفتن بينهم لتفريقهم . ونشر الشائعات المفرضة  
للنيل منهم عامة و من رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وخذلان المسلمين  
فى اوقات الشدة ، وتولى الكفار والانحياز لهم ، وتشكيك المسلمين فى وعد الله  
ورسوله لهم بالنصر والتمكين ، والنيل من المسلمين بالسخرية والاستهزاء ، والطعن  
فى اعراضهم حتى لم يسلم منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولشدة خطورة المنافقين جعل الله سبحانه في كتابه سورة خاصة بهم لتكشف حقيقتهم وتهتك سريرتهم .

وتولت سورة التوبة كشف خباياهم ومكائدهم ودسائسهم حتى سميت بالفاضحة .  
 اخرج البخارى بسنده عن سعيد بن جبير قال : ( ١ ) قلت لابن عباس : سورة التوبة ؟  
 قال التوبة هي الفاضحة ، ما زالت تنزل ومنهم ، ومنهم حتى ظنوا انها لم تبق احدا  
 منهم الا ذكر فيها . الحديث . ( . )

وتتبع ادوار المنافقين في تشبيط حركة الجهاد الاسلامي . . امر يصعب استيعابه  
 في هذا البحث لان الموضوع من الاتساع والاهمية كذلك حتى يحتاج الى بحث  
 خاص به . وحسبى في هذا البحث ان اشير بنوع من الايجاز الى خطورة المنافقين  
 على المسلمين في المعركة خاصة ، انطلاقا من اعتقادي بان المنافقين سبب من  
 اسباب الهزيمة ، لانهم يخططون وينفذون باقصى ما يستطيعون من اجل قلب موازين  
 المعركة لصالح الاعداء ، ويسعون جاهدين لكي يتسببوا في هزيمة المسلمين .

لقد حذر القرآن من المنافقين اشد تحذير ، فقال سبحانه وتعالى : ( هم  
 العدو و فاحذرهم ، قاتلهم <sup>الله</sup> انى يوءفكون ) . ( ٢ )

الخطاب لعموم المؤمنين في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبين  
 فيه الحق تبارك وتعالى الحقيقة التي تنطوي عليها نفوس المنافقين من العداوة  
 الكاملة للمؤمنين . ( ٣ )

وعبر بقوله ( هم العدو ) ليشعر بان عداوتهم تفوق كل عداوة من غيرهم وذلك  
 لانهم يخالطون المسلمين ويعيشون بين ظهرانيهم ويطلعون على عوراتهم فيدلون  
 الكفار عليها .

والاية تكشف لنا عن واحد من اهم مبادئ التعامل مع المنافقين في السلم عاممة  
 ووقت الحرب خاصة ، الا وهو مبدأ الحذر والاحتراس من المنافقين بتتبعهم ومراقبتهم  
 وتوقع الغدر والخيانة منهم . . ، واخذ الحيطة لردعهم .

( ١ ) اخرجه البخارى في التفسير / سورة الحشر ( ٣ / ١٩٨ ) .

( ٢ ) المنافقين ( ٤ ) .

( ٣ ) انظر تفسير النسفي ( ٤ / ٢٥٨ ) .

ويشكل المنافقون - من خلال عداوتهم المذكورة - الخطورة على المعركة، اذ يسعون من اجل هزيمة المسلمين . ولذا فان الحذر والاحترا من منهم يفتوت عليهم الفرصة، ويقطع عليهم السبيل ، ويحفظ المسلمين من شرهم ومكرهم الذى يدبر لاجل هزيمة المسلمين ونصرة الكافرين .

وهناك توجيه قرآنى آخر نزل اثر انخذال المنافقين فى تبوك مفاده منع

المنافقين من الخروج فى جيش المسلمين .

يقول سبحانه وتعالى : ( فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدا وانكم رضيتم بالقعود اول مرة ( ١ ) فاقعدوا مع الخالفين ) .

قوله : ( فان رجعت الله الى طائفة منهم ) اشارة الى المنافقين . ومعنى قوله

( فاستأذنوك للخروج ) اى طلبوا الخروج فى غزوة اخرى ، وقوله ( فقل لن تخرجوا

معى ابدا ) توجيه للرسول صلى الله عليه وسلم بأن لايسمح لهم بالخروج فى جيش

المسلمين ، واكد ذلك بمخاطبة المنافقين بقوله ( فاقعدوا مع الخالفين ) اى مع

التخالفين ، قال ابن عباس : من تخلف من المنافقين . وقال الحسن : مع

النساء والضعفاء من الرجال . ( ٢ )

ولاشك ان هذا التوجيه القرآنى الحازم هو الخلاصة ، فى تحديد العلاقة

بالمنافقين عند المعركة ، وهو تتويج للتوجيه الربانى السابق الذى انطوى على

التحذير الشديد منهم . والذى يبذولى - والله اعلم - ان منع المنافقين

من الخروج فى جيش المسلمين هو منع عام فى جميع المنافقين المشبطين عن الجهاد ،

(١) (التوبة) (٨٣) .

(٢) انظر احكام القرآن للقرطبى (٨/٢١٧، ٢١٨) .

قال القرطبي عند هذه الآية ( وهذا يدل على ان استصحاب المخذل فى الغزوات لا يجوز ) (١) ، ومعلوم ان صفة التخذيل هى من ابرز صفات المنافقين كما سيأتى بيانه قريبا .

ومنع المنافقين من الخروج يهدف الى درء الجيش الاسلامى اخطارهم ومكائدهم ودسائسهم ، ويهدف الى تنظيف وتأمين الصف الاسلامى منهم فيجتنب المسلمون بذلك العد والداخلى كما يجتنبون العد والخارجى ، ويدفعون عن انفسهم اسباب الهزيمة الداخلىة كما يدفعون اسباب الهزيمة الخارجىة . وجمع الله سبحانه وتعالى بين العد وبين الخارجى والداخلى - الكفار والمنافقين - فى آية واحدة ، وأمر بجهداهما على السواء ، كل فريق منهم بما يناسبه من صنوف الجهاد .

يقول سبحانه وتعالى : ( يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغـلـظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ) . (٢)

قال الشوكانى فى تفسيره لهذه الآية : ( الامر للنبي صلى الله عليه وسلم بهذا الجهاد امر لامتة من بعده ، وجهاد الكفار يكون بمقاتلتهم حتى يسلموا وجهاد المنافقين يكون باقامة الحجة عليهم حتى يخرجوا عنه ويؤمنوا بالله ) . (٣) وجمع المنافقين مع الكفار والامر بجهداهما هو فى حقيقته اعلام بعداوة كل منهما للمؤمنين ، وارشاد بأن جبهة النفاق يلزمها جهاد ومجابهة لزوم جبهة الكفر وان اختلفت الوسيلة التى يحصل بها الجهاد فى كل .

والآيات التى تتحدث عن دور المنافقين السلبى فى حركة الجهاد الاسلامى كثيرة وأغلبها جاء فى سياق التعليق على مواقفهم الانهزامية فى المعارك الاسلامية ، لذا سيأتى ذكرها عند بيان موقف المنافقين فى تلك الغزوات ، وسأتعرض لمواقفهم فى مجموعة من الغزوات كل غزوة على حدة ، ليتجلى بوضوح موقفهم التشببى والتخذيلي

(١) احكام القرآن للقرطبي (٨ / ٢١٨) .

(٢) التوبة (٧٣) .

(٣) فتح القدير للشوكانى (٢ / ٣٨٢) .

فى كل منها ، ولتشهد وتؤكد كل غزوة لاختها بماكان منهم من مكر وكيد ودسياسة وليتبين حقيقة موقفهم الانهزامى على طول مرحلة الجهاد النبوى .  
ومن ثم تحصل العبرة والعظة من خلال هذه الدروس ، فيدرك المسلمون ان المنافقين يمثلون خطراً على المسلمين فى معاركهم مع اعدائهم ، وانهم من جملة اسباب الهزيمة .

نماذج من مواقف المنافقين الانهزامية فى المعارك الاسلامية :

### موقف المنافقين فى أحد :

بعد ما قرر الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد الخروج لقتال المشركين خارج المدينة ، سار المسلمون مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكان ممن خرج يومها عبد الله بن ابي بن سلول ، وفى الطريق انهزم رأس النفاق عبد الله بن ابي فى ثلث الجيش ممن تبعه من المنافقين وبعض المتشككين من قومه .

( ١ )

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - والترمذى عن زيد بن ثابت قال : ( لما

خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه ، وكان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فرقتين : فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت :  
( فما لكم فى المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا ) وقال انها طيبة تنفى الذنوب كما تنفى النار خبث الفضة ) .

والمراد بقوله ( كان اصحاب النبى فرقتين ) اى فى الحكم فيمن انصرف مع عبد الله بن ابي ، اذ انقسم الصحابة الى فرقتين . . . ، وصرحت الآية بان ذلك كان فى المنافقين ، فدل هذا دلالة صريحة على أن الذين رجعوا هم المنافقون .

- ( ١ ) اخرجه البخارى فى المغازى / غزوة أحد ( ٣ / ٢١ ، ٢٢ ) . ومسلم فى كتاب صفات المنافقين واحكامهم / فى فاتحته ( ٤ / ٢١٤٢ ) . والترمذى فى التفسير

باب ومن سورة النساء ( ٥ / ٢٣٩ ) .

( ٢ ) النساء ( ٨٨ ) .

( ٣ ) انظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى ( ٧ / ٣٥٦ ) .

وأورد ابن هشام عن ابن اسحاق ذلك بصريح اللفظ حيث قال : ( حتى اذا كان بالشوط بين المدينة وأحد ، انخذل عنه عبد الله بن ابي سلول بثلاث الناس ، وقال اطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل انفسنا ها هنا ايها الناس ، فرجع بمن اتبعه من قومه من اهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، اخويني سلمة ، يقول : يا قوم اذكركم الله الا اتخذلوا قومكم ونبئكم عندما حضر من عدوهم ، فقالوا : لنعلم انكم تقاتلون لما اسلمناكم ، ولكننا لانرى انه يكون قتال . قال : فلما استعصوا عليه وابوا الا الانصراف عنهم ، قال : ابعدكم الله اعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه ) . ( ١ )

وانسحاب عبد الله بن ابي مع من تبعه من اهل النفاق أُريد به اضعاف قوة المسلمين امام جيش المشركين ، لكي يحصل لهم ما يتمنونه من هزيمة المسلمين وانتصار اعداء الدين .

### يوثر

وكاد انسحاب المنافقين / على بعض فئات المجاهدين حتى ان بعضهم فكر بالعودة الى المدينة ، ولكنهم غالبوا الضعف الذي الم بهم ، وانتصروا على انفسهم بعد ان تولاهم الله فثبتوا مع المؤمنين ، ووصف الله ذلك بقوله : ( اذهمت طاقتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) . ( ٢ )

الفشل المذكور معناه الجبن ، اذ كاد يحصل من طاقتين من المسلمين بسبب انسحاب المنافقين من الجيش حيث اشاع ذلك روح الضعف والجبن لدى البعض منهم بالان الله سلم فحفظهم منه وثبتهم .

وجاءت تسمية الطاقتين عند البخارى فيما اخرجه بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : ( نزلت هذه الآية فينا " اذهمت طاقتان منكم ان تفشلا " بنى سلمة وبنى حارثة ، وما احب انهما تنزل والله يقول " والله وليهما " ) . ( ٤ )

- ( ١ ) انظر السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٦٤ ) .
- ( ٢ ) سورة آل عمران ( ١٢٢ ) .
- ( ٣ ) انظر تفسير النسفى ( ١ / ١٧٩ ) .
- ( ٤ ) اخرجه البخارى فى المغازى / غزوة أحد / باب ( اذهمت طاقتان منكم ان تفشلا ) ( ٣ / ٢٢ ) ، وكتاب التفسير سورة آل عمران ( ٣ / ١١٣ ) .



قال ابن حجر فى معنى قوله : ( وما احب انها لم تنزل والله يقول " والله وليهما " :

( ١ ) اى وان الآيه وان كان فى ظاهرها غض منهم لكن فى آخرها غاية الشرف لهم ) .

من هذا الدرس ندرك ما يضمرة المنافقون من الغدر والخيانة والخذلان لكى يتسببوا فى هزيمة المسلمين ، وعليه فانه ينبغى تصفية الجيش الاسلامى منهم حتى لا يفعلوا فعل اخوانهم فى النفاق .

ولقد بين القرآن الكريم فى اعقاب هذا الدرس ان انسحاب عبد الله بن ابي بالمنافقين انما هو فى حقيقته تنقية للصف الاسلامى وتمييزه حتى لا يبقى فيهم مرجف أو مخذل .

يقول سبحانه وتعالى : ( وما كان الله ليذر المؤمنى على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) . ( ٢ )

فائدة اللام فى قوله ( ليذر ) هى تأكيد نفي ترك المؤمنى على ما هم عليه من الاختلاط بالمنافقين ، ومعنى قوله ( حتى يميز الخبيث من الطيب ) اى حتى يفرق بين المؤمن والمنافق . ( ٣ )

من هذا يتبين ان عملية فرز المنافقين عن بقية الصف الاسلامى مقصودة لذاتها <sup>من المسلمى</sup> لدرء شرورهم ومكائدهم ، وحتى يظهر المنافقون على حقيقتهم فيكشف زيفهم بادعائهم الاسلام ، ولكي يستحقوا لعنة الله وعذابه فى الآخرة .

ويؤكد هذا المعنى ما نزل فى حقهم فى سياق بيان الحكمة مما اصاب المؤمنى فى تلك الغزوة اذ يقول الحق تبارك وتعالى : ( وما اصابكم يوم التقي الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنى \* وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او اذفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم والله اعلم بما يكتمون ) . ( ٤ )

( ١ ) فتح البارى لابن حجر ( ٣٥٧/٧ ) .

( ٢ ) سورة آل عمران ( ١٧٩ ) .

( ٣ ) انظر تفسير النسفى ( ١٩٧/١ ) . وتفسير فتح القدير للشوكانى ( ٤٠٤/١ ) .

( ٤ ) سورة آل عمران ( ١٦٦ ، ١٦٧ ) .

بين الله تبارك وتعالى أن ما أصاب المسلمين في أحد إنما هو بأذنه سبحانه  
 فأشار إلى أن الحكمة من ذلك تمييز المؤمن من المنافق ، فتميز بذلك الصفوف :  
 صف أهل الإيمان ، وصف أهل النفاق ، ليجتنب المؤمنون المنافقين ويحذروهم .  
موقف المنافقين في غزوة الخندق .

لقد ظهرت في هذه الغزوة المواقف التخديلية للمنافقين ، وسجلها القرآن  
 في سورة الأحزاب . يقول سبحانه وتعالى : ( وأذ يقول المنافقون والذين في  
 قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا \* وأذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب  
 لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة  
 إن يريدون إلا فرارا \* ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها  
 وما تلبثوا بها إلا يسيرا \* ولقد كانوا عاهدوا الله <sup>من</sup> قبل لا يولون الأديبار وكان عهد  
 الله مستغلا \* قل لئن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لامتمعون  
 إلا قليلا \* قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة  
 ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا \* قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين  
 لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا \* أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم  
 ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم  
 بالسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على  
 الله يسيرا \* يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يؤدوا لو أنهم بادون  
 في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا ) . ( ١ )

لقد عرضت الآيات الكريمة جملة مواقف للمنافقين في غزوة الأحزاب ، مع تحليل  
 دقيق لنفسياتهم ، وللدوافع التي تؤثر في سلوكهم . وتفصيل الآيات وتحليل ما فيها  
 من معانٍ دقيقة أمر يطول بحثه ، لذا فسأوجز ما تعرضت له الآيات من مواقف انهزامية  
 للمنافقين في الغزوة المذكورة كما يلي :

( ١ ) تبييس المسلمين وتشكيكهم في وعد الله ورسوله لهم بالنصر، يدل عليه قوله

تعالى : ( واذيقول المنافقون والذين قى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله  
الاجرورا ) . والمراد بالوعد هنا : اعلاء الدين واحراز النصر على عدوهم . ( ١ )

( ٢ ) تبييس المسلمين في قدرتهم على مجابهة الاحزاب . يدل عليه قوله تعالى :  
( واذا قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ) .

قوله ( طائفة منهم ) يعنى طائفة من المنافقين . ، وقوله ( لا مقام لكم فارجعوا )  
معناه لا قدرة لكم على مواجعتهم ، ولذلك دعوا المسلمين الى الفرار من  
وجه الاعداء ، ( ولكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقاتلتهم وايدانا بانـه  
ليس من قبيل الفرار المذموم ) ، وهم يقصدون بقولهم هذا ان يفتوا في عضد  
المؤمنين وعزيمتهم على الثبات في وجه العدو ، ليتسنى للاحزاب بعد ذلك  
دخول المدينة واذلال المسلمين .

( ٣ ) تثبيط المؤمنين وتوهين عزائمهم وتعويقهم عن مواجهة العدو ، يدل عليه  
قوله تعالى : ( قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا  
ولاياتون البأس الا قليلا ) .

والمعوقون : المشيطون وهم المنافقون ، ونقل الآلوسى عن ابن السائب  
قوله : ( الآية في عبد الله بن ابي ، ومعتب بن قشير ، ومن رجع من المنافقين  
من الخندق الى المدينة كانوا اذا جاءهم المنافق قالوا له : ويحك اجلس  
ولا تخرج ، ويكتبون الى اخوانهم في العسكر أن اتتونا فانا ننتظركم ) . ( ٤ )

ونقل الآلوسى كذلك عن قتادة قوله في الآية : ( هى فى المنافقين كانوا  
يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله ما محمد عليه الصلاة  
والسلام واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابوسفيان واصحابه  
فخلوهم ) . ( ٥ )

( ١ ) انظر تفسير ابي السعود ( ٩٤ / ٧ ) .

( ٢ ) انظر تفسير النسفي ( ٢٩٧ / ٣ ) .

( ٣ ) تفسير ابو السعود ( ٩٤ / ٧ ) .

( ٤ ، ٥ ) روح المعانى للآلوسى ( ١٦٣ / ٣ / ٧ ) .

( ٤ ) تخاذلهم في القتال مع المؤمنين ، يدل عليه قوله تعالى : ( ولا يأتون البأس الا قليلا ) . اي في الحراب والقتال وقوله ( اشحة عليكم ) اي بخلاء عليكم بالمنفعة والنصرة ، او بالغنيمة عند القسم . ( ١ )

( ٥ ) جبنهم في المعركة ، وهلعهم وخوفهم من الاعداء ، يصوره قوله تعالى ( فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ) .

شبه حالهم من شدة ما اصابهم من الخوف من العدو بحالة المغشى عليه وقت معالجه سكرات الموت ، وذلك بجامع شدة الهلع والاضطراب في كل .

( ٦ ) الطعن بالمسلمين وتجريحهم بالسنتهم . يدل عليه قوله تعالى : ( فاذا ذهب

الخوف سلقوكم بالسنة حداد ) سأل نافع بن الازرق ابن عباس عن السلق

في الآية فقال : الطعن باللسان . وشبه السنتهم بالسيف على سبيل ( ٢ )

الاستعارة المكنية ، حيث حذف المشبه به وابقى صفة من لوازمه وهي ( حداد ) .

هذه بعض المعاني التي سجلتها الآيات الكريمة ، والتي كشفت عن

مواقف المنافقين التخذيلية والانهازامية في غزوة الاحزاب ، ولا شك ان تدوين

تلك المواقف في كتاب الله مقصود في ذاته ولحكمة ارادها الحق تبارك وتعالى

فاذا قرأ المسلمون تلك الآيات يستقون منها العبر والعظات ، ويقفون بانفسهم

على تاريخ المنافقين الانهازامي منذ العهرا لاول للرسالة ، ويكون هذا

درسا لهم في النصر والهزيمة .

ولقد اورد ابن هشام عن ابن اسحاق وصفاً لمواقف المنافقين في غزوة الاحزاب ،

ذكر فيه تخاذلهم عن معاونة المؤمنين في حفر الخندق لحماية المدينة .

( ١ ) انظر تفسير ابن السعود ( ٩٦ / ٧ ) .

( ٢ ) انظر روح المعاني للآلوسي ( ١٦٥ / ٣ / ٧ ) .

قال ابن اسحاق : ( فلما سمع بهم رسول الله ، وما جمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الاجر ، وعمل معه المسلمون فيه فدأب فيه ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويتسللون الى اهليهم بغير علم من رسول الله ولا اذن ) ( ١ ) .

### مواقف المنافقين في غزوة بنى المصطلق :

اولا : لقد كشف المنافقون في هذه الغزوة عن حقدهم الدفين <sup>على</sup> الاسلام والرسول عليه الصلاة والسلام ، وظهر ذلك عند ما نشب خلاف بين رجل من الانصار وآخر من المهاجرين ، فاستغل رأس النفاق عبدالله بن ابي بن سلول هذه الحادثة لكي يشيع الروح القبلية والعصبية ، وليحرض الانصار على اخوانهم المهاجرين ليحصل له بذلك تفريق المسلمين وتمزيق وحدتهم وتفتيت قوتهم .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - عن جابر بن عبدالله قال : ( كنا في غزاة - قال سفيان مرة في جيش - فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار

- ( ١ ) السيرة النبوية لابن هشام ( ٢١٦ / ٣ ) .
- ( ٢ ) اخرجه البخارى في التفسير / سورة المنافقون ( ٢٠٣ / ٣ ) . ومسلم في البر والآداب والصلوة / باب نصر الأخ ظالما او مظلوما ( ٤ / ١٩٩٨ ) .
- ( ٣ ) تعارضت الاحاديث في تحديد الغزوة التي قال فيها عبدالله بن ابي هذا الكلام ، والصحيح انها غزوة بنى المصطلق ، وليست تبوك . انظر فتح الباري ( ٦٤٩ ، ٦٥٠ ) . ورد ابن كثير على من قال انها غزوة تبوك فقال : ( وقوله ان ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر ، بل ليس بجيد ، فان عبدالله بن ابي ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش ، وانما المشهور عند اصحاب المغازي والسيران ذلك كان في غزوة المريسيع وهي غزوة بنى المصطلق ) تفسير ابن كثير ( ٣٦٩ / ٤ ) . وانظر المسألة مبسوطة ومفصلة في رسالة الطالب / ابراهيم بن ابراهيم قريبي ، وعنوانها / مرويات غزوة بنى المصطلق - جمع وتحقيق ودراسة ( ١٧٦ - ١٨٣ ) . من منشورات المجلس العلمي بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .
- ( ٤ ) سفيان : احد رجال الاسناد .
- ( ٥ ) كسع : الكسع هو ضرب الدبر باليد او بالرجل . انظر فتح الباري ( ٦٤٩ / ٨ ) وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ( ١٣٨ / ١٦ ) .

فقال الانصارى : يا للانصار . وقال المهاجرى : يا للمهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال دعوى جاهلية ، قالوا : يا رسول الله ، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار ، فقال : دعوها فانها منتنة ، فسمع بذلك عبد الله بن ابي فقال : فعلوها ، اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال : يا رسول الله ، دعنى اضرب عنق هذا المنافق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه .

قال النووى فى شرحه هذا الحديث : ( واما تسميته صلى الله عليه وسلم ذلك دعوى الجاهلية فهو كراهة منه لذلك ، فانه مما كانت عليه الجاهلية من التعاضد بالقبائل فى امور الدنيا ومتعلقاتها ، وكانت الجاهلية تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل فجاء الاسلام بابطال ذلك وفصل القضايا بالاحكام الشرعية فاذا اعتدى انسان على آخر حكم القاضى بينهما والزمه مقتضى عدوانه كما تقرر من قواعد الاسلام ) . ( ١ )

ولقد اراد عبد الله بن ابي ان يجعل مما حدث من القضية الفردية قضية عامة يواجه فيها المسلم اخاه المسلم ، ويمنع المهاجرين من البقاء فى المدينة كما صرح حتى تكون له الزهامة من بعد ذلك .

وكان موقف المنافق عبد الله بن ابي يعبر عن الغيظ الذى شحن به قلبه - اضافة الى ما فيه من غيظ بسبب ما احرز المسلمون من الانتصار على بنى المصطلق فى هذه الغزوة ، فى الوقت الذى كان يتطلع فيه الى هزيمة المسلمين ليشفى غليله .

( ١ ) انظر شرح النووى على صحيح مسلم ( ١٦ / ١٣٧ ) .

من هذا الموقف ندرك الدور الخطير الذى يقوم به المنافقون ، ونطلع

على واحد من اساليبهم التى يستخدمونها فى الكيد للمسلمين وهو - كما أسلفت - اسلوب التفريق واشاعة الروح العصبية بين فئات المجاهدين .

ثانياً : ولتعزيز التفرقة العصبية بين المسلمين فقد دعا رأس النفاق عبد الله بن ابي

الانصار الى قطع النفقة عن المهاجرين ، ونزل فى ذلك قول الله عزوجل : ( هم

الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات

( ١ )

والارض ولكن المنافقين لا يفقهون ) .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - والترمذى عن زيد بن ارقم فى

سبب نزول الآية قوله : ( كنت فى غزاة فسمعت عبد الله بن ابي يقول : لا تنفقوا

على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن

الاعز منها الاذل . فذكرت ذلك لعمى . فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم

فدعاني فحدثته ، فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي

واصحابه فحلفوا ما قالوا ، فكذبني رسول الله وصدقه ، فاصابني هم لم يصبنى مثله

قط ، فجلست فى البيت ، فقال لى عمى : ما اردت الى ان كذبت رسول الله

ومقتك ، فانزل الله تعالى : ( اذا جاءك المنافقون ) فبعث الى النبي فقرأ فقال :

ان الله قد صدقك يا زيد ) .

ثالثاً : وبعد فشل المنافقين فى اثاره العصبية بين الانصار والمهاجرين عاودوا

الكرة فطعنوا فى عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتهموا عائشة بهتاناً

واقفا من عند انفسهم لعنهم الله ، وارادوا بذلك ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم

اشفاءً لغيظهم ، وارادوا كذلك تشكيك المسلمين فى رسولهم وقائدهم عليه الصلاة

والسلام . ونزل فيهم قوله تعالى : ( ان الذين جاءوا بالافك عصبية منكم لا تحسبوه

شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم

( ٣ )

له عذاب عظيم ) .

( ١ ) المنافقون ( ٧ ) .

( ٢ ) اخرجه البخارى فى التفسير / سورة المنافقين ( ٣ / ٢٠٢ ) . ومسلم فى كتاب

صفات المنافقين ( ٤ / ٢١٤٠ ) . والترمذى فى التفسير / باب ومن سورة

المنافقين ( ٥ / ٤١٥ ، ٤١٦ ) .

( ٣ ) النور ( ١١ ) .

الافك: هو ما يكون ابلغ من الافتراء والكذب . وقيل: هو البهتان . وعبر بلفظ  
المجىء ليشير الى أن ما أظهره هو من عند انفسهم ولا أصل له . ومعنى قوله  
( والذى تولى كبره ) أى تولى معظمه . ( ١ )

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - قصة طعن المنافقين فى أم المؤمنين  
عائشة رضى الله عنها ، وترويجهم للتهمة المختلقة زورا وبهتانا فى حديث طويل  
من طريقها ، جاء فيه أن ( ٢ ) الذى تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول . قال  
عروة - راوى الحديث عن السيدة عائشة - : أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده  
فيقره ويستمعه ويستوشيه ) .

تُورِي

وكادت اشاعة المنافقين الكاذبة الى اشعال نار العصبية من جديد  
بين الاوس والخزرج . يبينه قول السيدة عائشة فى حديث الافك المذكور : ( فقام  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابي - وهو على  
المنبر - فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغنى عنه اذاه فى اهلى  
والله ما علمت على اهلى الا خيرا . ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا ، وما يدخل  
على اهلى الا معى . قالت : فقام سعد بن معاذ - اخو بنى عبد الاشهل - فقال :  
انا يارسول الله اعذر ك ، فان كان من الاوس ضربت عنقه ، وان كان من اخواننا من  
الخزرج امرتنا ففعلنا امرك . قالت : فقام رجل من الخزرج - وكانت ام حسان  
بنت عمه من فخذة وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج . قالت : وكان قبل ذلك  
رجلا صالحا ، ولكن احتملته الحمية - فقال لسعد : كذبت لعمر الله ، لاقتله ، ولا تقدر  
على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت ان يقتل . فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم  
سعد - فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله ، لنقتله ، فانك منافق تجادل  
عن المنافقين . قالت : فثار الحيان : الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا

( ١ ) انظر تفسير ابي السعود ( ١٦٠ / ٦ ) .

( ٢ ) اخرجه البخارى فى المغازى / باب حديث الافك ( ٣٧ / ٣ ) . ومسلم فى التوبة  
باب فى حديث الافك ، وقبول توبة القاذف ( ٢١٢٩ / ٤ ) .



ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، قالت : فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفّضهم حتى سكتوا وسكت . . الحديث ) .  
 من هذا العرض الموجز يتبين خطر المنافقين على الجيش الاسلامى وعلى وحدة المسلمين . وقد جاء فى سياق القصة أن ذلك كان فى غزوة بنى المصطلق . فتكون هذه هى المحاولة الثالثة التى حاولها المنافقون فى هذه الغزوة من اجل اضعاف جبهة المسلمين .  
مواقف المنافقين فى غزوة تبوك :

لما عزم الرسول عليه الصلاة والسلام على غزو الروم بالشام اعلن النفيير . وذكر القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى : ( يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فماتاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليلا ) ( ١ ) .

ذكر مجاهد انها نزلت فى غزوة تبوك حيث امروا بالنفيير فى الصيف حين طابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج . ( ٢ )

وامرهم الله سبحانه بالنفيير شبابا وشيوخا، اغنياء وفقراء، فقال تبارك وتعالى ( انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ) . ( ٣ )

ولكن اكثر المنافقين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذروا عن الخروج فى هذه الغزوة باعذار واهية، وحلفوا الايمان الكاذبة ليؤكدوا عدم استطاعتهم . وكشف الله سبحانه كذبهم، وحقيقة امرهم فقال فى كتابه العزيز : ( لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون ) . ( ٤ )

- 
- ( ١ ) التوبة ( ٣٨ ) .  
 ( ٢ ) انظر تفسير فتح القدير للشوكانى ( ٢ / ٣٦٣ ) .  
 ( ٣ ) التوبة ( ٤١ ) .  
 ( ٤ ) التوبة ( ٤٢ ) .

بين الله سبحانه في هذه الآية انهم لودعوا الى غنيمة قريبة في سفر متوسط لما تخلفوا عنها ولوافقوا الرسول صلى الله عليه وسلم في الخروج ولكنهم تناقلوا لطول السفر اذ كانت جهة الغزوة تبوك من الشام، وكان الوقت صيفا حيث الحر الشديد . وكشف القرآن بانهم سيحلفون عند رجوع المسلمين من الغزوة معذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم .

وبين الله سبحانه عدم ارادتهم الخروج ابتداء ، اذ لو ارادوا لأعدوا للأمر عدته . يقول تبارك وتعالى : ( ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعد ) ( ٢ ) .

قال القرطبي : ( اى لو ارادوا الجهاد لتأهبوا اهية السفر . فتركهم الاستعداد دليل على ارادتهم التخلف ) . ( ٣ )

وذكر الله سبحانه في هذه الآية كراهته لخروج المنافقين مع المؤمنين ، ولذلك حبسهم واقعدهم عن الجهاد . وبين الله سبحانه في الآية التى تليها الحكمة من ذلك ، فقال تبارك وتعالى : ( لوخرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم بيغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين ) . ( ٤ )

بين الله سبحانه للمؤمنين ما يترتب على خروج المنافقين معهم من احداث الفساد والنميمة وايقاع الاختلاف والاراجيف بينهم ، وهو معنى قوله ( ما زادوكم الا خبالا ) وأكد على سعيهم من اجل التفريق بين المجاهدين فى قوله ( لأوضعوا خلالكم بيغونكم الفتنة ) والفتنة هنا معناها : الافساد والتحريض . ( ٥ )

- 
- ( ١ ) انظر تفسير النسفى ( ٢ / ١٢٧ ) .  
 ( ٢ ) التوبة ( ٤٦ ) .  
 ( ٣ ) احكام القرآن للقرطبي ( ٨ / ١٥٦ ) .  
 ( ٤ ) التوبة ( ٤٧ ) .  
 ( ٥ ) انظر المعانى السابقة فى تفسير فتح القدير ( ٢ / ٣٦٦ ) . واحكام القرآن للقرطبي ( ٨ / ١٥٦ ، ١٥٧ ) .

وذکر القرآن بما دبره المنافقون قبل هذه الغزوة من مؤامرات ومكائد ارادوا بها تفريق المسلمين وتشتيت وحدتهم ، كما فعل رأس النفاق عبد الله ابن ابي بن سلول في غزوة بنى المصطلق وغيرها . يقول سبحانه وتعالى : ( لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلوبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ) . ( ١ ) ولم يكتف المنافقون بالقعود عن الجهاد ، بل شنوا حربا اعلامية من اجل تشبيط المؤمنين ، واستغلوا شدة الحر الذي وافق زمن الغزوة لاشاعة روح التخاذل . يقول سبحانه وتعالى : ( فرح المخلفون بمقعدهم خلا ف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لاتنغروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ) . ( ٢ ) هذه بعض المشاهد القرآنية التي ابرزت دور المنافقين في غزوة تبوك ، وحذرت من كيدهم وتآمرهم . وما تركت من الآيات التي تتكلم عن حزكة النفاق في غزوة تبوك كثير خاصة في سورة التوبة ، والتي سميت بالفاضحة لانها فضحت مواقفهم ومكائدهم : واقتصرت على هذه المشاهد القرآنية للتمثيل على دورهم الانهزامي التخذيلى في الغزوة المذكورة .

ولا يفوتنى هنا أن امثل لدور المنافقين التخذيلى في هذه الغزوة من خلال ما جاء في السنة والسيره .

( ٣ )

روى ابن هشام بسنده عن عبد الله بن حارثة قال : ( بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودى . . يشيطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فبعث اليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من اصحابه وامره ان يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة . . ) .

( ١ ) التوبة ( ٤٨ ) .

( ٢ ) التوبة ( ٨١ ) .

( ٣ ) السيرة النبوية لابن هشام ( ٣ ، ٤ / ٥١٧ ) . ونقله عنه ابن كثير في تاريخه

( ٣ / ٥ ) . وفي اسناده من لم يسم .

ان موقف المنافقين هذا يوكد دورهم التخذيلى والتثييطى ، وهو دور مؤداه اضعاف الروح المعنوية للمقاتلين ، واضعاف القوة الذاتية للمسلمين امام قوة الاعداء ، وهودور يسعى الى خلق الانهزامية فى نفوس المقاتلين ليكون ذلك سببا فى هزيمة المسلمين . ويضاف الى موقفهم التخذيلى امر آخر ، وهو ارتباط المنافقين بقوى اجنبية عدوة ، وتآمرهم معهم . يدل عليه اجتماعهم فى بيت يهودى ليدبروا مخططاتهم من هناك . وهذا يدلنا أيضا على أن الاعداء فى الخارج- سيما اليهود- كثيرا ما يعتمدون على قوى فى الداخل عميلة لهم خاصة المنافقين .

ومن صور تثبيط المنافقين فى هذه الغزوة ما نقله ابن هشام عن ابن اسحاق باسناده عن عبدالله بن مسعود قال : <sup>(١)</sup> ( وكان رهط من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت ، اخو بنى عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من اشجع ، حليف لبنى سلمة يقال له : مُخَشَّن بن حُمَيْرٍ يشيرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق الى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : اتحسبون جلاد بن الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ، والله لكأنا بكم غدا مقرنين فى الحبال - ارجافا وترهيبا للمؤمنين - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - لعمار بن ياسر : ادرك القوم فانهم قد احترقوا ، فسلمهم عما قالوا ، فان انكروا فقل بلى ، قلت كذا وكذا ، فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم ، فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣، ٤، ٥٢٤، ٥٢٥) . وعند الطبرى فى التاريخ

(٣/١٠٧، ١٠٨) . بنفس الاسناد الذى ذكره ابن هشام .

قلت : وهو اسناد ضعيف لاجل بريدة بن سفيان الاسلمى ، فانه ضعيف

انظر الضعفاء الكبير للعقيلي (١/١٦٤) . والتهديب لابن حجر (١/٤٣٣)

والتقريب له ايضا (١/٩٦) . وللحديث شواهد <sup>يتقوى بها الطبرى</sup> ورد <sup>هذه</sup> فى تفسيره عند

قوله تعالى : ( ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ) (١٧١/٦ - ١٧٣) .

(٢) احترقوا : اى هلكوا . والاحراق : الاهلاك ، وهو من احراق النار .

انظر غريب الحديث لابن الاثير (١/٣٧١) .

( ١ )

يقول وهو آخذ بحقيها : يا رسول الله ، انما كنا نخوض ونلعب ، فانزل الله عزوجل

( ٢ )

( ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ) .

وكان للمنافقين فى هذه الغزوة موقف تخريبي آخر ، وذلك فى طريق عودة المسلمين

الى المدينة ، اذ كان هناك فى طريقهم عين تبوك يخرج منها القليل من الماء ،

فامر الرسول صلى الله عليه وسلم من يأتيها أن لا يمسه حتى يأتيها الرسول

صلى الله عليه وسلم بنفسه . فسبقه اليها المنافقون واستقوا مافيها من الماء ،

فخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وضيقوا على المسلمين ، كيدا منهم ومكرا .

اخرج الامام مسلم واللفظه - واحمد والبيهقى عن معاذ بن جبل

رضى الله عنه قال : ( ٣ ) خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك فكان

يجمع الصلاة ، فصلى الظهر والعصر جميعا ، والمغرب والعشاء جميعا ، حتى اذا

كان يوما آخر الصلاة ، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ، ثم دخل ثم خرج

بعد ذلك ، فصلى المغرب والعشاء جميعا ، ثم قال : انكم ستأتون غدا ، ان شاء الله

عين تبوك ، وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمسس من

مائها شيئا حتى آتى . فجئناها وقد سبقنا اليها رجلان . والعين مثل الشراك

٤ ( ٤ ) تبض بشيء من ماء . قال فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل مستما

من مائها شيئا ؟ قالا : نعم . فسبها النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهما

ما شاء الله ان يقول . قال ثم غرفوا بايديهم من العين قليلا حتى اجتمع فى شيء .

قال وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يديه ووجهه ، ثم اعاده فيها ،

( ١ ) حقيها : الحقب هو الحبل المشدود على بطن البعير . انظر غريب الحديث

لابن الاثير ( ١ / ٤١٠ ، ٤١٧ ) .

( ٢ ) التوبة ( آية ٦٥ ) .

( ٣ ) اخرجه الامام مسلم فى الفضائل / باب فى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

( ٤ / ١٧٨٤ ، ١٧٨٥ ) . واخرجه الامام احمد فى المسند ( ٥ / ٢٣٧ ، ٢٣٨ )

والبيهقى فى دلائل النبوة ( ٥ / ٢٣٦ ) .

( ٤ ) والعين مثل الشراك تبض : قال النووى : ( هكذا ضبطناه هنا ، تبض بفتح التاء

وكسر الموحدة وتشديد الضاد المعجمة ، ونقل القاضي اتفاق الرواة هنا

على انه بالضاد المعجمة <sup>ومعناه</sup> تسيل . والشراك بكسر الشين . وهو سير النعل

ومعناه ماء قليل جدا . شرح النووى على صحيح مسلم ( ١٥ / ٤١ ) .

فجرت العين بما منهم، اوقال غزير - شك ابو على ايهما قال - حتى استقى  
الناس . ثم قال : يوشك يامعاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ  
جنانا .

وجاء عند ابن هشام والطبرى أن نفرا من المنافقين هم الذين سبقوا  
المسلمين واستقوا مافى العين من ماء . ( ١ )

لقد اراد المنافقون بصنيعهم هذا أن يضيقوا على المؤمنين ، وهم فى أشد  
الحاجة الى الماء ، و ارادوا أن يستفزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ينالوا  
من صدق نبوته عليه الصلاة والسلام . ولكن الله سبحانه خيب آمالهم وأفسد  
صنيعهم ، اذ ظهر صدق نبوته عليه الصلاة والسلام باجراء الماء على يديه  
حتى شرب المسلمون وارتووا ، بل وبشر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن تبوك  
ستصبح جنانا ، يملؤها الماء ويكسوها الزرع .

ويبلغ كيد المنافقين فى هذه الغزوة الى درجة التآمر على شخص  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاولة الغدر به للقضاء عليه .

اخرج الامام احمد عن ابى الطفيل قال : ( ٢ ) لما اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
من غزوة تبوك امر مناديا فنادى : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ العقبة  
عليه

فلا يأخذها احد . فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حذيفة ويسوق إذ اقبل  
رهط متلثمون على الرواحل غشوا عمارا وهو يسوق برسول الله عليه الصلاة والسلام ، و اقبل عمار  
بضرب وجوه الرواحل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة قد <sup>(٤)</sup> قد حتى هبط رسول الله  
، فلما هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ورجع عمار فقال : يا عمار ، هل عرفت  
القوم ؟ فقال : قد عرفت عامة الرواحل ، والقوم متلثمون ، قال : هل تدري ما ارادوا  
قال : الله ورسوله اعلم . قال : ارادوا ان ينفروا برسول الله فيطرحوه ، قال : فسار  
عمار رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نشدتك بالله كم تعلم

( ١ ) انظر السيرة النبوية لابن هشام ( ٤ ، ٣ / ٥٢٧ ) . وتاريخ الامم والملوك للطبرى  
( ١١٠ ، ١٠٩ / ٣ ) .

( ٢ ) اخرجه الامام احمد فى المسند ( ٥ / ٤٥٣ ، ٤٥٤ ) . قال الهيثمى فى مجمع  
الزوائد ( ٦ / ١٩٥ ) : رواه احمد ورجاله رجال الصحيح . قلت : اسناده  
كما ذكر الهيثمى ، وهو حديث صحيح .

( ٣ ) العقبة : الجبل . انظر مختار الصحاح / للرازى ( ٤٤٤ ) دار الكتب العربية / بيروت .

( ٤ ) قد ، قد : قد معناها : حسب ، وتكرارها لتأكيد الامر . انظر غريب الحديث لابن الاثير

كان اصحاب العقبة <sup>(١)</sup> فقال : اربعة عشر ، فقال : ان كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر ، فعدد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة ، قالوا والله ما سمعنا من ادى رسول الله وما علمنا ما اراد القوم ، فقال : عمار اشهد ان الاثنى عشر الباقيين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، قال الوليد ( احد الرواة ) وذكر ابو الطفيل في تلك الغزوة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس واذكر له ان في الماء قلة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى أن لا يرد الماء احد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فورده رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد رهطا قد وردوه قبله فلعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ .

لقد اطلع رسول الله عليه الصلاة والسلام على ما بيته المنافقون من نية الغدر به فاختر طريقا في الجبل لنفسه دون الجيش ، وامر أن لا يسلك هذا الطريق احد ليفضح امر المنافقين وتديبرهم .

( ٢ )

فقد اورد البيهقي الحديث من طريق عروة بن الزبير ، وجاء فيه : ( ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا من تبوك الى المدينة ، حتى اذا كان ببعض الطريق مكر برسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من اصحابه فتآمروا عليه أن يطرحوه في عقبة في الطريق ، فلما بلغوا العقبة ارادوا أن يسلكوها معه ، فلما غشيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر خبرهم ، فقال : من شاء منكم ان يأخذ بطن الوادي فانه اوسع لكم ، واخذ النبي صلى الله عليه وسلم العقبة ، واخذ الناس بطن الوادي الا النفر الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وقد هموا بامر عظيم ، وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان ، وعمار بن ياسر ، فمشيا معه . . الحديث ) .

اذن فان النبي صلى الله عليه وسلم علم بمكيدتهم ابتداء ، وهم فعلوا جريمتهم عن عمد وبتخطيط سابق . والله سبحانه نجاه من كيدهم .

( ١ ) نقل الساعاتي عن النووي قوله : وهذه العقبة ليست العقبة المشهورة التي كانت

بها بيعة الانصار ، وانما هذه عقبة على طريق تبوك اجتمع المنافقون فيها

للغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فعصمه الله منهم .

انظر الفتح الرياني ترتيب مسند الامام احمد ( ٢١ / ١٩٥ ) .

( ٢ ) اخرجه البيهقي في دلائل النبوة ( ٥ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ) واورده ابن كثير في

البداية والنهاية ( ٥ / ١٩ )

وورد التصريح في حديث آخر عند البيهقي من طريق حذيفة ان الذين دبروا هذه المكيدة هم المنافقون ، وان الهدف منها هو القضاء على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء فيه : ( ١ ) . . . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل عرفتم القوم ؟ قلنا : لا ، يارسول الله ، كانوا متلثمين ، ولكننا قد عرفنا الركاب ، قال عليه الصلاة والسلام : هؤلاء المنافقون الى يوم القيامة ، وهل تدرون ما ارادوا قلنا : لا ، قال : ارادوا ان يزعموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة ، فيلقوه منها . . . الحديث ) .

من هذا كله يتضح مدى خطورة المنافقين على امن الجيش الاسلامي وعلى امن الامة الاسلامية ، واذا كان قد بلغ الحدبهم الى التآمر على المسلمين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل والتآمر على الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه فان تآمرهم على المسلمين من بعده لاشد وانكى .

لذا فان عداوة المنافقين لاتقل عن عداوة المشركين ، وخطرهم لا يقل عن خطرهم ان لم يكن اشد وافظع . ووجودهم في الصف الاسلامي قديوءدى الى هزيمة المسلمين لان هذا هو مايسعون اليه ويخططون من اجله . وبناء عليه فانهم يعدون من اسباب الهزيمة التي يجب ان يحترس المسلمون منها .

---

- ( ١ ) اخرج البيهقي في دلائل النبوة ( ٢٥٦ / ٥ ، ٢٥٧ ) .



السبب السادس:

=====

## الخداع فى المعركة

=====

من اهم مبادئ الحرب ممارسة الخداع العسكرى للاخلال بتوازن العدو النفسى والمادى فى المعركة من خلال تفريق وحدة قوات العدو وتشتيتها ، أو بجره الى معركة مبيتة دون ان يترك له فرصة الاستعداد ، أو ينصب الكمائن المختلفة من المقاتلين أو المتفجرات وغيرها لمباغتة العدو ، أو بايهامه بأمر ماثم بمفاجأة بغير ماتوقع . ، ويستخدم فى ذلك وسائل كثيرة ومختلفة .

اهمية الخداع فى احراز النصر:

سلاح الخديعة مهم فى المعركة ، وقد يكون احيانا اجدى من الاسلحة المادية ، لان الاسلحة المادية ظاهرة لاتخفى على الخصم فى الغالب فتكون داخلية فى حساباته العسكرية ومن ثم فلاخطورة كبيرة منها اذ يمكنه اعداد سلاح مضاد لها . . ، بينما الخديعة تكون خافية على العدو ولا تكاد تدخل فى حساباته العسكرية ، ومن ثم يكون تأثيرها اشد واعظم سيما وانها مدعمة بعنصر المفاجأة .

ولقد اشار الرسول القائد عليه الصلاة والسلام الى اهمية الخداع فى المعركة .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى عن جابر بن عبد الله قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (١) الحرب خدعة .

( ١ ) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب الحرب خدعة ( ١٧٤ / ٢ ) .

ومسلم فى الجهاد / باب جواز الخداع فى الحرب ( ١٣٦١ / ٣ ) .

( ١ )

الخداع فى الاصل اظهار امر واضمار خلافه . ومعنى قوله ( الحرب خدعة )

بفتح الخاء المعجمة مع سكون الدال المهملة اى انها تخدع اهلها ، وقال  
( ٢ )

الخطابى : معناه انها مرة واحدة اى اذا خدع مرة واحدة لم تقل عشرته .

وعن الحكمة فى الاتيان بالتاء فى قوله ( خدعة ) قال ابن حجر ( للدلالة

على الوحدة ، فان الخداع ان كان من المسلمين فكأنه حضهم على ذلك ولو

مرة واحدة ، وان كان من الكفار فكأنه حذرهم من مكرهم ولو وقع مرة واحدة ،

فلا ينبغى التهاون بهم لما ينشأ عنهم من المفسدة ولوقل . - و اضاف ابن

حجر مبينا ما يرشد اليه الحديث فقال :- وفيه التحريض على أخذ الحذر

فى الحرب ، والندب الى خداع الكفار وان من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن  
( ٣ )

ينعكس الامر عليه ) اى ان الخداع يؤثر فى نتيجة المعركة نصرا وهزيمة .

وقوله عليه الصلاة والسلام ( الحرب خدعة ) هو من باب تعريف الكل

بالجزء لاهميته كقوله عليه الصلاة والسلام : ( الحج عرفة ) اذ ليس الوقوف  
( ٤ )

بعرفة هو كل الحج وانما هو من شعائره ، ولكن لاهميته عرف به الحج كله ،

وكذلك فان الخداع ليس هو كل ما فى الحرب ، بل هو جزء منها ، ولكن لاهميته

عرف به الكل ، اذ يمكن ان تنهى المعركة مع العدو اذا اوقعته فى خديعة

محكمة وتكون بالنسبة له القاضية فنكسب بخديعة واحدة الحرب كلها وتضمر

على عدوك . كما وان الاهمية تكمن فى كون عنصر الخداع يمتاز بالمباغته للعدو ،

فيكون تأثيره خطيرا على العدو ، وفى المقابل لا يتكلف صاحبه المواجهة

( ١ ) خدعة : فيها ثلاث لغات مشهورات ، اقتصرنا على افصحها وهى الفتح

ويمكن الرجوع الى المصادر المذكورة للاطلاع على البقية .

( ٢ ) انظر فتح البارى ( ١٥٨ / ٦ ) . وطرح التثريب فى شرح التقريب للعراقى

( ٢١٤ / ٧ ) الناشر / دار المعارف حلب . دار احياء التراث العربى

بيروت .

( ٣ ) فتح البارى ( ١٥٨ / ٦ ) بتصرف واختصار .

( ٤ ) اخرج الترمذى فى الحج / باب ماجاء فىمن ادرك الامام بجمع فقد ادرك

الحج ( ٢٣٧ / ٣ ) . وابوداود فى المناسك / باب من لم يدرك عرفه

( ١٩٦ / ٢ ) . والنسائى فى الحج / باب فىمن لم يدرك صلاة الصبح مع

الامام بمزدلفة ( ٢٦٤ / ٥ ) . وابن ماجة فى المناسك / باب من اتى عرفة

قبل الفجر ليلة جمع ( ١٠٠٣ / ٢ ) والدارمى فى المناسك / باب بما يتم

الحج ( ٣٨٦ / ١ ) . كلهم من طريق عبد الرحمن بن يعمر . واسناد الحديث

صحيح .

مع خصمه فينتصر على عدوه باقل التكاليف .

قال ابن المنير<sup>(١)</sup> : معنى الحرب خدعة اي الحرب الجيدة لصاحبها

الكاملة في مقصودها انما هي المخادعة لا المواجهة ، وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر .

من هنا ندرك أن الخداع هو من اهم اركان الحرب، ومن اهم اسباب الفوز والنصر في المعركة .

جواز الكذب لخداع العدو في الحرب :

ولما للخداع من الاهمية في المعركة فقد جَوَّز الرسول صلى الله عليه وسلم

الكذب في الحرب خاصة بالاضافة الى الاصلاح بين المتخاصمين ، وحديث الرجل الى زوجته .

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - وابوداود عن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي

معيط - وكانت من المهاجرات الاول اللاتي بايعن النبي صلى الله عليه وسلم -

انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :<sup>(٢)</sup> ليس الكذاب الذي يصلح

بين الناس ويقول خيرا وينمي خيرا قال ابن شهاب - احد رجال الاسناد - : ولم

اسمع يُرَخَّص في شيء مما يقول الناس كذباً الا في ثلاث : الحرب، والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها .

(١) انظر فتح الباري (٦/١٥٨) .

(٢) اخرجه الامام مسلم في البر والاداب والصلة / باب تحريم الكذب وبيان ما يباح

منه (٤/٢٠١١) . وابوداود في الادب / باب في اصلاح ذات البين

(٤/٢٨١) .

والكذب فى الحرب يعنى تزويد العدو بمعلومات خاطئة لتضليله  
والخداع به فى المعركة . ولم يرخص به النبى صلى الله عليه وسلم الا لاهميته  
وشدة الحاجة اليه فى المعركة من اجل الظفر بالعدو .

والكذب على العدو وجائز بالاتفاق ، قال الامام النووى : ( واتفق العلماء  
على جواز خداع الكفار فى الحرب وكيف امكن الخداع الا أن يكون فيه نقض  
عهد او امان فلا يحل )<sup>(١)</sup> . ونقل النووى عن القاضى عياض قوله : ( لا خلاف فى  
جواز الكذب فى هذه الصور )<sup>(٢)</sup> .

يريد فى الحرب والاصلاح وكلام الرجل لزوجته وكلامها لزوجها لاظهار  
الود والوعد بخلاف المخادعة او أخذ ما ليس له فهو حرام .  
واختلفوا فى المراد بالكذب المباح فى الامور الثلاثة ، هل هو مطلق

الكذب ام تقييده بالمعاريض؟

الرأى الاول :  
===== ذهبت طائفة الى جواز الكذب - فى المواضع السابقة -

مطلقا وارادوا بذلك جواز حقيقة الكذب . والى هذا ذهب النووى انه قال  
( ٣ )  
( والظاهر اباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض افضل ) .

ووافق ابن العربى فقال : ( الكذب فى الحرب من المستثنى الجائز بالنص رفقا  
بالمسلمين لحاجتهم اليه وليس للعقل فيه مجال ولو كان تحريم الكذب بالعقل  
ما انقلب حلالا )<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) شرح النووى على صحيح مسلم ( ٤٥ / ١٢ ) .

( ٢ ) انظر المصدر السابق ( ١٥٨ / ١٦ ) .

( ٣ ) انظر المصدر السابق ( ٤٥ / ١٢ ) .

( ٤ ) انظر فتح البارى ( ١٥٩ / ٦ ) . ونيل الاوطار ( ٨٤ / ٨ ) .

( ٢ )

( ١ )

وهذا ما رجحه ابن حجر في فتح الباري واحتج له ، وتبعه في ذلك الشوكاني .

الرأي الثاني : ذهب جماعة من العلماء الى عدم جواز الكذب مطلقا .

وحملوا ما جاء من التصريح بالكذب في الحالات السابقة - على التورية واستعمال

المعاريض لا صريح الكذب . ومن هؤلاء العلماء الطبري فقد قال : ( ٤ ) انما يجوز

من الكذب في الحرب المعاريض دون حقيقة الكذب فانه لا يحل . وهو ما ذهب

اليه المهلب بقوله : ( ٥ ) ولا يجوز الكذب الحقيقي في شيء من الدين اصلا ،

-واضاف بقوله - و محال أن يأمر بالكذب من يقول : ( من كذب على متعمدا

فليتبوأ مقعده من النار ) . والذي اميل اليه هو أن حقيقة الكذب جائزة ( ٦ )

على الكفار ، وذلك لما اخرججه الشيخان - واللفظ للبخاري - عن جابر عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ٧ ) من كعب بن الأشرف ؟ فقال محمد ابن

مسلمة : اتحب أن أقتله ؟ قال : نعم . قال : فأذن لي فأقول . قال : قد

فعلت .

اذن الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة في أن يقول ما فيه

مصلحة مما يسهل عليه قتل كعب . والقول هنا اما ان يكون بالمعاريض او بالكذب ،

والرسول صلى الله عليه وسلم اباح عموم القول ولم يخص نوعا منه ، فيفهم من ذلك

( ١ ) انظر فتح الباري ( ١٥٩ / ٦ ) .

( ٢ ) انظر نيل الاوطار ( ٨٤ / ٨ ) .

( ٣ ) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ( ١٥٨ / ١٦ ) .

( ٤ ) انظر المصدر السابق ( ٤٥ / ١٢ ) .

( ٥ ) انظر فتح الباري ( ١٦٠ / ٦ ) .

( ٦ ) الحديث اخرججه البخاري عن ابي هريرة بهذا اللفظ في كتاب العلم / باب

اثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ( ٣١ / ١ ) وفي كتاب الادب

باب من سمى باسم الانبياء ( ٨٠ / ٤ ) ومسلم في المقدمة / باب تغليظ الكذب

على رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ١٠ / ١ ) . واخرججه البخاري ايضا

من طريق علي بن ابي طالب ، والزيير بن العوام ، وانس بن مالك ، وسلمة

بالفاظ مقاربة / في كتاب العلم / باب اثم من كذب على النبي صلى الله عليه

وسلم ( ٣١ / ١ ) .

( ٧ ) اخرججه البخاري في الجهاد / باب الفتك باهل الحرب ( ١٧٤ / ٢ ) . ومسلم

في الجهاد والسير / باب قتل كعب بن الاشرف ( ١٤٢٥ / ٣ ) .

ان الكذب مباح فى هذه الحالة . قال العينى : ( قوله ) قد فعلت ( اى قال  
النبى صلى الله عليه وسلم قد أذنت ، ولفظ القول أعم لافعال يعبر به عن الفاظ  
كثيرة ) . ( ١ )

( ٢ )

وقال ابن حجر ( يدخل فيه الاذن فى الكذب تصريحاً وتلويحاً ) .

والحكمة من اباحة الكذب على العدو وفى الحرب هى - كما اشرت سابقاً - شدة  
الحاجة اليه فى المعارك والحروب لايقاع الخديعة بالعدو ، اذ إنه من الاسباب  
التي تعين على احراز النصر .

نماذج من خداع المسلمين للعدو واثرها فى المعركة :

ايقاع الخديعة بالاحزاب يوم الخندق : لقد اجتمعت الاحزاب من المشركين

وقبائل العرب كغطفان وهوازن وغيرهما واليهود ، والمنافقون من جهة اخرى  
واطبقوا على المسلمين من كل جانب ، ولم يجتمع المشركون ومن مالأهم فى يوم من  
الايام كذاك اليوم ، فكان يوماً عصيباً <sup>على</sup> المسلمين .

فى تلك الاثناء عرض نعيم بن مسعود - وقد جاء مسلماً ولم يعلم بذلك  
قومه - عرض خدماته على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكلفه عليه الصلاة والسلام  
بتخذيل الاحزاب وايقاع الخديعة بهم . وكان لخديعة نعيم بالاحزاب كبير  
الاثر فى تفريق الاحزاب وتشتيتهم بل وتشكيكهم بعضهم ببعض مما ساعد فى  
رفع الحصار عن المدينة وفشل الاحزاب فى النيل من المسلمين . وسأذكر

( ١ ) انظر عمدة القارى للعينى ( ٢٧٧ / ١٤ ) .

( ٢ ) فتح البارى ( ١٥٩ / ٦ ) .

القصة كاملة من السيرة ليتضح قيمة الخداع فى المعركة، واثره فى النصر والهزيمة.  
نقل ابن هشام عن ابن اسحاق قوله: (١) ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر...

من غطفان ، اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، انى قد  
اسلمت ، وان قومى لم يعلموا باسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : انما انت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت ، فان الحرب  
خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بنى قريظة ، وكان لهم نديما فى الجاهلية  
فقال : يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم ، وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت  
لست عندنا بعثهم ، فقال لهم : ان قريشا و غطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم فيه اموالكم  
وابناؤكم ونساءؤكم ، لا تقدرن على ان تحولوا منه الى غيره ، وان قريشا و غطفان  
قد جاءوا لحرب محمد واصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم واموالهم ونساءؤهم  
بغيره فليس كانتم ، فان رأوا نهزة اصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم  
وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به ان خلابكم ، فلا تقاتلوا مع القوم  
حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم ، يكونون بايديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا  
معهم محمدا حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد اشرت بالرأى .

ثم خرج حتى اتى قريشا ، فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال  
قريش: قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد ، وانه قد بلغنى امر قد رأيت على حقا  
ان ابلاغكموه ، نصحا لكم ، فاكنتموا عنى ، فقالوا : نفعل : قال : تعلموا أن معشر  
يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد ارسلوا اليه : انا قد  
ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين ، من قريش و غطفان

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٢٩ ، ٢٣٠) . وانظر تاريخ الطبرى  
(٢/٥٧٨ ، ٥٧٩) . كلاهما عن ابن اسحاق ، ولكن لم يروها ابن  
اسحاق بالاسناد . وانظر امتاع الاسماع للمعريزى (١/٢٣٦ ، ٢٣٧)  
مطابع قطر الوطنية ، الطبعة الثانية ، تصحيح الاستاذ / محمود شاكر . وعزا صاحب  
كنز العمال (٤/٣٥٨) القصة للشيرازى فى الالقاب .  
(٢) نهزة : فرصة . انظر غريب الحديث لابن الاثير (٥/١٣٥) .

رجالاً من اشرافهم فنعطيكهم ، فتضرب اعناقهم ثم تكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فارسل اليهم : أن نعم . فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى اتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان . انكم اصلى وعشيرتى واحب الناس الى ، ولا اراكم تتهموننى : قالوا : صدقت ، ما انت عندنا بعثهم ، قال : فاكتبوا عنى ، قالوا : نفعل ، فما امرك ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

قال ابن هشام : فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن ارسل ابو سفيان بن حرب وروءس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن ابى جهل ، فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم : انا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر ، فاغدا للقتال حتى نناجز محمداً ، ونفرغ مما بيننا وبينه ، فارسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت ، وهو يوم لانعمل فيه شيئاً وقد كان احدث فيه بعضنا حدثاً فاصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذيين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فانا نخشى ان ضرستكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا الى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله ان الذى حدثكم نعيم ابن مسعود لحق ، فارسلوا<sup>الى</sup> بنى قريظة : انا والله لاندفع اليكم رجلاً واحداً من



رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنوقريظة ، حين انتهت الرسل اليهم بهذا : ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم الا أن يقاتلوا ، فان رأوا فرصة انتهزوها ، وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وغلّوا بينكم وبين الرجل فى بلدهم فارسلوا الى قريش وطفان : انا والله لانقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا ، فابوا عليهم ، وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكفأ قذورهم وتطرح أبنيتهم .

لقد قام نعيم بن مسعود بدوره فى خداع الاحزاب فى احلك اللحظات ، وكان بارعا فى خداعه لكل فرقة على حدة حتى انطلت الخدعة عليهم جميعا .

وكسب المسلمون المعركة بخدعة نعيم بن مسعود - بعد تأييد الله لهم - ، واندحر الاحزاب عن المدينة خائبين لم ينالوا من المسلمين ما جاءوا من اجله ، واجتمعوا بسببه ، وانتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى قريظة بعد أن رحلت قريش ومن مالأها من قبائل العرب .

من هذا النموذج التطبيقي للخداع فى المعركة ندرك اهميته فى احراز النصر او وقوع الهزيمة .

#### الخداع بالتورية فى جهة الغزوة :

ومن اساليب التورية التى مارسها الرسول القائد عليه الصلاة والسلام فى غزواته ، تشكيك العدو فى جهة الغزو ليقاتله على حين غرة ، مستفيدا بذلك من عنصر المباغته . ليكسب المعركة من الضربة الاولى ، اذ يكون العدو حينها غير مستعد للقتال . .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى - وابوداود والدارمى واحمد عن كعب

ابن مالك قال : (١) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها الا وري

بغيرها . . الحديث .

(١) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب من اراد غزوة فورى بغيرها (٢/١٦٢) . ومسلم فى التوبة / باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٤/٢١٢٨) وابوداود فى الجهاد / باب المكر فى الحرب (٣/٤٣) . والدارمى فى السير / باب الحرب خدعة (٢/١٣٨) . والامام احمد فى المسند (٣/٤٥٦ ، ٤٥٧) ، (٦/٣٨٧) .

والتورية هي اظهار امر مع ارادة غيره . والمراد بالتورية فى الغزوة انه عليه الصلاة والسلام اذا كان يريد أن يغزو فى جهة المشرق يسأل<sup>عن</sup> امر فى جهة المغرب ،  
( ١ )  
ويتجهز للسفر فيظن من يراه ويسمعه انه يريد جهة المغرب .

قال ابن القيم : ( وكان يقول فى التورية اذا اراد حنينامثلا : كيف طريق نجد ومياهاها ، ومن بها من العدو ونحو ذلك ) .. فمن يسمع هذا القول يظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد نجدا ، فيخذع أهل حنين ويفاجئهم بقواته ويأخذهم على حين غرة .

ومثل ذلك من جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم انه عندما اراد غزو بنى لحيان ( اظهر انه يريد الشام ، لسيصيب من القوم غرة ) .

وهذا المبدأ عمل به الرسول صلى الله عليه وسلم فى معظم غزواته كما جاء فى حديث كعب بن مالك المتقدم الاغزوة تبوك لطول السفر وشدة الحر مما دعاه الى الاعلان عن جهة الغزوة .

ولاشك ان هذا المبدأ<sup>كان</sup> عاملا من عوامل القوة والنصر التى حظي بها جهاد المصطفى عليه الصلاة والسلام .

يقول "رومل" مبينا اهمية اخفاء اتجاه العمليات العسكرية واستعمال وسائل الخداع فى المعركة : ( ان اخفاء النية مسألة هامة للغاية لتحقيق المفاجأة ، وبذا تضيع على قيادة العدو واستغلال الوقت اللازم لتتخذ الاجراءات المضادة ، وعلينا أن نلجأ الى كل وسائل الخداع لجعل العدو مرتبكا مترددا لا يتصرف بسرعة ) .

بهذا يتبين اهمية الخداع فى المعركة ودوره فى احراز النصر .

- ( ١ ) انظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى ( ١٣٣ / ٦ ، ١٥٩٠ ) .
- ( ٢ ) زاد المعاد لابن القيم ( ١٦٦ ، ١٦٧ ) . بتصرف يسير جدا .
- ( ٣ ) السيرة النبوية لابن هشام ( ٢٧٩ / ٣ ) .
- ( ٤ ) استراتيجية الفتوحات الاسلامية / الرائد وليد جرادات ، نقلا عن مذكرات رومل ( ١٩١ / ١ ) .

## المباغته

## تسمهيد :

تستخدم مختلف الدول والنظم العسكرية عنصر المباغته لاهداف عدوانية بدافع الاستيلاء على الارض والثروات ، واستغلال الشعوب . . ، ولا تحرم في ذلك طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا .

ومقصد الجهاد في الاسلام مقصد ديني يهدف الى الهداية والامن والعدالة وسعادة البشرية كما فصلته في بواعث الجهاد<sup>(١)</sup> ، فهو مجرد عن كل مطمع دنيوي . . ، وشرع لذلك آدابا لم تصل اليها البشرية في القرن العشرين .  
وسأذكر آداب الحرب بايجاز :

اولا : عدم ايداء وقتل المدنيين من الاطفال والنساء والشيخوخة ان لم يشاركوا في القتال .  
اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن عبد الله بن عمر :<sup>(٢)</sup> ( أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتولة فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان ) .

قال النووي رحمه الله : ( اجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان اذا لم يقاتلوا ، فان قاتلوا : قال جماهير العلماء يقتلون ، واما شيخوخة الكفار فان كان منهم رأى قتلوا والا فقيهم ) .  
وقال ابن تيمية رحمه الله : ( . . . واما من لم يكن من اهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والاعمى والزمن ، ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء<sup>(٤)</sup> الا ان يقاتل بقوله او فعله . . ) .

- ( ١ ) انظر البواعث صفحة ( ٣٧ ) من هذه الرسالة .  
( ٢ ) اخرجه البخاري في الجهاد / باب قتل الصبيان في الحرب ( ١٧٢ / ٢ ) . ومسلم في الجهاد والسير / باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ( ١٣٦٤ / ٣ ) .  
( ٣ ) شرح النووي على صحيح مسلم ( ٤٨ / ١٢ ) .  
( ٤ ) مجموعة الفتاوى لابن تيمية ( ٣٥٤ / ٢٨ ) .

ثانياً: المنع من التمثيل بالقتلى او الحرق بالنار.

اخرج البخارى عن ابى هريرة قال : ( بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعث وقال : ان لقيتم فلانا وفلانا لرجلين من قريش سماهما فحرقوهما بالنار، قال : ثم اتيناه نودعه حين اردنا الخروج فقال : انى كنت امرتكم ان تحرقوا فلانا وفلانا بالنار، وان النار لا يعذب بها الا الله ، فان اخذتموهما فاقتلوهما ) . (١)

اخرج البخارى - واللفظ له - واحمد عن عبد الله بن يزيد الانصارى قال : ( نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النهب والمثلة ) . (٢)

ثالثاً: تحريم الغلول والنهب.

(٣) اخرج الامام مسلم - واللفظ له - والترمذى وابن ماجه وابوداود عن بريد قال : ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميراً على جيش او سرية اوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً . . . الحديث ) . اوجب الاسلام كما ترى الالتزام بهذه الآداب الرفيعة فى المعركة ، وابعاد المباشرة بشرطين - مع الالتزام بالآداب السالفة الذكر - وهما :

الاول: بلوغ دعوة الاسلام للعدو .

لحديث بريدة - الذى تقدم ذكره قبل سطور قليلة - وجاء فيه : ( اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال " او خلال " فايتهن من ما اجابوك فا قبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم

- (١) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب لا يعذب بعذاب الله (٢/١٧٢) .

(٢) اخرجه البخارى فى المظالم / باب النهب بغير اذن صاحبه (٢/٧٢) .

والامام احمد فى المسند (٤/٣٠٧) .

(٣) سبق تخريجه فى موضوع بواعث الجهاد . صفحة (٧٢) ، هامش رقم (١) .

الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين واخبرهم انهم ان فعلوا ذلك فلهم مال المهاجرين وعليهم مال على المهاجرين ، فان ابوا ان يتحولوا منها فاخبرهم انهم يكونون كاعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء الا ان يجاهدوا مع المسلمين ، فان هم ابوا فسلهم الجزية ، فان هم اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم ابوا فاستعن بالله وقتلهم . . الحديث .

فلم يجز الرسول صلى الله عليه وسلم القتال الا آخر الامر بعد تبليغهم الاسلام وتخييرهم بينه وبين الجزية . هذا وفى المسألة تفصيل سيأتى ذكره قريبا ان شاء الله .  
الثانى : النبذ الى المعاهدين اذا خيف غدرهم :

يقول سبحانه وتعالى : ( واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان

( ١ )  
الله لا يحب الخائنين ) .

والمعنى انه يا محمد (صلى الله عليه وسلم) - وامراء المسلمين وولا تهم يدخلون فى الخطاب تبعا - اذا خفت من غدر المعاهدين ونقضهم العهد فاطرح العهد الذى بينكم ( على سواء ) اى بطريق مستو ، باظهار نقض العهد لهم واخبارهم ذلك بالخبر الصريح ، وعدم مناجزتهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون منكم شبهة غدر او خيانة للعهد . ( ٢ ) واذا اتى المعاهدون بما ينقض العهد وقتالهم دون اعلامهم المسير اليهم . يدل على ذلك قتال الرسول صلى الله عليه وسلم لقريش بعد أن نقضت العهد ، واخفاؤه عليه الصلاة والسلام خبر مسيره اليهم . ( ٣ )

على ضوء تلك البواعث وهذه الآداب والشروط يعلم مفهوم الصاغة فى الاسلام وتظهر السمة الحضارية الرائعة للتشريع الاسلامى حتى مع العدو فى المعركة ، وهو ما يميز المدرسة العسكرية الاسلامية عما سواها . ( ٤ )

( ١ ) الانفال ( ٥٨ ) .

( ٢ ) انظر تفسير ابي السعود ( ٣١ / ٤ ) .

( ٤ ) انظر همجية الانظمة الحديثة من دول الكفر والضلال فى كتاب/الجهاد فى الاسلام / تأليف : محمد شديد صفحة ( ١٣٧ ) مؤسسة الرسالة . بيروت .

( ٣ ) انظر تفصيل ذلك فى موضوع الكتمان صفحة ( ٤١٤ ) من هذه الرسالة ،

وانظر زاد المعاد لابن القيم ( ٤٠٨ / ٢ ) .

حكم مباغته العدو و قبل عرض الدعوة عليه :

اختلف العلماء فى حكم مباغته العدو و قبل دعوته الى الاسلام على ثلاثة آراء :

الرأى الاول :

جواز قتال العدو و مطلقا بلغته الدعوة اولم تبلغه ، حكاها المازرى والقاضى عياض  
( ١ )  
وقال النووى ببطلانه .

الرأى الثانى :

عدم جواز مباغته العدو وقتاله مطلقا الا بعد دعوته الى الاسلام ، سواء كان ممن  
بلغتهم الدعوة . ام لا الا ان يعجلوا المسلمين .  
( ٢ )  
( ٣ )  
وهو رأى مالك والهادوية وجماعة من العلماء .

دليلهم : ( ١ ) استدلو بما اخرجهم الامام مسلم - واللفظ له - والترمذى  
( ٤ )  
وابن ماجة وابوداود من حديث بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه :  
( اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى ثلاث خصال فايتهما اجابوك  
اليها فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم  
وكف عنهم . . فان هم ابوا فسلهم الجزية فان هم اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ،  
فان هم ابوا فاستعن بالله وقاتلهم . . الحديث ) .  
ووجه الدلالة فى الحديث : هو الامر بالدعوة الى الاسلام قبل القتال ، فدل ذلك  
على ان الدعوة واجبة قبل القتال .

- ( ١ ) انظر شرح النووى على صحيح مسلم ( ٣٦ / ١٢ ) .  
( ٢ ) انظر فتح البارى ( ٤٧٨ / ٧ ) . والدرر المضيئة شرح الدرر البهية للشوكانى  
( ٢٨١ / ٢ ) .  
( ٣ ) انظر نيل الاوطار للشوكانى ( ٥٣ / ٨ ) .  
( ٤ ) سبق تخريجه فى موضوع بواعث الجهاد / صفحة ( ٧٢ ) هامش رقم ( ١ ) .

( ٢ ) واستدلوا بما اخرجهم الشيخان - واللفظ للبخارى - عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: (١) لا عطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال : فبات الناس يدركون ليلتهم : ايهم يعطاها ؟ فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها فقال : اين على بن ابي طالب ؟ فقيل : هو يارسول الله يشتكى عينيه . قال فارسلوا اليه . فأتى به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعاه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فاعطاه الراية . فقال على : يارسول الله ، اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خيرا لك من ان يكون لك حمر النعم . (٣)

والشاهد في الحديث هو قوله عليه الصلاة والسلام : ( انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ) وهو امر بالدعوة الى الاسلام قبل القتال .

الرأى الثالث :

قال اكثر العلماء بالتفصيل فى المسألة على الوجه التالى :

( ١ ) من لم تبلغه الدعوة لا يجوز مباغتته بالقتال الا بعد عرض الدعوة عليه .

( ٢ ) من بلغت الدعوة يجوز مباغتته بالقتال دون عرض الدعوة عليه ، واستحبوا دعوته

الى الاسلام ثانية قبل القتال مبالغة فى الانذار .

- ( ١ ) اخرج البخارى فى المغازى / باب غزوة خيبر ( ٥١ / ٣ ) . وفى الجهاد / باب فضل من اسلم على يديه رجل ( ١٧١ / ٢ ) . ومسلم فى الفضائل / فضائل على ابن ابي طالب رضى الله عنه ( ١٨٧٢ / ٤ ) .
- ( ٢ ) يدركون : اى يخوضون ويموجون فيمن يدفعها اليه . انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ( ١٤٠ / ٢ ) .
- ( ٣ ) حمر النعم : حمر بسكون الميم . والنعم ، بفتح النون والعيسن المهملة ، وهو من اللون الابيل المحمودة . قيل المراد خير لك من ان تكون لك فتصدق بها ، وقيل تقننيها وتملكها ، وكانت مما تتفاخر العرب بها . انظر فتح البارى لابن حجر ( ٤٧٨ / ٧ ) .

بهذا الرأي قال نافع مولى ابن عمر والحسن البصرى والثورى والليث والشافعى  
وابو ثور وابن المنذر والاحناف<sup>(١)</sup> والحنابلة<sup>(٢)</sup>، ورجحه النووى وابن حجر والشوكانى<sup>(٣)</sup> .

ادلتهم : استدلو على قولهم بالتفصيل من حيث بلوغ الدعوة او عدمه كالاتى :

اولا : ادلتهم على عدم جواز المباغثة الا بعد عرض الدعوة هى نفس ادلة الفريق

الثانى القائل بعدم جواز المباغثة مطلقا ، وهى فى حديثى بريدة وسهل ابن

سعد الساعدى ، اذ يدل كلاهما على عدم جواز القتال قبل بلوغ دعوة

الاسلام .

ثانيا : ادلتهم على جواز مباغثة من بلغته الدعوة هى :

(١) ما اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - وابوداود وابن الجارود عن ابن عون

قال : <sup>(٧)</sup> كتبت الى نافع اسأله عن الدعاء قبل القتال قال : فكتب الى انما كان ذلك

فى اول الاسلام ، قد اغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى المصطلق وهم

غارون وانعامهم تسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم واصاب يومئذ جويرية<sup>(٨)</sup>

بنت الحارث .

(١) انظر شرح النووى على صحيح مسلم (٣٦/١٢) . والمجموع شرح المهذب

للنووى مع تكملة للمطيعى (٢٨٥/١٩ - ٢٨٧) .

(٢) انظر تبين الحقائق / للامام الزيلعى (٢٤٣/٣) دار المعرفة / لبنان

الطبعة الثانية . والهداية للمرغينانى (١٣٦/٢) .

(٣) انظر المغنى بالشرح الكبير لابن قدامة (٣٨٦، ٣٨٥/١٠) .

(٤) انظر شرح النووى على صحيح مسلم (٣٦/١٢) .

(٥) انظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى (٤٧٨/٧) .

(٦) انظر نيل الاوطار للشوكانى (٥٣/٨) . والسيل الجرار للشوكانى (٥٢٧، ٥٢٦/٤) .

(٧) اخرج البخارى فى كتاب العتق / باب من ملك من العرب رقيقا . (٨٣، ٨٢/٢)

ومسلم فى الجهاد والسير / باب جواز الاغارة على الكفار (١٣٥٦/٣) . وابوداود

فى الجهاد / باب فى دعاء المشركين (٤٢/٣) . وابن الجارود ، فى الجهاد

باب ما جاء فى ترك دعاء المشركين قبل القتال (٣٤٩) .

(٨) غارون : بالغين المعجمة وتشديد الراء اى غافلون . انظر شرح النووى

على صحيح مسلم (٣٦/١٢) .



( ١ )

( ٢ ) ما أخرجه الشيخان - واللفظ للبخارى - عن انس قال : ( كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غزا قوما لم يغز حتى يصبح فان سمع اذانا أمسك وان لم يسمع اذانا اغار بعد ما يصبح ، فنزلنا خيبر ليلا ) .

وموضع الشاهد فى حديث نافع هو قوله : ( اغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى المصطلق وهم غارون ) . اى غافلون . فالحديث صريح فى ان الرسول صلى الله عليه وسلم اغار عليهم وهم فى غفلة من الامر مما يعنى جواز الاغارة على العدو و اكتفاء ببلوغ الاسلام له اولا .

وقول انس ( وان لم يسمع اذانا اغار ) صريح فى جواز الاغارة على العدو دون عرض الدعوة عليه قبل القتال مباشرة اكتفاء بعرضها عليه اولا .

والصحيح هو ما ذهب اليه جمهور العلماء من التفصيل السابق لانهم بهذا جمعوا بين الادلة وازالوا ظاهر التعارض، سيما وان الاحاديث المذكورة كلها صحيحة بل وفى اعلى مراتب الصحة .

فى حين ان اصحاب الرأى الثانى - القائلين بعدم جواز المباغته مطلقا - تعترضهم هذه النصوص الصحيحة والصريحة فى الدلالة كذلك .

معنى المباغته : معنى المباغته فى اللغة : المفاجأة . ( ٢ )

( ٣ ) وفى الاصطلاح العسكرى : احداث موقف لا يكون العدو مستعدا له .

( ١ ) سبق تخريجه فى موضوع الامن العسكرى - الكتمان - صفحة ( ٤١١ ) ،

هامش ( ٤ ) .

( ٢ ) انظر لسان العرب لابن منظور ( ٢ / ١٠ ، ١١ ) .

( ٣ ) انظر الرسول القائد صفحة ( ٩٤ ) هامش ( ١ ) . ومجلة الامة القطرية

العدد السابع والخمسون / السنة الخامسة . مقال اللواء الركن محمد جمال

الدين محفوظ .

اشكال المباغته : تتخذ المباغته ثلاثة اشكال :

- الاول = المباغته فى الزمان بضرب العدو فى وقت لا يتوقعه .
- الثانى = المباغته فى المكان بضرب العدو فى مكان لا يتوقعه .
- الثالث = المباغته فى الاسلوب بضرب العدو وباسلوب قتالى لا يتوقعه ، سواء كان خطة حربية جديدة على العدو و اسلحاً جديداً كذلك .

اهمية المباغته فى المعركة :

يعدُّ العسكريون المباغته من اهم مبادئ الحرب لما لها

من الاثر الحاسم فى احراز النصر او الاصابة بالهزيمة .

وتكمن اهمية عنصر المباغته فى وقوع الفعل على خلاف توقعات العدو ،

أى أن ما يحدث لا يكون داخلاً فى حساباته العسكرية وهنا تكمن الخطورة ،

اذ يوءى ذلك فى الغالب الى احد امرين :

الاول : تحطيم العدو وشل قدراته تماماً فى المعركة وفى مدة قصيرة

من جراء الضربة الاولى المباغته ، او بسبب سلاح خطير لم يعرفه العدو و فتحسم

به المعركة بسرعة ، او مركز القيادة فى الجيش ، او القطاعات الحساسة فيه

كقواعد الصواريخ وسلاح الطيران مما يعنى الهزيمة والاستسلام .

الثانى : او تحدث المباغته ارباكاً لقيادة العدو مما يوءدى الى فقدان اوضاع

سيطرتها على المعركة و افسال خططها العسكرية ، وتحدث كذلك اختلالاً فى التوازن

العسكرى للجيش ، وهذا وذاك يوءثر فى سير المعركة ونتائجها .

من هذا العرض الموجز تبرز اهمية المباغته فى المعركة و اثرها فى

النصر والهزيمة . ووقائع السيرة - فضلا عن وقائع التاريخ الحديث للمسلمين -

تشبت ذلك كما سترى .

نماذج عملية للمباغثة من جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم واثرها في المعركة:

من المدهش حقا ان الباحث لا يكاد يجد غزوة من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم الا وفيها نوع مباغثة ، وفي المقابل لم يكد يحدث أن فوجيء المسلمون بمعركة سوى حنين رغم كثرة المعارك التي خاضوها ، وكثرة اعدائهم كذلك . ولعل ذلك عائد الى شدة حذر النبي صلى الله عليه وسلم واحتياطه من اعدائه ، وانتشار عيونه واستطلاعاته الذين يأتيونه بالاخبارا ولا باول ، ومعاجلته الاعداء بالقتال قبل ان يهيموا به وقبل ان يجمعوا امرهم ويتخذوا عدتهم .

( ١ ) مباغثة بنى المصطلق : التي وصلت الاخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق

بريدة الاسلمى - وقد كان عينا للمسلمين - ومفادها ان بنى المصطلق يستعدون لقتال المسلمين ويجمعون السلاح ويستنفرون القبائل ، فاعد الرسول صلى الله عليه عليه وسلم العدة وتجهز لقتالهم . ثم عاجلهم الضربة فاصابهم على حين غرة وقتل رجالهم وسبى نساءهم .

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - وابوداود وابن الجارود عن ابن عون عن نافع قال : ( ٢ ) اغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى المصطلق وهم غارون وانعامهم تسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم ، وسبى سبيهم ، واصاب يومئذ جويرة بنت الحارث ) .

ولاشك ان لعنصر المباغثة اثره الكبير في عدم تمكين بنى المصطلق من اتمام استعداداتهم وتجميع قبائل العرب معهم ، وساهم في مفاجأتهم بما لا يتوقعونه من حال المسلمين ، مما ادى الى تحطيم قواتهم ، واحراز النصر عليهم .

( ١ ) انظر ذلك في سيرة ابن هشام ، ( ٤٣ / ٢٩٠ ) .

( ٢ ) سبق تخريجه صفحة ( ٤٧٥ ) من هذا المبحث ، هامش رقم ( ٧ ) .

وحصول المباغته لبنى المصطلق في وقت تستعد فيه للقتال من اعظم صور

المباغته .

( ٢ ) مباغته يهود خيبر وقت الفجر : سبق ان ذكرت في موضوع الكتمان بالمسير

( ١ )

الليلي ان الرسول صلى الله عليه وسلم تحرك الى يهود خيبر ليلا ليكتم حركته عنهم .

والهدف من كتمان المسلمين حركتهم بالمسير الليلي هو التمكن من مباغته

اليهود في ارضهم، وهو ما حدث بالضبط .

لقد بدأ هجوم المسلمين عن طريق الشمس، وكان اليهود خارجين من اجل الزراعة والفلاحة

يحملون الغنم والقف معهم، فكان الامر بالنسبة لهم مجهولا تماما والا لما خرجوا

على تلك الحال، ولكانوا اختبأوا في حصونهم - كما هي عادتهم - مما يدل على

مدى دقة الرسول صلى الله عليه وسلم واتقانه في مباغتهم المباغته الكاملة .

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن انس قال : ( ٢ ) كنت ردف ابي طلحة

يوم خيبر وقد مى تمس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فاتيناهم حين بزغت

الشمس وقد اخرجوا مواشيهم وخرجوا بفئوسهم ومكاتلهم ومرورهم فقالوا : محمد ( ٣ ) ( ٤ )

والخميس، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خربت خيبر، انا اذا نزلنا

بساحة قوم فساء صباح المنذرين، قال : فهزمهم الله عزوجل .

( ١ ) انظر موضوع الامن العسكري / الكتمان، صفحة ( ٤١١ ) من هذه الرسالة .

( ٢ ) سبق تخريجه في صفحة ( ٢٢٣ ) ، هامش ( ١ ) .

( ٣ ) مكاتلهم : جمع مكتل ، بكسر الميم وهو القفة يقال له مكتل وقفة وزبيل

وزنبل وزنبيل وعرق وسفيقة . انظر شرح النووى على صحيح مسلم ( ١٦٥ / ١٢ ) .

والنهاية في غريب الحديث لابن الاثير ( ٤ / ١٥٠ ) .

( ٤ ) مروهم : قال القاضى عياض : قيل هي حبالهم التي يصعدون بها الى

النخل واحداها مرومر، وقيل مساحيهم واحداها مر لاغير . انظر شرح النووى

على صحيح مسلم ( ١٦٥ / ١٢ ) .

( ٥ ) الخميس : الجيش، سمي به لانه مقسوم بخمسة اقسام : المقدمة، والساقة، واليمين

والميسرة، والقلب . وقيل لانه تخمس فيه الغنائم . انظر غريب الحديث

لابن الاثير ( ٢ / ٧٩ ) .

قال النووى : ( قال القاضى فى هذا الحديث ان الاغارة على العدو

يستحب كونها اول النهار عند الصبح لانه وقت غرتهم وغفلة اكثرهم ، ثم يضىء لهم النهار لما يحتاج اليه ) . ( ١ )

ووقت الفجر يوء من المباغرة لان العدو يكون بين نائم لا يفيد فى القتال او مستيقظ غير متهيء له ، وهو لا جميعا غير مهين للقتال ، ولا جدوى منهم للنهوض باعباء الحرب .

وهو ما يعنى ان الفرصة تكون سانحة لتحطيم قوات العدو وهزيمتها فى هذه اللحظات ، مما يحقق النصر السريع على العدو . ( ٢ )

( ٣ ) مباغرة هوازن فى الليل : ومن صور مباغرة المسلمين للاعداء الهجوم

الليلي ، وهو ما يطلق عليه العلماء ( تبليت الكفار ) اى شن الغارة على العدو فى الليل ليوء خذوا بغرة ، ويترجم المحدثون فى كتبهم لاحاديث هذا الباب بهذا العنوان او بعنوان ( بيات الكفار ) .

ولاشك ان وقت الليل وقت غرة لانه وقت النوم المعتاد ، ولذا فان الهجوم فى هذا الوقت يوفر للمهاجم عنصر المباغرة للعدو واذ يكون مستغرقا فى نومه وان وجدت الحراسات فهى قليلة ولا تكفى لايقاف الهجوم ، وهذا يساعد على نجاح الهجوم واحراز النصر .

وهذا الاسلوب من المباغرة طبقه المسلمون فى غزوههم هوازن .

( ١ ) شرح النووى على صحيح مسلم ( ١٢ / ٦٥ ) .

( ٢ ) لاتعارض بين ما ذكرته هنا من مباغرة المسلمين يهود خيبر ، وبين ما نقلته سابقا من حديث سهل بن سعد الساعدي - فى حكم المباغرة - حيث استوقف الرسول صلى الله عليه وسلم على بن ابي طالب - قائد الجيش فى هذه الغزوة - وامره ان يدعوهم الى الاسلام قبل القتال . لان المباغرة كانت فى مسير المسلمين اليهم ووقوفهم على رؤسهم ولا يدرون ، فكان الامر مفاجئا لليهود . واما حديث ( سهل ) فالمراد به انه عليه الصلاة والسلام لم يأذن للمسلمين بمباشرة قتال اليهود قبل دعوتهم ، فتكون قد حصلت المباغرة فى المسير والوقوف فى مواجهتهم ، وحصلت الدعوة ساعة مواجهتهم وقبل قتالهم . ولا تعارض فى هذا .

اخرج الامام احمد وابوداود - واللفظه - وابن ماجه والدارمي والحاكم

عن سلمة بن الاكوع قال : ( ١ ) ( أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ابا بكر رضى الله عنه فغزونا ناسا من المشركين فبيتناهم نقلهم ، وكان شعارنا تلك الليلة : امت ، امت ، قال سلمة : فقتلت بيدي تلك الليلة سبعة اهل ابيات من المشركين ) .

وعند الامام احمد ان الناس هم هوازن ، ولفظه :

( بيتنا هوازن مع ابي بكر الصديق رضى الله عنه وكان امره علينا النبي صلى الله عليه وسلم ) .

( ٤ ) مباغثة بنى ملح بالكديد ليلا : هذه صورة اخرى للمباغثة الليلية للعدو .

اخرج الامام احمد - واللفظه - وابوداود عن جندب بن مكث الجهني

قال : ( ٢ ) ( بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبى ، كلب ليث

( ٣ )

( يعنى الليثى ) الى بنى ملح بالكديد وامره ان يغير عليهم ، فخرج فكنت فى سريره فمضينا حتى اذا كنا بقديد لقينا بها الحارث بن مالك وهو ابن البرصاء الليثى فاخذناه

فقال : انما جئت لاسلم ، فقال غالب بن عبد الله : ان كنت انما جئت مسلما فلن

يضرك رباط يوم وليلة ، وان كنت على غير ذلك استوثقنا منك ، قال : فاوثقه رباطا ثم

خلف عليه رجلا اسود كان معنا فقال : امكث معه حتى نمر عليك ، فان نازعك فاحتز

( ٥ )

رأسه ، قال ثم مضينا حتى اتينا بطن الكديد فنزلنا عشيبة بعد العصر ، فبعثنى

( ٦ )

اصحابى فى ربيثة فعمدت الى تل يطلعننى على الحاضر فانبطحت عليه وذلك المغرب

( ١ ) سبق تخريجه / صفحة ( ٣٩٢ ) ، هامش ( ١ ) .

( ٢ ) اخرجه الامام احمد فى المسند ( ٤٦٧/٣ ، ٤٦٨ ) . واخرج ابوداود بعضه

فى الجهاد / باب فى الاسير يوشق ( ٥٦/٣ ) . قال الهيثمى فى مجمع

الزوائد ( ٢٠٣/٦ ) : رواه احمد والطبرانى ورجاله ثقات فقد صرح ابن اسحاق

الاندلسى

بالسمع فى رواية الطبرانى .

( ٣ ) الكديد : موضع بين مكة والمدينة . انظر معجم ما استعجم ( ١١١٩/٢ ) تاليف عبد الله البكرى

( ٤ ) قديد : مصغرا ، وهو موضع بين مكة والمدينة . انظر النهاية فى غريب الحديث

لابن الاثير .

( ٥ ) عشيبة : قال ابن الاثير : هى تصغير عشيبة على غير قياس ، اُبدل من الياء الوسطى شين كأن اصلها : عشيبة . يقال : أتيت عشيبة وعشيانا ، وعشيانة ،

وعشييانا . انظر النهاية فى غريب الحديث ( ٢٤٣/٣ ) .

( ٦ ) ربيثة : هو العين والطليلة الذى ينظر للقوم لثلا يد همهم عدو ، ولا يكون الا على

جبل اوشرف ينظر منه . وارتبأت الجبل : اى سعدته . انظر النهاية فى غريب

الحديث لابن الاثير ( ١٧٩/٢ ) .

فخرج منهم فنظر فرآنى منبطحا على التل فقال لامرأته : والله انى لارى على هذا التل سوادا مارأيته اول النهار، فانظرى لاتكون الكلاب اجترت بعض اوعيتك قال فنظرت فقالت : لا والله ما فقد شيئا ، قال : فناولينى قوسى وسهمين من كنانتى ، قال : فناولته فرمانى بسهم فوضعه فى جنبى قال : فنزعته فوضعتة ولم اتحرك ، ثم رمانى بآخر فوضعه فى رأس منكبى فنزعتة فوضعتة ولم اتحرك ، فقال لامرأته : والله لقد خالطه سهماى ، ولو كان دابة لتحرك ، فاذا اصبحت فابتغى سهمى فحذيها لاتمضغهما على الكلاب ، قال : وامهلناهم حتى راحت رائجتهم حتى اذا احتلبوا وعطنوا او سكنوا وذهبت عتمة من الليل شننا عليهم الغارة فقتلنا من قتلنا منهم واستقنا النعم فتوجهنا قافلين ، وخرج صريح القوم السى قومهم مغوثا وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن البرصاء وصاحبه فانطلقنا به معنا ، واتانا صريح الناس فجاءنا مالا قبل لنا به ، حتى اذا لم يكن بيننا وبينهم الا بطن الوادى اقبل سيل حال بيننا وبينهم بعثه الله تعالى من حيث شاء مارأينا قبل ذلك مطرا ولا حالا ، فجاء بعلالا يقدر احدان يقوم عليه ، فلقد رأيناهم وقوفا ينظرون الينا ما يقدر احد منهم ان يتقدم ونحن نحوزها سراعا حتى اسندناها فى المشلل ثم حدرنا ها عنا ، فاعجزنا القوم بما فى ايدينا .

من خلال ما مر من نماذج المباغته من جهاد الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام يتأكد لنا ان عنصر المباغته هو واحد من اهم الاسباب والوسائل العسكرية التى اتبعها المسلمون فى جهادهم مع اعدائهم ، ويتأكد ايضا انها سبب من اسباب انتصاراتهم على اعدائهم .

( ١ ) اجتلبوا : اى حلبوا مواشيهم .

( ٢ ) عطنوا : اى اراحوا مواشيهم واغنامهم ، سعى المراح وهو مأواها عطنا . انظر

النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ( ٢٥٨ / ٣ ) .

( ٣ ) مغوثا : الاغاثة : الاعانة ، وقد اغاثة يغيثه . انظر المصدر السابق ( ٣٩٢ / ٣ ) .

( ٤ ) نحوزها : اى نسوق ما غنمناه من النعم .

( ٥ ) المشلل : بضم الميم وفتح الشين وتشديد اللام الاولى وفتحها : موضع بين

مكة والمدينة . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٣٣٤ / ٤ ) .

لذا ينبغي أن يعي المسلمون اليوم هذا الدرس ويأخذوا به في جهادهم مع عدوهم ، وينبغي في المقابل ان يحذر المسلمون من مباغطة عدوهم لان هذا سيكون سببا في هزيمتهم .

### الحذر من مباغطة العدو للمسلمين :

عنصر المباغطة سلاح يساهم في نصر من يأخذ به ، ويسبب الهزيمة لمن يتركه ولا يكون على حذر منه .

وقد حذر القرآن الكريم المجاهدين من مباغطة المشركين لهم في المعركة وقت ادائهم الصلاة خاصة ، وهو تحذير لهم من عدوهم في كل اوقات المعركة وفي كل احوالهم ، ولكن خص الله سبحانه وقت الصلاة بالذات لانه مظنة هجوم الكفار ومباغتهم للمسلمين لعلمهم بانشغال المسلمين بها ، ولثلا يهمل المسلمون الحذر من عدوهم بسبب الصلاة ، لذا فقد علمهم الصلاة في الحرب مع اخذ الحذر والاحتياط العسكرى .

يقول سبحانه وتعالى : ( واذا كنت فيهم فاقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلا واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذرکم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ) . ( ١ )

الخطاب في الآية للرسول صلى الله عليه وسلم ولعن يتأتى له الخطاب من المسلمين ، ومعنى قوله ( فاقت الصلاة ) اي اردت الاقامة . ( فلتقم طائفة منهم معك ) بعد ان جعلتهم طائفتين : طائفة تقوم بالحراسة من العدو ، وطائفة تقوم معك بالصلاة . ( وليأخذوا اسلحتهم ) اي الطائفة التي تصلى ، ونبههم الى اخذ السلاح وقت الصلاة ليعلمهم عدم ترك اسلحتهم باى حال من الاحوال من باب اولى ، كى يكونوا على اتم استعداد فى كل هذه الاحوال ، ولكى لا يتمكن العدو من غدرهم



باى حال من الاحوال .

وقال سبحانه ( فاذا سجدوا ) اى المصلين منهم ( فليكونوا ) اى فرقة الحراسة ( من ورائكم ) اى من وراء المصلين ( لتأت طائفة اخرى ) وهى فرقة الحراسة التى لم تصل ( فليصلوا معك ) كما صلى اخوانهم ( وليأخذوا ) اى هذه الطائفة التى صلت اولاً ( حذرهم واسلحتهم ) للحراسة ( ولعل زيادة الامر بالحذر فى هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب ) . ولم يذكر القرآن كم تصلى كل طائفة من الطائفتين ، ولكن بينته السنة .

وعلت الآية سبب ما ورد <sup>من</sup> ذكر الحذر والحراسة والصلاة بتلك الكيفية فى قوله ( ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلاً واحدة ) اى ان العلة هى تمنى الاعداء وحرصهم الشديد على ان ينالوا من المسلمين غرة ليهجموا عليهم دفعة واحدة بغرض القضاء عليهم .

( ٣ )  
وأمر المصلى بحمل السلاح وقت الصلاة حمله اهل الظاهر على الوجوب ، بخلاف كثير من العلماء حيث حملوا الامر على الندب .

( ٤ )  
ورخص الله سبحانه بوضع السلاح فى احوال يثقل فيها حمله ، وختم الآية بالتحذير من العدو ولئلا يهجم عليهم غيلة فقال سبحانه ( ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطرا وكنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذرکم ) .

( ١ ) انظر تفسير ابن السعود ( ٢ / ٢٢٧ ) .

( ٢ ) وردت احاديث كثيرة فى صلاة الخوف وارشدت الى هيئات متعددة .

قال الامام احمد : ( لا اعلم انه روى فى صلاة الخوف الا حديث ثابت ، وهى كلها صحاح ثابتة ، فعلى اى حديث صلى منها المصلى صلاة الخوف اجزأه ان شاء الله ) انظر احكام القرآن للقرطبي ( ٥ / ٣٦٥ ، ٣٦٦ ) . قلت : تعدد هيئات صلاة الخوف بادلتها الصحيحة هو تيسير من الشارع على المجاهدين لان ظروف القتال واحواله كثيرة وشاقة ، لذا فقد احتاج الامر الى التيسير .

( ٣ ) انظر فتح القدير للشوكانى ( ١ / ٥٠٨ ) .

( ٤ ) انظر احكام القرآن لابن العربي ( ١ / ٤٩٤ ) . واحكام القرآن للقرطبي ( ٥ / ٣٧١ ) .

تدلنا هذه الآية الكريمة على خطورة المباغته من العدو على المسلمين  
ووجوب الحذر والسهر في المعركة والترقب خوفا من غدر العدو، واتباع مبدأ  
الحراسة العسكرية لحماية المقاتلين والمعسكر الاسلامي .

حث الرسول صلى الله عليه وسلم على حراسة معسكر المسلمين خشية مباغته الاعداء لهم:

المسلمين  
رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في حراسة معسكرهم وحشهم عليها في

احاديث كثيرة لا يتسع هذا المقام لذكرها ، وسأكتفي بالقليل منها ، ثم اعقبها  
بذكر نماذج من حراسة المسلمين لمعسكراتهم في الحرب .

اخرج الامام احمد والترمذي وابن ماجه والدارمي والحاكم واللفظ له -

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه انه قال وهو يخطب على المنبر: (١) انى محدثكم

حديثا لم يمنعنى ان احدثكم به الا الضن بكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول : حرس ليلة في سبيل الله افضل من الف ليلة يقام ليها ويصام نهارها ) .

اخرج الحاكم بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله

عليه وسلم قال : (٢) ألا انبئكم بليلة افضل من ليلة القدر ؟ حارس حرس فى ارض خوف

لعله ان لا يرجع الى اهله ) .

- (١) اخرجه ابن ماجه فى الجهاد / باب فضل الرباط فى سبيل الله (٢/٩٢٤) .  
والحاكم فى المستدرک (٢/٨١) وصححه والامام احمد فى المسند  
(١/٦١، ٦٥) . والترمذى فى فضائل الجهاد / باب ماجاء فى فضل  
المرابط (٤/١٨٩، ١٩٠) . وقال : هذا حديث حسن صحيح . واخرجه  
الدارمى فى الجهاد / باب فضل من رابط يوما وليلة (٢/١٣٠) .  
قلت : الحديث حسن بمجموع طرقه .

- (٢) الضن : بكسر الضاد المعجمة شديدة اى البخل ، والمعنى ان عثمان رضى الله  
عنه كان يبخل تبليغ هذا الحديث لاصحابه خشية فراقهم ، ولكن لما كان  
تبليغ العلم مطلوباً شرعاً آثر تبليغ ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وان كان فيه مفارقة لاصحابه . انظر غريب الحديث (٣/١٠٤) لابن الاثير .  
والفتح الربانى : ترتيب مسند الامام احمد للامام احمد عبد الرحمن البنا  
( الساعاتى ) (١٤/٩) .

- (٣) اخرجه الحاكم فى المستدرک (٢/٨٠، ٨١) . وصححه . قلت : الحديث صحيح  
ورجاله ثقات .

نماذج من الحراسة في المعسكر الاسلامى : لقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم  
 مبدأ الحراسة في غزواته وتحركاته العسكرية لثلا يتيح للعدو فرصة مباغته المسلمين .  
 وسأمثل على ذلك بمثلين من جهاده عليه الصلاة والسلام .

( ١ ) حراسة معسكر المسلمين في حنين : اخرج الحاكم وابوداود - واللفظ له -

( ١ )

عن سهل بن الحنظلية : ( انهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين  
 ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم : من يحرسنا الليلة ؟ قال انس بن ابى مرثد  
 الغنوى : انا يارسول الله ، قال : فاركب ، فركب فرسالة فجااء الى رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : استقبل هذا الشعب حتى  
 تكون في اعلاه ، ولا نغرن من قبلك الليلة . فلما اصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم الى مصلاه فركع ركعتين ثم قال : هل احسستم فارسكم ؟ فقالوا يارسول الله  
 ما احسنناه . فتوب بالصلاة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وهو يلتفت  
 الى الشعب حتى اذا قضى صلاته وسلم قال : ابشروا ، فقد جاءكم فارسكم ، فجعلنا  
 ننظر الى خلال الشجر فى الشعب ، فاذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فسلم فقال : انى انطلقت حتى كنت فى اعلى هذا الشعب حيث امرنى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما اصبحت اطلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم  
 ارا احدا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهل نزلت الليلة ؟ قال : لا ،  
 الا مصليا او قاضيا حاجة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد اوجبت  
 فلا عليك ان لاتعمل بعدها ) .

( ١ ) سبق تخريجه فى موضوع الحرب النفسية ( ٢٢٩ ) هامش ( ١ ) .

فى هذا الحديث نموذج للحراسة الليلية التى قام بها انس بن ابى مرثد ونموذج لدقبة الحارس وامانته فى اداء مهمته ، فها هو انس بن ابى مرثد لم يفارق الشعب الذى اشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم الا لضرورة . وكافاه الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك بتبشيره انه نال منزلة اهل الجنة بحراسته هذه .

( ٢ ) حراسة ابوريحانة والانصارى معسكر المسلمين ليلا :-

اخرج النسائى والدارمى والحاكم واحمد - واللفظ له - عن ابى ريحانة قال : ( ١ ) كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فأتينا ذات ليلة الى شرف فبتنا عليه ، فاصابنا برد شديد حتى رأيت من يحفر فى الارض حفرة يدخل فيها ويلقى عليه الحجفة يعنى الترس ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس نادى : من يحرسنا الليلة وادعوله بدعاء يكون فيه فضل ؟ فقال رجل من الانصار : انا يارسول الله ، فقال : ادنه ، فدنا قال : من انت ؟ فتسمى له الانصارى ، ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فاكثر منه ، قال ابوريحانة : فلما سمعت مادعابه رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : انا رجل آخر ، فقال : ادنه فدنوت ، فقال : من انت ؟ فقلت : انا ابوريحانة ، فدعا بدعاء هو دون مادعا للانصارى ثم قال : حرمت النار على عين دمعت اوبكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله ، او قال حرمت النار على عين اخرى الثالثة لم يسمها محمد بن سمير - احد الرواة .

( ١ ) اخرجه النسائى فى الجهاد / باب ثواب عين سهرت فى سبيل الله عزوجل ( ١٥ / ٦ ) . والدارمى فى الجهاد / باب فى الذى يسهر فى سبيل الله حارسا ( ١٢٣ / ٢ ) ، كلاهما : باختصار . واخرجه الحاكم بطوله فى المستدرک ( ٨٣ / ٢ ) وصححه . والامام احمد فى المسند ( ١٣٤ / ٤ ، ١٣٥ ) . واللفظ له . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ٢٨٧ / ٥ ) : رواه احمد والطبرانى فى الكبير والايوسط ، ورجال احمد ثقات . قلت : الحديث مداره على محمد بن شمير وقيل سمير الرعيني ابو الصباح ، وهو مقبول . انظر التقریب ( ١٧٠ / ٢ ) . ولكن للحديث شاهد بمعناه من حديث ابن عباس مرفوعا اخرجه الترمذى فى فضائل الجهاد باب ماجاء فى فضل الحرس فى سبيل الله ( ١٧٥ / ٤ ) . وبذلك فان الحديث يصبح حسنا بشاهده .

( ٢ ) شرف : اى مكان مرتفع . انظر غريب الحديث لابن الاثير ( ٤٦٢ / ٢ ) .

هذا مثل آخر للحراسة في الغزوات تأمين سلامة جيش المسلمين من الاذى ومباغطة العدو ولهم ليلا . والامثلة كثيرة لا يمكن جمعها في هذا المقام .

ومن هذا كله يتبين قيمة عنصر المباغطة في المعركة وضرورة الاخذ به ضد العدو، وضرورة التحرز منه في المقابل خشية ان يستخدمه العدو ضدنا ، وذلك باعتباره سببا من اسباب النصر والهزيمة .  
الحذر من مباغطة العدو وبالمرابطة في الثغور :

وكما ان الحراسة هي من مقتضيات الحذر وامن المباغطة فالرباط ايضا هو من مقتضيات الحذر وامن المباغطة .

فالحراسة تؤمن معسكرات المجاهدين من مدهامة العدو ولها في ساحة القتال ، والرباط يؤمن الحدود والثغور من مباغطة الاعداء كذلك .

والفرق بين الحراسة والمرابطة هي ان الحراسة تكون في الاماكن التي فيها القتال سواء كانت الحراسة/اثناء القتال ام لا ، بينما المرابطة تكون في المواضع التي لا قتال فيها اصلا ولكن يخشى من العدو ان يدهمها .  
( ١ )

وعرف ابن عطية الرباط بقوله : ( هو الملازمة في سبيل الله . اصلها من رباط الخيل ، ثم سمي كل ملازم لشجر من ثغور الاسلام مرابطا ، فارسا كان او راجلا . واللفظ مأخوذ من الربط ) .  
( ٢ )

وعرفه ابن حجر بقوله : ( ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم ) . والمرابطة في الثغور ضرورة لان تلك الثغور هي

مظنة مدهامة العدو وللنفوذ منها الى بلاد المسلمين . واذا كانت كل الحدود مهددة بمباغطة العدو فانها كلها تصبح موطن رباط ، يجب الملازمة فيه حتى لا ينفذ من العدو .

( ١ ) انظر الجهاد والفدائية للشيخ حسن ايوبي ( ٤ ) . دارالندوة الجديدة بيروت ط الثانية ٨٣٥/٤٠٣

( ٢ ) انظر احكام القران للقرطبي ( ٤ / ٣٢٣ ) . وانظر مثل ذلك في النهاية في غريب

الحديث لابن الاثير ( ٢ / ١٨٥ ، ١٨٦ ) .

( ٣ ) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ( ٦ / ٨٥ ) .

وحدث الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز المؤمنین علی المرابطة بقوله : ( يا ايها  
( ١ )  
الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ) .

حدث الله سبحانه - في هذه الآية - علی الصبر عموما ، وفي الجهاد  
خصوصا ، وعلى المرابطة في الثغور تحريزا من غدر الاعداء .

قال الآلوسی رحمه الله - في معنى قوله تعالى ( ورابطوا ) : ( اي اقيموا  
في الثغور رابطین خيولكم فيها حابسين لها ، مترصدین للغزو ، مستعدين له ،  
( ٢ )  
بالغين في ذلك المبلغ الا وفي اكثر من اعدائكم ) .

والتعقيب بقوله : ( لعلكم تفلحون ) بعد الحث على الصبر والمصابرة والرباط  
والتقوى ، فيه اعلام للمؤمنين بان تلك الامور هي من اسباب الفوز بثواب الله ورضوانه  
في الآخرة كما انها من اسباب الفوز في الدنيا على الاعداء الذين يصابرونهم  
في الجهاد ، ويرابطون امامهم في الثغور .

وحدث الرسول صلى الله عليه وسلم على الرباط ببيان عظيم منزلته وجزيل ثوابه .  
اخرج الشيخان والترمذی - واللفظ للبخاری - عن سهل بن سعد رضی الله عنه  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا  
وما عليها ، وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها  
العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها ) .

( ١ ) آل عمران ( ٢٠٠ ) .

( ٢ ) روح المعاني للآلوسی ( ١٢٥ / ١ / ٢ ) .

( ٣ ) اخرجه البخاری في الجهاد / باب فضل رباط يوم في سبيل الله ( ١٥٢ ، ١٥١ / ٢ ) .  
ومسلم في الامارة / باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله ( ٣ / ١٥٠٠ )  
والترمذی في فضائل الجهاد / باب ما جاء في فضل الرباط ( ٤ / ١٨٨ ) .

بين الرسول صلى الله عليه وسلم ان رباط يوم فى سبيل الله عزوجل خير من الدنيا وما عليها ، اى ان ما عده الله سبحانه لمن رابط فى سبيله يوما واحدا ، من الثواب والنعيم المقيم خير من الدنيا قاطبة ، بكل ما فيها من المتاع واللهو والزينة .

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر - فضل الرباط فى سبيل الله على الصيام والقيام .

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - والترمذى والنسائى عن سلمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( ١ ) رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وان مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله ، واجرى عليه رزقه ، وامن الفتان ) .

وبين العلماء ان المرابطة فى الشغور افضل من العقام فى المساجد الثلاثة بنية العبادة .

سأل شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن سكنى مكة و بيت المقدس والمدينة المنورة على نية العبادة والانقطاع الى الله تعالى ، والسكنى بدمياط والاسكندرية وطرابلس على نية الرباط ، ايهم افضل ؟ فأجاب بقوله : ( الحمد لله بل المقام فى شغور المسلمين كالشغور الشامية والمصرية افضل من المجاورة فى المساجد الثلاثة ، وما علم فى هذا نزاعا بين اهل العلم وقد نص على ذلك غير واحد من الاثمة ، وذلك لان الرباط من جنس الجهاد والمجاورة غايتها ان تكون من جنس الحج كما قال تعالى : ( اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ، لا يستوون عند الله ) . ( ٢ ) ( ٣ )

- ( ١ ) اخرجه الامام مسلم فى الامارة / باب فضل الرباط فى سبيل الله عزوجل ( ٣ / ١٥٢٠ ) .  
 والترمذى فى فضائل الجهاد / باب ما جاء فى فضل الرباط ( ٤ / ١٨٨ ، ١٨٩ )  
 والنسائى فى الجهاد / باب فضل الرباط ( ٦ / ٣٩ ) .  
 ( ٢ ) سورة التوبة ( ١٩ ) .  
 ( ٣ ) مجموعة فتاوى ابن تيمية ( ٥ / ٢٨ ) .

التاريخ  
١٩٦٤  
١٩٦٤



### الخاتمة

سبق تفصيل موضوع النصر والهزيمة واسبابهما من خلال الكتاب والسنة .

واحب فى خاتمة هذا البحث ان اثبت خلاصة ماسبق تفصيله فى فقرات موجزة  
اضعها بين يدي القارىء ليطلع من خلالها على مجمل ماحوته هذه الرسالة  
وهذه هى الخلاصة .

اولا : رفع الاسلام من شأن الجهاد وجعله اسما للعبادات ، وخصه بالفضل العظيم  
والثواب العظيم ، وذلك لما فيه من مصلحة دينية واخرية للمسلمين .

ثانيا : مقاصد الجهاد فى الاسلام مقاصد اصلاحية ، تهدف الى اسعاد البشرية .

ثالثا : الجهاد هو طريق النصر والتمكين ، والقيود عنه سبيل المذلة والهزيمة .

يقول سبحانه وتعالى : ( قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم  
( ١ )

عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ) .

رابعا : النصر والتمكين - الذى وعد الله به المؤمنين - منوط بنصرهم لدينه واقامتهم

لأحكام شرعه ، وبإمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

يقول سبحانه وتعالى : ( ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز \* )

الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف  
( ٢ )

ونهاوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ) .

خامسا : الغاية من النصر هى ان ينتصر الايمان على الكفر والحق على الباطل

والخير على الشر مما يساهم فى الاخذ بيد البشرية الى الصلاح والسعادة

والفلاح .

( ١ ) التوبة ( ١٤ ) .

( ٢ ) الحج ( ٤٠ ، ٤١ ) .

سادسا : للنصر والهزيمة وجوه كثيرة ، يعز فيها الله عزوجل الحق واهله ويذل الباطل واعوانه .

سابعا : انتصار المؤمنين وهزيمة الكافرين هما وعد الله القاطع وسنته الثابتة الاكيدة التي لا تتغير او تتبدل ، مادام المسلمون قد تمسكوا بدينهم ، واخلصوا في جهادهم ، واخذوا بالاسباب التي امرهم الله بها بقدر استطاعتهم .

يقول سبحانه وتعالى : ( ولقد سبقنا لكم لعدائنا المرسلين \* )

( ١ )

انهم لهم المنصورون \* وان جندنا لهم الغالبون ) .

ويقول سبحانه : ( انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ) .

( ٢ )

ثامنا : هزيمة المؤمنين في بعض المواطن امام اعدائهم لاتقع الا باسباب من المؤمنين انفسهم ، وليس اخلافا من الله سبحانه لوعده ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . ورغم هذا فان مايقع من هزيمة لا يخلو من حكم وعظات وعبر ينبغي ان يتعلمها المسلمون جولاتهم القادمة مع اعدائهم .

يقول سبحانه وتعالى مجيبا على تساؤل المؤمنين عن سبب ما اصابهم

في غزوة ( احد ) : ( اولما اصابكم مصيبة قد اصبتم مثلها قلتم انا هذا

قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شىء قدير \* وما اصابكم يوم التقى

( ٣ )

الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين \* وليعلم الذين نافقوا . . ) .

( ١ ) الصافات ( ١٧١ - ١٧٣ ) .

( ٢ ) غافر ( ٥١ ) .

( ٣ ) آل عمران ( ١٦٥ - ١٦٧ ) .

تاسعا : النصر والهزيمة لا يحدثان بالمصادفة والفوضى ، وإنما سن الله سبحانه لهما سنة ثابتة تقتضى ان حدوث أى منهما متعلق بأسبابه الخاصة به .

عاشرا : وهذه الاسباب تنقسم الى نوعين : اسباب معنوية ، ويدخل فى جملتها الاسباب الشرعية كالدعاء والتوكل والذكر والتقوى . . ، والاسباب المادية .

حادى عشر :

ويمكن اجمال وتلخيص الاسباب المعنوية على الوجه التالى : -

١- الايمان والعقيدة البناءة ، وذلك لان النصر الرباني خاص بالمؤمنين .

يقول سبحانه وتعالى : ( انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة

( ١ )

الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ) .

ويقول سبحانه وتعالى : ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم فى الارض الى قوله - يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن

( ٢ )

كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ) .

( ٣ )

وقال سبحانه وتعالى : ( وكان حقا علينا نصر المؤمنين ) .

وايضا فان لركان الايمان والعقيدة الاسلامية الاثر البالغ فى حفز المجاهدين ، وفى جعلهم يستبسلون فى القتال لنصرة هذه العقيدة .

٢- ان يكون الجهاد خالصا لله تعالى ، من اجل اعلاء كلمته فى

الارض ، وذلك لان الله سبحانه لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا

له ، ولا ينصر الامن قاتل فى سبيله ، لنصرة دينه .

يقول سبحانه وتعالى : ( ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز \*

الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف

( ٤ )

ونهبوا عن المنكر والله عاقبة الامور ) .

( ١ ) غافر ( ٥١ ) .

( ٢ ) النور ( ٥٥ ) .

( ٣ ) الروم ( ٤٧ ) .

( ٤ ) الحج ( ٤٠ ، ٤١ ) .

( ١ )

ويقول سبحانه : ( ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ) .

وهذا هو الذى يميز جهاد اهل الايمان عن قتال اتباع الشرك

والطغيان . يقول سبحانه وتعالى : ( الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل

( ٢ )

الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ) .

٣- التزود من حقيقة التقوى والعمل الصالح والبعد عن المعاصى والذنوب،

وذلك لان التقوى تقرب العبد من الله فيقرب من نصرالله ، واما المعاصى

فانها تبعد صاحبها عن الله فيكون بعيدا عن نصرالله . وكلما اكثر

المؤمنون من زاد التقوى فان الله سبحانه يزيد لهم العون والنصر

اكثر من ذى قبل .

يقول سبحانه وتعالى : ( وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة

( ٣ )

واعلموا ان الله مع المتقين ) .

ويقول سبحانه : ( ولقد نصركم الله بدير وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم

تشكرون \* اذ تقول للمؤمنين ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف

من الملائكة منزلين \* بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا

يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين \* وما جعله الله الا بشرى

( ٤ )

لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ) .

( ١ ) محمد ( ٧ ) .

( ٢ ) النساء ( ٧٦ ) .

( ٣ ) التوبة ( ٣٦ ) .

( ٤ ) آل عمران ( ١٢٣ - ١٢٦ ) .

٤- مشاوره القائد لجنوده في المعركة والاختار بمشورتهم ، وذلك لان الشورى تسهم في الوصول الى اسلم القرارات . . ، وتسهم في توثيق العلاقة بين القاعدة والقيادة ، وتسهم في اطلاق الطاقات والمواهب ، الى غير ذلك من الفوائد التي تنطوي عليها الشورى مما يسهم في احراز النصر .

٥- استخدام الحرب النفسية ضد العدو ، وذلك من اجل تحطيم معنوياته وافقاده الثقة بقوته وقدرته على الدخول في المعركة او الصمود في اثنائها ، واشاعة اسباب الخلاف والفرقة بين صفوفه . . مما يسهم في وصول العدو الى الهزيمة النفسية التي تعد مقدمة للهزيمة في المعركة . وفي المقابل استخدام اسباب الوقاية من الحرب النفسية التي يشنها الاعداء . .

٦- عدم الاعجاب بالكثرة او اليأس<sup>من</sup> القلة ، وذلك لان الاعجاب و اليأس ينشآن من الاعتماد على النفس ، وهذا سبب يمنع من نزول نصر الله لانه ( السبب ) في حقيقته اعتماد على غير الله . واذا توقف امداد الله ونصره عن فئة فلا ناصر لها من دونه سبحانه .

يقول سبحانه وتعالى : ( ويوم حنين اذ اعجبتكم كثيرتم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ) . ( ١ )

٧- الاتحاد ، وترك اسباب الخلاف والتنازع ، وذلك لان الاتحاد قوة والتفرق ضعف . وبالتالي فان الاتحاد من اسباب النصر ، والتنازع من اسباب الهزيمة . يقول سبحانه وتعالى : ( ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ) ( ٢ )

( ١ ) التوبة ( ٢٥ ) .

( ٢ ) الانفال ( ٤٦ ) .

٨- تحلى القادة والمجاهدين بروح الشجاعة والفداء ، لان هذا يمكنهم من خوض المعارك والحروب واحراز الانتصارات على الاعداء ، واما الخوف والجبن فانهما يمنعان من خوض المعركة ويتسببان فى الفرار والهزيمة .

٩- التوكل على الله فى قضاء الامور عامة وفى طلب النصر خاصة وذلك لان النصر من عند الله ، يهبه لمن يشاء ويمنعه عن يشاء ، فينبغى الاعتماد عليه وتفويض الامر اليه .

وإذا توكل المؤمنون على الله فإنه سبحانه هو نعم المولى ونعم النصير ، واما اذا اعتمدوا على غير الله فإنه يكلهم الى من اعتمدوا عليه ، ثم لا يجدون لهم من دونه وليا ولا نصيرا .

يقول سبحانه : ( الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل \* فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ) ( ١ ) .

١- الطاعة والانضباط فى المعركة ، وذلك لانهما من اسس الجندية التى لا يستقيم بدونها الجهاد ، ولا يتم تنفيذ الخطط والتعليمات اللازمة لخوض المعركة واحراز النصر . وعصيان الاوامر والتعليمات يوءدى الى افشال هذه الخطط مما يسهم فى وقوع الهزيمة .

وقد عنقّب القرآن على عصيان الرماة فى أحد لأمر أميرهم عبد الله بن جبير وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بان لا يبرحوا الجبل الذى أوقفهم عليه بحال الا بأمر منه - علق بما يكشف عن كونه من اسباب فشلهم .

يقول سبحانه وتعالى : ( ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر ، وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم ) ( ٢ ) .

( ١ ) آل عمران ( ١٧٣ ، ١٧٤ ) .

( ٢ ) آل عمران ( ١٥٢ ) .

١١- الاكثار من الدعاء والذكر في المعركة وذلك لما يترتب عليهما من نزول السكينة في قلوب المجاهدين وحصول الطمأنينة واليقين في نصر الله .

ولانهما من العبادات المشروعة في كل وقت، وعند الجهاد خاصة، والتي تكسب صاحبها رضى الله ونصره ومدده. والدعاء في المعركة هو توجه الى الله سبحانه بطلب النصر. وان الله سبحانه يجيب دعوة الداعي اذا دعاه وخاصة دعاء المجاهد وقت المعركة، مما يكون سببا في نزول النصر وحصول الظفر.

١٢- الصبر والثبات في المعركة، وذلك لانها من الاخلاق الاساسية التي ينبغى ان يتحلى بها المجاهدون .

يقول سبحانه وتعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا

( ١ )

واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ) .

والنصر قرين الصبر كما بين القرآن في قوله تعالى : ( ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون \* الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ) .

( ٢ )

ثانى عشر: ويمكن اجمال الاسباب المادية وتلخيصها فيما يلى :-

١- وجود القيادة الراشدة التي تتحلى باكبر قدر من الصفات التي توء هلهما للقيام بواجباتها القيادية من التخطيط والتنظيم وادارة المعركة،

( ١ ) الانفال ( ٤٥ ) .

( ٢ ) الانفال ( ٦٥ ، ٦٦ ) .

والتي توءهلها ايضا لكسب ثقة المقاتلين والتأثير فيهم ، واستغلال طاقاتهم وتنظيمها . وان تكون هذه القيادة قدوة لمقاتليها ، وان تلتزم وتلتزم جنودها باحكام الاسلام لكي تفوز برضى الله ونصره .

٢- الاعداد للمعركة ، كما امر الله سبحانه في قوله : ( واعدوا لهم ) ( ١ )

ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ) . وينبغي ان يشمل الاعداد كل ما يزيد في قوة المسلمين ، وباقصى درجة يستطيعها المسلمون .

ويشتمل الاعداد على امور اساسية هي :-

أ- اعداد المقاتلين الأكفاء بالاستنفار والتعبئة العامة في الجانب العددي ، وبالاعداد النوعي من خلال التربية الايمانية ، والخلقية ، والنفسية ، والعلمية ، والقتالية .

ب- اعداد السلاح والعتاد اللازم للمعركة ، وتصنيع ما يمكن تصنيعه منه داخل بلاد المسلمين ، وشراء ما لم يتمكنوا من تصنيعه من البلاد الاخرى .

ج- اعداد المال اللازم للانفاق على المعركة . وهذا ما حث عليه الاسلام وامر به ، وسماه جهادا وجعله قرين الجهاد بالنفس .

يقول سبحانه : ( الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ) ( ٢ )

باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون ) .

( ١ ) الانفال ( ٦٠ ) .

( ٢ ) التوبة ( ٢٠ ) .



٣- التخطيط والتنظيم العسكري ، وذلك لانهما من الاركان التي تقوم عليها المعركة . ويمكن من خلالهما اتباع افضل الخطط والتنظيمات العسكرية التي تسهم في احراز النصر على العدو .

بينما العفوية تؤدي الى الضياع والهزيمة والنكسة . وهناك نماذج كثيرة للتخطيط والتنظيم العسكري التي اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته والتي أسهمت في احراز النصر على الاعداء .

٤- الأمن العسكري ، وهذا من اخطر الاسلحة في المعركة ، وذلك لان كشف سر من اسرار العدو وقد يكون فيه مقتله وهزيمته .

والأمن ينقسم الى اقسام ، هي أ- الكتمان ، اي كتمان اسرار الجيش من معلومات وتحركات عن عيون العدو وجواسيسه ، وهو ما حرص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطبقه باستخدام وسائل مختلفة كالتورية في الغزوات والرسائل المكتومة .

(ب) الاستخبار ، وذلك بجمع المعلومات عن قوة العدو وتحركاته واسراره العسكرية المختلفة ، من خلال ارسال العيون لالتقاط هذه الاخبار والاسرار .

(ج) الاستطلاع : وذلك بوجود فرق عسكرية تتقدم الجيش مهمتها استطلاع ارض المعركة وتحركات العدو . وذلك لازم للحفاظ على أمن الجيش خلال اقامته او تحركاته خشية وقوعه في كمائن للعدو .

هـ- نبذ المنافقين والمخذلين والحذر منهم ، وذلك لانهم يستوون في العداوة مع الاعداء الآخرين ، بل هم اخطر لوجودهم داخل المجتمع الاسلامي فيتمكنون من الاطلاع على عورات المسلمين .

وللمنافقين ادوار انهزامية تخذيلية تضعف الروح المعنوية للجيش وتسبب تخاذلهم ، كما انهم يُعدّون اعوانا للاعداء الآخرين اذ يتفقون معهم في عداوة المسلمين ، ولهم من المكائد الكثيرة التي لا تكاد تخلو منها غزوة من غزوات المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أرادوا بها تخذيل المسلمين والتسبب في هزيمتهم .

٦- اتباع وسائل الخداع العسكري ضد العدو . وهو سلاح خطير ، اذ بخديعة واحدة تتمكن من تمريرها على العدو ويمكنك بها ان تكسب المعركة وتنتصر عليه باذن الله .

٧- مباغطة العدو وذلك بضربه في زمان او مكان او بسلاح يجهله . وهذا ايضا من الاسلحة الخطيرة في المعركة ، اذ يمكن من خلال الضربة المباغطة ان تصيب العدو في اخطر مراكزه العسكرية كالقيادات او قواعد الصواريخ والطيران مما يسبب له الشلل التام والاستسلام .

### ويعد

فمن خلال ما سبق ذكره يتبين موقف الاسلام اتجاه اخطر قضية يعيشها العالم الاسلامي اليوم الا وهي قضية الضعف الذي دبّ في اوصاله ، والهزيمة التي تخيم على اقطاره . ويتبين منهج الاسلام الاصيل والكفيل بتخطي المسلمين للمحنة التي يمرون بها اليوم اذا ما التزموا به . ويمكن للمسلمين اليوم وفي كل يوم ان يحرزوا النصر ويحققوا الظفر وذلك باتباع منهج الله والالتزام بحكمه وشرعه ، وباعداد القوة واتخاذ اسباب النصر ، وبإعلان الجهاد كما امر الله سبحانه .

فاذا فعل المسلمون ذلك بصدق و إخلاص فلن تقف في وجوههم قوة من قوى الارض . ومهما بلغت او كثرت هذه القوة فانها ضعيفة ، بل معدومة امام قوة الله ونصره وتأبيده ، وما النصر الا من عند الله . ان طريق النصر واضح ومعروف كما ان طريق الهزيمة واضح ومعروف ، فمن يقعد عن الجهاد ويترك الاعداد ويعصى رب العباد فلن يحصد الا مرّ الهزيمة وشر الحصاد .

والذى ننشده هو ان يترجم المسلمون - أفرادا وشعوباً وحكومات - تعاليم الكتاب والسنة التى فصلت لنا طريق النصر واسبابه فى برنامج عمل يبدأ بالأمة من المكان الذى تقف فيه لتسير على هدى من هذه التعاليم حتى تصل الى النصر المنشود .

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى ان يقبل عثرات المسلمين ، وان ينقذهم من ذل الهزيمة وان يأخذ بأيديهم الى النصر والظفر ، وان يمكن لهم فى الارض كما يمكن لآخوانهم من قبل ، انه سميع مجيب .

وأخبر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .  
والصلاة على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الغزوات

سورة

## فهرس الموضوعات

| <u>الصفحة</u> | <u>الموضوع</u>   |
|---------------|--|
| د - ك         | المقدمة ...  |
|               | الباب الأول ( تمهيدى )<br>الجهاد والنصر فى الكتاب والسنة<br>وفيه فصلان : |
| ٩٩ - ٢        | الفصل الأول ( الجهاد فى الكتاب والسنة )<br>وفيه تمهيد وأربعة مباحث :     |
| ٣             | التمهيد ...  |
|               | المبحث الأول : فضل الجهاد والشهادة فى الكتاب والسنة<br>وفيه مطالب :      |
| ٤             | الاول : فضل الجهاد فى القرآن ..  |
| ٩             | الثانى : فضل الجهاد فى السنة ...   |
| ١٦            | الثالث : فضل الشهادة فى الكتاب والسنة .                                  |
|               | المبحث الثانى : حكم الجهاد فى الكتاب والسنة<br>وفيه مطالب :              |
| ٢٢            | الاول : حكم الجهاد فى الاصل ..   |
| ٢٤            | الثانى : الحالات التى يصير الجهاد فيها فرض عين .                         |
| ٢٩            | الثالث : المعذورون من الجهاد ..  |

| <u>الصفحة</u> | <u>الموضوع</u>   |
|---------------|--|
|               | <b>المبحث الثالث : بواعث الجهاد</b>                          |
|               | وفيه تمهيد واربعة بواعث :                                    |
| ٣٧            | التمهيد . . . . .  |
|               | من   |
|               | الباعث الاول : حماية الدولة الاسلامية الفتن الداخلية ، وهي : |
| ٤٢            | ( ١ ) المرتدون .   |
| ٤٤            | ( ٢ ) البغاة . .   |
| ٥٠            | ( ٣ ) قطاع الطرق والعصابات التي تهدد الامن .                 |
| ٥٢            | ( ٤ ) المنازعات بين المسلمين .                               |
|               | الباعث الثاني : المحافظة على العهود والمواثيق                |
| ٥٥            | ( ١ ) المعاهدون .  |
| ٥٧            | ( ٢ ) اهل الذمة . .  |
| ٥٩            | الباعث الثالث : رد الاعتداء وانقاذ المسلمين المستضعفين       |
|               | الباعث الرابع : تأمين حرية نشر الدعوة ، وفيه مطالب :         |
| ٦٦            | الاول : واجب الامة الاسلامية أن تدعو الى الاسلام             |
| ٦٦            | الثاني : قتال من يصد الدعوة                                  |
| ٧٠            | الثالث : ممن تؤخذ الجزية ؟                                   |
| ٧٨            | الرابع : دحض شبهة الاكراه                                    |
| ٩٨ - ٨٦       | المبحث الرابع : الجهاد طريق النصر                            |

| <u>الصفحة</u> | <u>الموضوع</u>  |
|---------------|---|
| ١٥٨ - ٩٩      | الفصل الثاني<br>النصر والهزيمة في الكتاب والسنة<br>وفيه تمهيد وستة مباحث:                       |
| ١٠٠           | التمهيد .....   |
| ١٠١           | المبحث الاول : مفهوم النصر والهزيمة في الاسلام .  |
| ١٠٤           | المبحث الثاني : غاية النصر في الكتاب والسنة .   |
|               | المبحث الثالث : وجوه النصر الرباني للمؤمنين ، وفيه :  |
| ١٠٩           | ( ١ ) تمهيد   |
| ١١٠           | ( ٢ ) الوجه الاول : النصر الفكري بقوة الحجج والبرهان .  |
| ١١٩           | ( ٢ ) الوجه الثاني : النصر بانجاء المؤمنين من<br>كيد الاعـداء .                                 |
| ١٢٢           | ( ٣ ) الوجه الثالث : نصر المؤمنين بانزال<br>المهلكات بالاعـداء .                                |
| ١٢٦           | ( ٤ ) الوجه الرابع : النصر العسكري  |
|               | المبحث الرابع : وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين ، ووعدده للمشركين بالهزيمة .<br>وفيه مطلبان : |
| ١٢٩           | الاول : وعد الله للمؤمنين بالنصر .  |
| ١٣٤           | الثاني : وعيد الله للمشركين بالهزيمة .  |
| ١٤٣ - ١٣٨     | المبحث الخامس : الحكمة فيما يقع للمسلمين من الهزيمة   |

المبحث السادس: سنة الله في النصر والهزيمة

وفيه مطالب:

- ١٤٤ : سنة الله في تحقيق المسببات هي اتخاذ الاسباب .  
 ١٤٨ : تأثير الاسباب في المسببات .  
 ١٤٩ : الاسباب والمسببات من خلق الله .  
 ١٥٢ : الرابع: اتخاذ الاسباب ، سنة الله في النصر والهزيمة .

### الباب الثاني

٣١٦-١٥٩ الاسباب المعنوية للنصر والهزيمة في الكتاب والسنة  
 ويشتمل على تمهيد ، واثنى عشر سببا :

١٦٠ التمهيد . . . . .

١٧٥-١٦٢ السبب الاول : الايمان والعقيدة البناءة .  
 وفيه مطالب:

١٦٢ : الاول : الايمان بالله سر انتصارات المسلمين .

١٦٨ : الثاني : اركان الايمان واثرها في تحقيق النصر .

الثالث : شهادات الاعداء باثر الايمان والعقيدة  
 ١٧٣ : الاسلامية في احراز النصر .

السبب الثاني :

١٧٦-١٨٦ الاخلاص وسلامة المقصد

وفيه مطالب:

١٧٦ : الاول : باعث الجهاد لدى المسلمين .

١٨١ : الثاني : باعث القتال عند الكفار .

الثالث : اهمية كون الجهاد " في سبيل الله"  
 ١٨٣ : في احراز النصر .



- السبب الثالث : التقوى وعدم مقارفة المعاصي والذنوب  
وفيه مطلبان :
- الاول : تقوى الله تجلب نصر الله وتدفع كيد الاعداء . ١٨٧
- الثاني : المعاصي سبب للهزيمة . ١٩٠
- السبب الرابع : الشورى فى المعركة  
وفيه مطالب :
- الاول : حث الاسلام على الشورى . ١٩٥
- الثاني : نماذج للشورى من جهاد الرسول . ١٩٦
- الثالث : قيعة الشورى فى المعركة . ٢٠١
- السبب الخامس : الحرب النفسىة  
وفيه مطالب :
- الاول : تعريف الحرب النفسية ، ومجالاتها . ٢٠٤
- الثاني : اهداف الحرب النفسية ووسائلها . ٢٠٥
- الثالث : اثر الحرب النفسية فى احراز النصر . ٢٠٦
- الرابع : تطبيقات الحرب النفسية فى جهاد الرسول  
واثرها فى احراز النصر . ٢١٦
- الخامس : الوقاية من الحرب النفسية فى الاسلام . ٢٢٤
- السادس : مصادرة الحرب النفسية فى المعركة . ٢٢٨

١٨٧ - ١٩٤

١٩٥ - ٢٠٣

٢٠٤ - ٢٣٠

٢٤٣ - ٢٣١

السبب السادس: عدم الاعجاب بالكثرة او اليأس للقلة

وفيه مطالب:

الاول : انهزام المؤمنين في حنين لاغترارهم بكثرتهم . ٢٣١

الثاني : نصر الله للقلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وفيه :

٢٣٤ ( ١ ) انتصار طالوت عليه السلام على جالوت .

٢٣٦ ( ٢ ) انتصار القلة المؤمنة في بدر .

٢٣٨ ( ٣ ) معركة أحد .

٢٣٩ ( ٤ ) معركة الخندق .

٢٣٩ ( ٥ ) غزوة مؤتة .

٢٤٠ ( ٦ ) معركة اليرموك .

٢٤١ ( ٧ ) معركة القادسية .

٢٤١ ( ٨ ) معركة جلولاء .

٢٤٢ ( ٩ ) في الاندلس .

٢٥٠ - ٢٤٤

السبب السابع: الاتحاد في المعركة

وفيه مطالب:

٢٤٤ الاول : الاتحاد فريضة شرعية .

٢٤٦ الثاني : واجب الاتحاد في المعركة .

٢٤٧ الثالث : اثر الاتحاد في احراز النصر .

٢٤٩ الرابع : الاختلاف والتنازع سلاح يستخدمه العدو و

لاضعاف المسلمين .

- السبب الثامن : الشجاعة و ارادة القتال  
وفيه مطالب:
- ٢٥١ - ٢٦٥
- الاول : معنى الشجاعة . ٢٥١
- الثاني : الشجاعة من العبادىء الاساسية للحرب . ٢٥١
- الثالث : دوافع الشجاعة فى الاسلام . ٢٥٢
- الرابع : استئصال الاسلام للخوف والجبن من النفس . ٢٥٧
- الخامس : امثلة من شجاعة الرسول والصحابة  
واثرها فى المعركة . ٢٦٠
- السبب التاسع : التوكل على الله  
وفيه مطالب:
- ٢٦٦ - ٢٧٧
- الاول : معنى التوكل : ٢٦٦
- الثاني : التوكل لا ينفى العمل باسباب النصر . ٢٦٦
- الثالث : الامر بالتوكل على الله . ٢٦٧
- الرابع : التوكل على الله فى طلب النصر . ٢٦٩
- السبب العاشر : الطاعة والانضباط فى المعركة  
وفيه مطالب:
- ٢٧٨ - ٢٨٧
- الاول : طاعة الامراء واجبة فى غير معصية . ٢٧٨
- الثاني : حض المجاهدين على الطاعة والانضباط  
فى المعركة . ٢٨٠
- الثالث : اثر الطاعة والانضباط فى احراز النصر . ٢٨٢

| <u>الصفحة</u>                   | <u>الموضوع</u>  |
|---------------------------------|---|
| ٢٨٨ - ٣٠٠                       | السبب الحادى عشر : الذكر والدعاء فى المعركة<br>وفيه مطالب :                       |
| ٢٨٨                             | الاول : الحث على الذكر فى المعركة .   |
| ٢٩٠                             | الثاني : الاستنصار بالضعفاء .   |
| ٢٩١                             | الثالث : الدعاء سلاح اهل الايمان من الامم السابقة .                               |
| ٢٩٤                             | الرابع : سلاح الدعاء فى معارك المسلمين .  |
| ٣٠١ - ٣١٦                       | السبب الثانى عشر : الصبر والثبات فى المعركة<br>وفيه مطالب :                       |
| ٣٠١                             | الاول : معنى الصبر والثبات .  |
| ٣٠١                             | الثاني : النصر مع الصبر .   |
| ٣٠٥                             | الثالث : الامر بالصبر فى المعركة .  |
| ٣٠٦                             | الرابع : البيعة على الصبر والثبات فى المعركة .                                    |
| ٣٠٨                             | الخامس : تحريم الفرار من المعركة .  |
| ٣١٢                             | السادس : نماذج من صبر جيش النصر .   |
| <br><u>الباب الثالث</u><br><br> |   |
| ٣١٧ - ٤٩٠                       | الاسباب المادية للنصر والهزيمة فى الكتاب والسنة<br>ويشتمل على تمهيد وسبعة اسباب : |
| ٣١٨                             | التمهيد . . . . .   |

|         |  |
|---------|--|
| ٣٤٤-٣١٩ | السبب الاول : القيادة الراشدة                    |
|         | وفيه مطالب :                                     |
| ٣١٩     | الاول : اهمية القيادة واثرها فى احراز النصر .    |
|         | الثاني : الصفات التى يجب ان يتحلى بها القائد .   |
|         | وفيه ( أ ) امثلة تطبيقية للقسم الاول من الصفات : |
| ٣٢٦     | ( ١ ) الشجاعة .                                  |
| ٣٢٨     | ( ٢ ) التوازن النفسى                             |
| ٣٣١     | ( ٣ ) معرفة القائد بجنوده .                      |
| ٣٣٩     | ( ٤ ) المعرفة بمبادئ الحرب .                     |
|         | ( ب ) امثلة للقسم الثانى من الصفات :             |
| ٣٤٠     | ( ١ ) مشاورة القائد لاتباعه .                    |
| ٣٤٠     | ( ٢ ) اهتمام القائد بالجنود .                    |
| ٣٤١     | ( ٣ ) مشاركة الجنود فى مهماتهم .                 |
| ٣٧٦-٣٤٥ | السبب الثانى : الاعداد والتعبئة العامة           |
| ٣٤٥     | وفيه تمهيد                                       |
|         | — والاعداد ينقسم الى انواع ثلاثة :               |
|         | اولا : اعداد المقاتلين الاكفاء                   |
| ٣٤٨     | ويشمل ( ١ ) الاعداد الكمية :                     |
|         | ( أ ) النفير العام .                             |
|         | ( ب ) النفير الخاص .                             |
| ٣٥٢     | ( ٢ ) الاعداد النوعية :                          |
|         | ( أ ) الاعداد الايماني .                         |
|         | ( ب ) الاعداد الخلقى .                           |

| <u>الصفحة</u> | <u>الموضوع</u>   |
|---------------|--|
|               | (ج) الاعداد المعنوى .                                      |
|               | (د) الاعداد العلمى .                                       |
|               | (هـ) الاعداد العسكرى .                                     |
| ٣٦٢           | ثانيا : اعداد السلاح والعتاد .                             |
| ٣٧١           | ثالثا : اعداد المال للانفاق العسكرى                        |
| ٣٧٧-٤٠٦       | السبب الثالث : التخطيط والتنظيم العسكرى<br>وفيه مطالب :    |
| ٣٧٧           | الاول : اهمية التخطيط والتنظيم العسكرى<br>فى احراز النصر . |
| ٣٧٩           | الثاني : التخطيط فى جهاد الرسول القائد .                   |
| ٣٨٢           | الثالث : ملامح التخطيط فى جهاد الرسول .                    |
| ٣٨٥           | الرابع : ملامح التنظيم العسكرى لدى الرسول .                |
| ٣٨٥           | ( ١ ) اتخاذ الامراء على السرايا والبعوث .                  |
| ٣٨٧           | ( ٢ ) التعبئة وتوزيع القوات .                              |
| ٣٨٩           | ( ٣ ) اتخاذ الرايات والالوية للجيش .                       |
| ٣٩٠           | ( ٤ ) اتخاذ الشعار فى المعركة .                            |
| ٣٩٢           | الخامس : نماذج من تخطيط المسلمين وتنظيمهم<br>للمعـارك .    |
| ٣٩٣           | ( ١ ) التخطيط والتنظيم فى معركة بدر .                      |
| ٣٩٨           | ( ٢ ) التخطيط والتنظيم فى غزوة الفتح .                     |
| ٤٠٣           | ( ٣ ) التخطيط والتنظيم فى معركة اليرموك .                  |

٤٣٦ - ٤٠٧

السبب الرابع: الأمن العسكري

وفيه:

٤٠٧

( ١ ) تمهيد

( ٢ ) والامن ينقسم الى ثلاثة انواع:

اولا : الكتمان ، وفيه :

٤٠٩

( ١ ) حض الاسلام على كتمان الاسرار .

( ٢ ) نماذج من الكتمان فى جهاد الرسول .

٤١٠

( أ ) الكتمان بالمسير الليلي .

٤١٢

( ب ) الرسائل السرية .

٤١٣

( ج ) التورية فى الغزوات .

٤١٣

( د ) الحذر من عيون العدو وجواسيسه .

٤١٤

( هـ ) كتمان مسير المسلمين لفتح مكة .

٤١٧

( ٣ ) حكم الجاسوس المعاهد والذمى والمسلم .

ثانيا : الاستخبار ، وفيه النماذج التالية :

٤٢٤

( ١ ) الاستخبار فى غزوة الخندق .

٤٢٨

( ٢ ) الاستخبار فى غزوة حنين .

٤٢٩

( ٣ ) الاستخبار فى غزوة الحديبية .

ثالثا : الاستطلاع ، وفيه :

٤٣٠

( ١ ) مهام وحدات الاستطلاع .

٤٣١

( ٢ ) نماذج من الاستطلاع فى غزوة بدر .

٤٣٤

( ٣ ) سرية عاصم بن ثابت الاستطاعية .

٤٣٥

( ٤ ) سرية عبد الله بن جحش الاستطاعية .

- السبب الخامس: نبيذ المنافقين والمخذلين والحذر من مكائدهم  
وفيه مطالب:
- ٤٣٧ - ٤٥٩
- ٤٣٧ الاول : خطورة المنافقين على الجيش الاسلامى .
- الثاني : نماذج من مواقف المنافقين الا انهزامية فى المعارك .
- ٤٤٢ ( أ ) موقف المنافقين فى أحد .
- ٤٤٥ ( ب ) موقف المنافقين فى غزوة الاحزاب .
- ٤٤٨ ( ج ) مواقف المنافقين فى غزوة بنى المصطلق .
- ٤٥٢ ( د ) مواقف المنافقين فى غزوة تبوك .
- السبب السادس: الخداع فى المعركة
- ٤٦٠ - ٤٦٩
- وفيه مطالب:
- ٤٦٠ الاول : اهمية الخداع فى احراز النصر .
- ٤٦٢ الثاني : جواز الكذب لخداع العدو فى الحرب .
- الثالث : نماذج من خداع المسلمين للعدو فى المعركة .
- ٤٦٥ ( أ ) ايقاع الخديعة بالاحزاب يوم الخندق .
- ٤٦٨ ( ب ) الخداع بالتورية فى جهة الغزوة .
- السبب السابع: المباغتة
- ٤٧٠ - ٤٩٠
- وفيه مطالب:
- ٤٧٠ الاول : تمهيد
- ٤٧٣ الثاني : حكم مباغتة العدو وقبل عرض الدعوة عليه .
- ٤٧٦ الثالث : معنى المباغتة .
- ٤٧٧ الرابع : اشكال المباغتة .



| <u>الصفحة</u> | <u>الموضوع</u>                                      |
|---------------|---|
| ٤٧٧           | الخامس: اهمية المباغثة فى المعركة .                 |
|               | السادس: نماذج عملية للمباغثة من جهاد الرسول واثرها  |
| ٤٧٨           | (أ) مباغثة بنى المصطلق .                            |
| ٤٧٩           | (ب) مباغثة يهود خيبر وقت الفجر .                    |
| ٤٨٠           | (ج) مباغثة هوازن بالليل .                           |
| ٤٨١           | (د) مباغثة بنى ملوح بالكديد .                       |
| ٤٨٣           | السابع: الحذر من مباغثة العدو للمسلمين .            |
| ٤٨٥           | الثامن : حث الرسول على حراسة معسكر المسلمين .       |
|               | التاسع: نماذج من الحراسة فى المعسكر الاسلامي        |
| ٤٨٦           | (أ) حراسة معسكر المسلمين فى حنين .                  |
| ٤٨٧           | (ب) حراسة ابوريحانة والانصارى .                     |
| ٤٨٨           | العاشر: الحذر من مباغثة العدو بالمرابطة فى الثغور . |
| ٤٩١ - ٥٠١     | الخاتمة.....  |
| ٥١٤ - ٥٠٢     | فهرس الموضوعات.....                                 |
| ٥٢٤ - ٥١٥     | فهرس الاحاديث والآثار.....                          |
| ٥٤٥ - ٥٢٥     | فهرس المراجع.....                                   |

## فهرس الاحاديث والآثار

| الرقم | طرف الحديث                 | الراوي                        | الصفحة          |
|-------|----------------------------|-------------------------------|-----------------|
| ١     | اتحب ذلك يا أبا بكر . .    | عمر بن الخطاب                 | ٣١٥             |
| ٢     | اجتنبوا السبع الموبقات . . | ابو هريرة                     | ٣١٠             |
| ٣     | احبس اباسفيان عند حطم      | عروة بن الزبير                | ٤١٦ ، ٤٠٠ ، ٢١٩ |
| ٤     | ادرك القوم فانهم قد . .    | ابن مسعود                     | ٤٥٥             |
| ٥     | اذا اكتبوكم فارموهم . .    | ابو أسيد                      | ٣٩٦             |
| ٦     | اذا كان ثلاثة في سفر . .   | ابو سعيد الخدري<br>وابو هريرة | ٣٨٥             |
| ٧     | اذا نظرت في كتابي هذا .    | جندب بن عبدالله               | ٤١٢             |
| ٨     | اذا يعنى من الناس . .      | ابن عمر                       | ٩٥              |
| ٩     | اذهب فادخل بالقوم . .      | جابر                          | ٤٢٨             |
| ١٠    | ارم فداك ابي وامسى . .     | سعد بن ابي وقاص               | ٣٢٩             |
| ١١    | ارمو بني اسماعيل . .       | سلمة بن الاكوع                | ٣٥٨             |
| ١٢    | ارواحهم في جوف طير         | عبدالله بن مسعود              | ١٧              |
| ١٣    | اشيروا ايها الناس على .    | المسور ومروان بن الحكم        | ٤٢٩ ، ٢٠٠       |
| ١٤    | اطلبوه واقتلوه . . . . .   | سلمة بن الاكوع                | ٤١٧ ، ٤١٣       |
| ١٥    | اعطيت خمسا لم يعطهن . .    | جابر بن عبدالله               | ٢١٠             |
| ١٦    | اعقلها وتوكل               | أنس                           | ٢٦٧             |
| ١٧    | اغزوا باسم الله ،          | بريدة                         | ٢٣٥ ، ٢٣١ ، ٤٧٣ |
| ١٨    | اكتبوا لى من تلفظ . .      | حذيفة                         | ٣٨٣             |
| ١٩    | الآن نغزوهم ولا يغزونا . . | سليمان بن سرد                 | ٣٣١             |
| ٢٠    | الا اخبرك ما قال الله . .  | جابر بن عبدالله               | ١٨              |

| الرقم | طرف الحديث                      | الراوي               | الصفحة    |
|-------|---------------------------------|----------------------|-----------|
| ٢١    | الا انبيكم بليلة افضل . .       | عبدالله بن عمر       | ٤٨٥       |
| ٢٢    | الا ان القوة الرمى . .          | عقبة بن عامر         | ٣٦٨       |
| ٢٣    | الارجل يا تينى بخير . .         | حذيفة .              | ٤٢٦       |
| ٢٤    | الله اكبر خربت خيبر . .         | أنس                  | ٤٧٩ ، ٣٣٣ |
| ٢٥    | اللهم ان تهلك هذه الفئة . .     | على بن ابي طالب      | ٣٤١       |
| ٢٦    | اللهم انت عضدى . .              | أنس                  | ٢٧١       |
| ٢٧    | اللهم انجز لى ما وعدتنى         | عمر بن الخطاب        | ٢٩٤ ، ١٢٨ |
| ٢٨    | اللهم انى اعوذ بك . .           | سعد بن ابي وقاص      | ٢٥٩       |
| ٢٩    | اللهم منزل الكتاب . .           | عبدالله بن ابي اوفى  |           |
| ٣٠    | اما بعد ، فان اخوانكم . .       | المسور بن مخزوم      | ٣٨٦       |
| ٣١    | اما بعد ، فقد عجبت . .          | (اثر) لعمر بن الخطاب | ٢٩٨       |
| ٣٢    | امر رسول الله زيدا فجاء . .     | البراء               | ٢٩        |
| ٣٣    | امر رسول الله علينا ابا بكر . . | سلمة بن الاكوع       | ٤٨١ ، ٣٩٢ |
| ٣٤    | امرت ان اقاتل الناس . .         | ابو هريرة            | ٧٠        |
| ٣٥    | ان ابواب الجنة تحت . .          | عبدالله بن قيس       | ١٤        |
| ٣٦    | ان الله زوى لى الارض . .        | ثوبان                | و         |
| ٣٧    | ان الله قد صدقك . .             | زيد بن ارقم          | ٤٥٠       |
| ٣٨    | ان الله يدخل بالسهم . .         | عقبة بن عامر         | ٣٦٩       |
| ٣٩    | ان الله يرضى لكم . .            | ابو هريرة            | ٢٤٤       |
| ٤٠    | ان امرأة وجدت فى بعض . .        | عبدالله بن عمر       | ٤٧٠       |
| ٤١    | ان بالمدينة لرجالا . . . .      | جابر                 | ٢٩        |

| الرقم | طرف الحديث                       | الراوي                | الصفحة   |
|-------|----------------------------------|-----------------------|----------|
| ٤٢    | ان تطعنوا في امارته ..           | ابن عمر               | ٣٣٨      |
| ٤٣    | ان رأيتمونا تخطفنا ..            | البراء بن عازب        | ٢٨٢      |
| ٤٤    | ان ربي تبارك وتعالى استشارني ..  | حذيفة بن اليمان       | ٢١١      |
| ٤٥    | ان رسول الله جعل للفرس ..        | ابن عمر               | ٣٦٧      |
| ٤٦    | ان رسول الله شاور ..             | أنس                   | ٤٣٣، ١٩٧ |
| ٤٧    | ان قتل زيد فجعفر ..              | عبدالله بن عمر        | ٣٨٦، ٢٨٦ |
| ٤٨    | ان منكم رجالا نكلهم ..           | فرات بن حيان          | ٤١٨      |
| ٤٩    | ان النبي خرج في رمضان ..         | ابن عباس              |          |
| ٥٠    | ان النبي نصب العنجنيق ..         | (اثر) لمكحول          | ٣٧٠      |
| ٥١    | ان يهود بنى النضير ..            | عبدالله بن عمر        | ٥٧       |
| ٥٢    | انا كنا اذل قوم فاعزنا . الله .. | (اثر) لعمر بن الخطاب  | ١٠٨      |
| ٥٣    | انا مد لجون ، فلايد لجن ..       | ثوبان                 | ٤١١      |
| ٥٤    | انا يوم الخندق نحفر ..           | جابر                  | ٣٤٢، ٣١٤ |
| ٥٥    | انطلقوا حتى تأتوا روضة ..        | علي بن ابي طالب       | ٤١٤      |
| ٥٦    | انكم ستأتون غدا . ، عين تيوك ..  | معاذ بن جبل           | ٤٥٦      |
| ٥٧    | انكم ستلقون العدو وغدا ..        | البراء بن عازب        | ٣٩١      |
| ٥٨    | انما تكثر الجنود بالنصر ..       | (اثر) لخالد بن الوليد | ٢٤٠      |
| ٥٩    | انما سعى النبي بالبيت ..         | ابن عباس              | ٢٢٢      |
| ٦٠    | انما محمد واصحابه كأكلة ..       | أنس                   | ٢٣٧      |
| ٦١    | انما ينصر الله هذه الامة ..      | مصعب بن سعد           |          |
| ٦٢    | انه ستكون هنات وهنات ..          | عرفجة                 | ٤٨       |

| الرقم | طرف الحديث                       | الراوي               | الصفحة  |
|-------|----------------------------------|----------------------|---------|
| ٦٣    | انه قد جاءني كتابكم تستمدونني..  | (اثر) لعمر بن الخطاب | ٢٧٢     |
| ٦٤    | أنه كان اذا ظهر على قوم..        | ابو طلحة             | ٢٢٣     |
| ٦٥    | انه لم يكتب على النساء جهاد..    | ام سلمة              | ٣٢      |
| ٦٦    | انها طيبة تنفى الذنوب..          | زيد بن ثابت          | ٤٤٢     |
| ٦٧    | اني اريد منهم كلمة..             | ابن عباس             | ٧٣      |
| ٦٨    | اني ذكرت نبيا من الانبياء..      | صهيب                 | ٢٣٣     |
| ٦٩    | اني كنت امرتكم ان تحرقوا..       | ابو هريرة            | ٤٧١     |
| ٧٠    | اني لفي الصف يوم بدر..           | عبدالرحمن بن عوف     | ٢٦٣     |
| ٧١    | اهج المشركين فان جبريل..         | البراء بن عازب       | ٢١٧     |
| ٧٢    | اهجو قريشا فانه اشد..            | عائشة                | ٢١٧     |
| ٧٣    | اوصيكم باصحابي..                 | عمر                  | ٢٤٥     |
| ٧٤    | اوعب مع رسول الله المهاجرون..    | ابن عباس             | ٣٩٩     |
| ٧٥    | اول ما غزا النبي الابواء..       | ابو اسحاق            | ٣٢٣     |
| ٧٦    | اي عباس، ناد اصحاب السمرة..      | العباس               | ٣٢٦     |
| ٧٧    | ايها الناس لا تمنوا لقاء العدو.. | عبدالله بن ابي اوفى  | ٣٠٦، ١٣ |

## ب

|    |                        |              |     |
|----|------------------------|--------------|-----|
| ٧٨ | بشر هذه الامة بالسنة.. | ابي بن كعب   | هـ  |
| ٧٩ | بعثت رسول الله بسيسة.. | أنس          | ٤٣١ |
| ٨٠ | بعثت رسول الله غالب..  | جندب بن مكيث | ٤٨١ |
| ٨١ | بعث النبي سرية عينا..  | ابو هريرة    | ٤٣٤ |

| الرقم | طرف الحديث                      | الراوي             | الصفحة   |
|-------|---------------------------------|--------------------|----------|
| ٨٢    | بعثنا رسول الله وأمره ..        | جابر               | ٣١٤      |
| ٨٣    | بلغ رسول الله ان ناسا ..        | عبدالله بن حارثة   | ٤٥٤      |
| ٨٤    | بينما الحبشة يلعبون ..          | ابو هريرة          | ٣٥٩      |
| ٨٥    | تضمن الله لمن خرج ..            | ابوهريرة           | ١٧٨، ٩   |
| ٨٦    | تلك غنيمة المسلمين ..           | سهل بن الحنظلية    | ٢٢٩      |
| ٨٧    | التوبة هي الفاضحة ..            | ابن عباس           | ٤٣٨      |
| ٨٨    | ثنتان لاتردان ..                | سهل بن سعد         | ٢٩٠      |
| ٨٩    | جاهدوا المشركين باموالكم ...    | أنس                | ٣٧٣، ٢١٤ |
| ٩٠    | جرح وجه رسول الله ..            | سهل بن سعد         | ٣٢٩، ٢٧٥ |
| ٩١    | جهادكن الحج                     | عائشة              | ٣١       |
| ٩٢    | الحج عرفنة                      | عبد الرحمن بن يعمر | ٤٦١      |
| ٩٣    | الحرب خدعة                      | جابر بن عبدالله    | ٤٦٠      |
| ٩٤    | حرس ليلة في سبيل الله ..        | عثمان              | ٤٨٥      |
| ٩٥    | خرجنا مع رسول الله في غزاة ..   | ابو موسى           | ٣١٣      |
| ٩٦    | خير الاصحاب اربعة ..            | ابن عباس           | ٢٤٣      |
| ٩٧    | الخيال معقود بنواصيها ..        | جرير بن عبدالله    | ٣٦٧      |
| ٩٨    | رأيت كأنى فى درع ..             | جابر               | ١٩٨      |
| ٩٩    | رب أعنى ولا تعن على، وانصرنى .. | ابن عباس           | ٢٩٧      |
| ١٠٠   | رباط يوم فى سبيل الله خير ..    | سهل بن سعد         | ٤٨٩      |
| ١٠١   | رباط يوم وليلة خير من ..        | سلمان              | ٤٩٠      |
| ١٠٢   | رجعنا من العام المقبل ..        | ابن عمر            | ٣٠٦      |

| الرقم | طرف الاحاديث                    | الراوي                  | الصفحة    |
|-------|---------------------------------|-------------------------|-----------|
| ١٠٣   | ستفتح عليكم ارضون ..            | عقبة بن عامر            | ٣٦٠       |
| ١٠٤   | السمع والطاعة حق مالم ..        | ابن عمر                 | ٢٧٩       |
| ١٠٥   | سمعتهم بعدينة جانب ..           | ابوهريرة                | ٣٠٠       |
| ١٠٦   | سناو بهم سنة اهل الكتاب.        | عبدالرحمن بن عوف        | ٧١        |
| ١٠٧   | صفنا يوم بدر فبدرت ..           | ابو ايوب                | ٣٩٤       |
| ١٠٨   | طوبى لعبد آخذ بعنان ..          | ابوهريرة                | ٢٨١       |
| ١٠٩   | عبأنا رسول الله ببدر ..         | عبدالرحمن بن عوف        | ٣٩٤       |
| ١١٠   | على الصرء المسلم السمع ..       | ابن عمر                 | ٤٤        |
| ١١١   | عليك السمع والطاعة ..           | ابوهريرة                | ٢٨٠       |
| ١١٢   | غزا رسول الله اربعا وعشرين ..   | سعيد بن المسيب          | ٣٢٢       |
| ١١٣   | الغزو غزوان ..                  | معاذ بن جبل             | ٢٨١       |
| ١١٤   | غزت مع رسول الله ..             | ام عطية                 | ٣٤        |
| ١١٥   | غزت مع رسول الله قبل نجد ..     | ابن عمر                 | ٣٨٨       |
| ١١٦   | غزت مع النبي سبع ..             | سلمة بن الاكوع          | ٣٨٥ ، ٣٣٩ |
| ١١٧   | فانطلقنا فما شاء أحد ..         | ابوهريرة                | ٢٨٧       |
| ١١٨   | قال غلام منا من الانصار ..      | أنس                     | ٢٣٢       |
| ١١٩   | القتلى ثلاثة ..                 | عتبة بن عبد الله السلمى | ٢١        |
| ١٢٠   | قد اغار رسول الله على ..        | نافع                    | ٤٧٨ ، ٤٧٥ |
| ١٢١   | قد منا الحديدية مع رسول الله .. | سلمة بن الاكوع          | ٣٥٦       |
| ١٢٢   | القوم الف ، كل جزور لمائة ..    | علي بن ابي طالب         |           |
| ١٢٣   | قوموا الى الجنة عرضها ..        | انس                     | ٢٨٦ ، ٢٥٦ |

| الرقم | طرف الحديث                        | الراوي            | الصفحة   |
|-------|-----------------------------------|-------------------|----------|
| ١٢٤   | كان رسول الله قلما يريد غزوة..    | كعب بن مالك       | ٤٦٨      |
| ١٢٥   | كان رسول الله يغزوا بامسليم..     | أنس               | ٣٥       |
| ١٢٦   | كان شعار المهاجرين ..             | سمرة بن جندب      | ٣٩٥      |
| ١٢٧   | كان النبي احسن الناس..            | أنس               | ٢٦٠      |
| ١٢٨   | كان النبي اذا غزا قوما ..         | أنس               | ٤٧٦، ٤١١ |
| ١٢٩   | كانت اموال بنى النضير..           | عمر بن الخطاب     | ٣٧٤      |
| ١٣٠   | كانت راية رسول الله ..            | ابن عباس          | ٣٨٩      |
| ١٣١   | كانت سوداء مربعة..                | البراء بن عازب    | ٣٨٩      |
| ١٣٢   | كنا مع رسول الله يوم الفتح ..     | ابو هريرة         | ٤٠٢، ٤٠٠ |
| ١٣٣   | كنا مع النبي نسقى ..              | الربيع بنت معوذ   | ٣٤       |
| ١٣٤   | كنا والله اذا احمر..              | البراء بن عازب    | ٣٢٦، ٢٦١ |
| ١٣٥   | كنا يوم الحديبية الفا واربعمائة.. | جابر بن عبد الله  | ٣٠٧      |
| ١٣٦   | كنت الى جنب زيد بن أرقم..         | ابو اسحاق         | ٣٢٢      |
| ١٣٧   | كنت انا وامى ممن عذر الله..       | ابن عباس          | ٦٥       |
| ١٣٨   | كنت كاتباً لجزء من معاوية..       | بجالة             | ٧١       |
| ١٣٩   | لا تفعل ، فان مقام احدكم.. (ل)    | ابو هريرة         | ١٢       |
| ١٤٠   | لا سبق الا فى خف ..               | ابو هريرة         | ٣٥٧      |
| ١٤١   | لا هجرة ، ولكن جهاد ..            | ابن عباس          | ٢٥       |
| ١٤٢   | لا يحل دم امرى مسلم الا ..        | عبد الله بن مسعود | ٤٣       |
| ١٤٣   | لا يخلون رجل بامرأة..             | ابن عباس          | ٣٨٣      |
| ١٤٤   | لا يقدم من احد منكم الى شىء ..    | أنس               | ٢٨٦      |



| <u>الرقم</u> | <u>طرف الحديث</u>                              | <u>الراوي</u>       | <u>الصفحة</u> |
|--------------|--|---------------------|---------------|
| ١٤٥          | لاطين الراية رجلا . . .                        | سهل بن سعد          | ٤٧٤، ٣٩٠      |
| ١٤٦          | لصوت ابي طلحة . . .                            | أنس                 | ٣٣٣           |
| ١٤٧          | لغدوة في سبيل الله . . .                       | أنس                 | ١٥            |
| ١٤٨          | لقد رأيتنا يوم بدر . . .                       | علي بن ابي طالب     | ٢٦٢           |
| ١٤٩          | لك بها يوم القيامة سبعمائة ..                  | ابو مسعود الانصاري  | ٣٧٣           |
| ١٥٠          | للشهيد عند الله ست خصال ..                     | المقدام بن معد يكرب | ٢٠            |
| ١٥١          | لما اصيب اخوانكم بأحد . . .                    | ابن عباس            | ١٧            |
| ١٥٢          | لما اقبل رسول الله من .. تبوك ..               | ابو الطفيل          | ٤٥٧           |
| ١٥٣          | لما توفي النبي واستخلف ابو بكر .               | ابو هريرة           | ٤٤            |
| ١٥٤          | لما كان يوم أحد انهزم . . .                    | أنس                 | ٣٣٤، ٣٥       |
| ١٥٥          | لما كان يوم الاحزاب . . .                      | البراء بن عازب      | ٣٤٢           |
| ١٥٦          | لما نزلت " ان يكن منكم عشرون " ..              | ابن عباس            | ٣١١           |
| ١٥٧          | لئن اشهدني الله . . .                          | أنس                 | ٢٦٢           |
| ١٥٨          | لو انكم كنتم توكلون . . .                      | عمر بن الخطاب       | ٢٦٩           |
| ١٥٩          | ليس الكذاب الذي يصلح . . .                     | ام كلثوم            | ٤٦٢           |
| ١٦٠          | ما انتما باقوى مني . . . (٤)                   | عبد الله بن مسعود   | ٣٤٣           |
| ١٦١          | ما بال دعوى جاهلية . . .                       | جابر بن عبد الله    | ٤٤٩           |
| ١٦٢          | ماض ابن عفان ماعل . . .                        | عبد الرحمن بن سمرة  | ٣٧٥           |
| ١٦٣          | ماعلى عثمان ماعل . . .                         | عبد الرحمن بن خباب  | ٣٧٥           |
| ١٦٤          | ما من احد يدخل الجنة يحب . . .                 | أنس بن مالك         | ١٦            |
| ١٦٥          | ما نصر النبي في موطن كما نصر في أحد / ابن عباس |                     | ٢٨٥           |
| ١٦٦          | ما هذا الخنجر ؟ . . .                          | أنس                 | ٣٥            |

| <u>الرقم</u> | <u>طرف الحديث</u>           | <u>الراوي</u>     | <u>الصفحة</u> |
|--------------|-----------------------------|-------------------|---------------|
| ١٦٧          | مثل المجاهد في سبيل الله .. | ابوهريرة          | ١١            |
| ١٦٨          | المسلم اخو المسلم ..        | ابوهريرة          | ٦١            |
| ١٦٩          | من اتاكم وامركم جميع ..     | عرفجة             | ٢٤٥           |
| ١٧٠          | من احتبس فرسا ..            | ابوهريرة          | ٣٦٦           |
| ١٧١          | من اطاعنى فقد ..            | ابوهريرة          | ٢٧٩           |
| ١٧٢          | من بدل دينه ..              | ابن عباس          | ٤٣            |
| ١٧٣          | من جهز غازيا ..             | زيد بن خالد       | ٣٧٣           |
| ١٧٤          | من خرج من الطاعة ..         | ابوهريرة          | ٥٢            |
| ١٧٥          | من خلع يدا من طاعة ..       | عبدالله بن عمر    | ٤٥            |
| ١٧٦          | من شاء منكم يبطن الوادى ..  | عروة بن الزبير    | ٤٥٨           |
| ١٧٧          | من علم الرمي . ثم تركه .    | عقبة بن عامر      | ٣٦٠           |
| ١٧٨          | من قاتل لتكون كلمة الله ..  | ابو موسى          |               |
| ١٧٩          | من كذب على متعمدا ..        | ابوهريرة          | ٤٦٤           |
| ١٨٠          | من لكعب بن الاشرف؟ ..       | جابر              | ٤٦٤           |
| ١٨١          | من مات ولم يغز .            | ابو هريرة         | ١٦٥           |
| ١٨٢          | من يأتى بنى قريظة ..        | عبدالله بن الزبير | ٤٢٥           |
| ١٨٣          | من يأتينا بخير القوم ..     | جابر              | ٤٢٥           |
| ١٨٤          | من يأخذ منى هذا السيف ..    | أنس               | ٣٣٢           |
| ١٨٥          | من يحرسنا الليلة ..         | ابو ريحانة        | ٤٨٧           |
| ١٨٦          | من يذهب فى اثرهم ..         | عائشة             | ١٦٣           |
| ١٨٧          | المؤمن القوى خير ..         | ابو هريرة         | ٣٥٦           |
| ١٨٨          | المؤمن للمؤمن كالبنيان ..   | ابو موسى          | ٢٤٥           |

| الرقم | طرف الحديث                              | الراوي                   | الصفحة |
|-------|---|--------------------------|--------|
| ١٨٩   | نزلت في عبد الله بن حذافة ..            | ابن عباس                 | ٢٧٩    |
| ١٩٠   | نزلت هذه الآية فينا ...                 | جابر                     | ٤٤٣    |
| ١٩١   | نستعين بالله ..                         | (اثر) لسعد               |        |
| ١٩٢   | نعم . عليهن جهاد لا قتال فيه ..         | عائشة                    | ٣٢     |
| ١٩٣   | نهى رسول الله عن النهي ..               | عبد الله بن زيد          | ٤٧١    |
| ١٩٤   | هزم المشركون يوماً واحد . . . .         | عائشة                    | ٢٨٣    |
| ١٩٥   | هل تنتصرون الا بضعفائكم .               | مصعب بن سعد              | ٢٩٠    |
| ١٩٦   | هل عرفتم القوم ؟ ..                     | حذيفة                    | ٤٥٩    |
| ١٩٧   | والله لقد رأيت رسول الله . . . .        | عائشة                    | ٣٥٩    |
| ١٩٨   | والله ليأذن رسول الله . . .             | ابن عباس                 | ٢١٩    |
| ١٩٩   | والله لينصرن الله وليه . . .            | (اثر) لسعد               | ١٩٣    |
| ٢٠٠   | وانما خرج رسول الله . موهبا للعدو . . . | عكرمة                    | ٢٢٤    |
| ٢٠١   | وجدت في نفسي حين سألت . . .             | الزبير                   | ٣٣٢    |
| ٢٠٢   | ويل للعرب من شر . . .                   | زينب                     | ١٩٣    |
| ٢٠٣   | يا ابا عياش لو اعطيت هذا الفرس . . .    | —                        | ٣٣٢    |
| ٢٠٤   | يا ايها الناس انكم تتألون . . .         | ابو ايوب                 | ٩٤     |
| ٢٠٥   | يا قوم ان التي تطلبون . . .             | (اثر) لعبد الله بن رواحة | ٢٣٩    |
| ٢٠٦   | يامعشر المسلمين خمس . . .               | ابن عمر                  | ١٠٧    |
| ٢٠٧   | يامعشر المسلمين من يعذرني . . .         | عائشة                    | ٤٥١    |
| ٢٠٨   | يقتل عمارا الفئة . . .                  | ام سلمة                  | ٤٨     |
| ٢٠٩   | يقدم عليكم وفد وهنهم . . .              | ابن عباس                 | ٢٢٢    |
| ٢١٠   | يوشك ان تداعى عليكم . . .               | ثوبان                    | ٩٦     |

فهرس المراجـع

\* آثار الحرب فى الفقه الاسلامى .

الاستاذ / وهبه الزحيلى .

دار الفكر

\* ابو زرة الرازى وجهوده فى السنة النبوية .

رسالة دكتوراه اعداد / سعدى الهاشمى .

من منشورات المجلس العلمى بالجامعة الاسلامية بالمدينة . الطبعة الاولى

٠ ( ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م )

\* أجنحة المكر الثلاثة .

د . عبدالرحمن حسن حينكة الميدانى .

دار القلم - الطبعة الثانية ( ١٤٠٠ / ١٩٨٠م )

\* أحكام القرآن .

ابوبكر احمد بن على الجصاص .

دار الكتاب العربى - بيروت .

\* أحكام القرآن .

ابوبكر محمد بن عبدالله المعروف بـ ( ابن العربى ) .

تحقيق على البجاوى / مطبعة البابى الحلبى .

\* ارادة القتال فى الجهاد الاسلامى .

اللواء الركن / محمود شيت خطاب .

دار الفكر / الطبعة الثالثة ١٣٩٨ / ١٩٧٨م .

\* ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم .

ابو السعود محمد بن محمد العمادى .

دار احياء التراث العربى - بيروت .

- \* ارواء الغليل في تخريج احاديث منار السبيل .  
الشيخ / محمد ناصر الدين الالباني .  
المكتب الاسلامي - الطبعة الاولى ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .
- \* استراتيجية الفتوحات الاسلامية .  
الرائد / وليد محمد جرادات .  
مديرية المطابع العسكرية .
- \* اسرار الحرب العالمية الثانية في سيرة ابرز قائد الماني " فون رونشتد " .  
تأليف / اللواء كونثر بلو منتريت .  
ترجمة / اللواء الركن محمود شيت خطاب .  
دار الحياة - بيروت .
- \* الاسلام والنصر .  
اللواء الركن / محمود شيت خطاب .  
دار الفكر - الطبعة الاولى ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .
- \* اصول الادارة .  
د . محمود عساف .  
طبع بعصر / ١٩٨٢ .
- \* اقتباس النظام العسكري في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .  
تأليف اللواء الركن / محمود شيت خطاب .  
اللواء الركن / محمد جمال الدين محفوظ .  
الشيخ / عبداللطيف زايد .  
مطابع قطر الوطنية - الدوحة قطر .
- \* الله أو الدمار .  
الاستاذ / سعد جمعه .  
المختار الاسلامي / الطبعة الثالثة / ١٣٩٦ - ١٩٧٦ .

\* الأم .

الامام / محمد بن ادريس الشافعي .

دار المعرفة / بيروت / الطبعة الثانية ١٣٩٣ / ١٩٧٣ .

\* اهداف اسرائيل التوسعية .

اللواء الركن / محمود شيت خطاب .

دار النصر للطباعة / توزيع دار الاعتصام .

\* آيات الجهاد فى القرآن الكريم .

د / كامل سلامة الدقس .

دار البيان / الكويت .

\* بدائع الصنائع .

الامام / علاء الدين ابوبكر بن مسعود الكاساني .

دار الكتاب العربي / بيروت / الطبعة الثانية ١٣٩٤ / ١٩٧٤ .

\* البداية والنهاية .

ابو الفداء اسماعيل بن كثير .

مكتبة العارف / بيروت / الطبعة الثانية ١٣٩٤ / ١٩٧٤ .

\* بلوغ المرام من جمع ادلة الاحكام .

الامام احمد بن على بن حجر العسقلاني .

دار الجيل للطباعة / مصر .

\* تاريخ أسماء الثقات .

الحافظ ابو حفص عمر بن احمد بن عثمان المعروف بابن شاهين .

تحقيق د / عبد المعطى قلعجي .

دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الاولى ١٤٠٦ / ١٩٨٦ .

\* تاريخ الامم والملوك .

ابو جعفر محمد بن جرير الطبري .

دار سويدان / لبنان .

\* تاريخ الثقات .

الامام الحافظ احمد بن عبدالله بن صالح ابي الحسن العجلي .

ترتيب الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي .

تحقيق د / عبدالمعطي قلعي . دار الكتب العلمية / بيروت / ط . الاولى

( ١٤٠٥ / ١٩٨٤م ) .

\* تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي .

تحقيق د / احمد محمد نور سيف .

دار المأمون للتراث ، دمشق ، بيروت ، من منشورات مركز البحث العلمي

بجامعة ام القرى .

\* تاريخ المذاهب الاسلامية .

الشيخ / محمد ابوزهرة .

دار الفكر العربي .

\* تبين الحقائق .

الامام جمال الدين ابو محمد عبدالله بن يوسف الزيلعي .

دار المعرفة / لبنان / الطبعة الثانية .

\* تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى .

الامام / محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري .

دار الفكر / الطبعة الثالثة ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .

\* الترغيب والترهيب .

الامام زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوى بن سلامة المنذرى الدمشقى .

دار الفكر .

\* التعريفات .

الامام علي بن محمد الجرجاني .

دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الاولى ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

\* تفسير البحر المحيط .

الامام محمد بن يوسف ، الشهير بأبي حيان الاندلسي .

دار الفكر / بيروت / الطبعة الثانية ١٣٩٨ / ١٩٧٨ .

\* تفسير القرآن العظيم .

ابو الفداء اسماعيل بن كثير .

دار المعرفة / بيروت ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

\* تفسير القرآن الكريم .

الشيخ العلامة / محمود شلتوت .

دار الشروق / الطبعة العاشرة ١٩٧٣ .

\* تفسير المنار .

الاستاذ / محمد رشيد رضا .

الهيئة المصرية العامة للكتاب .

\* تفسير النسفي .

الامام عبدالله بن احمد بن محمود النسفي .

دار الكتاب العربي / بيروت .

\* التفسير الواضح .

د / محمد محمود حجازي .

دار الجيل / مطبعة الاستقلال الكبرى / القاهرة الطبعة السادسة .

( ١٩٦٩ / ١٣٨٩ ) .



\* تقريب التهذيب .

الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلاني .

تحقيق / الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف .

دار المعرفة / الطبعة الثانية ١٣٩٥ / ١٩٧٥ .

\* تلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير .

الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلاني .

دار نشر الكتب الاسلامية .

\* تهذيب التهذيب .

الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلاني .

تحقيق الشيخ / عبدالوهاب عبداللطيف .

دار المعرفة / الطبعة الثانية ١٣٩٥ / ١٩٧٥ .

\* جامع الاصول في احاديث الرسول .

الامام مجد الدين ابوالسعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الاثير .

تحقيق عبدالقادر الارناؤوط .

نشر وتوزيع مكتبة الحلواني ، ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .

\* جامع البيان عن تأويل آي القرآن .

الامام محمد بن جرير الطبري .

دار الفكر / بيروت ، ١٤٠٥ / ١٩٨٤ .

\* الجامع الصحيح : سنن الترمذي .

الامام ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة .

تحقيق الاستاذ / احمد شاکر . دار احياء التراث العربي / بيروت .

\* الجامع لأحكام القرآن .

الامام محمد بن احمد القرطبي .

دار الكتب المصرية / الطبعة الثالثة .

\* الجرح والتعديل .

الامام عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي .

دار المعارف ، حيدرآباد / الطبعة الاولى / دار الكتب العلمية .

\* الجهاد .

الامام الحافظ المجاهد عبدالله بن المبارك .

تحقيق د / نزيه حماد .

طباعة دار العلم للطباعة والنشر ، جدة . الناشر دار المطبوعات الحديثه جدة .

\* الجهاد في الاسلام .

الاستاذ / محمد شديد .

مؤسسة الرسالة / بيروت ١٤٠٢ / ١٩٨٢ .

\* الجهاد والفدائية .

الشيخ حسن ايوب .

دار الندوة الجديدة / بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

\* جوامع السيرة النبوية .

الامام ابن حزم الاندلسي .

مراجعة وتعليق الشيخ / نايف العباس .

مؤسسة علوم القرآن / دمشق / بيروت / الطبعة الاولى ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .

\* حتى يغيروا ما بأنفسهم .

الاستاذ / جودت سعيد .

مطبعة الحسين الجديدة / القاهرة / الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

\* الحرب النفسية .

د / احمد نوفل .

دار الفرقان / الاردن / الطبعة الاولى ١٤٠٥ / ١٩٨٥ م .

\* الخرشى على مختصر سيدى خليل .

الشيخ على بن احمد الصعدي العدوى .

دار الفكر / بيروت .

\* الدرر فى اختصار المغازى والسير .

الحافظ ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النعمى .

خرج نصوصه وعلق عليه الدكتور / مصطفى ديب البغا .

مؤسسة علوم القرآن / دمشق / بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٤ / ١٩٨٤ م .

\* الدعوة الى الاسلام .

تأليف / توماس ارنولد .

ترجمة / حسن ابراهيم حسن .

مكتبة النهضة المصرية / الطبعة الثالثة ١٩٧٠ .

\* دلائل النبوة .

الامام احمد بن الحسين البيهقى .

تحقيق الدكتور / عبد المعطى قلعجى .

دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الاولى ١٤٠٥ / ١٩٨٥ م .

\* الاذكار .

الامام محى الدين بن يحيى بن شرف النووى .

دار الفكر .

\* ذيل ميزان الاعتدال .

الحافظ ابو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالعراقي .

تحقيق الدكتور / عبد القيوم عبد رب النبي .

من منشورات مركز البحث العلمى بجامعة ام القرى . الطبعة الاولى ١٤٠٦ .

\* الرسول القائد .

اللواء الركن / محمود شيت خطاب .

دار الفكر / الطبعة الخامسة .

\* روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع الثانى .

الامام شهاب الدين السيد محمود الآوسى .

دار الفكر / بيروت ١٣٩٨ / ١٩٧٨ .

\* روضة الطالبين .

الامام محيى الدين يحيى بن شرف النووى .

الكتب الاسلامى .

\* زاد المعاد فى هدى خير العباد .

الامام محمد بن ابى بكر الشهير بابن قيم الجوزية .

تحقيق محمد حامد الفقى . مطبعة السنة المحمدية .

\* سبل السبل شرح بلوغ المرام .

الامام محمد بن اسماعيل الصنعانى .

مكتبة الرسالة الحديثة .

\* سنن ابن ماجه .

الامام محمد بن يزيد القزوينى .

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

طبعة دار الفكر / بيروت

\* سنن ابي داود .

الامام سليمان بن اشعث السجستاني .

مراجعة وتعليق الاستاذ / محمد محي الدين عبدالحميد .

دار احياء التراث العربي / بيروت .

\* سنن الدارمي .

الامام عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي .

تحقيق وتخرىج السيد عبدالله هاشم المدني .

الناشر / حديث اكادمي / باكستان ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .

\* السنن الكبرى .

الامام احمد بن الحسين البيهقي .

دائرة المعارف العثمانية / حيدرآباد ، الهند ، الطبعة الاولى .

\* سنن النسائي بشرح السيوطي .

الامام احمد بن شعيب النسائي .

طبعة دار الفكر / بيروت / الطبعة الاولى / ١٣٤٨ ، ١٩٣٠ .

\* السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية .

الامام احمد بن تيمية .

دار الكتاب العربي .

\* السيرة النبوية .

محمد بن عبدالملك بن هشام .

تحقيق الاستاذ / مصطفى السقا .

مطبعة البابي الحلبي . الطبعة الثانية ١٣٧٥ / ١٩٥٥ .

\* السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة .

الدكتور / الشيخ محمد محمد ابوشهبة .

مطبعة القاهرة الحديثة / الطبعة الثانية .

\* السيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار .

الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني .

تحقيق الشيخ / محمود زايد .

الطبعة الاولى / دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٥ / ١٩٨٥ .

\* شرح فتح القدير .

الكمال بن الهمام .

دار احياء التراث العربي .

\* شرح منتهى الايرادات .

الامام منصور البهوتي .

دار الفكر .

\* الاصابة في معرفة الصحابة .

الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني .

\* الصبر في القرآن .

الشيخ / يوسف القرضاوي .

مؤسسة الرسالة / الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ .

\* صحيح البخاري .

الامام محمد بن اسماعيل البخاري .

طبعة دار المعرفة / بيروت ١٩٧٨ .

\* صحيح الجامع الصغير .

الشيخ / محمد ناصر الدين الالباني .

المكتب الاسلامي / الطبعة الاولى ١٣٨٨ / ١٩٦٩ .

\*\* صحيح مسلم .

الامام مسلم بن الحجاج القشيري .

تحقيق الشيخ / محمد فؤاد عبد الباقي .

دار الفكر / بيروت .

\* صحيح مسلم بشرح النووي .

دار احياء التراث العربي / بيروت / الطبعة الثانية ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .

\* صلاح الدين الايوبي .

الاستاذ / عبدالله ناصح علوان .

دار السلام للطباعة والنشر / الطبعة الرابعة ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

\* الضعفاء الكبيـر .

الحافظ محمد بن عمر بن موسى بن حماد العقيلي .

تحقيق الدكتور / عبد المعطي قلعجي .

دار الكتب العلمية / الطبعة الاولى ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .

\* الطبقات الكبيـرى .

الامام محمد بن سعد .

دار صادر / بيروت .

\* طرح التثريب فى شرح التقریب .

الامام زين الدين ابو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي .

الناهر / دار المعارف - حلب . دار احياء التراث العربي / بيروت .

\* طريق الدعوة في ظلال القرآن .

الاستاذ / احمد فائز .

مؤسسة الرسالة ١٤٠١ / ١٩٨١ .

\* العبرة معاجاء في الغزو والشهادة والهجرة .

ابو الطيب صديق بن حسن القنوجي .

تحقيق / ابو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول .

دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الاولى ١٤٠٥ / ١٩٨٥ .

\* عبقرية محمد ( صلى الله عليه وسلم )

الاستاذ / عباس محمود العقاد .

دار الهلال .

\* عمدة القارى شرح صحيح البخارى .

الامام بدر الدين العيني .

دار احياء التراث العربي / بيروت .

\* هـ عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الاسلامي .

الاستاذ / شوقي ابو خليل .

دار الفكر / ١٤٠١ / ١٩٨١ .

\* الفتاوى .

الامام احمد بن تيمية .

نشر وتوزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين .

\* فتح البارى شرح صحيح البخارى .

الامام احمد بن على بن حجر العسقلاني .

ترتيب الشيخ / محمد فؤاد عبد الباقي .

نشر وتوزيع رئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء بالسعودية .



\* الفتح الرباني : ترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني .

الشيخ احمد بن عبدالرحمن البنا المعروف بالساعاتي .

دار العلم للطباعة والنشر / جدة / دار الشهاب / القاهرة .

\* فتح القدير .

الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني .

الناشر / محفوظ العلي / بيروت .

\* فقه السنة .

الشيخ سيد سابق .

دار الكتاب العربي / بيروت .

\* الفقه على المذاهب الأربعة .

الشيخ عبدالرحمن الجزيري .

دار احياء التراث العربي .

\* الفوائد .

الامام محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية .

دار الفكر .

\* في ظلال القرآن

الشهيد / سيد قطب .

دار الشروق / الطبعة الثامنة ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .

\* القتال في الاسلام .

الاستاذ / احمد نار .

نشر وتوزيع المكتبة الاسلامية - حمص / الطبعة الثانية ١٣٨٨ / ١٩٦٨ .

\* الكافي في فقه اهل المدينة المالكي .

الامام يوسف بن عبدالله بن عبد البر القرطبي .

تحقيق الدكتور / محمد محمد احيد ولد ماديك الموريتاني .

مكتبة الرياض الحديثة / الطبعة الاولى ١٣٩٨ / ١٩٧٨ .

\* كشف الاستار عن زوائد البزار .

الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي .

تحقيق الشيخ / حبيب الرحمن الاعظمي .

مؤسسة الرسالة . / الطبعة الثانية ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .

\* كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس .

الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي .

تصحيح وتعليق الاستاذ / احمد القلاش .

مؤسسة الرسالة / بيروت / الطبعة الرابعة ١٤٠٥ / ١٩٨٥ .

\* لسان العرب .

الامام ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور .

دار صادر / بيروت / نشر المكتبة الفيصلية .

\* اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .

وضعه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي .

المكتبة الاسلامية / استانبول - تركيا .

\* المجتمع المدني في عهد النبوة .

الدكتور / اكرم ضياء العمرى .

الطبعة الاولى ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .

- \* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .  
الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي .  
دار الكتاب العربي / بيروت / الطبعة الثالثة ٢٠١٤ / ١٩٨٢ .
- \* المجموع شرح المذهب مع تكملته للطيعي .  
العلامة محي الدين بن يحيى بن شرف النووي .  
دار الفكر .
- \* مختار الصحاح .  
محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي .  
الناشر / دار الكتب العربية / بيروت .
- \* مذكرات مونتجمري .  
ترجمة / ن . البعلبكي .  
دار القلم / بيروت / الطبعة الثانية ١٩٧١ .
- \* المراسيل .  
الامام سليمان بن اشعث السجستاني ( ابوداود ) .  
مطبعة محمد علي صبيح - مصر .
- \* مرويات غزوة بدر .  
رسالة ماجستير اعداد الطالب / احمد محمد العليمي باوزير .  
مكتبة طيبة - المدينة المنورة / الطبعة الاولى ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .
- \* مرويات غزوة بني المصطلق .  
رسالة دكتوراه اعداد الطالب / ابراهيم بن ابراهيم قريبي .  
من منشورات المجلس العلمي بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .
- \* المستدرک على الصحيحين .  
الامام الحاكم ابو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري .  
مطابع النصر الحديثية .

\* مستقبل الاسلام فى الغرب .

الاستاذ / رجا جارودى .

ترجمة د / رفيق المصرى .

دار العلم للطباعة والنشر / الطبعة الاولى ١٤٠٥ / ١٩٨٤ .

\* مستند الاجناد فى آلات الجهاد ، ومختصر فى فضل الجهاد .

الامام بدرالدين محمد بن ابراهيم بن جماعة الكنانى الحموى .

تحقيق الاستاذ / اسامة النقشبندى .

دار الحرية للطباعة / بغداد / من منشورات وزارة الثقافة العراقية

٠ ( ١٩٨٣ )

\* المسند .

الامام احمد بن حنبل .

المكتب الاسلامى / بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٨ / ١٩٧٨ .

\* مسند الامام احمد بن حنبل .

تحقيق الشيخ / احمد شاکر .

دار المعرفة - مصر ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

\* مشكاة المصابيح للتبريزى .

تحقيق الشيخ / محمد ناصرالدين الالبانى .

المكتب الاسلامى .

\* المصنف .

ابوبكر بن ابى شيبة .

الدار السلفية - الهند / الطبعة الاولى ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

\* المعجم الصغير .

الحافظ ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب اللخمي الطبراني .

دار الفكر / الطبعة الثانية ١٤٠١ / ١٩٨١ .

\* معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع .

تأليف الامام / عبدالله بن / العزيز البكري الاندلسي .

تحقيق / مصطفى السقا .

عالم الكتب - بيروت .

\* المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .

ترتيب جماعة من المستشرقين .

\* معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد .

الامام / ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله الذهبي .

تحقيق / ابو عبدالله ابراهيم سعيداي ادريس .

دار المعرفة / بيروت / الطبعة الاولى ١٤٠٦ / ١٩٨٦ .

\* المغازي .

تأليف / محمد بن عمر بن واقد ( الواقدي ) .

تحقيق / مارسدن جونز .

عالم الكتب - بيروت .

\* المغنى بالشرح الكبير .

الامام موفق الدين بن قدامة المقدسي .

دار الكتاب العربي / بيروت ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .

\* مفتاح كنوز السنة .

تأليف د / أ . ي . فنسك .

ترجمة الشيخ محمد فواد عبد الباقي .

دار احياء التراث العربي / بيروت ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

\* المقدمات .

الامام محمد بن احمد بن رشد .

دار السعادة - مصر ، دار صادر - بيروت .

\* مقدمة ابن خلدون .

عبدالرحمن بن محمد بن خلدون .

دار احياء التراث العربي / الطبعة الرابعة .

\* المقنع .

الامام موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي .

المؤسسة السعيدية / الطبعة الثالثة .

\* الملل والنحل .

الامام محمد بن عبدالكريم بن احمد ابو الفتح ( الشهرستاني ) .

مكتبة الانجلو المصرية / الطبعة الاولى ١٩٧٧ .

\* من كلام ابي زكريا " يحيى بن معين " فى الرجال .

تحقيق الدكتور / احمد محمد نور سيف .

دار المأمون للتراث / دمشق - بيروت .

من منشورات مركز البحث العلمى بجامعة ام القرى .

\* منال الطالب فى شرح طوال السغرائب .

الامام مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن الاثير .

تحقيق الدكتور / محمود الطناحي .

مطبعة المدني - من منشورات مركز البحث العلمى بجامعة ام القرى .

\* المنتقى .

الامام عبدالله بن على الجارود .

مطابع الاشرف / باكستان . الناشر / حديث آكادمي / باكستان

الطبعة الاولى ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

- \* موارد الظمان لدروس الزمان .  
عهد العزيز السلطان .  
مطبعة المدينة - الرياض / الطبعة الثالثة .
- \* موارد الظمان الى زوائد ابن حبان .  
الحافظ نور الدين على بن ابي بكر الهيثمي .  
تحقيق / محمد عبدالرزاق حمزة .  
دار الكتب العلمية - بيروت .
- \* مواهب الجليل لشرح مختصر خليل .  
الامام محمد بن محمد الطرابلسي المعروف بالحطاب .  
مكتبة النجاح ليبيا / مطابع دار الكتاب اللبناني / بيروت .
- \* الموطأ .  
الامام <sup>مالك</sup> ابن أنس .  
اعداد احمد راتب عرموش .  
دار النفائس / بيروت / الطبعة السابعة ١٤٠٤ / ١٩٨٣ .
- \* ميزان الاعتدال في نقد الرجال .  
الحافظ ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي .  
تحقيق / الاستاذ على البجاوي .  
دار المعرفة - بيروت .
- \* نتائج الافكار في تخريج احاديث الاذكار .  
الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني .  
تحقيق / حمدي عبدالمجيد السلفي .  
مطبعة الارشاد - بغداد / منشورات مكتبة المثنى ببغداد .

\* نصب الراية لاحاديث الهداية .

الامام عبدالله بن يوسف الحنفي / الزيلعي .

الناشر / المكتبة الاسلامية / الطبعة الثانية ١٣٩٣ / ١٩٧٣ .

\* النظرية الاسلامية في الاستطلاع والامن ومقاومة الجاسوسية .

اللواء الركن / محمد جمال الدين محفوظ .

دار الاعتصام .

\* النظرية الاسلامية في القيادة الحربية .

اللواء الركن / محمد جمال الدين محفوظ .

دار الاعتصام .

\* النهاية في غريب الحديث والاثار .

الامام مجد الدين ابوالسعادات المبارك بن الجزري ابن الاثير .

تحقيق / د . طاهر الزاوي ود . محمود الطناحي .

المكتبة الاسلامية .

\* نهاية المحتاج الى شرح المنهاج .

الامام شمس الدين الرملي .

مطبعة البابي الحلبي / الطبعة الاخيرة ١٣٨٦ / ١٩٦٧ .

\* نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار .

الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني .

دار الجيل / بيروت ١٩٧٣ .

\* الهداية شرح بداية المبتدي .

الامام علي بن ابي بكر المرغيناني .

مطبعة البابي الحلبي / الطبعة الاخيرة .